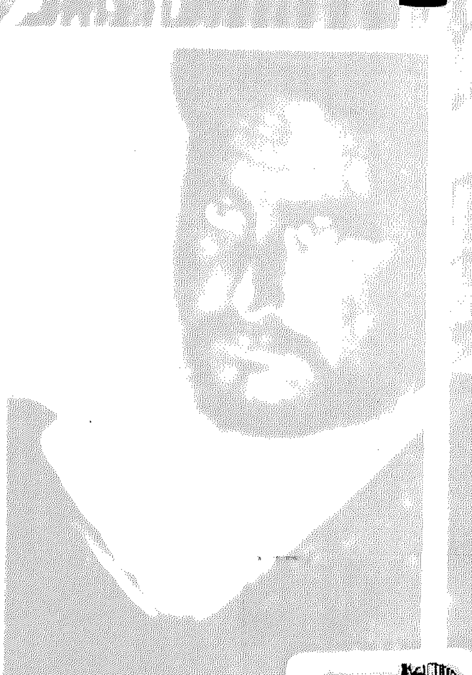
جــورج أوفــيــد

اليسار الفرنسي والحركة الوطنية المغربية

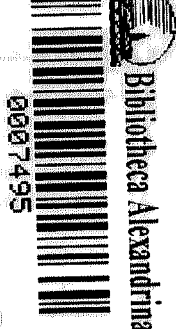
1905- 1955

2



مد الشركي وعبد الجليل ناظم
اللطيف المنوني

المعرفة التاريخية



جورج أوفيد

باحث فرنسي، خصص فترة طويلة من حياته لدراسة قضايا الدول السائرة في طريق النمو. وقد كان مستشاراً اقتصادياً ومالياً للحكومة المغربية بعد الاستقلال من 1956 إلى 1961. حاصل على الدكتوراة في الآداب، ثم الإجازة في الفلسفة، ودبلوم الدراسات العليا في القانون العام والاقتصاد السياسي، وخرّيج المدرسة الوطنية للإدارة.

يشغل حالياً منصب مستشار سام لمحكمة الحسابات بباريس.

دار توبقال للنشر
عمارة معهد التسيير التطبيقي، ساحة محطة القطار
بلفدير، الدار البيضاء 05، المغرب
الهاتف: 24.06.05/42

الصورتان: تظاهر في فرنسا
وعبد الكريم الخطابي

اليسار الفرنسي
والحركة الوطنية المغربية

1905 - 1955

Georges OVED
La Gauche Française
et le nationalisme marocain
1905 – 1955
Ed. L'harmattan, Paris, 1984

نشر هذا الكتاب باتفاق خاص مع دار لارماطان (باريس)

جورج أوڤيد

اليسار الفرنسي والحركة الوطنية المغربية

1905- 1955

الجزء الثاني

ترجمة: محمد الشركي

مراجعة: عبد اللطيف المنوني وعبد الجليل ناظم

دار توبقال للنشر
عمارة معهد التسيير التطبيقي، ساحة محطة القطار
بلفدير، الدار البيضاء 05 ـ المغرب
الهاتف . 24.06.05/42

تَمَّ نشرُ هَذا الكِتَاب ضِمنَ سِلْسِلة
المعرفة التاريخية

الطبعة الأُولى 1988

رقم الإيداع القانوني : 1987/621

مقدمة

إن الحرب الكبرى لم توقف العمليات العسكرية في المغرب. إذ بتقليصها للوسائل المتروكة تحت تصرّف ليوطي، عملت فقط على إبطاء تقدم القوات الفرنسية. وقد ظلت هذه الأخيرة تصطدم فعلا بمقاومات عنيفة. وستسمح الهزيمة الألمانية، تدريجيا، باستئناف مخطط احتلال مُنَظَّمٍ للبلاد. لقد قدم ليوطي في 1921، أثناء اجتماع لجنة برلمانية «ضمانة أن يكون المغرب هادئا خلال سنتين أو ثلاث سنوات، إلا إذا وقع ما ليس في الحسبان» (1). إلا أن «ماليس في الحسبان» هذا سيكون كبيرا، بما أن العمليات ستتواصل حتى سنة 1934.

أمام هذا الانهاء الطويل، واللامنتهي، للغزو، يبدو اليسار مُنْقسماً على نحو عميق. إن الأمر لم يعد يتعلق بالنسبة للرّاديكاليين والاشتراكيين بشجْبِ الاحتلال الفرنسي في المغرب. لقد صار واقعاً قائماً بالنسبة للعديد منهم، لكنه لا يكتسي نفس الدلالة لدى هؤلاء وأولئك. عالرّاديكاليوي يَبْدون أكثر انتباهاً للاعتبارات الاستراتيجية والاقتصادية، بينما يَظْهَرُ الاشتراكيون أكثر حساسيةً بمآل المغاربة وبتحوّل وضعيتهم. لكنهم جميعهم منشغلون بمستقبل التّعْمير الفرنسي في إفريقيا الشمالية ويتّفقون على أن فرنسا تلعب دوراً لايُعَوَّض في الامبراطورية الشريفية. غير أنه بينما لايضع الرّاديكاليون أيَّ أمَدٍ للنظام الاستعماري، يعتبِرُ قِسْمٌ من الاشتراكيين على الأقل أن الوصاية الفرنسية لا تغدو مُبَرَّرَةً إلّا بشرط السماح لـ «المَحْميين»، بواسطة مجهود تربوي طويل، بأن يتسلّموا يوماً زِمام إدارة شؤونهم الخاصة. إن حرب الرّيف واستمرار المقاومة المغربية في جبال الأطلس وفي مناطق الجنوب سيكونان مناسبةً للبعض لكي يُفصحوا عن مخاوفهم، وللبعض الآخر لكي يؤكّدوا إيمانهم بمغرب فرنسي. لكن مهما تكن اختلافاتهم، ومهما تكن أحياناً انتقاداتهم لادارةٍ يرون أنها جدّ خاضعةٍ للسلطة العسكرية، فإنهم ينتظرون من باريس، أي من الحكومة نفسها، أن تعمل على تصحيح الأخطاء وعِتْقِ المغاربة.

(1) مجلس النواب، أرشيفات لجنة الجزائر، والمستعمرات والحمايات؛ محضر جلسة 9 مارس 1921 (الاستماع للماريشال ليوطي).

عندما نزل أليكسندر ميلران، رئيس الجمهورية، في 5 أبريل 1922، بالدّار البيضاء، واحتفل بعد عشر سنوات من توقيع معاهدة الحماية بـ «نهضة المغرب»، صمتت الجريدة الاشتراكية لوبوبلير * بالفعل عن هذا السَّفَر، بينما انتهزت الصُّحف الرّاديكالية الفرصة لاستحسان عمل فرنسا دون تحفظات (2). في المُقابل، وبعد بضعة أسابيع من ذلك، وُجِّه «نداء» سعى للرّد على سَفَر ميلران نقرأ فيه : إن الحضارة الفرنسية، في إفريقيا تُمارَسُ بواسطة «اضطهادٍ شرس، وعبءِ ضرائب لا يُحْتَمَل، والفقر الذي لا يُوصَف للبروليتاريين المُزارعين والعُمّال»، لكن «فَجْر التحرير يلوح للبروليتاريين العرب (...) فالحرب الامبريالية قد أثارت روح التمرّد في تونس والجزائر، كما في مصر والهند. وبتزامن مع المطالب الوطنية، نسمع، بإلحاح يزداد أكثر فأكثر، مطالب طبقية». لقد أعلن أصحاب هذا النداء أنهم مُتأكدون من تضامن البروليتاريا الفرنسية مع الأهالي، فعلى هؤلاء أن يعلموا بأنّ لهم من الآن فصاعداً «حليفاً قويا وواثقاً يأخذ قضيتهم في يده وسيساندها حتى النصر : إنه حزب البروليتاريا، الحزب الشيوعي الفرنسي، فرع الأممية الشيوعية» (3).

هذا النّداء مُوَقَّع، بالفعل، في موسكو، من طرف اللجنة التنفيذية للأممية الشيوعية. إنه يشهد بأنه منذ الثورة الروسية وتأسيس الكومنترن، طرأ تغير جذري على شروط السياسة والعمل المناهضين للاستعمار. إن قِطَاعاً من اليسار الفرنسي، مُنَظَّماً داخل الحزب الشيوعي، سيُجْهِدُ نفسه لتطبيق توجيهات الأممية الثالثة الرّامية إلى تحرير الدُّول الواقعة تحت السَّيْطرة. لقد أكّد الشيوعيون تضامنهم مع المغاربة في الكفاح، وطالبوا بالاستقلال والجلاء عن بلدهم. وهذا الموقف، الذي لن يتخلوا عنه حتى 1935، قادهم الى محاربة أحزاب اليسار الأخرى بعنف، لا سيما وأنه بَعْدَ فترة وجيزة من المعارضة، عَمَدَ الرّاديكاليون، الذين تسلموا السلطة، بمفردهم تارةً وبمؤازرة الاشتراكيين تارةً أخرى، وبالرغم من بعض الاحتجاجات، الى ممارسة مسؤوليات بارزة في سَيْر العمليات العسكرية بالمغرب.

هل ينبغي أن نُقْصر هذه الدّعاية ضد الحرب على موقف الحزب الشيوعي ؟ أوَ لَمْ تقده الرغبة في وضع حدّ لنظام-الحماية إلى أن يُطوِّرَ في المغرب، بارتباطٍ مع العناصر الوطنية، عَمَلًا ثورياً ؟ لقد أثيرت هذه الفكرة في مناسبات عديدة بين 1920 و1935. وشَكّلَتْ خلفية الكفاحات والجدالات التي أثارها وقتذاك كُلّ تحريض يُعْتَبَرُ يسارياً وكذا كل حركةٍ وطنية في المغرب. يبدو لنا من الضروري إذن القيام بفحصها قبل دراسة تصرّف مختلف عائلات اليسار الفرنسي تجاه حَرْب الرّيف وعمليات إخماد الفِتن.

* Le Populaire

2 انظر أوفر، 17، 24 مارس، 14 أبريل 1912، لوراديكال، فاتح أبريل 1922.

3 مراسلة دولية، 7 يونيو 1922، ص ص 340 ــ 341 لنسجل بأن هذا النداء لم يعد نشره من طرف الصحافة الشيوعية الفرنسية.

الفصل الرّابع

«المؤامرة البلشفية»
العملُ الشيوعيّ في المغرب :
مِن الوَاقع الى الأسطُورَة

بين 1920 و1935، أتاح النشاط الشيوعي في البلدان المستعمرة الفرصة لقيام أسطورة؛ أسطورة مؤامرة محبوكة من طرف موسكو ضد «الملكيات الفرنسية»، وفي الحالة التي تعنينا، ضد المصالح الفرنسية في المغرب. وهناك في الأرشيفات عناصر تاريخ حقيقي للسياسة الشيوعية في المغرب مرتبطة أشد الارتباط بعناصر هذه القصة الأسطورية. إن هذه الأخيرة تسمح لنا بفهم ردود فعل الرأي العام والطبقة السياسية تجاه المشاكل المغربية : مقاومة الاحتلال الفرنسي، ثم ميلاد وتطور الحركة الوطنية.

الـوقـائـــع

أسس مواقف الحزب الشيوعى الفرنسى من الاستعمار

يستعيد لينين، والشيوعيون الفرنسيون من بعده، إلى حد كبير، تحليل الاشتراكيين الفرنسيين والأجانب قبل الحرب الكبرى للامبريالية. وقد أدخلوا عليه قوة خاصة. لكن مساهمتهم الأصيلة تبدو في الاستراتيجية التي نبعت من ذبك بتحليل وفي أسيس منظمة جديدة. ولنذكر بخطوطها العريضة (1).

نحيل على النصوص التي كانت تدرس وقتذاك بشكل خاص من طرف الشيوعيين الفرنسيين، أي لينين الامبريالية كمرحلة عليا للرأسمالية، بيانات وأطروحات ومقررات مؤتمرات الأممية الشيوعية ومؤتمرات الحزب الشيوعي الفرنسي وكذا المقالات والدراسات المنشورة من طرف مراسلة دولية و النشرة الشيوعية التي تلقتها دفاتر البلشفية.

الامبريالية

نعرف أن الامبريالية تشكّل بالنسبة للينين مرحلة حتمية من تطوّر الرأسمالية، تتميز بتشكُّل الاحتكارات وهيمنة رأس المال المُموِّل. وتفسر ضرورة العثور على مواد أولية جديدة وعلى منافذ جديدة لِسِلَعِهَا ورساميلها كيف أنّ هيمنتها امتدت، منذ نهاية القرن التّاسع عشر، إلى كل مناطق الأرض تقريباً. وفي بَلَدٍ مُصَنِّع، تعبّر الامبريالية عن رغبة الرّأسمالية في الحفاظ على نظامٍ مُؤَسَّسٍ على استغلال العُمّال والتغلب على مصاعبها بتنمية أسس قوّتها. وتتميز على الصعيد الدّولي بالنزوع الى تقسيم العالم الى دُوَلٍ مُضْطَهِدة ودولٍ مُضطهَدة، وداخل الحقل الرأسمالي، بمفاقمة المنافسات بين القوى العظمى. إن ثورة 1917 هَزَّتْ هذه الخطاطة : فقد جعلتْ من روسيا السوفياتية، في نفس الوقت، حليف الشغّالين داخل بَلَدٍ مُصَنِّع وحليف الشعوب المُسَيْطَرَ عليها من طرف الامبريالية.

بالنسبة للشيوعيين، يبدو الاستعمار، تبعاً لذلك، تجلياً أساسيا للامبريالية. إنه يسمح بمَدِّ الهيمنة الرأسمالية الى مناطق جديدة. ويميل هذا التحليل، الذي يلتقي بتحليل الكيديين *، الى الأخذ بالجوانب الاقتصادية ويُشَهِّر بِكُلِّ البواعث الأخرى المُقَدَّمةِ من طرف المُستعمِرين، باعتبارها ذرائع وهمية.

إن العلاقات بين الامبريالية والدول التي تسيطر عليها لاينبغي أن تُخْفي تطوّر العلاقات الاقتصادية والاجتماعية داخل الدول المُسَيْطَرَ عليها. فبإمكان المُسْتَعْمِرُ العثور لدى الطبقات الأكثر تخلّفاً، من النمط الفيودالي، أو لدى الشرائح العليا للبورجوازية المحلّية، على حلفاء، بالقَدْرِ الذي يُتيحُ توزيعه للسلطات والأعباء لهؤلاء أن يحافظوا على نفوذهم ونَسقِ استغلالهم الخاص. وفي الواقع، يبدو التحليل الشيوعي في هذا التقصّي لتقدير التغيرات التي جلبتها الامبريالية للبنيات الاقتصادية والاجتماعية التقليدية، ذو فرادةٍ خاصّة.

السياسة

تنبع الاستراتيجية السياسية للشيوعيين على صعيد القضايا الاستعمارية من تحليلهم للامبريالية : وهذا التحليل يَأْمُرُ المناضلين في جميع البلدان بالعمل على تحرير الشّعوب المُسْتَعْمَرة. إن هذا التحرير يبدو، قبل كل شيء، شَرْطاً لاضعاف الامبريالية وبتموقع، في الحال، في سياق وطني ودولي. فالاخْضَاعُ المزدوج للشّعوب المُسَيْطَرِ عليها ولبروليتاريي الدّول الصّناعية يُنَبِّه الى الطابع التضامني لعملهم. إن مصلحة البروليتاريا لا تكمن فحسب في انْتزاعها من الرأسمالية لقسطٍ مهمّ من أرباحها (2)، بل أيضا في منعها لحكومات البورجوازية

* أنصار حول كيد وهو زعيم اشتراكي.

2 انظر بيانات وأطروحات ومقررات المؤتمرات العالمية الأربع الأولى للأممية الشيوعية، 1919 ــ 1923 (المؤتمر الثاني)، ص. 59؛ ودفاتر ابلشفية. 5 يناير 1925، ص ص 473 ــ 476.

من استعمال الأهالي ضد الحركات الشعبية [3]. فهذا التّضامن لا يعبّر فقط عن حقيقة اقتصادية واجتماعية؛ بل يُتَرْجِمُ حقيقة إنسانية. إنه يسمح باكتشاف عبثية الأحكام المُسبقة حول الجنس واللّون : إذْ بتقسيمهما للعُمَّال، تلعب كلّ من العنصرية ومعاداة السّامية لعبة الامبريالية [4]. غير أنّ التعبير عن هذا التضامن لَمْ يَنْجُ في خطابات وكتابات الشيوعيين من الاتسام بنزوع أوربي — مركزي، أي بفكرة كون تحرير الشعوب المُسْتَعْمَرَة يمرّ قبل ذلك بالثورة في أوربا [5]. وستطبع هذه الفكرة، التي كافحها بعض مناضلي ما وراء البحار [6] السياسة الاستعمارية للشيوعيين بشكل عميق.

لتحرير المستعمرات طابعٌ مزدوج : فهو يجب أن يكون اجتماعيا ووطنياً، ذلك أن الامبريالية ليست فحسب ذلك المستغِلّ للشغالين المُسْتَعْمَرِين؛ بل سعت هيمنتها تدريجيا الى تدمير المميزات الوطنية للشعوب المُسَيْطِر عليها. إنَّ هذين العُنْصُرين، العنصر الاجتماعي والعنصر الوطني، حاضران أيضاً، بالنسبة للأممية الثالثة، منذ نهاية الحرب العالمية الأولى، في كفاحات البلدان المُسْتَعْمَرَة الأكثر تطوّراً. لكن على الشيوعيين أن يسهروا، مهما كان الأمر، على ألّا يُقْصِيَ المطلبُ الوطنيُّ الايديولوجيا الطبقية إلى الخلف. من جهة أخرى، وذلك لأنها لا تُدْخِل في حسابها البُعْد الثقافي للمعركة التي تخوضها الشعوب المُسَيْطَرُ عليها، وتميل الأممية الشيوعية الى الاستخفاف بالقوى الدّينية، المُعْتَبَرة في مُجْمَلِهَا رجعية وحليفة للامبريالية. إن الاسلام، على الخصوص، يقابل بحذر كبير — تغذيّه الكفاحات التي تخوضها داخل روسيا السوفياتية الشعوب المُسْلمة — ويتم انتقاد الجامعة الاسلامية دون تحفّظات [7].

3 أنظر لومانيتي، 6 دحنبر 1923 (لوزوفسكي).

4 انظر النشرة الشيوعية، 18 يناير 1924، ص 93 — 96 (تقرير من أجل مؤتمر ليون).

5 «أيها العبيد المستعمرون لافريقيا وآسيا : إن ساعة دكتاتورية البروليتاريا في أوربا ستدق من أجلكم مثلما ساعة الخلاص»، المؤتمر الأول للأممية الشيوعية (بيان الأممية الشيوعية الى بروليتاريي العالم قاطبة !»، مشار اليه، ص. 32.

6 «سيكون من الخطأ الاعتقاد بأنه يجب انتظار الثورة الشيوعية في أوربا لتحرير جماهير الشعوب المستعمرة من النير الامبريالي. إذ لاتطلب الشعوب المستعمرة، المستغلة بشاعة سوى الطرد الفوري للغازي» (الجزائري، دفاتر البلشفية، مقال مشار اليه).

7 انظر المؤتمر الثاني للأممية الشيوعية، مشار اليه، ص 58. «إن الحركة الاسلامية حركة موجهة الى تحويل الجماهير المسلمة عن كفاحها المعادي للامبريالية« ومراسلة دولية، 14 و31 دحنبر 1931 إن التقرير من أجل مؤتمر الحزب الشيوعي الفرنسي لـ 1924 شنع بـ «الاكليريكية المشوشة» للاسلام، لكن اعتبارا «لقابلية الأهالي للتأثر» طلب ألا تتم محاكمته إلا بشكل «لطيف ومعتدل» النشرة الشيوعية، 18 يناير 1924، ص ص 93 — 96. وقد نسب هذا التحفظ بعد بضع سنوات الى طبيعة المرحلة التي تم فيها، وانتقد الحزب الشيوعي الجزائري لكونه «روح أفكارا خاطئة تماما وخطيرة حول «الدور الثوري» للديانة الاسلامية» دفاتر البلشفية، فاتح مارس 1932، ص ص 934 — 337.

إن هذه الاستراتيجية المقدمة من طرف الشيوعيين تتعارض مع تصورات الأممية الثّانية والسياسة المُنَفَّذة من طرف الأحزاب الاشتراكية. فقد تكشفت هذه الأخيرة كحليفة «موضوعية» للامبريالية، وذلك بعد رفضها لمسألة تحرير الشعوب. ينبغي التشهير بها إذن على هذا الأساس ومحاربتها بقوة (8).

لقد لاقت هذه الاستراتيجية مقاومة أكيدة داخل الحركة الشّيوعية الفرنسية. وصدرت في البدء عن مناضلين من أصل ميطروبوليتاني يعيشون في مُستَعْمَرات، خاصةً في الجزائر، واعتبروا أنّ انضمام أغلب الاشتراكيين للأغلبيّة الشيوعية لا يتضمن موافقتهُم على الأطروحات الخاصة بالاستعمار للأممية الجديدة (9). لقد اعتبر العديد منهم أن التوجيهات التي ترمي إلى تحرير الشعوب الواقعة تحت السيطرة تُتَرجِمُ تجاهُلا كليّاً للوضعية الاستعمارية. إنهم يرون بأن «الأهالي» ليسوا ناضجين للاستقلال وأن الوصاية الفرنسية لاتزال ضرورية (10). سوف يشجب كلٌ من تروتسكي ومانويلسكي أمام الأممية (11) والحاج علي، وهو مناضل جزائري مسلم ولوزون، وهو مناضل فرنسي من تونس، على أعمدة بولستان كومنيست *، في هذا الموقف ذِهْنِيةً «رِقّيَةً» (12). لقد كان بعض المناضلين المعنيين منشغلين، دون ريب، وقبل كل شيء، بالحفاظ على الوضع الاستعماري. ومع ذلك، ربما لاينبغي ازستخفاف بلسَنَدِ الذي يمكنُ أن تجده هه المُقاومة في التّقليد الكيدي والعُمّالوي الذي لا يزال مُتَأَصِّلًا في الحركة الفرنسية.

8 انظر المؤتمر الثاني للأممية الشيوعية، مشار اليه، ص ص 59 — 60. انظر أيضا تقرير إيركولي (توعلياتي) أمام المؤتمر السادس حول «الاشتراكية الديمقراطية والمسألة الاستعمارية، مراسلة دولية، 4 أكتوبر 1928. إن الحملات ضد السياسة الاستعمارية للحزب الاشتراكي، سيقودها دوريو داخل الحزب الشيوعي الفرنسي، بشكل أكثر قوة انظر بالخصوص دفاتر البلشفية، 31 يناير 1928، «الاشتراكيون الفرنسيون والمسألة الاستعمارية») وأندري فيرا (انظر بالخصوص لومانيتي، 9 غشت 1933 «الأحزاب الاشتراكية في نجدة الاستعمار»).

9 انظر ش.ر. اجورون : «الشيوعيون الفرنسيون أمام المسألة الجزائرية من 1921 الى 1924»، موفمون سوسيال، يناير — مارس 1972، ص ص 7 — 37.

10 تقرير مقدم الى المؤتمر البين فدرالي الشيوعي الثاني لشمال إفريقيا، النشرة الشيوعية، 7 و14 دجنبر 1922، ص ص 939 — 940 و954 — 955.

11 خطاب تروتسكي أمام المؤتمر الرابع للأممية الشيوعية (فاتح دجنبر 1922)، النشرة الشيوعية، 11 — 18 يناير 1923، ص ص 30 — 35، مراسلة دولية، 10 مارس 1923، وخطاب مانويلسكي أمام المؤتمر الخامس (30 يونيو 1924) مراسلة دولية، 27 غشت 1924.

* Bulletin communiste

12 14 دجنبر 1922 و4 يناير 1923.

لقد أتاح الموقف الذي كان على الشيّوعيين أن يتخذوه تجاه حركاتٍ وطنية داخل البلدان الواقعة تحت السّيطرة الفرصة لمناقشات طويلة داخل الأممية الثّالثة (13). فالمبدأ الذي دافع عنه لينين، والقاضي بعقد حلف مؤقت مع البورجوازية المحلية، لم تقبله المؤتمرات الأولى إلا تحت شرط التمييز بين مختلف فصائلها وبتحفظ يقضي بأن تصون الاتفاقات المحتملة خصوصية المنظمات الشيوعية. لقد انعقد المؤتمر السادس في سنة 1928، في جوّ مشحون بوسواس الحرب. وقد وضع في مقدمة انشغالاته الدّفاع عن الاتحاد السوفياتي، وكان أن انخرطت سياسته حول الاستعمار في هذا السياق. إن فشل تكتيك تعاون الشيوعيين الصّينيين مع الكومنتونغ ومذبحة عمّال شنغهاي دفعه الى التشنيع بالبورجوازيات الوطنية الاصلاحية، ودعا مختلف الأحزاب الشيوعية الى مزيد من الصّرامة بحيث يمكنها ضمان هيمنتها في قيادة الحركات المناهضة للامبريالية. وفي 1935، قرَّرَ المؤتمر السابع بأن الكفاح ضِدَّ الفاشية الدّولية يتطلّبُ أن تتّخِذَ المُنَظّمات الشيوعية في جميع البُلْدان المُستَعْمَرة تكتيكاً أكثر مُرونةً، ومفتوحاً على التحالفات مع البورجوازية (14).

لقد كانت الأممية الشيوعية تذكّر أعضاءها مِراراً بضرورة القيام بدراسةٍ يَقِظة للشروط الاقتصادية والاجتماعية لكلّ مُستَعْمرة. لكننا نلاحظ مع ذلك بأن التكتيكات المُهَيَّأة تِباعاً ترتكز على تحليل الوضعية في عدد قليل من الدّول : الهند، الصين، مصر، بينما تظل الاشارات للدول الأخرى سَطْحِيَّةً. هكذا لم تخضع الدول الثلاث لافريقيا الشّمالية لأيّ استقصاءٍ يسمح بتقدير تركيبة وتوجُّه بورجوازياتها الوطنية وعلاقاتها مع العالَم العمّالي والفلاحي. وتكشف هذه التكتيكات، من جهةٍ أخرى، عن تَبعيّةٍ مستفحَلةٍ أكثر فأكثر تجاه المحيط الدّولي، إذ صارت قضية الأممية البروليتارية تنزع لأن تتطابق مع ضرورات السياسة السوفياتية.

□ □ □

ماذا ينبغي أن يكون المحتوى العملي للعمل الشّيوعي في المستعمرات ؟ فأن تَدْعُوَ الأممية الشيوعية للهيَجان الثوري، وأن يكون على الشيوعيين أن يظلّوا على أُهْبة حَمْل الأسلحة ذات يوم، هذا إعلانٌ مبدئي نودِيَ به من طرف الأممية دون أن تُلحّ عليه (15). لكنّ هذا

13 نحيل بالخصوص على تحليل هيلين كارير — دونكوس وستوارت شرام، الماركسية وآسيا، 1853 — 1964، باريس، 1965.

14 كان هذا التعبير لتكتيك الأممية الشيوعية قد ابتدأ بشكل واسع في 1934 وفي أوائل 1934 نادى أندري فيرا الى تحقيق «جبهة وحيدة معادية للامبريالية في الدول الاستعمارية»، دفاتر البلشفية، 15 فبراير 1935، ص ص 237 — 242.

15 المؤتمر الثالث، أطروحات حول بنية الأحزاب الشيوعية وأساليبها وعملها، مشار اليه، ص ص 121 — 122.

الخطاب، في الواقع، لم يتم استصداؤه من طرف الحزب الفرنسي. فقد رأى فايان كوتوريي منذ 1920، أنه من الضّروري التعليق على الشرط الثامن لقبول الأحزاب في الأممية، والذي يُلزِمُ ب «مسانَدَةِ كلّ حركة تحرّر في المستعمرات، لا بالكلام، بل بالفعل»، «المساعدة بالفعل، تعْني إدخال الدّعاية الشيوعية، بكل الوسائل، في المُستَعْمَرات والحمايات؛ والمساعدة بالفعل، تعني الشروع أخيراً في دعايةٍ جِدّية للحصول على رَفْضِ صُنْعِ أو نَقْلِ العتاد الحربي المُوَجَّهِ للحفاظ على الوضع البورجوازي بين السّكان المنهوبين» (16). ستُظْهِرُ التجربة بأن الحزب الفرنسي سيكون أكثر ارتياحاً في تطوير دعايةٍ وتحريضٍ مناهضٍ للاستعمار داخل موطنه منه داخل بلدان ماوراء البحر. إن السياسة القمعية للسلطات المحلية ليست وحدها المُتَّهمة. فالعمل في وسطٍ أهْلِي يصطدم، حتى من جانب المناضلين الشيوعيين، بأحكام مُسْبَقة تقوّيها الوضعية الممتازة نسبياً للشّغّالين الأوربيين بالمقارنة مع الشّغّالين الأهْليين (17). وعليه، فقد دأبت الأجهزة العليا للحزب الشيوعي الفرنسي، مثلها في ذلك مثل الأممية الشيوعية، على التذكير دوريا بضرورة النضال قرب السكان المستعمرين، والقيام باستقطابات بين الأهالي وعدم التردد في تفويض بعض المسؤوليات إليهم في قيادة الحركة (18). إن التحرير الاجتماعي والاستقلال الوطني بُعْدان يتعيّن على المناضل جعلهما مألوفين لدى الجماهير بعملٍ تربوي طويل وصَبور. ولا يمكن لتطوير الأطروحات الشيوعية أن يعفي من النضال لصالح المطالب الفورية، إنْ على الصّعيد السياسي أو على الصّعيد الاقتصادي والاجتماعي. إن الحزب الشيوعي الفرنسي يلح على الارتباط بين هذين الجانبين : إلّا أن الأول يهدف الى تفضيل حديثٍ يضرب بجذوره في لاشعور جماعي وطني. أمّا الثاني فيرتكز على ظروف عيش الجماهير الشغّيلة وهَمّ الحصول على تحسين للوضعية. هكذا طورت الدّعاية استقطابا مزدوجاً. من جهة نحو الاتّحاد السوفياتي المُقَدَّم كنموذج لمجتمع نجح في تحرير الشّغّالين وكمُدافِعٍ عن الشّعوب المُضْطهدة (19). ومن جهةٍ أخرى، نحو فرنسا، الى الحدِّ الذي تهدف فيه المطالب الفورية أساساً المساواة في الحقوق مع الشغّالين الفرنسيين (إلغاء التّبعية الأهلية، الانتخاب العام، ولوج النّقابات) ومَدّ الترتيبات ذات الطّابع الاجتماعي السارية في الوطن الأصلي الى المُستَعْمرة (ظروف العمل، التعليم المجاني والاجباري).

16 لومانيتي، 21 أكتوبر 1920.

17 النشرة الشيوعية، 4 أكتوبر 1923 (لورون).

18 أنظر في الموضع نفسه، 14 دجنبر 1922 (الحاج علي)، 18 يناير 1924، ص ص 93 — 96 (تقرير من أجل مؤتمر ليون) ودفاتر البلشفية، أبريل 1930، ص ص 439 — 446.

19 «لاينبغي أبدا نسيان جعل شمس موسكو ساطعة في عيون الأهالي» (مشدد عليه في النص)، نقرأ في «مشروع برنامج عمل» مقدم الى المؤتمر الفدرالي للجزائر لـ 14 يناير 1923، النشرة الشيوعية، 11 — 18 يناير 1923. انظر أيضا نداء اللجنة التنفيذية للأممية الشيوعية، بمناسبة الذكرى العاشرة لثورة أكتوبر، مراسلة دولية، 9 نونبر 1927.

التنظيم

لقد ابتكرت سياسة الحركة الشيوعية تجاه الاستعمار ونوقِشَتْ وقُبِلَتْ وَ نُفِّذَتْ من طرف تنْظيمٍ سَنُذَكِّر بعناصرهِ الأساسية.

لقد تم تأمين وحدة المذهب والعملِ المناهِضَيْن للاستعمار على الصعيد العالمي من طرف الأممية الثالثة التي انتمتْ إليها جميع الأحزاب الشيوعية التي قبلت شروط الدّخول، ومن بينها الالتزام بالتّشهير بالامبريالية، ومساندة حركات تحرّر المستعمرات والعمل من أجل استقلالها. إن الأممية الشيوعية تتوفّر على تنظيم دائم انتقل تدريجياً من بنية شبه فدرالية ــ حيث كانت الأحزاب الرئيسية تعيّن ممثليها بنفسها ــ الى بنية جدّ ممركزة ــ يعيّن فيها المؤتمر أعضاء اللجنة التنفيذية ــ مع احتفاظه بمكان متفوق للحزب الشيوعي البلشفي. لقد كان بإمكان اللجنة التفيذية أن تجتمع في جلسة عامة «جلسة مكتملة مُوَسَّعة» بدعوتها لممثّلي الفروع الوطنية المعنية على الخصوص بجدول الأعمال. لِنُوضّحْ منذ الآن بأن مسألة المغرب لم تُناقَش أبداً من طرف مختلف مؤتمرات الأممية ابشّيوعية (20). لكن يبدو في المقابل، أنّها عُولجَتْ أو على الأقل أُثيرت مرتين من طرف الجلسة المكتملة، أولاهما، في 1923 (21) والثانية في 1933 (22) وخمس مرات من طرف اللجنة التّنفيذية، بين أبريل 1925 ومارس 1926، بمناسبة حرب الرّيف (23).

لقد كان تنفيذ سياسة الأممية الشيوعية في دول ما وراء البحر الواقعة تحت السيطرة الفرنسية مُؤَمّناً من طرف الحزب الشيوعي الفرنسي. وارتفعت داخل الأممية أصواتٌ ترجو إقامة تنظيمات شيوعية مستقلة في المستعمرات، تكونُ مرتبطةً مباشَرَةً بالكومينترن (24). غير

20 لقد أثيرت فقط، بشكل عرضي، في مؤتمر شعوب الشرق، لباكو، في 1920، انظر ح. كريماديلس، **الحزب الشيوعي الفرنسي والمغرب، 1920 ــ 1938**، أطروحة سلك ثالث، كتاباك مرقوبان، تولوز، 1975، الجزء الأول، ص. 66

21 من طرف أباريسيو، المندوب الاسباني، الذي أثار النزاع الفرنسي ــ الانجليزي في الحماية وضرورة إطلاق حملة لمغادرة المغرب، إريكا كولوتي بيشيل وشيارا روبرتاري، **الأممية الشيوعية والمشاكل الاستعمارية، 1919 ــ 1935**، باريس، 1968 ص. 107.

22 في تقرير مقدم من طرف بياتنيتسكي يعالج الوضع في آسيا وفي المستعمرات، **نفسه**، ص. 515.

23 **نفسه**، ص. 160. لقد نشرت صحيفتا الأممية الشيوعية، **مراسلة دولية** و**آنبريكو**، أربعين مقالا حول المغرب بين 1920 و1935 من بينها خمسة وعشرون حول حرب الريف، خمسة حول مشاكل اسبانيا وخمسة حول مسألة طنجة. إن بعض هذه المقالات وقعت بالأحرف الأولى أو بأسماء مستعارة. ومع ذلك يمكن أن نتعرف فيها على خمسة صادرة عن مناضلين روس، ثمانية عن مناضلين إسبان، وثلاثة عشر عن مناضلين فرنسيين (خاصة سيمار، فايان ــ كوتوريي، مارتي، تران، ل. جيرو، روسي، بيري).

24 انظر تدخل كوسنين أمام المؤتمر السادس (جلسة فاتح شتنبر 1928)، **مراسلة دولية**، 30 نونبر 1928، ص .1663

أنّه بسبب الضّعف العَدَدِي لهذه التّنظيمات وبسبب نقص تجربتها، اعتُبِر أنه من الأفضل تشكيلها مُؤَقَّتاً كفروع للحزب الشّيوعي الفرنسي (25). وستدوم هذه الوَضعية المُؤقّتة من حيث المبدأ، الى غاية 1936 بالنسبة للحزب الشيوعي الجزائري، وحتى غداة الحرب العالمية الثانية بالنسبة للحزب الشيوعي المغربي. وقد دأب الحزب الشيوعي الفرنسي الذي يتوفّر على مندوب دائم في الجزائر، على تنظيم مهامٍ مؤقتة في المستعمرات الأخرى. وانشغل أيضاً بإقامة مَصْلَحةٍ سرية ما أمكن، للاتّصال معها، وذلك باستعماله على الخصوص للمناضلين المُستَخْدَمين في البريد والمواصلات السّلكية واللاسلكية، وفي السكك الحديدية والمواصلات البحرية.

بعد مؤتمر تُورْ * بقليل، وبإيعاز من فايان كوتوريي على الخصوص، وُضِعَتْ أسس لجنةٍ للدراسات الاستعمارية، وذلك «لاعداد الأدوات التي ستخدم النشاط المنافي للاستعمار للحزب» (26). وسيرسِّم المؤتمر الوطني الأول المنعقد بمارسيليا في دجنبر 1921، هذه البادرة، مع توضيحه بأن الجهاز الجديد ينبغي أن يتركّب من مناضلين «يعرفون المستعمرات لكونهم سبق أن عاشوا فيها» (27). وهكذا وبعد فترةٍ كانت اللجنةُ فيها مُنَشَّطةً أساساً من طرف مناضلين مُنْحَدِرين من ما وراء البحر (28) تغيّرت وأخذت تسمية المجلس المركزي لمناهضة الاستعمار. وتكلف لوزيراي في بداية 1925بسكرتاريته (29) وفي 1926، تجَدَّدَتْ تركيبته كلّيا، باستثناء دوريو الذي ظل يقوم فيه بدورٍ أساسي. لقد اشترك فيه حينئذٍ، الى جانب نائب سان ـــ دوني، هيركلي وإيلور وترويان وبن لكحال. كما أن لِجَاناً فرْعية، انضَمَّ إليها أعضاء آخرون، تشكّلت حَسَبَ كل مجموعة من المستعمرات (30). إن إعادة التنظيم هذه كانت فرصة للمناضل الجزائري الحاج علي لِكَيْ يشجب المكانة المتفوقة الممنوحة للعناصر

25 دفاتر البلشفية، أبريل 1930، ص ص 439 ـــ 446 (عمل الحزب الفرنسي في المستعمرات).

* مؤتمر تور هو ذلك المؤتمر التاريخي الذي انشق فيه الاشتراكيون الفرنسيون وأدى الى بزوغ الحزب الشيوعي الفرنسي.

26 لوت سوسيال، 3 شتنبر 1921 (مقال ساروت، ص 4)

27 النشرة الشيوعية، 14 فبراير 1922، ص ص 22 ـــ 23.

28 AN SOM SLOT FOM IX 3 (مذكرة مفوضية الشرطة لـ 16 مايو 1922).

29 لقد كانت اللجنة تضم وقتذاك، بالاضافة الى لوزيراي، أربعة أعضاء ثابتين : دوريو، علي، كريمي ولاربر، ونائبا : فيران. أرشيفات معهد موريس طوريز، سلسلة 92 (محضر اجتماع اللجنة المركزية في 3 فبراير 1925).

30 إن اللجنة المصغرة من أجل شمال افريقيا مكونة كالتالي : بلكحال، رئيس (في شتنبر 1926، كان أحدهم يدعى فضولة هو الذي يشغل هذا المنصب)، الحاج علي، بورالى، سيدون، إسعاد، معروف، جان (من الشبيبة الشيوعية)، لوبيك (C.G.T.U)، كيو، فواسان، وعضو غير مشار اليه من المجموعة البرلمانية. نفسه، سلسلة 172. اللجنة المركزية والاستعمار (جلسة 14 أبريل 1906).

الفرنسية داخل المجلس ولكي يهاجم دوريو على الخصوص (31). لقد عُيّن بعد بضعة أسابيع عضواً في المجلس (32)، ومع ذلك لايبدو أن الصّعوبات القائمة بين العناصر الفرنسية والعناصر المنحدرة من شمال افريقيا قد ذُلّلَتْ (33). لقد أتى روجيه كايار ليساعد دوريو، ثم عوّضه عمليا ابتداءً من 1929 (34). غير أنه بدا دون مستوى مهمّته، وفي شتنبر 1931 عُيّن أندري فيرا مسؤولًا عن الفرع الاستعماري؛ وسيظل في هذا المنصب الى غاية 1936 (35). إننا نميّز من بين مُعاونيه هنرييت كارلِيي التي اشتغلَتْ خصوصاً بالمشاكل الافريقية (36).

قاد تطبيق سياسة الحزب الشيوعي المناهِضة للاستعمار إلى تأسيس أو إلى التشجيع على تأسيس نوعَيْن من المُنَظَّمات المختصة، وكان النّوع الأول محكوماً بضرورات الدّعاية والتحريض بين الشّغالين المُسْتَعْمَرين في فرنسا. هكذا سيرى النور في 1922 «الاتحاد البين استعماري *»، رابطة المُنْحَدِرين من كل المُسْتَعْمَرات»، الذي بدا، خلال العامين الأوّلَيْن من وجوده، أنه قام أساساً بجمع هندصينيين، آنتِيّن، سنغاليين، ومدغشقريين، و عددٍ قليلٍ من المنحدرين من شمال إفريقيا (37). وألح نداؤه الأول على اللامساواة في معاملة المُسْتَعْمرين

31 لقد ذكرت رسالة من الحزب الشيوعي الفرنسي في 10 يونيو 1926 الى سكرتارية الأممية الشيوعية الحملة التي يقودها الحاج علي، مذكرة بأن هذا الأخير كان قد قدم للأممية مشروعا اعتبر «غير مقبول من طرف الحزب» يفضي الى خلق حزب محلي حقيقي (يتوفر على فروع مستقلة نقابية، والتحريض، والدعاية، الخ) داخل الحزب الفرنسي، نفسه.

32 نفسه، (جلسة 9 شتنبر 1926).

33 في 1928، يبدو أن الحاج علي قد وجه بواسطة رفاقه الجزائريين المسلمين، بمناسبة انعقاد المؤتمر العالمي السادس، رسالة جديدة الى الأممية، تشهر بـ «شوفينية» من بعض مناضلي اللجنة الاستعمارية والحزب نفسه. **AN F7 13170** (مذكرة 18 يناير 1929).

34 محادثات مع أندري فيرا. إن التاريخ ليس أكيدا. من بين الأعضاء الاخرين للفرع المعادي للاستعمار، كما سيقال بعد ذلك بقليل، كان يوجد كورمون، الذي سيصير مديرا لـ لوماليتي وسيطرد من الحزب بسبب خيانة، جويير الذي سيغادر عما قريب الحزب الشيوعي («عون البوليس الفرنسي» كما ستوضح لاحقا لوماليتي، 30 غشت 1932) وبالأخص لوزيراي الذي سيوبخ بسبب الدعم الذي قدمه «لجماعة باربي — سيلور».

35 أندري فيرا، مزداد في 1902، ودرس بباريس. انخرط في الحزب في 1921، وصار أحد قادة الشبيبة الشيوعية. وقد كان تحت طائلة المحاكمة منذ 1927، وأحد يناضل في السرية؛ اعتقل في مارس 1932 وأطلق سراحه في يوليوز بفضل عفو. لقد استطاع في شتنبر 1932 فعلا أن يؤمن قيادة الفرع المعادي للاستعمار. وفي 1936، تم طرد أندري فيرا من الحزب لاختلافه مع سياسة الجبهة الشعبية.

36 هنرييت كاربي، من أصل ألماني، وصلت الى فرنسا حوالي 1924، وكانت تشتغل في مصانع رونو قبل أن تصير مداومة للحزب. وقد وقعت مقالات عديدة بالاسم المستعار هنري كارتي.

* Union intercoloniale

37 لقد ضمت أول لجنة تنفيذية سبعة أعضاء يمثلون الهند الصينية (نكيان ات كوك، هو شي منه المقبل)، لاريونيون، لوداهومي، لاكوادلوب، مارتنيك، لاكيان، ومدغشقر. **AN SOM SLOT FOM III,3** (بيان تمهيدي للاتحاد ضد الاستعمار، غير مؤرخ، لكن من المحتمل جدا أن يكون في 1922 أو 1923).

والفرنسيين وعلى ضرورة تظافر جهودهم مع جهود «الاخوان المُضْطَهَدِين للميطروبول» (38). وانطلاقا من 1924، دخلت العناصر الجزائرية، مثل الحاج علي وبن لكحال علي، إلى القيادة، وأخذت أهميةً متعاظمة في الرّابطة. إنهم، بمجموعهم تقريباً، يتواجدون في نجم شمال إفريقيا *، المُنْشأة في 1926، والتي كانت تحْظى، خلال سنواته الأولى، بمودّة الحزب الشيوعي.

من جهةٍ أخرى، وطِبْقاً لتوصيات الأُممية التي دعت مختلف الأحزاب الشيوعية لأن تطورَ بشكلٍ أوسع، لدى الجماهير، سياسةً مُسانِدةً لصالح حَركات التحرر الوطني، تشكّلتْ، عَقِبَ المُؤْتمر الدّوْلي لبروكسيل في 1927، عصبةٌ فرنسيةٌ ضِدَّ الاضطهاد الاستعماري والامبريالية (39). لقد انفتحتْ لجنتها القيادية الأولى على مختلف تيارات اليسار. وقد قامت العصبة بإصدار نشرةٍ، لكن عملها ظل خجولاً جدّاً ويلزم انتظار 1931 لكي تتحرك، بمبادرة من الشيوعيين، بتنظيمها في باريس لمعرضٍ استعماري مُضَادّ، وهو المعرض المُعادي للامبرالية. إلّا أن ارتداد العناصر غير الشيوعية حَدَّ من إمكانياتها (40)، رغم الدّفعة الجديدة التي أعطاها إياها، ابتداءً من النصف الثاني من 1933، كلٌّ من فرنسيس جوردان وليو وارني (41). حينئذٍ فقط عَمَدَتِ العصبة الى إقامةِ علاقاتٍ مُباشرة مع بعض المُستعمرات : الجزائر ومدغشقر، وكذا مع سوريا. ولم يكن لها أي ارتباط بالمغرب (42).

38 هذا النداء لـ 28 مايو 1922، طبع خلف تشريعات الاتحاد البين استعماري. نفسه.
L'Etoile nord-africaine

39 أنظر نشرة العصبة، عدد مخصص لعرض مظاهرة بروكسيل، في AN SOM SLOT FOM V-1. إن هذا العرض لايشير الى مندوب مغربي، وتقرير الشرطة الذي يتحدث عن تدخل في المنصة لحسن المطار، أحد الرعايا المغاربة، يبدو لنا أن من الضروري أخذه بحذر. AN F7 13166 (مذكرا شهرية عن الدعاية الثورية في بلدان ما وراء البحار).

40 حسب معلومات مستقاة من مصدر بوليسي، كان المكتب المركزي للعصبة يضم في 1932 روجي كايار (الذي سيعوض بعد ذلك بوقت قريب بمناضل شيوعي آخر هو ألبير باهيي، المسمى كيزو)، أراغون، علي، بيدي، دوماي، ماريك كوفيرو، هنريو، جوردان وبريكا. وحسب تلك المعلومات ألح دانايي وفرنسيس جوردان، على ألا تبدو العصبة تابعة للحزب الشيوعي الذي كان هنريو يريد أن يقْطع معه صراحة. إن وزن مناضلي الحزب الشيوعي داخل الحزب لن يكون مناقضا للحماس القليل الذي كان لقيادة الحزب في دعم هذه المنظمة، مثلما اشتكى أراغون من ذلك AN F7 13168 وAN SOM SLOT FOM III, 133

41 لقد أطلقوا صحيفة حديدة للعصبة جريدة الشعوب المضطهدة، وهي شهرية مطبوعة، موجهة لأن تعوض نشرة لم تكن سوى مرقونة، وقد صدر منها ثلاثة عشر عددا من نونبر 1933 الى فبراير 1935 (مجموعة في AN SOM SLOT FOMV 27). عن ليو وانر، انظر أدناه.

42 حياة العصبة، نشرة اتصال مرقونة، عدد دون تاريخ، لكن من المحتمل جدا أن يكون قد ظهر بين دجنبر 1933 ومارس 1934. في AN SOM SLOT FOM III, 50

الحضور الشيوعي في المغرب حتى 1935

تعود أول إشارة واضحةٍ لنشاطٍ شيوعي في المغرب إلى حرب الرّيف (43). فقد ارتبطت باكتشاف مناشير من أصلٍ فرنسي، في الأوساط الأهلية، تُمَجّد عبد الكريم وتطالب بالجلاء عن المغرب (44). وتعرض ثلاثة فرنسيين، وهم ألامي، وهو رسام بالسكك الحديدية، وبيني، وهو مطبعي، وسيلور، وهو مستخدم، اشتبهوا جميعا بكونهم وراء توزيع تلك المناشير (45)، لاجراءات إبعاد اتخذها في حقهم ليوطي بنفسه في 30 ماي 1925 (46). بعد أسبوعين من ذلك تم إبعاد إدمون تادّي، وهو موظّف بالضرائب، بدوره من المغرب، بتهمة «مناورات شيوعية» (47).

إن واحِداً من الذين طُرِدوا من المغرب على هذا النحو، وهو بيير سيلور، سينجح، عند عودته إلى فرنسا، كما نعرف، بسرعةٍ في الحزب (48)، قَبْلَ أن يُطرَدَ منه سنة 1932. لقد كان الاجراء المُتَّخَذُ في حقه عندئذٍ يستهدف نشاطه في الأجهزة القيادية للحزب الشيوعي الفرنسي؛ لكن الحزب رأى بأنّ تفسير «خيانته» موجود في تصرّفه بالمغرب. إن كاشان يؤكد هذا (49)، ودوريو هو الذي تكلّف بتقديم البَرْهنة عليه. ففي رأيه، يُعْتَبَرُ طَرْدُ سيلور

43 أدى نشاط الحزب الشيوعي الفرنسي نحو المغرب بالخصوص الى إرسال جرائد ومناشير. لقد كانت بعض هذه الأخيرة، التي عثرنا على أثرها، محررة تترابط مع العمليات العسكرية التي ستتواصل داخل الحماية حتى 1934. إننا ننتظر تحليلها فيما بعد (انظر أدناه، الفصلان السادس والسابع). وعن النشاط الشيوعي في المغرب في 1935، نتوفر على مصادر مباشرة من مصدر شيوعي وهي ضئيلة جدا فمحاضر اللجنة المركزية، والمكتب السياسي واللجنة المكلفة بالقضايا الاستعمارية التي تمكننا من استشارتها تتوقف في 1931، ووحدهما إثنان منها يعودان الى مناضلين قاطنين في الحماية. أما الشهادات الشفوية التي تمكنا من جمعها فلا تهم الفترة السالفة على 1935. لذا فإن أرشيفات الحماية تظل مصدرنا الرئيسي للمعلومات.

44 AN F7 13171 (رسالة رقم 255 بتاريخ 10 أبريل 1925، من رئيس المجلس، رئيس الشؤون الخارجية، الى وزير الداخلية، والتي ترجع الى مراسلة لليوطي بتاريخ 3 أبريل).

45 نفسه. (برقيات من ليوطي في 4 مايو 1925، الى وزير الشؤون الخارجية وفي 31 مايو 1925 إلى وزير الداخلية)

46 نفسه، إن إبعاد الأفراد «الذين من شأن تصرفاتهم أن ترعج أمن الجيش والحماية» إجراء إداري منصوص عليه في الفصل الثاني، الفقرة الأولى، من نظام 25 يوليوز 1924.

47 نفسه. (برقية ليوطي الى وزير الداخلية، بتاريخ 13 يونيو 1925). في نهاية شهر يوليوز، وكان فرنسي آخر هو ريمون لوردوفياك، ثم سويسريان، ألفريد شميت وهرمان ديشجر، مشبوهين بمناورات شيوعية، تم «ترحيلهم طوعا» (كذا)، الأول على متن باخرة نحو مرسيليا، والآخران في اتجاه بوردو. نفسه. (برقيتا ليوطي الى وزير الداخلية، يومي 20 و22 يوليوز 1925).

48 لنذكر بأنه انتخب في 1928 في اللجنة المركزية للحزب، ثم في المكتب السياسي وفي السكرتارية في 1929.

49 لومانيتي، 9 أكتوبر 1932.

من الحماية إجراء تافهاً اكتفت السلطات باتخاذه في حقه مقابل تبليغ المعني بالأمر عن أعضاء آخرين من المجموعة الشيوعية للدار البيضاء. غير أن التجربة تُبيّن «بأنّه في كل مرّة يتكلّم مناضلٌ الى البوليس، في التّحقيق، يعطي معلومات، يدلي باعترافات جزئية، يبلّغ عن بعض أسرار تنظيم الحزب، وخاصّة إذا خان رفاقه، يغدو حَتْماً أداة في يد البورجوازية. فتقوم هذه الأخير باستعماله لصالحها، إما بالابتزاز أو التهديد أو الرشوة» (50). إن هذه الأطروحة مُقَصِّرَةٌ بَعْض الشيء. لتُغْفِلُ واقع كون دوريو، العليم جدّاً بالشؤون المغربية، لا «يكتشف» ملابسات طرد سيلور، إلّا بعد انصرام سبع سنواتٍ على الأحداث، ولو أن هذا الأمر مشوش. إن التهمة ترتكز على الفكرة التي كانت لنائب سان * ــ دوني ــ أو التي كان يسعى لاعطائها ــ عن الدعاية الشيوعية في المغرب وعن القمع المُمارَس من طرف سُلُطَات الحِمَاية. وفي الواقع، كان «العمل الثوري» للشيوعيين مقتصرا على الأكثر على توزيع المناشير، ولم يكُنْ أكيداً أن المسؤولية الشّخصية لسيلور في توزيع هذه المناشير كانت قائمة. ومن جهة أخرى، لم نعثر، بين 1924 و1925، في الحماية، على أيّ أثرٍ لمحاكمةٍ بسبب الدعاية الشيوعية، أو بشكل أعم، بسبب نشاط تخريبي. أما فرضية خيانة سيلور لرفاقه، فهي مُعْتِمةٌ أكثر منها مضيئة. وبالفعل، بأي رفاق تعلق الأمر ؟ إن دوريو لا يشير لنا إلى هذا. إلّا أنّ الأرشيفات صريحة حول هذه النقطة : وحدهم بعض الأوربيين تم اعتقالهم من طرف السُّلطات. ولم يتعرض أي واحد منهم لمتابعات قضائية؛ بل تم طرد ثلاثة من بينهم (51) تماماً مثلما وقع سيلور، بينما سيعود واحدٌ منهم، على الأقل، وهو تادّي، الى المغرب. إن أُسُسَ التهمة، الصَّلْبَة ظاهريا، تبدو لنا والحالة هذه ، جدّ مُريبة. بخلاف ذلك، يبدو لنا محتملا أن يكون سيلور، عند عودته الى فرنسا، قد سَعَى الى المبالغة في دوره، دون أن يفطن الى أنه بذلك كان يقدّم حجّة لمُتّهميه المُقْبلين (52).

50 نفسه، 10 أكتوبر 1932

- يتعلق الأمر بدوريو.

51 ألمي، بيي وتاديي، لاشيء يشير الى أن لوردفياك والسويسريين المشار اليهم أعلاه كانت لهم صلة بسيلور.

52 إن دوريو ليس المتهم الوحيد لسيلور، لكنه وحده، بعد كاشان، الذي اتهم نشاطه في المغرب. لقد أعقبت مقاله ثلاثة مقالات أخرى : في 11 أكتوبر 1932 من ماربي، الذي سيطرد بدوره في 1934 (كشريك في المسؤولية مع سيلور عن جماعة مغامرة) والذي شهر في الوقت الراهن بـ «التصرفات الاجرامية» لرفيقه «هذا الخائن السافل»؛ في 12 أكتوبر، ساهم طوريز في الاتهام، وفي 13 أكتوبر عمد دوكلو الى مواجهة سيلور بماربي، الذي عرف كيف يقر بأخطائه، وأظهر «بأنه كان مناضلا نزيها، مستحقا لثقة الحزب، وليس له من شيء مشترك مع الخائن سيلور». لنذكر بأن ماربي وسيلور سيلتحقان بدوريو في حزب الشعب الفرنسي (نازي) وسيحكم عليهما عند التحرير بسبب تعاونهما مع ألمانيا النازية.

اشتراكيـون متقـدمـون ؟

1926، قدم دوريو التوضيح التالي أمام اللجنة المركزية للحزب : «فيما لمغرب : ليست لدينا هناك أية قُوّةٍ حزبية. إذ أنها مقتصرة على مُتعاطفيْن هذه الوضعية بـ «سلسةٍ من الكوارث» : «لقد سبق أنْ شكّلنا مجموعاتٍ تمّ طَرْدُها الواحِدة تِلْو الأخرى، فألْقي حزبنا نفسه مُفَكَّكاً»، الأمر الذي من القيام بعمل فعلي في المغرب». وبِناءً عليه، اقترح «أن يُرْسَلَ الى هناك التوغّل في الوِداديات «العُمّالية» وفي الحزب الاشتراكي وفي عصبة حقوق جمعيات (كذا) التي لها الحقّ في التواجد بشكل قانوني» (53). إن اقتراح عليق، وفيما نعلم، لم يتمّ اتخاذ أيّ قرار وقتذاك من طرف اللجنة المركزية.

بعد أربعة أشْهُر على استسلام عبد الكريم، كانت الوضعية المغربية مَوْضع لجنة مناهضة الاستعمار التابعة للحزب الشيوعي الفرنسي. وقد أجرى ، حوارا مع سان — برو وهو صحفي بـ لومانيتي، عائِدٌ من المغرب. فقد تأثّراً بـ «التأثير» الهَامّ نسبيا للحزب الاشتراكي في الحماية، «رغم كلّ االطّابع المُتَنافِر للمنضمّين لفرع الدّار البيضاء : فهو يضم ماسونيين من «العُمّال» مكونّةٌ في أغلبها من مُستَخدَمين في السكك الحديدية سراباتهم سنة 1920 (55). لقد كان على رأس هذه المجموعة الأخيرة أحدهم «هو الذي كان لنا معه الارتباط» (56). وهذه المجموعة، بعد أن اقترحت شتراكي وتشكيل حزب شيوعي، صار على المجلس أن يحدّد موقفه. لقد بعة كهذه «ستكون شيئاً مُؤْسِفاً». وبالفعل «يمكننا الاعتماد على خمسة أو ن على العَمَلِ معنا والذين لم يُنَمّوا بعد تأثيرهم داخل الحزب الاشتراكي ولا الأخرى (الوداديات العُمّالية) وإذ ليسوا بمعروفين، ليس لديهم أيّ تأثير لدى اقْتُرِح إعطاءهم كتوجيهات «تشكيل يسار داخل الحزب الاشتراكي في

. موريس طوريز، سلسلة 142 (محضر اللجنة المركزية الموسعة أيام 6 — 8 أبريل 1926).
مرض نصيحة لاشخصية. نفسه. سلسلة 172. اللجنة المركزية والاستعمار (عرض اجتماع 9 شتنبر

الاشتراكي في الحماية. انظر الحزب الثالث. لنوضح هنا بأن الفدرالية الاشتراكية للمغرب أنشأت في 1925 كانت ضم ثلاثمائة وأربعة وأربعين منخرطا وفي 1926 خمسمائة وسبعين. إن ما نعرفه، من ـ الوسط الاشتراكي البيضاوي لايطعن في الاشارات التي أوردها سان — برو.
حرى، إسناد الى المراسلة المتبادلة مع «رفيق الدار البيضاء الذي دخل في اتصال مع الـ C.G.T.U».
بالونتان ؟

المغرب، يكون هدفه أن يُسَرِّب أوامرنا ببطء وأن يرغم الحزب الاشتراكي تدريجياً على الاهتمام بالأهالي». وبعد ذلك فقط يمكن التّساؤل حول مدى مناسبة إنشاء حزب شيوعي (57). كما أنه من الوارد «بمجرد عودة التلاميذ الموجودين حاليا في الجامعة» أن يتم «إلحاق» أحدهم وإرساله الى المغرب (58).

من هذه الوثيقة، يمكننا استرعاء الانتباه الى :

□ عدم وجود تنظيم شيوعي مستقل بالمغرب في 1926؛

□ الوجود، داخل الحزب الاشتراكي، لعناصر شيوعية أو متشايعة ينبغي التنبيه الى ثلاث مميزات بصددها : إنها تنتمي لوسطٍ عُمّالي، سِكَكِيّ على الأرجح؛ إن عددها جدّ قليل؛ وأنه ليس لها أيّ صيت. إننّا نعلم من جهةٍ أخرى أن الفروع الاشتراكية، في الظرف الخاص بالحماية، تتقبّل بنوعٍ من الليبرالية مناضلين شيوعيين. وهذا يسمح لنا بإبداء كلّ التحفظاتِ حول الطابع السِّرّي، كثيراً أو قليلاً، للجناح الشيوعي داخل تنظيم الحزب الاشتراكي.

□ إقامة ارتباطٍ بين، واحدٍ من هؤلاء المناضلين «فالونطان» على الأقل وقيادة الحزب الشيوعي الفرنسي، وحِرْص هذه الأخيرة على توجيه دعايتهم نحو المغاربة.

لكن ها هو تقرير للأمن العام للحماية يعلن في يوليوز 1927 بعد أقل من سنة من ذلك، بأن «الدار البيضاء صارت مؤخرا مقرا لأول خلية شيوعية» (59). هل ينبغي الاستنتاج بأن التّوجيهات قد تغيرت، وأنّ عدد المناضلين المُوالين للحزب الشيوعي قد غدا مُهِمّاً بما يكفي لتبرير إنشاء تنظيم مستقل ؟ إن صاحب التقرير يورد أسماء ثمانية أشخاص كانوا ينتمون لهذه الخلية (60) وحوالي إثني عشر متعاطفا «قابلين للانضمام إليها». ومن بين «الأعضاء» الثّمانية، هناك إسمان معروفان لدينا على الخصوص : إنهما إسما ميشيل آنطوميلّي «وهو الموجود على رأس الخليّة»، وكاريت — بوفي. إن الأول تاجر خمور، والثاني مدير أسبوعيةٍ بيضاوية كبيرة، لوكري ماروكان *. كلاهما مناضلان اشتراكيان، في منتهى الفعالية، وذوا

57 نفسه. بموازاة ذلك سيتم القيام بجهود لكي تشكل العناصر الشيوعية والمتشايعة «فصائل» داخل وداديات عمالية، حتى يتم تدريبهم «في ميدان نقابي صرف».

58 نفسه. لايمكن أن يتعلق الأمر في رأينا، سوى بـ «جامعة بوبيبي»، التي تم إنشاؤها لتكوين أطرها من طرف الحزب الشيوعي الفرنسي في نهاية 1924. إن «الجامعات» التي تم إنشاؤها في الاتحاد السوفياتي لم تكن تفتح إلا بشكل استثنائي للتلاميذ الغربيين ولا يبدو أنها استقبلت فرنسيين. (برانكو لازيتش» «مدارس الأطر للكومنترن» في مساهمات في تاريخ الكومنترن، جنيف، 1965، ص ص 223 — 257). أما «المدرسة اللينينية» فلم تنشأ إلا في 1926، ولم تستقبل، حسب نارين، تلاميذ فرنسيين إلا ابتداء من 1927 (نفسه، ص. 241).

59 SHA MAROC RSD 79 (II C 2)

60 لانجد من بينهم سوى عاملين، أما الآخرون فتجار، مستخدمون، صحفيون.

* Le Cri marocain

علاقاتٍ منتظمة مع قيادة الحزب في باريس، خاصّةً مع رونوديل، وجان لونكي (61). ولم يكن لهما أيّ ارتباط مع العناصر الشيوعية المنضمّة للفرع البيضاوي للحزب الاشتراكي التي ورد ذكرها. ثمة أسباب خاصة، كما سنرى، تفسّر كَوْن كاريت ـــ بوفي يُنْعَتُ، في بعض تقارير الشرطة، بالشيوعي. لكن لا شيء، حَسَبَ علمنا، يسمح بهذا الخلط إن لم يكُنْ نزوعٌ ملحوظ في الأوساط البوليسية إلى اعتبار عناصر الحزب الاشتراكي التي تعبّر عن آرائها بقوّةٍ أكبر عناصر شيوعية. إنّ جاك كريماديلس الذي دَرَس الحزب الشيوعي في المغرب، معتمداً خصوصاً على الأرشيفات البوليسية، لم يَنْجُ من هذا الاغراء. فبعد أنْ سَرَدَ المُظاهرات التي وقعتْ في الدّار البيضاء، في غشت 1927، لصالح صاكو وفانزيتي، بدا له «واضحاً» أن المناضلين الثلاثة، آنطونيلّي، فارج، وكازانوفا، المُعْتَقَلين بهذه المناسبة والماثلين أمام المَحاكِم «كانوا شيوعيين» (62). وإذا كنّا، في هذا الظّرْف، لا نعرف شيئاً عن كازانوفا، فإن الأمر مخالِف بالنسبة لكلّ من آنطونيلّي وفارج. فكلاهما، بعد أن أخذا حُكْماً ابتدائياً بسِجْن نافذ (63)، سيحصلان على السّراح أمام محكمة الاستيناف التي آزرهما أمامها، بطلبٍ من الفدرالية الاشتراكية للحماية، جان لونكي (64). وبعد ذلك، سيغدُوان شريكيْن في العمل الذي كان يقوم به ابن محاميهما روبير ـــ جان لونكي، الذي كان يناضل أيضاً في الحزب الاشتراكي، لصالح الوطنيين المغاربة الشّبّان.

في 1928، طعن تقريرٌ للمصالح الخاصّة يرتكز على معلوماتٍ مبلغةٍ من طرف الأمن العام في استنتاجات يوليوز 1927 ونقرأ فيه : «لم يتمّ بَعْدُ، تشكيل أية خليّةٍ (...) إن التنظيم الشيوعي ليس قائما في المغرب » (65). وفي 1929، كان الحزب الشيوعي الفرنسي، حسب وزارة الدّاخلية «يولي عناية خاصّة لدعايته في المغرب. إن له في هذا البلد مُناضلين يساعدونه بنشاط في مجهوداته، وهم منشغلون حاليا بإنشاء حزب شيوعي عربي»»؛ وقد كان بينهم وبين الحزب في باريس اتّصال منتظم (66). وبَعْدَ أن سُئِل رئيس منطقة الشاوية (الدّار البيضاء) من

61 محادثات، المؤلف مع روبير ـــ جان لونكي.

62 كتب مشار اليه، الجزء الثالث.

63 انطونيلي عشرون يوما من السجن، وفارج شهران.

64 بعد سنوات من ذلك، أمام المؤتمر الوطني للحزب الاشتراكي، أثار جان لونكي هذه الحلقة. انظر المؤتمر الوطني الثلاثون المنعقد بباريس، 14 ـــ 17 يوليوز 1933، عرض مختزل، ص ص 129 ـــ 130.

65 SHA MAROC RSD 79 (116، مذكرة SRII في 20 مارس 1928). إننا نقرأ فيها أيضا بأن «العناصر المتطرفة للفروع المحلية لحزب الاشتراكي متوجهة بوضوح نحو الشيوعية»، لكن هذا التقدير لم يكن محل توضيح.

66 AN F7 13170 (مذكرة رقم 3257 في 4 أبريل 1929 من وزير الداخلية الى وزير الشؤون الخارجية) إن نفس المعلومات كانت موضع إرسالية من وزارة المستعمرات الى الشؤون الخارجية S/n° 734 في 29 يوليوز 1929 (AN SOM SLOT FOM III 45). وإن حوالي خمسة عشر إسما لـ «مراسلين» تمت الاشارة اليهم : تسعة من بينهم يقيمون في الدار البيضاء، إثنان في الرباط، واحد في مكناس، واحد في طنجة وواحد في قصبة تادلة. وفقط ثمانية منهم تم

طرف الاقامة في 1935 حول النشاط الشيوعي، قَدَّم جَرْداً تاريخياً، قبل أن يلخّص الوضع في مُجْمله : في 1928، استرعى انتباهَ السُلطات نشاطٌ دَعائي، لكن هذا الأخير «ظَلَّ في بداياته مُبَعْثَراً ولَمْ ينِم عن وجود تنظيم شيوعي قائم بذاته في الدّار البيضاء أو في هذه المنطقة»، وفي غشت 1933 سَجَّلَ «تزايداً مبحوظاً للدعاية الشيوعية في الدّار البيضاء، وفي نفس الوقت بداية لتنظيم هذه الأخيرة على شكل مُظاهرات وإضرابات صغيرة» واعتبر رئيس المنطقة أنّه منذ ذلك الوقت بدأ يتوضَّحُ «هَدَف المُحَرّضين (...) ألا وهو أن يُنْشِئوا في الدار البيضاء وربما في مدن أخرى بالمغرب نَوَى خلايا شيوعية تُخْفي عملها بستار منظماتٍ للتعاون العمّالي ضِدَّ عواقب البطالة». وأخيرا، ابتداءً من دجنبر 1934، تَمَّ تمييز «نزوع أكيد نحو إنشاء تنظيم شيوعي بالدار البيضاء على أسس واضحةٍ ودائمة» (67).

لم يكن هناك إذن تنظيم شيوعي حقيقي في المغرب قبل 1935. لكن كان هناك، بكل تأكيد، مناضلون منعزلون — أو منخرطون في الحزب الاشتراكي — والذين يبدو لنا أنَّ نشاطهم كان مُوَجَّهاً الى توزيع مناشير وجرائد قادمة من باريس. هذا، على أية حال، ما تكشف عنه «القضيتان الشيوعيتان» الوحيدتان اللتان تحتفظ الأرشيفات بأثرِهما : قضية آرْمونْكو — فَالُونْتَان * وقضية دُومُون *. أما قضية المغرب الأحمر في بداية 1935 فهي تعبير على المحاولة الأولى المعروفة لهؤلاء المناضلين لكي يُنَظِّمُوا أنفسهم ويُعبّروا عنها علانية.

قضيـة آرمونكـو — فـالونتـان

في 19 فبراير 1928، فاجأت شرطة سوق أربعاء الغرب (وهو موضع يقع على بعد حوالي مائة كيلومتر شمال الرّباط) أحدهم يُدْعى آرمونكو، وهو أمين مساعد بالأشغال العمومية، في حالة تلبّس بدعاية شيوعية مناهضة للنزعة العسكرية (68)، وقد صرَّح بأنه تلقّى

توضيح مهنهم، أي : أربعة أعوان في السكك الحديدية، موظفان، ميكانيكي وبقال. وقد اعتبر كل من حان ثوابي وهو مهندس زراعي بقصبة تادلة، وبيارشاميون، بمثابة «مناضلين من الطراز الأول». لقد كان بيار شامبيون ماضلا نقابيا فصل من السكك الحديدية للمغرب إثر تحريض السككيين سنة 1929. ويقدم بيار سيمار، في مداخلته في الدورة العاشرة للجنة التنفيذية للأممية الشيوعية، عرضا سريعا للوضعية في المستعمرات الفرنسية، وبخصوص المغرب يوضح : «ليس لدينا حزب هناك، وإنما بعض المراسلين»، الجلسة التاسعة، 8 يوليوز 1929، مراسلة دولية، 10 شتنبر 1929، ص ص 1137 — 1151. وفي المؤتمر السادس للأممية الشيوعية (غشت 1928) كان الوفد الفرنسي يضم ثلاثة هندصينيين، ثلاثة حزائريين وتونسيا، ولكن أي مغربي.

67 SHA MAROC RSD 88 (رسالة رقم 277/AI/C في 28 فبراير 1935، من المراقب المدني، رئيس منطقة الشاوية (أورثلياب) الى رئيس مصلحة المراقبة المدنية.

* Armengand-Valentin

* Dumont

68 نفسه، RSD 79 مذكرة 3501/SG (الأمن العام) في 24 فبراير 1928 لأحل رئيس الديوان العسكري. لقد كان يمسك في يديه، بأحد المقاهي، منشورا معنونا «إبراهيم، قناص افريقي شمالي»، الذي عثر لديه على عدد من نسخه. وكذا جرائد وملصقات شيوعية معادية للنزعة العسكرية. حول هذا المنشور أنظر أدناه، الفصل السابع.

المناشير الموجودة في حوزته من فور، وهو مُقاوِل في النقل بالرباط. لقد حُجِزَتْ في منزل هذا الأخير «وثائق عديدة وجرائد شيوعية مناهضة للنزعة العسكرية» وأقرَّ، بدوره، أنّه أخذها من أحدهم يُدعى فالونتان بالدّار البيضاء (69). وقد تلقّى هذا الأخير هذه الوسائل للدّعاية من «مُسَجَّلين بَحْريين يعملون على ظهر بواخر شركة باكي * ويقومون بدور ضبّاط اتصال بين المُنظّمة المارسيلية والمغرب»، لكن هذا الاتهام الأخير، فيما يبدو، لم يُفضِ الى شيء (70). مثلما لم يفض الى شيء اتّهام فالونتان بكونه أمين صندوق الاتحاد الأحمر الدولي للمغرب وأنه بهذه الصفة كان عليه أن يتوجّه «مُوَكَّلا بطريقةٍ قانونية من طرف خمسة عشر متعاطفاً» (كذا) الى المؤتمر الرّابع لـ S.R.I بموسكو (71). وعند مثولهم أمام المجلس الحربي بفاس بتهمة الدّعاية المُناهضةِ للنزعة العسكرية، حُكِم عليهم يوم 27 أبريل 1928 : فور، بِسَنَةٍ سِجْناً، آرمونكو بسنتين، وفالونتان بستةِ أشهر، مع تمتيع هذين الأخيرين بوقف التنفيذ. لقد حصل فورْ على نَقْضِ الحكم الخاص به، فأُرْسِلَ أمام المجلس الحربي بمكناس الذي حَكَم عليه في 30 يونيو 1928 بسنةٍ سجناً مع وقف التنفيذ (72). لكن كما كَتَب كريماديلس، الذي دَرَس القضية من خلال جرائد الحماية، لم يحصل في أي لحظةٍ «لافي الصّحافة المغربية، ولا في البلاغات الرّسمية، ولا أثناء المحاكمة، أن اتُّهِمَ الحزب الشيوعي الفرنسي» (73).

قضيـــة دُومُـــون Dumont

بين 1928 و1934، لم تذكر الأرشيفات أية «قضية شيوعية» داخل الحماية. إن ذهاب وعودة بعض الأجانب، ومن بينهم أشخاص يُفْتَرض أنهم شيوعيون ـــ سيتيح الفرصة، كما سنرى، لتأويلات مختلفة : غير أنه لم ينجم عن ذلك أية مظاهرة خاصة، ولم يتعرض أحدٌ من المذكورين لأي اعتقال، أو بالأحرى لأي اتّهام.

69 نفسه، ومذكرة SR 11 لـ 20 مارس 1928. يتعلق الأمر جيدا بفالونتان ادي سجلنا أعلاه أنه كان على صلة باللجنة الاستعمارية للحزب الشيوعي الفرنسي. ولكن إما لأن هذه الأخيرة لم تكن حسنة الاطلاع، أو أن فالونتان غير مهنته، فلم يعد عاملا أو سككيا، وإنما بائع مشروبات (نفسه، IIC1 رقم 23).

* Paquet

70 نفسه، مذكرة SR 11 لـ 20 مارس 1928. إنها لم تذكر سوى في مذكرة إخبارية واحدة

71 لايقوم قرار الاتهام بأية إشارة الى الصلاتِ التي لم يكن واردا ألا تثار وقتذاك مع قوة أجنبية. أنظر كريماديلس، مشار اليه، ص ص 254 ـــ 255.

72 SHA MAROC RSD 79, II C 1 رقم 33 (رسالة الجنرال فيدالون، قائد قوات المغرب، الى المقيم العام، بتاريخ 8 يوليوز 1928). حسب الجرائد المستشهد بها من طرف كريماديلس، فإن نص الحكم لـ 27 أبريل 1928 كان كالتالي : آرمونكو، ستة أشهر سجنا، فور، سنة، وفالنتان سنتان. إنها لاتشير الى وقف التنفيذ ولا الى المحاكمة الثانية لفور، مشار اليه، ص 255.

73 نفسه، ص 254.

في نهاية 1934، تمَّ اعتقال جول دُومُون، وهو قبطان احتياطي حاصل على وسام الشرف من درجة فارس، ووكيل بسوق مكناس، بسبب دعاية شيوعية في وسطٍ أهلي (74). وبدقة أكثر، كان مُذْنِباً بِجُنْحَتَيْن :

☐ من جهة، بكونه أفاضَ في حديث يهاجم حقوق الجمهورية الفرنسية وسلطاتها في الامبراطورية الشريفية (75)؛

☐ من جهة أُخرى، بكونه وَزّع جرائد ممنوعة.

وعند مثوله أمام المحكمة العسكرية بمكناس، أظهرت النّقاشات بأن تصريحات دومون تمَّتْ أمام أحدهم يُدْعى ادريس بنعبد العزيز وكُرِّرَتْ أمام هذا الأخير وشَاهِدَيْن آخرين. لقد كان ادريس بنعبد العزيز، وهو «شاب أهلي متعلم» جاسوساً للشرطة : وقد فسَّر رئيس الأمن الاقليمي بمكناس كيف تمكّن من استعماله لاجتذاب دومون الى الفخّ وَجَعْلِهِ يكرّر خطابه «المُعادِي لفرنسا» في جلسةٍ كان يحضرها مُفَتّشان من رجاله. لقد أنْكَر دومون التصريحات المنسوبة إليه في وقت اعترف عن طواعية كونه وزع بعض النُّسخ من الجريدة الممنوعة، الشرق العربي، وكونه طلب تلغرافياً مائة نسخة من طبعةٍ خاصّة لـ لومانيتي تمَّ حَجْزُها عند وصولها الى البريد. وحكم على المُتَّهم، الذي لم يُبْدِ خلال الجلسة «أي ندم وأية توبة» (76) بثلاثة أشهر سِجْناً و مائة فرنك غرامة، وفور إطلاق سراحه، تَعَرَّض لقرار طرد (77).

74 بعد الحرب، انشغل دومون بالزراعة في منطقة عين تاناث. وحسب لاتريبون (صحيفة معمري مكناس)، فإنه قد أخفق في مشروعه وبيعت أملاكه بواسطة القضاء (17 يناير 1935). إن ألبير عياش الذي يستند الى الشاهدة الشخصية لشارل دوبوي، يلح على واقع كون دومون، المتأثر بشكل خاص ببؤس الفلاحين المغاربة، تدخل لصالحهم لدى الادارة. «إن قراءة لومانيتي، التي كان يروده بها رئيس محطة بلدته، جعلت منه شيوعيا.» (اليمين واليسار في الحماية الفرنسية للمغرب في 1934 ـــ 1936 ب لابولسي، عشت 1976، ص 97).

75 في 19 نونبر 1934، قال على الخصوص : «المغرب للمغاربة. ينبغي التمرد من أجل هذا... لن أكون سعيدا إلا يوم تطرد فرنسا من هنا! يا للفرح الذي سيغمرنا ذلك اليوم !» مذكرة رقم 12/5 في 5 دجنبر 1934، من مفوض الحكومة لدى المحكمة العسكرية لمكناس، متعلقة بأمر الاخبار. SHA MAROC RSD 88 (ملف دومون).

76 SHA MAROC RSD 88 (ملف دومون، رسالة رقم 143/5 في 18 فبراير 1935، من رئيس أمن مكناس الى قائد المنطقة). إن هذا الموقف يناقض موقف فالونتان، وآرمونكو وفور قبل بضع سنوات، كريماديلس، مشار اليه، ص 255.

77 نفسه. يبدو أن دومون طعن بطريقة النقض، لأن مدير مصالح أمن المغرب شرح لرئيس الديوان العسكري للمقيم أن من رأيه انتظار قرار المحكمة قبل اتخاذ إجراء الطرد (رسالة رقم DSS 4076 في 2 مارس 1935). لكن هولو، المنتدب لدى الاقامة العامة، وقع في 6 مارس 1935 قرار الطرد (برقية مرقومة، 106 ـــ 107 ـــ 108 الى الكي دورساي في نفس اليوم). عند عودته الى فرنسا، ناضل دومون في الحزب، بارتباط مع الفرع المعادي للاستعمار ومع ليو وانير من العصبة المناهضة للامبريالية (محادثات مع أندري فيرا). وإبان حرب اسبانيا، انخرط في الفيلق الدولي، حيث عمل برتبة عقيد. وقدمات بفرنسا في 1947.

المغرب الأحمر *

منذ الأيام الأولى لفبراير 1935، كان يوزع في الحماية العدد الأول من ماروك روج * هي «جريدة الحزب الشيوعي المغربي». لقد كانت هذه «الجريدة» على شكل ورقتين مضروبتين على الآلة الكاتبة، ومسحوبتين على الآلة النّاسخة وموجّهتين داخل ظَرْف الى مختلف المُرْسَلِ إليهم (78). لقد سعى أصحابها الى الرَّدِّ على محاكمة جول دومون : «هل من المسموح للمرء في المغرب بأن يكون شيوعياً أم لا ؟... إن الذعر الكبير الذي نجم عن محاكمة مكناس نتج عنه في نفس الوقت، على الأقل، نشوء الحزب الشيوعي المغربي، وهو ما لم يتوقّعه خدّام الرباط (79). فسواء رضِيَ حملة السيوف بذلك أم لم يرضوا، فإن حكمهم أثار في مجموع المغرب حركة من الفضول المتعاطف مع مذهبنا الذي انتظره الكثيرون لاشعوريا. وسيعرف رفاقنا كيف يستفيدون من النتائج المفرحة لكل هذا التعاطف». إننا نقرأ في «نداء الى النّاقلين الصغار» (80) : «ليس ثمّة أوربيون، وليس ثمّة أهالي؛ هناك أغنياء يستغلّون الفقراء، وهناك فقراء يكدحون ويُعانون لتسمين الأغنياء»، وتوجّه النداء بالتمرد بالضبط الى هؤلاء النّاقلين الصغار (81) : وهو لم يَتَعَدَّ الدعوة الى سَدِّ الطّريق لمنع مرور حافلات الشركة المغربية للنقل (ستيام) وهي شركة النقل القوية المُراقبة من طرف بنك باريس والأراضي المنخفضة. لقد منعت السلطات في 19 فبراير، توزيع جريدة ماروك روج (82)؛ وخلال شهر مارس، كان عَدَدٌ ثانٍ للورقة الشيوعية يروج داخل الحماية (83).

لقد توجّه تحرّي الشرطة نحو أحدهم يُدْعى بيسْيير، وهو طالب حقوق شاب، مسجَّلٌ بكلية بوردو ومقيمٌ بالدّار البيضاء. فهو «يبدو منذ رَدْحٍ من الزّمنِ العضو الأكثر فعالية

* Maroc rouge

78 لقد عثرنا على نسخة من هذا العدد في أرشيفات الديوان العسكري للقيم العام. SHA MAROC RST 79 (مرسل بمذكرة OLR رقم 844 لـ 2 أبريل 1935). لقد نشرت لافريك فرانسيز مقتطعات منه (مايو 1935، ص 222) أخذتها من لابريس ماروكان : وهي مقتطعات مبتورة حرفت معناه. حسب كريماديلس الذي يستند الى مصادر بوليسية، فإن سحب هذا العدد الأول كان خمسة آلاف نسخة (مشار اليه، ص 332). وحسب ألبير عياش الذي تلقى شهادة شارل دوبوي، الذي شارك في إنجاز ماروك روج، فإن السحب كان حوالي خمسمائة نسخة (مقال مشار اليه، ص. 97).

79 ينبغي تأويل هذا التأكيد بحذر، لأنه بعد ذلك بقليل يوضح النص : «ثمة تعاطفات لاتحصى ممنوحة لنا ينبغي أن نعرف عما قريب جمعها وتنسيقها لكي نشكل منها الحزب الشيوعي.

80 مهددين بالاندثار بحكم إعادة تنظيم النقل الطرقي. وقد مثل هذا «النداء ثلث العدد.

81 «تمردوا ! الحزب الشيوعي المغرب يناديكم للنضال، وسيساعدكم؛ سيكون الى جانبكم دائما وأبدا»

82 نشرة رسمية، 15 مارس 1935.

83 SHA MAROC RSD 88 (رسالة رقم 12 س. لـ 14 مايو 1935 من المفوض عميد أمن الدار البيضاء، كاربو، الى رئيس المنطقة المدنية).

للنواة الشيوعية لمدينتنا، ولا أدَلّ على ذلك من الدَّور المهم الذي بدأ يحاول أن يلعبه» (84) وقد اعتبر البوليس وقتذاك أن بإمكانه البرهنة على ذلك بوثائق تثبت وجود علاقات بيسْيير بالحزب الشيوعي الفرنسي في باريس، لكنه ألَحَّ أكثر على العلاقات التي لبيسْيير في الدّار البيضاء : وعلى الخصوص، ببحار في البحرية الوطنية، وهو أوليفيي روبور الذي كان يتوجّهُ كُلَّ يَوْمٍ تقريباً الى منزله، وببعض أفراد التعليم (85)، وعامل عاطل (86) ومهندس (87). لقد كان العديد من هؤلاء الأشخاص يجتمعون في «مجموعات صغيرة» ويظهرون لرجال البوليس «مَشْبُوهين بشكلٍ خاص» (88). و «بدا» أن ماروك روج «تَخْرُجُ من هذا الوسط» (89). مع ذلك، لم يتقدم البحث البوليسي إلى اليوم الذي ذهب فيه بيسْيير بعفوية ليقترح خدماته على البوليس وليُقَدِّم «إفشاءاتٍ» حول التَّنظيم الشيوعي داخل الحماية : وحسب أقواله يوجد في الدّار البيضاء «فَرْع» للمغرب يرتبط به بعض العناصر بطريقة فردية، كما ترتبط به عشر أو اثنا عشرة خلية، خاصّة في مكناس وفي فاس. ويؤكد بسيير بـ «أن باريس، هي التي تعطي توجيهات»، وهي التي «تدفع» خاصّةً «إلى إنشاء خلايا أهلية»، لكن حول الأنشطة الشيوعية الصِّرْفة، اقتصرت «إفشاءات» بسيير على التوضيح كيف تَمَّ في رأيه، إنجاز وتوزيع المغرب الأحمر (90). وفي الواقع، لا يمكن لِأقْوال بسْيير أن تُقْبَل على علاتها. فدون ريب، ظَهَر بسرعة أنَّ من بين الأشخاص الذين بَلّغ عنهم للبوليس باعتبارهم شيوعيين، هناك كثير من المُتعاطفين أو المناضلين المُقتنِعين : سنتعرّف عليهم. لكن إشاراته حول الانغراس الشيوعي في المغرب جدّ مُبالغٍ فيها (91)، والدّور الذي ينسبه الى نفسه مشبوه (92). والبوليس الذي

84 نفسه. رسالة DC / 119 في 7 فبراير 1935، من أورثلياب، رئيس منطقة الشاوية الى مندوب الاقامة.

85 روجي بروبوت، أستاذ بالمدرسة الصناعية، آلان كيافيري، معلم بمدرسة أبناء الأعيان، أندري جوانو، حارس عام سابق بداخلية المدرسة الصناعية. نفسه.

86 دورغان. نفسه.

87 روني روكس. نفسه.

88 مشتبهون بكونهم شيوعيين. إن التقرير يوضح أيضا : «إن برونوتو ليس معروفا بعد لدى مصالحنا»؛ وكيافيري «يمكن أن يكون مناصلا، لكن ليس ثمة واقعة محددة ضبطت حتى الآن من شأنها أن تؤكد هذه المعلومة»؛ أما دورغان، فـ «يبدو أنه يعمل كعون ربط». لقد تمت الاشارة الى أوليفيي روبور باعتبار أن له «صلات مشبوهة في الأوساط الشيوعية». بينما قيل عن روني روكيلس، وحده، بأنه «أحد الأعضاء الرئيسيين للتنظيم الشيوعي بالدار البيضاء». نفسه.

89 نفسه.

90 رسالة مشار اليها في 14 مايو 1935.

91 انظر كريماديلس، مشار اليه، ص ص 334 ــ 338.

92 إن الشاب بيسيار يقدم بعض الملامح الغريبة. فقد كتب الى شاليو، مدير ماروك سوسيالست، رسالة ملتبسة جدا لكي يوحي اليه بأن يسهل الاتصالات بين الشبيبات الاشتراكية، والشبيبات السلموية والشيوعية (رسالة مشار اليها في 14 مايو 1935). بموازاة ذلك، طلب في 26 يناير 1935 من رئيس الفرنسيست (منظمة يمينية متطرفة معادية للسامية) أن يكون ممثله في الدار البيضاء. وقد أعطاه السكرتير السياسي، موريس دوبيرنار، موافقته وأوكل اليه بتوزيع

أعطى، مع ذلك، اعتباراً كبيراً لتصريحاته (93)، وجد نفسه مُرْغَماً على إغلاق هذا الملف الذي لا يكشف عن أية مناورات شيوعية تقع تحت طائلة القانون (94).

الأُســــطـــورة

إن المغرب واحدٌ من بلدان ما وراء البحار حيث اتَّضَحَ أن الحضور الشيوعي، بين 1920 و1935، جدّ ضعيف. فأطروحات الأُممية الشيوعية والحزب الشيوعي الفرنسي الدّاعية الى التحرير الوطني والاجتماعي للشعوب الواقعة تحت السيطرة لم تعرف سوى تطبيقاتٍ ضئيلة داخل الحماية : فوجد النشاط الشيوعي أو المعدود كذلك، نفسه محصوراً في توزيعات متقطعة للمناشير والجرائد، داخل الحدود الضيّقة للسِّرِّية. لقد كان ذلك النشاط مطبوعاً بحرص بعض المُناضلين على توجيه دعايتهم نحو الأوساط المغربية. وفي بَلَد كانت البروليتاريا العُمَّالية فيه ما تزال بَعْدُ قليلة، ليس مُدْهِشاً أن يعثر التحريض على دعائمه الأساسية في المصالح العُمومية وخاصّة لدى السّكّكِيين. إن الأرشيفات مكّنَتْنا من سرْد الوقائع البارزة : فلم يحصل في أية لحظة أنْ وجِدتْ مؤسسات الحماية، وبشكلٍ أعم، الحضور الفرنسي في المغرب نَفْسَهُ مُهَدَّداً. مع ذلك، وبشكلٍ متوازي، كان قد تم بناءُ أسطورة : أسطورة مؤامرة مُدَبَّرة ومُعدَّة من طرف البلشفيين، بارتباطٍ مع العناصر الوطنية، بهدف انفجار وطني وثوري بالمغرب. إن هذه الأسطورة لم تكن وليدة مُخَيِّلة بعض الصحفيين. فَبَثُّها من طرف المصالح الفرنسية المختصة، وتغلغلها في الأوساط السياسية المختلفة، كافيان لتنبيه المُؤَرِّخ. ويهيب بنا تداخُلُهَا مع تاريخ علاقات اليسار والحركة الوطنية المغربية أن نوليها الاهتمام. هكذا نقترح على أنفسنا تحليل مكوِّنات هذه الأسطورة، ودراسة بدء تنفيذها، وأخيرا التساؤل حول دلالتها.

عـــناصـــر الأســـطـــورة

يسمح تَمَفْصُلَ الأسطورة بتمييز :

☐ اقتراح أساسي، ذي طبيعة سياسية ألا هو التأكيد على وجود تواطؤ بين أعداء فرنسا. وهو يُمَوْقِعُ الخطر الشيوعي ويوضّح نواياه؛

لوسياكل نوفو، صحيفة الحركة، بعد أن كانت لاليبيرارول قد منعت في المغرب (رسالة 7 فبراير 1935، المشار اليها آنفا). لقد رأت السلطة في هذا الاجراء «مناورة لاختراق تصرفات هذه الجماعة لحساب الحزب الشيوعي» (رسالة 14 مايو 1935). إننا نعتقد بطيب خاطر بأن بيسيار مصطرب الشخصية ومهووس بفكرة فرض اعتباره. وتبدو لنا رسالله الغفلة الى الشرطة مدعمة لهذه التفسير.

93 ليس ثمة ما يمنع من الاعتقاد بأن بيسيار كان، على الأقل جزئيا، محركا من طرف مصالح الشرطة.

94 رسالة مشار اليها لـ 14 مايو 1935.

☐ اقتراحَيْن متلازمَيْن يحدّدان الوسائل المستعملة من طرف الشيوعيين، ويتمثلان في حضور عملاء موسكو في المغرب، والتسرّب داخل القوات المتمركزة في الحماية؛

☐ أمّا الخُلاصة فتتمثل في الاعداد لهُياج شعبي.

تواطؤ أعداء فرنسا

عَقِبَ الحرب العالمية الأولى، ظَلَّ قِطاعٌ عريض من الرأي مُرْهف الحِسّ بشكلٍ عميق بمفهوم «أعداء فرنسا»، وخاصةً في الوسط الاستعماري حيث يتمّ التعوّد بسرعة على نَسْبِ المصاعب التي تلاقيها ممارسة السيادة الفرنسية فيما وراء البحار، إلى تأثيرات وتدخّلات أجنبية. والمغرب هو الوحيد ربما، من بين كلّ البلدان، الذي حَرَّكَ على نَحْوٍ أكثر كثافة هذه الشبهة القَلِقة. فذكرى الكفاحات التي كان على المالية والدبلوماسية الفرنسيتن أن تخوضاها ضد الامبرياليات البريطانية والألمانية والاسبانية لَمْ تُمْحَ بَعْدُ، ومن الملائم إلصاق المقاومة التي ما تزال تُبْدِيها القبائل المغربية تجاه القوات الفرنسية بعد توقيع الحماية، بمناورات ماوراء الرّاين دون سواها (95). وبعد هزيمة ألمانيا، وَضّحَ مسئولوا السياسة الفرنسية خطرَيْن جديدين يهدّدان بشكلٍ خاص، في رأيهما، السيطرة الفرنسية في إفريقيا الشمالية : الخطر الاسلامي والخطر البلشفي. لقد تمّ تقديم كليهما بطريقةٍ كَبَـلّغٍ فيها وكان هذا كافيا لاعطائهما طابعاً أسطورياً. لكن، ما كان يوَدُّنا التنبيه إليه ها هنا هو الرّغبة التي أبدتها، بين 1920 و1935، دعايةٌ ما — مُغذّاة بمجاملةٍ من طرف المصالح المختصة — لربط مختلف التظاهرات الاسلامية والبلشفية ببعضها، ونَسْبِ استرشادٍ أجنبي مشترك، تارة ألماني، وتارة بريطاني، إليها معاً.

إن التمييز بين الاسلامَيْن — «الاسلام الحق، الاسلام الصِرْف»، ذاك الذي يلتفّ عفويا حول الأمم المتحالفة «لمحاربة ألمانيا، عدوّه الحقيقي»، والآخر، إسلام الحرب المُقَدّسَة، الذي انضمّ الى «جانب العدوّ» (96) — هذا التمييز تمّ تصحيحه غداة الحرب : فقد أكّد المكتب الثاني للمخابرات بأن الدول الاسلامية المحتلة والمحكومة من طرف فرنسا وانجلترا، كانت وما تزال قابلة للتأثر بالدّعاية الألمانية (97). ولفظة إسلام نفسها — أو بالأحرى الجامعة

95 انظر لوي موريس (اسم مستعار للسفير موريس بومبار)، السياسة المغربية لألمانيا، باريس، 1916، ص ص 177 — 183. انظر أيضا لافريك فرانسيز، (يناير — فبراير 1919، ص 18) ولوي بارتو، حرب المغرب، باريس، 1919، ص ص 34 — 48.

96 بن غبريط، المغرب، الحرب والاسلام (محاضرة ألقيت بمعرض الرباط، في 30 شتنبر 1917 في محاضرات فرنسية — مغربية، باريس 1917، ص 112).

97 AN SOM. Aff. oplit. 923 (5، معلومات مرسلة من طرف المكتب الثاني إلى وزارة المستعمرات في 24 نونبر 1920، s/n° 9856 SCR/2/11

الاسلامية ــ صارت تأخذ داخل الطبقة السياسية، ورغم مجهودات ليوطي، وَقْعاً مُعاديا (98)، لايزال ملتبساً، ولكن يتوضّح بمجرّد ما يتم تقريبه من الأفكار المتلقّاة عُمُوماً حول تأثير البلشفية و«حليفها» الألماني. وبالفعل، يتم التشهير بالبلشفية ليس فحسب كتهديد بالتخريب الاجتماعي، بل أيضا كمحاولةٍ لـ «إيقاظ الشعور الوطني لدي الأهالي بهدف دفعهم بأنفسهم الى العصيان» (99). وفي هذا الصَّدد، يرى وزير المستعمرات، بأن موسكو استعادت «التكتيك المُستَعْمَل خلال الحرب من طرف الامبراطوريات المركزية ضِدَّ أعدائها»، ولم يتردَّدْ في التأكيد بأن «عدداً من الجمعيات التي تدعى التعاطف مع الأهالي، المُنشأة من طرف الجهاز الألماني (100) كانت تابعةً للبلشفيين بدون قيد أو شرط»، الى حدّ أنه كان من الصعب جدا سنة 1920، «التمييز بجَلَاءٍ لطبيعة الدّعاية المُنَفَّذةِ من طرف هذه الجمعيات الألمانية ــ البلشفية» (101).

إن الرغبة في تفسير التحريض وحركات الرّأي المُلَاحَظَةِ في الدّول الاسلامية بواسطة الاستقطاب المزدوج الألماني والبلشفي، لهي رغبةٌ جليّة. فهي تُرْضي مبدءاً أساسيا للاستعمار، ألا هو رفضُ القبول بأن يكون مَصْدَرُ احتجاج المُستَعْمَر داخليا (102). عندئذٍ، لا تعود تَهُمُّ محاذير اليسار المتطرف تجاه الاسلام، ولا النّقد الذي يوجّهه البلشفيون للجامعة

98 يبدو أن كالاري دو لامازيار (الذي ينتمي الى مجموعة اليسار الديمقراطي) هو أول من أثار بعد الحرب، من منصة مجلس النواب، «الخطر الاسلامي . هذا الخطر يهدر حاليا عبر آسيا الصغرى...» **مناقشات المجلس**، جلسة 17 يونيو 1920، **الجريدة الرسمية**، ص 2216. أما بالنسبة لأوجين لوفيفر، وهو نائب راديكالي اشتراكي للجزائر، فإن هذا الخطر أكثر إلحاحا ولم يتورع عن أن يؤكد فجأة، أمام لجنة الجزائر، والمستعمرات، والحمايات، أن «أوروبا متعرضة لحقد الاسلام»، دون أن يتجرأ أحد على الرد عليه. محضرا اجتماع 5 يوليوز 1920. بعد بضعة أشهر من ذلك، وحيا لوفيفر نفسه وطومسون، الناطق بلسان اليسار الراديكالي، اللذين استاء لرؤية شغالين أهالي يستعرضون في الجزائر خلف راية حمراء، صرح ماريوس موتي، معبرا عن رأي أغلبية أصدقائه الاشتراكيين : «أفضل أن أراهم مع فرنسيين خلف الراية الحمراء على أن أراهم خلف الراية الخضراء للاسلام وخلف الهلال (...) ففي الحالة الأولى، مختلطين بنشاط الفرنسيين، فإنهم يتصرفون كفرنسيين، أما في الحالة الأخرى، فإنهم سيتصرفون ككتلة وبشكل جماعي ضد فرنسا.» **مناقشات المجلس**، الجلسة الثانية لـ 28 دجنبر 1920، **الجريدة الرسمية** ص 4082.

99 AN SOM Aff. polit. 2425. (مذكرة حول الدعاية الثورية التي تهم بلدان ما وراء البحار، 30 دجنبر 1924).

100 مصلحة الاستخبارات الألمانية.

101 AN SOM SLOT FOM III 56 («الدعاية الشيوعية في المستعمرات»، ص ص 6 ــ 7). إنه من المهم أن نقرب من هذه الوثيقة، غير المؤرخة ولكن التي من المحتمل جدا أن تكون قد أعدت في 1929، التقرير الأول المحرر من طرف نفس المصلحة (إدارة الشؤون السياسة لوزارة المستعمرات) حول نفس الموضع قبل سبع سنوات، والذي كان تعبيره وقتئذ أكثر حذرا بكثير : «... لقد كان مستعصيا التمييز بين المسؤولية الواقعة على العملاء الألمان وتلك التي كان يسعى نسبتها الى المحرضين البولشفيك.» SOM Aff. Poli 2415 AN (مذكرة حول الدعاية الثورية التي تهم بلدان ما وراء البحار، 19 أبريل 1922).

102 تؤكد نشرة **المعلومات عن المسائل الاسلامية** السرية جدا، المنشورة من طرف وزارة الحربية «ليس مشكوكا فيه، أن تكون هذه الانفجارات للحس الوطني، في بلدان تقليدية الفوضى، جميعها ذات استلهام خارجي» 18 أكتوبر 1921.

الاسلامية، ولا الجدالات المُثارة من طرف الحركات الوطنية. لأنهم [illegible] الذين يشددون، من موظفين أو صحفيين، على تنوع الاسلام، [illegible] الغربية والأهمية المتزايدة التي تكتسيها المشاكل الاقتصادية والاجتماعية [illegible] يُحتَفظ من الدعاية الشيوعية سوى بنيّتها المُعلَنة بوضوح في مساعدة [illegible] على التحرر. من جهة أخرى، من المُسلّم به أن ألمانيا لم تتخل بعد عن فكرة [illegible] الاسلام لتهييج السكّان الخاضعين للادارة الفرنسية والانجليزية.

إن السياستين الشرقيتين لبرلين وموسكو لاتعتبران، بصفة عامة، سياستين مُستقلتين، فمجهوداتهما تُعتَبَرُ مُتظافرة، وتواطؤهما مع الجامعة الاسلامية والحركات الوطنية مُفنَّدٌ على [illegible] بديهي، سواءٌ مِنْ على منصّة البرلمان (103) أو بأقلام كِبَارِ مُوظّفي الحماية المغربية (104). [illegible] الأدوار المُتبادَلة لهؤلاء مَعَ بعض الاختلافات : ففي مارس 1921، [illegible] «الحركة الثورية التي يُرْجَى إيقاظها في المُستعمرات المُسْلِمة بوفاقٍ مع الدعم العسكري للبلشفيين والمُسَاندة المالية لألمانيا» (105)، وبعد بضعةِ شهور اعتبر أنّ عليه أن يُوضح [illegible] العمل الألماني يستهدف «تنسيق المُخطّط المزدوج، التركي والبلشفي، ومدّ العمل الاسلامي لأنقرة والعمل الثوري لموسكو، والحركات الوطنية الناشئة في إفريقيا الشمالية» (106) [illegible] والتنظيم والأطر.

وقد اعتقدت سلطات الحماية، خصوصا بعد ذهاب ليوطي [illegible] المغرب نفسه أدِلّة تواطؤ بين التظاهرات الاسلامية والدّعاية الشيوعية (107)... [illegible]

103 يتحدث روكس [illegible] عن «النفس الكبير للاسلام» :
ـ «إن القوة التي أطلقت هذه الريح والتي تريد أن تحولها الى عاصفة ليست في [illegible] ولا في رمال وصحاري العربية، وإنما في برلين».
ـ مارسيل هابير (نائب من اليمين، ملازم أول سابق في ديروليد) : «[illegible] موسكو».
ـ موربنو (نائب القسطنطينية مسجل في المجموعة الجمهورية الاشتراكية) : «[illegible] موسكو».
مناقشات المجلس، الجلسة الثانية في 28 دجنبر 1920، الجريدة الرسمية، ص 4082

104 إن جهود الأممية الثالثة لكي تخلق لفرنسا مشاكل في الجزائر، في تونس وفي المغرب، «تتحالف مع جهود [illegible] حركة الاسلامية، وهي حركة يوجد مركز نشاطها، كما هو معروف، في برلين ويستمر قادتها في [illegible] الشؤون الخارجية للرايخ. أي أن موسكو وبرلين تستمران في هذه المسألة من [illegible] التنسيق ضدنا». Al Fès 530 3715- SHA MAROC (مذكرة من الوزير المتصرف [illegible] 220 DECD في 22 شتنبر 1922)

105 نشرة المعلومات عن المسائل الاسلامية، 4 مارس 1921.

106 نفسه، 18 أكتوبر 1921. «من يقود الهجوم ؟ (ضد افريقيا الشمالية)» [illegible] الثالثة... على الأقل في الظاهر، لأنه ربما يعني القليل من النظر الى الشرق» [illegible] «...» الشيوعية وافريقيا الشمالية، ص. 4.

[illegible] وطني اعتقد في هذا «التواطؤ»، فهو يعتقد بأن الحركة الوطنية [illegible] من جهة أخرى [illegible] تحرير الشعوب التي تطلقها موسكو قد يكون لها في الأخير تأثير [illegible]

لدي الحماية رأى بأن هناك علاقة بين تحضير المؤتمر المناهِض للامبريالية، ذي الاستلهام البلشفي (108) بمَكَّة سنة 1928، وبثّ أفكارٍ ذات مرامي إسلامية بالمغرب : إن واحِداً من الدُّعاة، وهو فيليب تشيكا، «مشبوه جدّاً بكونه عميلاً لموسكو». وقد انشغلت المصالح المختصة بإقامةِ مُدَوَّنةٍ للجمعيات ذات المرامي الاسلامية التي تبدو لها علاقاتها مع الكومنترن أو مع برلين بديهية (109). فوصفت الجمعية الامبراطورية الاسلامية باعتبارها الجمعية الأمّ : ويوجد مقرها في القسطنطينية؛ وهي تتلقى الأموال مباشرةً من موسكو وتوزعها على باقي اللجان. من بين هذه الأخيرة، هناك «الاتحاد المغاربي»، الذي يوجد مقرُّه بالقاهرة، والذي له فرع مغربي، يُدْعى «جمعية الثّقافة المغاربية» (110). في 1927، قطعت الجمعية الامبراطورية عزقتها بموسكو ونقلت مقرها الى لُوزَانْ : وقد انْشَأَتْ تِباعاً جمعية الاتحاد الاسلامي، ثم جمعية الشبيبة الاسلامية التي يوجد مقرّها بالقاهرة (111). ونُسِبَتْ الى شكيب أرسلان مختلف المبادرات التي أدّتْ الى نشوء جمعيات ذات توجّه إسلامي في كلّ من النمسا وألمانيا. هكذا كان الأمر بالنسبة للجمعية الثقافية الاسلامية، المُنْشأة في 1932 بفيينا، والتي كان كاتبها العام، علي زاكي، معروفا كـ «عميل سوفياتي أو على الأقل كمتعاطِف بلشفي» (112)، «والجُنْد الالهي»، التي يوجد مقرّها ببرلين، والتي تبثّ دعايتها في المغرب عبر قناة عملاء سويسريين وبلجيكيين (113)، و«لجنة دفاع المغرب العربي»، الموجود مقرها أيضاً ببرلين، والتي قدّمتْ في 1930، عَقِبَ اجتماع مُنَظَّمٍ للاحتجاج ضد الامبريالية الأوربية، رجاءً لصالح

108 بالنسبة للوزير، هذا المؤتمر محرك من طرف الكومنترن، الذي سيفرض عليه «توجيهاته» التي ستكون أهمها «انعتاق البلدان الاسلامية الخاضعة الى الهيمنة الأجنبية» إن قاضيا سابقا لمكناس يدعى أحمد البلغيتي، هو الذي اختير، بحكم «تبحره» و«آرائه المتقدمة»، لكي يمثل المغرب MAROC RSD 91 SHA (16، رسالة رقم 430، لـ 6 مارس 1928، من أوربان بلان، المنتدب لدى الاقامة العامة الى وزير الشؤون الخارجية) لقد أخذ أوربان بلان قسما من معلوماته من الجنرال فرايدنبرغ، قائد منطقة مكناس (انظر رسالة هذا الأخير، رقم AIC 376 في 14 دجنبر 1927، نفسه، 530 3715 AI Fés).

إن اتهام موسكو وبرلين بمماسة المؤتمر الاسلامي ليس مطلقا ففي المذكرة النهائية المكونة من عشر صفحات والتي وجهتها الشؤون الخارجية الى وزارة المستعمرات حول الاجتماع المقبل للمؤتمر بالقدس في 1931، ليس ثمة أية إشارة الى النفوذين الألماني أو السوفياتي. AN SOM Aff. polit. 907/6 (رسالة رقم 365 في 3 دجنبر 1931).

109 أنظر بالأخص SHA MAROC RSD 79 و91 (أخويات، جمعيات) والتقارير الشهرية للحماية (الوضعية الاقتصادية والسياسة) خاصة في 1934.

110 بعد أن سئل عن نشاطات هذه الجمعية، أجاب هنري كايار، وزير فرنسا في القاهرة أن الاتحاد المغاربي لم يعد له وجود منذ 1913! وقد أضاف الصانع القديم لمعاهدة الحماية في المغرب : «أما فيما يخص إرسال الكتب أو المناشير الى افريقيا الشمالية، فليس ثمة، حسب علمي أية منظمة اسلامية من مصر مكلفة به حاليا» SHA MAROC RSD 91 (رسالة رقم 55 في 8 مارس 1928 الى الشؤون الخارجية).

111 نفسه، مذكرة 13 مارس 1930.

112 الوضعية السياسة والاقتصادية، 16 — 30 شتنبر 1934

113 SHA MAROC RSD 91 (مذكرة SR Fés رقم 7944 في 16 شتنبر 1927).

استقلال البلدان العربية، من بغداد الى طنجة (114). ويعتبر شكيب أرسلان نفسه مُنشِّطاً لـ «الجمعية الأندلسية للثقافة المغاربية» وهي آخر تناسخ للفرع الطنجاوي لـ «الاتحاد المغاربي» (115). فهذا الشّخص، بالنسبة للمصالح المختصة، تعبير مُكْتَمِل لـ «تواطؤ أعداء فرنسا» : لقد وضع هذا الأرستقراطي السوري (116)، والمثقّف المُرهف، الذي يُعْتَبَرُ باعثاً لنهضة العالم العربي. كل وسائله النادرة في خدمة تحرّر الشعوب الواقعة تحت السيطرة الفرنسية (والانجليزية)، فحظي، على هذا الأساس بتعاطف ومساعدات الحكومات الألمانية والسوفياتية (117).

بالنسبة للمصالح المُختَصَّة، يُعْتَبَرُ انتشار الوَهّابية في الأوساط الاسلامية هو ما يُمكِّنُ أكثر من ضبط طرق تسرّب الشيوعية. نعرف بأن سلطات الحماية تشير بلفظة «الوهابية» هذه (118) الى حركة تجديدية تنتشر في مدن المغرب، تكافح من أجل العودة الى ينابيع الاسلام، وتعارض الخرافة والكيانات الدينية المتجسّدة في المؤسستات الطرقية. وبالنسبة للسلطات، تُعْتَبَرُ هذه العقيدة الجديدة خطيرة على نحو خاص : «إنها إذ تروم تجديد الاسلام، تطالب باستقلاله، ومن وجهة النظر هذه، تقترن الوهّابية بالشيوعية» (119). وتدْعيماً لهذا الاتهام، تذرّعت السلطات بالتصريحات «العفوية» التي أدلى بها بعض الوُجهاء (120).

114 الوضعية السياسية والاقتصادية، مشار اليه سابقا.

115 نفسه، 16 ــ 30 يونيو 1934 و RSD 91 (مذكرة رقم 3318 في 17 مارس 1928، من المفوض عميد أمن الرباط).

116 ولد في 1869، في عائلة درزية كبيرة من لبنان، وقد تلقى شكيب أرسلان دراساته ببيروت، ثم أقام تباعا في القسطنطينية حيث احتلط بالمصلح الشهير الأفغاني، وفي باريس وفي لندن. في سن الثلاثين، كان من ألمع صحفيي العالم العربي. وإبان الحرب الايطالية ــ التركية، صادق الجنرال انفير باشا وبعد أن كان نائبا في البرلمان التركي في 1913، صار في 1917 في مهمة ببرلين. ثم استقر غداة الحرب في جنيف وصار بطل القضايا العربية لدى جمعية الأمم، عن علاقاته بالوطنيين المغاربة، انظر الجزء الثالث.

117 الوضعية السياسية والاقتصادية، 16 ــ 30 يونيو 1934. لقد اتهم بالخصوص بتلقي إعانات مالية ألمانية لقد كان معجبا ومحبا كثيرا لكيوم الثاني، وسيبدي نوعا من التعاطف مع ألمانيا الهتليرية. ومن جهة أخرى، لم يفُت المصالح المختصة أن تبرز علاقاته مع إنفير باشا والأسبوعين اللذين قضاهما في الاتحاد السوفياتي بصحبته.

118 الوهابية مذهب إصلاحي إسلامي نشأ في العربية السعودية في القرن الثامن عشر.

119 SHA MAROC RSD 79 (116، تقرير رئيس الأمن الجهوي لفاس، كيديسيلي، رقم SR 4730 في 21 مايو 1928). «إننا نجد تأثير الأهمية الثانية في حركة دينية مستوردة حديثا الى المغرب، فالوهابية تبدو لي بأنها تشرع الباب للشيوعية».

120 «تمثل الوهابية خطرا كبيرا على الاسلام. إن هذا الخطر يمكن أن يقارن بالخطر الذي تهدد به البلشفية سلم أوربا وإنه لما يخشى منه أن تتحدا لزعزعة المجتمعات وخلق نزاعات دموية بين الاخوة. فللوهابية ممثلوها في المغرب. وأغلبيتهم يخفون وراء هذا المذهب، الذي يزعم أنه يريد العودة بالاسلام الى مفاده الأول، مشاعر معادية للأجانب. في هذه الأرض (المغرب) كل وهابي يدعي بأنه شيوعي» نفسه، RSD 91 (نشرة معلومات فاس في 26 يناير 1928 : تصريح سيدي محمد الزمزمي، ابن المرحوم بن جعفر الكتاني).

وترى السلطات بأن الأفكار الشيوعية وذات الجنوح الاسلامي لا تروج في المغرب عبر الوسيط الألماني وحده، بل أيضا عَبْر القناة البريطانية. ففي أرض الاسلام، تُعْتَبَرُ انجلترا عَدُوّاً مُحْتَمَلًا، هكذا يعتقد أولئك الذين يرون في كلّ مكان يد العقيد لورنس (121). وقد كان لمصالح الحماية سَبَبٌ خاص للاشتباه في الانجليز : فالديبلوماسية الفرنسية لَمْ تُفْلِحْ في الحصول على إلغاء الامتيازات الأجنبية التي يتمتعون بها. هكذا كانوا يمتلكون مكاتب بريد مستقلة، أي وسائل اتّصال بالخارج يُمْكِنُهم وضْعها رَهْن إشارة الرّعايا المغاربة في الاتجاهين معا، دون أن يكون بإمكان الادارة الفرنسية أنْ تتدَخّل (122). من جهة أخرى، كانت الدّعاوي المتعلقة بالرعايا البريطانيين، كما بالرّعايا المغاربة المشمولين ب «حمايتهم» تفلت من العدالة الفرنسية أو من عدالة المخزن وتُنْقَل الى محاكم قنصلية. وهذا وحده كافٍ لكي يُغْضِبَ بعض الشيء مصالح الأمن المتحرّية عن المَسَالِك التي يحصل المغاربة عَبْرها على الكُرّاسات والجرائد الممنوعة، ويُداومون الاتّصال بمراسليهم الأجانب (123). فَبَعْدَ أنْ ذَكّرَتْ هذه المصالح بأنّ انجلترا «هي التي سَلّحَتْ عبد الكريم ضِدَّ إسبانيا ثم ضِدَّ فرنسا» سَعَتْ الى البَرْهَنَةِ بأنها، أي انجلترا، تستعمل الشيوعية «كنقطةِ ارتكازٍ لسياستها في المغرب (...) ببراعة أخْطر من براعة الألمان» (124). هكذا اتُّهِمت انجلترا باستعمال الشيخ الطنطاوي ـــ «المُعَلّم الكبير للدعاية الانجليزية ـــ البلشفية في العالم الاسلامي»، ومُنَظِّم كل المؤتمرات ذات السِّمة الاسلامية ـــ وشهرته في المغرب للتغلغل في أوساط البورجوازية المُثقّفة ومهاجمة السياسة الفرنسية. لقد رأت تلك المصالح بأن العمل البريطاني يتطور، خاصّةً في الرّيف وفي منطقة طنجة حيث كان الطنطاوي على صلةٍ بزعيم الزّاوية الدّرقاوية، وبفيليبي تشيكا، مُنَشِّط «الجمعية الأندلسية للثقافة المغاربية» (125). إن أعضاء هذه الرّابطة معروفون لدينا (126)؛ هكذا يطالعنا التخريب البلشفي المناهض لفرنسا بوجوه غير متوقعة : قبطان سابق في الجيش البريطاني (127)؛ دكتور انجليزي، وهو طبيب سابق لعبد العزيز وصديق الكلاوي، كما أنه مدير

121 لم تكن أوساط اليمين الفرنسي وحدها التي كانت تخشى لاورنس وتطلق العنان لخيالها بخصوصه، قد ذهبت لوسوسيالست ماروكان الى حد تأكيد أن «حضور (ه) مشار اليه ومبرهن عليه أيضا (التشديد منا) بمجرد ما يندلع من المغرب إلى الهند عمل عربي مشترك»، 11 نونبر 1933، ص. 2.

122 بالرغم من أن الأمريكيين كانوا يتمتعون من وجهة نظر الظهير المنظم للامتياز اليهودي بحرية كاملة، فإنه لم تكن لديهم مكاتب بريد في المغرب. وستغلق المكاتب الانجليزية نهائيا في 15 غشت 1937.

123 SHA MAROC RSD 91 (16، مذكرة OLR رقم 35 في 11 يناير 1932).

124 نفسه، RSD 79 (IIb، تقرير رقم SR 5468 لفاس في 29 يوليوز 1927 : «الحركة البلشفية والدعاية الانجليزية في افريقيا الشمالية»). انظر أدناه، الفصل السابع.

125 نفسه.

126 SHA MAROC RSD 91 (رسالة المفوض عميد الأمن بالرباط، كاريو، رقم 3318 في 17 مارس 1928).

127 بيرسفورد ماندبي · لقد تم التوضيح به على علاقة بيلاك هاوكينس (المورط في تهريب الأسلحة نحو الريف).

شركة مِلاحَةٍ انجليزية ومراسِلٌ لـ شيكاغو تريبون *؛ دبلوماسي بريطاني، وهو عضو سابق بمفوضية انجلترا غَدَا عُضْواً في الجمعية التشريعية لطنجة؛ محميين انجليز من بينهم المنبهي، الوزير السَّابق لعبد العزيز؛ ومحميين إسبان مغمورين.

«عملاء موسكو»

إن حضور «عملاء موسكو» في المغرب يمثّل مُعْطًى أساسياً لتَكَوُّنِ أسطورة عدوانٍ بلشفي على الحماية الفرنسية. لقد كان بعضهم مَوْضع شُبُهات لاغير. إنْ بسبب صفتهم كمُمَثِّلين للحكومة السوفياتية (128)، أو لأنه يُعْتَقَدُ بأنهم كانوا، في فترة من حياتهم، على صلةٍ وثيقةٍ بالبلشفيين (129). أما آخرون فكانوا يُعْتَبرونَ مُحَرِّضين خطيرين حتَّى وإن لم تقم أيَّة علاقةٍ مباشرةٍ بين نشاطِهم الثوري ـــ المُفْتَرض أو الأكيد ـــ والحماية الفرنسية (130).

إنَّ «العُمَلاء» الأكثر أهميَّةً، أولئك الذين ترد أسماؤهم باستمرار، هم المُكلَّفون حسب المصالح المُختصَّة، من طرف موسكو بمهمةٍ خاصَّةٍ في المغرب : ويتعلق الأمر إمَّا بجمْع معلومات ذات طبيعة مدنية أو عسكرية للحكومة السوفياتية أو للكومنترن، وإمَّا بتطوير دعاية وتحريضٍ ذي طابَعٍ مُنَاهِضٍ لِفَرَنْسَا. وأوّل من ظَهَر مُبَكِّراً، حسب أبحاثنا، هو آندري جوليان (131). فمنذ 1921، سُجِّلَتْ عودتُه من موسكو (132) حيث كُلِّف بمهمّة «إثارة»

* Chicago Tribune

128 كان بيكولامو، وهو وكيل تجاري للسوفيات في برشلونة. عند مروره بالدار البيضاء وبطنجة في مارس 1936، «عميلا محتملا للكستانو» (كذا) حسب المصالح التي شددت على أهمية تنقلاته (فقد كان عليه أن يتوجه الى فرنسا، سويسرا، بلجيكا، النمسا، هنغاريا، تشيكوسلوفاكيا وبولونيا. SHA MAROC RSD 128 (مذكرة OLR رقم 582 في 12 مارس 1936، مذكرة المفوض عميد أمن الدار البيضاء رقم 14085 في 21 مارس 1936، مذكرة OLR رقم 930 في 17 أبريل 1936).

129 رفائيل مانفريد، المزداد في ريكا في 1886، وهو مصور متنقل منذ أكتوبر 1925 بالدار البيضاء، «يبدو أنه الصديق الشخصي لتروتسكي» نفسه، RSD 79 (II C، مذكرة 29 يونيو 1927).

130 يبدو أن فيتوريو بالي، وهو شيوعي ايطالي نشيط جدا، ومقيم في اسبانيا، قد قام بأسفار متوالية الى المغرب. وبعد أن اعتقلته الحكومة الاسبانية وإذ كان على وشك أن يسلم بطلب من الحكومة الايطالية، تم فقط طرده، على إثر مظاهرة «شيوعية» في برشلونة، إذ ذهب الى فرنسا، يسجل المحرر، سيجد فيها «على وجه الاحتمال شيوعيين ايطاليين ذوي صلة ببعض محرضي المغرب» نفسه، (مذكرة OLR رقم 719 في 2 غشت 1931). من جهة أخرى، قلقت الاقامة العامة بالرباط من الوصول القريب لاسبانيا لأحدهم يدعى بيديس، «مبعوث خاص للاتحاد السوفياتي»، مكلف بـ «تكثيف الدعاية السوفياتية» وتخوفت من أن يقدم على عبور المنطقة الفرنسية للحماية، نفسه، الشؤون الأهلية فاس 291 510 (رسالة رقم 733/DAI/C/3 في 31 مارس 1931 الى الجنرال قائد منطقة فاس).

131 يتعلق الأمر بشارل ـــ أندري جوليان.

132 لقد شارك ش. أ. جوليان في المؤتمر الثالث للأممية الشيوعية المنعقد في يوليوز 1921. إن تدخله وكذا النقاط المأخوذة خلال حوار كان قد تم قبل ذلك بأسابيع من تشيتشيرين، نشرت، مع تقديم لمادلين روبيريوكس، في **لوموفمون سوسيال**، رقم 82، يناير ـــ مارس، 1973، ص ص 103 ـــ 113.

اضطرابات في إفريقيا الشمالية»، وحسب «التعليمات الدّقيقة» التي بُلّغتْ إليه من طرف اللجنة التنفيذية للأممية الشيوعية فإنه قد «أُوصِي بالاستفادة بشكل خاص من الأحداث التي تجري في الجزء الاسباني من المغرب (133) لمحاولةِ القيام بأمر ما في منطقة نفوذنا. إن له مطلق السلطات لكي يتصرّف في إفريقيا الشمالية، بارتباطٍ مع شيوعيين إسبان وعرب، وإيطاليين ومصريين». وقد تَمَّ التوضيح بأن موسكو ستُخْبَرُ «كل أسبوع»، عَبْرَ جنيف، بنشاط جوليان (134). بعد سنةٍ من ذلك، تعلق الأمر بأحدهم يُدْعى باولينو دياز، الذي من الممكن أن يكون قد قدم الى المغرب «للقيام بدعاية شيوعية لدى القبائل»؛ وقد توفر لهذا الغرض على أموال وُضِعَتْ رهن إشارته من طرف موسكو (135). حسب وزير الدّاخلية، كان كيلفان، وهو سكرتير القنصلية العامة للاتحاد السوفياتي في باريس، منذ 1926 «مُكلّفاً على الخُصوص بنقل الأوامر من الكيبّيو * إلى الفِرْقة العاملة بالمغرب» (136). أمّا ستيير، وهو من الرّعايا الرومانيين، وصيدلي مقيم في طنجة، فقد كان مُعْتَبَراً كـ «عميل سوفياتي، يلعب دور الوسيط بين موسكو والرّيف» (137). وهناك كُنُودْ هولَمبُو، المزداد في هولندا، الذي وصل الى المغرب بصفته صحفياً، ثم أستاذاً لِلّغات الأجنبية بالدار البيضاء، والذي كان عميلا سرّيا من طراز خاص : فهو «يُشْهِرُ على نحو جدّ عَلَنِي أفكارهُ ومشاريعه (و) يصرّح بأنّه قدِم الى المغرب بعد إقامته سنتيْن في روسيا، لانشاء ارتباطٍ بين الأممية الثالثة والمغرب». لقد ذَكَرَت السّلطات علاقاته مع محمد الصقلي، وهو كُتُبي بالدّار البيضاء، ومشبوه بترويج العقيدة الوهّابية (138). غير أنّ فكتور سبيلمان هو الأكثر رزانة فيما يبدو. إن نشاطاته كصحفي بالجزائر جعلتْ منه مناضِلاً معروفاً منذ أَمَدٍ طويل (139)، لكن الأسفار التي من المفترض أنّه كان يقوم بها للمغرب مُحاطة، حسب المصالح، بكثير من الغموض : أَوَ لَمْ يُعْتَبَرْ، انطلاقاً من 1927 كـ «ممثّلٍ للأممية الثالثة» (140).

133 تم الانتصار الكبير لعبد الكريم على الاسبان في أنوال في يوليوز 1921.

134 SHA MAROC AI Fés 530 3715 (مذكرة رقم 2486/DR/2/3 في 30 شتنبر 1921، من مدير الشؤون الأهلية ومصلحة الاستخبارات).

135 نفسه (مذكرة رقم 171 RC في 13 يوليوز 1922، من الجنرال ديشير القائد مؤقتا منطقة تازة).

* البوليس السّري الروسي.

136 نفسه، RSD 79 (II c1، رقم 35، رسالة بـ 9 مايو 1928).

137 نفسه. (II c1، رقم 5، مذكرة بـ 13 أبريل 1926).

138 نفسه (مذكرة SR II 238/D بـ 26 أكتوبر 1928 و VM F 17 (مذكرة المكتب الثاني، 4 دجنبر 1928).

139 إنه عضو المنطقة الجزائرية للحزب الشيوعي الفرنسي، ومدير تر دونيون، وهي صحيفة «محبة للأهالي» تصدر بالجزائر، ومعاون لالوت سوسيال، وهي جريدة شيوعية. ويبدو أنه توبع أمام المحاكم في 1925 وبرئت ساحته. إننا نجده في الثلاثينيات، بعد قطيعته مع الحزب الشيوعي، بصفة معاون ظرفي لأولى الجرائد الوطنية المغربية، الصادرة بالفرنسية.

140 نفسه، RSD 79 (II c رسالة رقم 7469 في 6 أبريل 1927 من رئيس الأمن الجهوي للدار البيضاء، الى الديوان العسكري للمقم العام).

يُعْتَبَر فيليب تشكيا شخصاً من طراز مغاير. فهو إسباني [141]، مُثَقَّف، وبعد أن تابع دراساته بالقاهرة، غدا معروفا كـ «مثقفٍ عربي مُرْهف». لقد جَمَعَ حوله، بطنجة، البورجوازيين المسلمين الشباب، وصار وكيلًا قوي الفعالية للجمعية الثقافية الأندلسية بالمغرب، ومراسل جمعيات مختلفة للدعاية الاسلامية [142]. ولا تتردد بعض التقارير في أن ترى فيه مندوب المغرب لدى العصبة ضد الامبريالية والاضطهاد الاستعماري [143] وأحد مدعوي موسكو الى الذّكرى العاشرةِ للسوفييت [144]. لكن مع ذلك لايبدو، أنه اعتُبِرَ دائِماً عميلًا شيوعيا، بل الأخرى عميلًا للحكومة الاسبانية [145]، تجعله علاقاته مع الأوساط العربية (خاصّة الزّاوية الدّرقاوية) ومع بعض الأوربيين المعروفين بعدائهم لفرنسا، على الخصوص، محطّ شبهات مصالح الرباط. وفي طنجة أيضاً، اكْتشَفَ أَحَدُ المُخْبِرين أحد الأشخاص المغاربة كان يوجد في عطلةٍ بمدينته الأصلية، «مُرْتَدِياً وِفْقَ الموضة الروسية» (كذا)، ولم يتردد في إخباره بأنّهُ يقيم بالاتحاد السوفياتي حيث يتلقى تعليمه «بمدرسةٍ بلشفية رفقة عددٍ كبير من إخوانه في الذّين أُخِذوا من المغرب والجزائر» وحالما سينهي دراسته، سيعود نهائيا الى بلاده [146].

قليلات هنّ النساء اللواتي بُلّغ عنهن كـ «عميلات شيوعيات». ينبغي الاشارة مع ذلك الى سيدةٍ تُدْعى آرنال بطنجة [147] وخاصة هُنْرِييتْ أزيمَا. إن قصّة هذه الأخيرة تشبه رواية سيئة من روايات الجاسوسية. لقد كانت تمارس نشاطاتها في مرسيليا حيث نُسِبَ إليها عَدَدٌ مُدْهِشٌ من العُشّاق يُفْتَرَضُ أنهم كانوا كذلك ضحايا لدسائسها السّرّية [148]. ثم توجّهت الى القسطنطينية حيث مارست، فَوْق ذلك، تهريب الكوكايين، ومن هناك الى

141 ولد في بانيير ـدو ــ بيكور، في 1893، من أب إسباني وأم مولودة في بوينس إيرس، وهو ما يفسر كون فيليبي تشيكا يعتبر في بعض المذكرات أرجنتينيا (I c1) SHA MAROC RSD 91.

142 كريما ديلس، مشار اليه، ص ص 260 ــ 261.

143 حسب كيديسيلي، المفوض الخاص لفاس، الذي كان يكتب اسمه، تبعا للظرف، «تشيكا» SHA MAROC ! RSD 91 (زوايا، جمعيات، مذكرة رقم 9111 في 12 أكتوبر 1927).

144 نفسه. لقد قال عنه أوربان بلان، الوزير المنتدب لدى الاقامة العامة، في رسالة الى الشؤون الخارجية بأنه «مشتبه كثيرا بكونه عميلا لموسكو» نفسه. (1b، رسالة رقم 430 في 6 مارس 1928).

145 حسب تأويل المصالح الفرنسية، فإن الاسبان بعد أن كانوا على وشك طرده ، قدموا له عروضا فصار عميلهم الرئيسي. نفسه. (1 c1) ورسالة القبطان سيروكوس رقم 124/R في 25 أبريل 1928 الى مدير الشؤون الأهلية.

146 نفسه، RSD 79 (II b، مذكرة 390 في 21 يونيو 1932، مرسلة من طرف ديوان المقيم العام الى مدير الشؤون الأهلية).

147 نفسه (II c1).

148 من بين هؤلاء، المدير الباريسي لـ نيويورك هيرالد، قنصل اسبانيا في فينيا، الذي كان سابقا في مرسيليا، قنصل تركيا الذي قتل في مرسيليا، وكذا حلعه الذي لايزال عاملا، قبطان حراقة من قاعدة هيار و... مغني شهير عازف على الأكرديون. نفسه، RSD 128 (مذكرة OLR رقم 1024 في 25 أبريل 1936).

المغرب حيث عقدت النية على الزّواج من ضابطٍ طيّار ينتمي لعائلةٍ أرستقراطية : لكن هذا الأخير قُتِلَ في حادث طائرةٍ نَجَمَ عن عملٍ تخريبي : وقد وضّح ضابط المخابرات بأنّه «في الفترة بالذات التي أقامت فيها هذه المرأة بالمغرب، وقعتْ حوادث جوّية عديدة ناجمة عن أعمال تخريبية لم تكن هي بعيدة عنها» (149).

عندما تُوَضّح الخصائص البّدنية والمعنوية للأفراد المُشار إليهم، نادراً ما تكون هذه الخصائص محايدة . فلِ مُو «حاجبان أسْوَدان كثّان : إنّه النّموذج الحقيقي ليهوديٍّ البلطيق» (150). وسْتير يقوم بتهريب الكوكايين «الّذي يُخْفيه تحت عيّناتٍ من مواد صيدلية» (151). أما بالنسبة للويس لورينزي، المعروف بأبريان فيمارس النّصْب (152). لكن إذا حكمنا على كل هذا انطلاقاً من التقديرات الواردة حول سان ـــ مارك رومان (153)، فإن مجرد جَمْع معلومات جيدة حول «عميل» مُفْتَرض يمكن أن يكون من شأنه تبرير أخطر التوجّسات (154).

بصفةٍ عامّة، لم تكن التُّهم الموجَّهة الى «عملاء موسكو»، والتي أسْلَفْنا بصَدَدها بعض الأمثلة، مُرْفَقَةً بأيِّ عنصر إثبات. بل حَدَثَ بالنسبة لبعضهم أنِ اعتبرت السّلطات في الأخير بأنَّهُ من غير الممكن إثبات الوقائع المنسوبة إليهم (155). فَضْلًا عن ذلك، إنه لذو دلالة خاصّة ألّا يكون أيٌّ واحدٍ من الأشخاص السّابق ذِكْرُهم، قد خَضَعَ لمتابعاتٍ قضائية، أو حتّى لاجراءات طرد، في حين كانت للسلطات المدنية والعسكرية سلطات تقديرية واسعة. وأخيراً، من النادر أن يَرِدَ في تقريرٍ مُوَجّهٍ من الرباط الى باريس، ويُجْمِلُ وقائع المناورات الثورية والشيوعية في الحماية، ذِكْرُ «عملاء موسكو» الذين أسْلَفْنا الحديث عنهم. لكن سيكون

149 نفسه، (مذكرة OLR رقم 1157 في 8 مايو 1936).

150 SHA MAROC RSD 128 (إرسالية رقم 14085 في 21 مارس 1936 من المفوض عميد أمن الدار البيضاء إن الملاحظة المعادية للسامية مستعدة نصيا في OLR رقم 930 لـ 17 أبريل 1936).

151 نفسه، RSD 79 (IIC1، رقم 5، مذكرة مفوض الرباط في 14 يونيو 1927)، لكن ثمة أية علامة قدمت لتدعيم هذا التأكيد.

152 نفسه. (IIC1، رقم 44).

153 لم يكن سان ـــ مارك رومان مشبوها بكونه «عميلا» لموسكو، لكن صفته كرفيق لمكتب علمي، المبعد من المغرب بسبب دعاية شيوعية في 1925، ستجعل منه أيضا مشبوها بعد عامين من ذلك. نفسه. (IIC1 رقم 8، مذكرة 29 يونيو 1927).

154 «حسن السلوك في السكك الحديدية (حيث هو مستخدم). إن مسلكه لم يسمح أبدا بإثبات انتساب أكيد الى الحزب الشيوعي ذكي ومثقف، طمع رزين. يصلح لأن يكون زعيما خطيرا لأحد الأحزاب». نفسه

155 إنها حالة كيلمان (SHA MAROC RSD 79، IIC1 رقم 35) مثلما هي حالة ستيار الذي لم يؤخذ عليه في الأخير أي نشاط ذي طابع سياسي. نفسه (مذكرة 14 يناير 1927). وعندما اتصل «أحد المخبرين» بسايلمان لكي يجعله «يكشف عن نفسه»، لم ينته الى شيء. نفسه. (مذكرة S/54049 لـ 8 مايو 1928)، بينما لم تتوصل الشرطة التي تعقبت مو عند تنقله في المغرب، وأنصتت اليه بدقة، من الوقوع على أدنى علامة لنشاط سري نفسه. RSD 128 (مذكرة 14085 في 21 مارس 1936).

من التهور أن نستند الى قلة الثقة الموضوعة في هذه الوثائق لنخلص الى ضرورة تنحيتها من حقل بحث المؤرخ. إنه يبدو لنا، أنه من المستحيل فعلا فَهْمُ المواقف المُتَّخَذَة تجاه السياسة الشيوعية في المغرب دون أخذ المُناخ المُصْطَنَع من طرف المصالح بعين الاعتبار. فالعدد الوافر للبطائق الفردية المُحَرَّرَة، والمتنقّلة بين باريس والجزائر والرباط، وداخل الحماية، من مصالح البوليس ومكاتب الاستخبارات الى أعلى مستويات الاقامة العامّة، ثم المردودة من هذه الأخيرة الى مختلف مراكز القيادة المدنيّة والعسكرية، يَشْهَدُ بالأهمّية المُعْطَاة لَهُمْ. وخلاصة القيمة الممنوحة من طرف السلطات للمعلومات المتعلقة بهذا «العميل» أو ذاك، وهو ما يهمنا هنا، هو أنها تساهم في الحفاظ على شعورٍ بالالتباس والخطر يشجع التأويلات الأكثر بعدا عن الواقع.

التسرب الشيوعي داخل الجيش

هناك عنصرٌ آخر لـ «المؤامرة البلشفية» في المغرب : إنّه اكتشاف خلايا شيوعية داخل وحدات الجيش المُرابطة داخل الحماية، على أهبة شنّ عمل ثوري بتنسيق مُحْتَمَل مع العناصر الوطنية وذلك ضمن مشروع «انفصالي» و«مناهضٍ لفرنسا».

منذ 1921، أتاح اعتمادِ تدابير هادفة لمنع الدّعاية الشيوعية داخل الجيش وبالأخص داخل الفيالق الاستعمارية، الفُرْصَةَ لتوجيهاتٍ وزارية تَمَّ التذكير بها مرّاتٍ عديدة أثناء احتلال الرّور وحرب الرّيف (156). وفي 1927، بَلَّغَ المكتب الثّاني لوزارة الداخلية، «من مصدرٍ موثوق»، لائحة التنظيمات الشيوعية الموجودة داخل الجيش الفرنسي. وحَسَبَ هذه الوثيقة، توجد تِسْعُ خلايا في الوَحَدات المُرابطة في المغرب، لكن لا تتوفر أيّة معلومة لاعن تركيبتها ولا عَنْ نشاطها (157). بخلاف ذلك، عندما أَجْمَلَتْ مَصْلَحةُ الأَمْن العام للحماية وَضْعَ النشاط الشيوعي، في شهر يوليوز من نفس السَّنة، وَضَّحَتْ بأن «وجود شبان مجنَّدين في المغرب معتَبرين تابعين لتنظيمات شيوعية» وخاضعين لمراقبة خاصَّة، «لم يثر بعد أية مصاعب» (158). وبعد أشهرٍ من ذلك، نَبَّهَتْ سلطات الحماية الى وجود «محاولةٍ واضحة للدعاية المناهِضة للنزعة العسكرية لدى جنود الاحتلال في المغرب». لقد تعلّق الأمر، في الواقع، بإرسال جريدة لاكازيرن * ومنشور من مراكش والدّار البيضاء. لكنّ الأَمْن العام

156 تعليمة في 19 ماي 1921 مشتركة لوزارتي الداخلية والحربية، تم التذكير بها من طرف الجنرال نولي، وزير كارتيل اليسارات، في مذكرته لـ 6 دجنبر 1924، AI Fés 530 3715 SHA MAROC (C4)، مذكرة رقم 15047/K). فيما يتعلق بوقع الدعاية الشيوعية في المغرب إبان حرب الريف، انظر أدناه، الفصل السابع

157 AN F7 13099 (ورقة إرسال 31 مايو 1927).

158 من جهة أخرى، فإن أحدهم «محمد التطوع» يدعى ليموران، وهو منحدر من لالوار، ومشار اليه من طرف والي مقاطعته باعتباره فوضويا مشهورا، كان محل تقديرات جيدة من طرف رؤسائه. (IIa) SHA MAROC RSD 79

* La Caserne

بالرباط وَضَّح بأن كُلَّ الذين أُرْسِلَتْ لهم هذه المطبوعات «مُقَدَّرين بأجمعهم كجنود نشيطين، وممثلين، ومُحَرِّكين بمعنوية جيّدة» (159).

في 1928، تحدّثت تقارير عن «اجتماعاتٍ لعسكريين منتمين للحزب الشيوعي» بالدّار البيضاء. لقد كانت تلك الاجتماعات سَتُنَشَّطُ من طرف فَيْلَقِيٍّ فرنسي سابق معروف بإسم الرقيب كاباي : ويحضرها جنودٌ عديدون من الفيلق الأوّل لـ زُوَاف، وعند إقامة الأسطول، أربعة مُساعدي ضبّاط صف. إن السلطات العسكرية والأمن الذين كانوا يُخْبَرون، عِياناً، بواسطة واحدٍ (أو عَدَدٍ) من «المُنْضوين» بدوا مُطمئنين لفحوى الأحاديث التي نقِلتْ إليهم (160).

لقد كان انتباه القيادة ينصبّ، دورياً، على بعض العسكريين الذين يفترض ارتباطهم بالحزب الشيوعي بسبب علاقاتهم الرّسائلية، وقناعاتهم المناهضة للنزعة العسكرية أو بسبب أحاديثهم المُنْتَقِدة لغزو المغرب (161). غير أنه في كل هذه الحالات، لم تُعْتَبر القضية مُهِمَّة بما يكفي لاستتباع عواقب تأديبية تُبَلَّغ للسلطة العليا.

في 1935، نجد سلسلتين من المراسلات تسمحان باستجلاء التحريض الثّوري داخل الجيش. لقد تمت أولاهما في إطار تحرّي ذي طابع عام حول العمل الشيوعي في المغرب، أُنجِزَ لدى مختلف المسؤولين المدنيين والعسكريين للحماية. فباستفسارهم، سعى الوزير المنتدب لدى الاقامة العامة، الى إخطارهم، مسبقاً، بأنَّهُ يُسَلِّمُ بكون «تطور الدعاية الشيوعية في إفريقيا الشّمالية، المُشجَّع باستمرار من طرف الأزمة الاقتصادية والمحافَظ عليه على نحو محتملٍ من طرف تأثيرات أجنبية، قد استفحل خلال الشهور الأخيرة، بارتباطٍ وثيقٍ مع نشاط العناصر الوطنية في الجزائر، في تونس وفي المغرب...» (162). وفي جوابه، رأى الجنرال هوري، القائد الأعلى لقوات المغرب، بعد أن أبدى تحفظاتٍ مَرَدّها الى نقص وسائل معلوماته (163)، بأن عليه أن يؤكّد بأن التقارير الواردة إليه «لم تستدع أية ملاحظة من وجهة النظر الشيوعية». وأضاف قائلا من جهة أخرى : «يبْرزُ مِن المعلومات المُقَدَّمة من طرف رؤساء الدوائر القضائية العسكرية للمغرب أنه لم تُرْفَعْ إلى المحاكم العسكرية أية وقائع تهُمّ العمل

159 **AN F7 131 43** (رسالة رقم **16142 SG** في 4 نونبر 1927، موجهة الى وزير الداخلية، ومعاد إرسالها من طرف هذا الأخير الى وزير الحربية في 17 نونبر). انظر أيضا المراسلة الموجهة من طرف الجنرال قائد فرع الدار البيضاء، **SHA MAROC RSD 79** (**IIb**، رسالة رقم 265 في 26 أكتوبر 1927).

160 انظر نفسه **RSD 79** (**II a**، مذكرة رقم 7256 من مكتب الشرطة الادارية في 19 أبريل 1928 و **II b**، مذكرة **SR II b 1** رقم 7 في 20 يونيو 1928).

161 نفسه، **II b**، مذكرة الأمن العام في 7 مارس 1930، **II C1**، رقم 15، 19، 38، 46، ومذكرة 9 يوليوز 1929.

162 **SHA MAROC RSD 88** (عمل شيوعي، رسالة رقم **216/CMC** في 21 فبراير 1935).

163 لإن مكتبها الثاني «لايتوفر على أية مصلحة مكلفة بإطلاعها مباشرة على تظاهرات العمل الشيوعي، سواء في الأوساط الأوربية أو في الأوساط الأهلية، هذا ليس صحيحا تماما : أنظر أدناه، مصادر الأسطورة.

الشيوعي. وحدها محكمة مكناس كُلِّفت بمتابعة دومون، المطرود حالياً بسبب تهجّماته على حقوق الجمهورية الفرنسية وسلطاتها في المغرب وبسبب إدخاله وتوزيعه جرائد ممنوعة» (164).

في أبريل، أعادت الاقامة الكرّة : لقد تعلق الأمر، هذه المرة، على نحوٍ أدق، بالعمل المُدَبَّر من طرف الشيوعيين داخل الجيش. وقد رفعت الشؤون الخارجية الى الرّباط مراسلةً من الحربية تقول : «إن الأحزاب الثورية لفرنسا التي تحاول نشر أفكارها في البلدان الموجودة تحت حمايتنا وتؤازر فيها حركات محلية، تُجْهد نفسها أيضا للوصول إلى وحداتنا الأهلية وذلك بقيامها لدينا بدعاية مناهضة للنزعة العسكرية ومعادية لفرنسا». ففي تونس على الخصوص، تم جَمْعُ «حجج دامغة» لذلك النشاط (165). لذلك، استخلص الوزير بأنه لم يعد ممكناً «تحمُّل عمل ثوري يَرُومُ تدمير دفاعنا الوطني في أحد عناصره الأساسية ويُشَكِّل، مثلما نعته السيد رئيس المجلس أمام مجلس الشيوخ، في 20 مارس المنصرم، جريمة خيانة عظمى» (166). وعندما دُعِيَ الجنرال قائد قوات المغرب للتعريف بالاجراءات المُتَّخَذة لافشال هذه الدّعاية، أجاب : «حتى الآن، ليس ثمة أية إشارة خطيرة للدعاية الشيوعية في القواتِ الأهلية للمغرب». وبكا أنه كان عليه أن يتطرق للتحريض الذي رَدَّدَ الأمن العام صداه، بالدّار البيضاء على الخصوص، فقد وَضَّح قائلا : «لا يبدو أن البؤر الشيوعية والمناهِضة للنزعة العسكرية التي ظهرتْ في الآونةِ الأخيرة بالمغرب والتي يُعْتَبر جلّ أعضائها فرنسيين بل ينتمون غالباً الى طبقاتٍ راقيةٍ من المُجتمع، سَعَتْ للدخول في اتّصالٍ مع جنود تجردةِ الاحتـلال» (167).

إن رفض القيادة العليا لقوات المغرب أن تأخذ الاتهامات المتعلقة بالتهديد الشيوعي داخل الحماية، مأخذ الجدِّ لم يمنع باريس من تجديد تحذيرها. فقد نبَّه وزير الحربية زميله في

164 SHA MAROC RSD 88 (نفسه EM المكتب الثاني رقم 242/2C في 2 أبريل 1935).

165 يمكن أن نكون فكرة عن هذه «الحجج الأكيدة» في نظر الـ «دراسة حول الدعاية المعادية لفرنسا لدى العسكريين الأفارقة الشماليين» المعدة من طرف المقيم العام في تونس والتي أرسلت نسخة منها من طرف الكي دورساي الى الاقامة العامة للرباط. إن الحصيلة التي قدمها بيرتون، البعيد عن مجاملة «المحرضين»، تتلخص كالتالي : «أولا، اكتتاب الجنود الأهالي في جريدة الأممية؛ ثانيا، اكتشاف مناشير معادية لفرنسا في حوزة بعض العكسريين، وهي من إنجاز نجمة شمال افريقيا (لم يتم الادلاء بالنص)، ثالثا، حضور اجتماعات معادية لفرنسا في لوفالوا ـــ بيري وزنقة كروا ـــ نفير (يتعلق الأمر باجتماعات نظمت من طرف النجمة الافريقية الشمالية ومرخص بها)؛ رابعا، اكتشاف بطاقات شيوعية في حوزة حوالي عشرين عسكريا من بزيت؛ خامسا، اعتقال اثنين من العسكريين في بزيت في حالة سكر يعنيان الأممية؛ سادسا، موقف مثير للسكان إزاء العسكريين في منطقة عفسة» نفسه، مذكرة 21 مايو 1935، مرسلة بورقة إرسال للشؤون الخارجية رقمها 1215 في 3 يونيو 1935.

166 نفسه. (دعاية شيوعية في الجيش، رسالة الشؤون الخارجية تحت رقم 706 في 8 أبريل 1935، مرسلة نسخة من رسالة وزير الحربية (الجنرال موران) رقم 719/9EMA في 27 مارس 1935).

167 SHA MAROC RSD 88 (رسالة رقم 290/2C في 24 أبريل 1935).

الشؤون الخارجية «الى العمل المُعْلَن أكثر فأكثر للأحزاب المتطرفة الفرنسية بتواطؤ مع الأحزاب الوطنية لشمال إفريقيا» وإلى ضرورة عرقلة هذا النشاط «إذا أريدَ وقاية عقلية الجنود الأهالي والاطمئنان الى القدرة على تنفيذ التعبئة، عند الاقتضاء، في إفريقيا الشمالية في ظروف ملائمةٍ لضرورات الدّفاع الوطني» (168). إلا أن إدارة الشؤون الأهلية بالرباط أجْرَتْ تَحَرّيا حول «عقلية الجنود الأهالي». فلاحَظَتْ بأنّ الرؤساء ـــ ويتعلق الأمر هنا بـ الجنرالَيْن قائِدَيْ فرع الدار البيضاء ومنطقة مكناس ـــ يتشكّوْنَ من الذّهنية الجديدة للعسكرين المغاربة، التي نسبوها لاقاماتهم في فرنسا، حيث عادوا «أقل ليونة وأقل طواعية». لكن بالنسبة لأصحاب التقرير، «ليس هناك فعل خاص يؤكد شعوراً من هذا القبيل» : فتطوّرٌ من هذا القبيل لايمكن أن «يُبَرْهَنَ عليه» بل فقط «أنْ يُلَاحَظَ في الحركة، والنظرة، والموقف، والأحاديث المفصح عنها صدفة». لقد حللت إدارة الشؤون الأهلية التغيرات الطارئة في الواقع ضمن شروط العيش الجديدة لحماية فرنسا في المغرب : وإنه لَيبدو لنا ذو ميزة خاصّة لكونها لم تشر في أية لحظة، ولو عرضيا، لآثار الدعاية الشيوعية (169).

هــوس الـهـيـجــان

في 5 يوليوز 1922، شَهَّر رايمون بوانكاريه، رئيس البرلمان، من منصّة هذا الأخير بـ «الهجمة الشيوعية... في إفريقيا الشمالية» : فـ «منذ عدة أشهر، أعلنت الأممية الثالثة بشكلٍ صاخب عن نيتها في نشر نظرياتها البلشفية في مِلْكياتنا الافريقية وسَعَتْ الى تهييج السكّان الأهالي فيها ضد سلطة فرنسا. ومنذ 28 يوليوز 1921 أوْصتِ اللجنة التنفيذية للأممية الثالثة لموسكو، بمناسبة الأحداث الواقعة في منطقة النّفود الاسبانية بالمغرب، بتطوير الدّعاية الثورية في كلّ مكان ممكن من افريقيا، وأيضا بإثارة ما يمكن من الهيجانات الوطنية فيها. ولم يتوقف هذا العمل البلشفي عن الاستفحال منذ ذلك الوقت» (170). إنّ التّحضير لهيجانٍ من نموذج ثوري ووطني هذا هو العنصر الأخير الذي شكّل «المؤامرة البلشفية» في إفريقيا الشمالية، والذي افْتُرِضَ أنه يعطي لكل العناصر الأخرى دلالتها الحقيقية وانسجامها.

168 نفسه. رسالة وزير الحربية رقم 2613/9/EMA مؤرخة في 3 أكتوبر 1935، الى رئيس الملحس، وزير الشؤون الخارجية، ومعاد إرسالها من طرف هذا الأخير الى هولو، المنتدب لدى الاقامة العامة بالرباط (افريقيا ـــ الشرق رقم 2149 في 21 أكتوبر 1935).

169 نفسه. «مذكرة حول الحالة الذهنية للجنود الأهالي»، مايو 1935.

170 مناقشات مجلس النواب، الجلسة الثانية لـ 5 يوليوز 1922، الجريدة الرسمية، ص 2323. لقد عثر رئيس المجلس، بوجه الاحتيال، على أساس هذه المعلومة في مذكرة لمصالح الاستخبارات تحتفظ الأرشيفات بأثرها، SHA MAROC AI Fès 5303715 C4 دعاية (إدارة الشؤون الأهلية ومصلحة الاستخبارات، الرباط، مذكرة رقم 5815/R3 في 5 شتنبر 1921).

بعد سنة من خطاب قسطنطين الشهير «الشيوعية، هذا هو العَدُوّ !» ـــ وَضّح ألبير سارو، وزير الدّاخلية، أمام مجلس الشيوخ، بأنه لاينوي أبداً محاكمة آراء الشيوعيين : «يتعلق الأمر بعملٍ مباشر، وخروقات موصوفة للقانون : دعوات الى الحرب الأهلية، مواعظ بالعصيانات، إهانات للجيش، تنظيم تمرد الجنود، إثارة الأهالي للقيام بالفتنة في المُستعمرات، تهييجات يومية للكراهية والنزعات الدّموية حَتْماً، وكل هذا يتم بأمْرٍ من موسكو، من الأهمية التي تُوَجّه وتراقب» (172). لقد زعم مورينو، نائب قسطنطين، والمنتمي للفريق الجمهوري الاشتراكي، أنه فيما يتعلق بافريقيا الشمالية يحمل الى المجلس البراهين على هذه المؤامرة. وقد تعلق الأمر بملّفيْن تَمَّ حَجْزُهُما عند اعتقال مناضلين شيوعيين في الجزائر. لقد كان الملف الأول عبارة عن «مُخَطّط حَمْلة» تسعى الى «تنسيق نضال البروليتاريا مع نضال الأهالي ضد الاضطهادات الامبريالية»، وإلى إتاحة «تمَرُّد الشّمال الافريقي ضد الامبريالية الفرنسية ـــ الاسبانية وضد السّلطان نفسه». أما الملّف الثاني فيذكُرُ بالترتيب «الطّرق الكفيلة بجعل الأهالي يتمردون» ألآ وهي : «أولاً، رفض دفْع الضرائب؛ ثانيا، العودة الى اللّصوصية : سرقات وجرائم ينجم عنها عصيان القايد، والقاضي، والحاكم؛ ثالثاً، حَبْسُ رجال الدرك؛ رابعاً، تنظيم جمهورية أهلية يحكمها مندوبون عن كل منطقة. وكل هذا تحت راية الحركة الخالدية» (173).

هاتان الوثيقتان لاتُقْنِعان كثيراً، الأولى بسبب طابعها المُغْرِق في العمومية : فهي لا تذهب أبداً أبعد من النّصوص المنشورة من طرف الحزب الشيوعي الفرنسي، والثانية لأن توضيحاتها تكشف عن استلهام مُغامر وفوضوي غريب عن الشيوعية. إن كون الحاكم العام، فيوليت، قد صَدّق صحتها أم لا أمرٌ قليل الأهمية ها هنا (174). لقد لَخّص جول أوري الذي تدخّل باسم الحزب الاشتراكي، انطباعه على هذا النّحو : «صَخَبٌ كثير من أجل لاشيء (...) خُطَبٌ، قراءة بعض الكرّاسات (...) هذا كلّ ما وجدتم لِتُظْهِروا خطر الشيّوعية وتبرّروا تصريحكم : الشيوعية، هذا هو العِدُو (...) وفيما يتعلق بالتخريب العسكري، لم تثيروا (...) أي عصيان وسط الجنود، ولكن فقط بضع حَوادث قام بها «جنود» ساخطون لكون الخُضَر لم تُطْبَخ جيداً، والفاصولياء يابسة والحساء رديئا.» (175).

171 انظر لافريك فرانسيز، مايو 1927، ص ص 185 ـــ 186.

172 مناقشات مجلس الشيوخ، 12 مارس 1928، الجريدة الرسمية، ص 711. قبل ذلك بلحظات، كان كاشيل، وهو سيناتور لاجيروند، قد صعد اللهجة . «هل تريدون أن يتم غدا، في إحدى مستعمراتكم، وعقب تمرد يسببه هؤلاء الفرنسيون السيئون (...) قتل مئات الآلاف من المعمرين ؟» نفسه، ص. 702.

173 مناقشات المجلس، 3 يونيو 1927 (الجلسة الثانية، الجريدة الرسمية، ص 1762. لقد كان الأمير خالد، حفيد عبد القادر، والمناضل الوطني، على علاقات ودية مع الحزب الشيوعي الفرنسي. وقد مات في المنفى سنة 1937

174 انظر مجلس النواب، لجنة الشؤون الخارجية، جلسة 10 مارس 1926.

175 مناقشات المجلس، 10 يونيو 1927 (الجلسة الثانية، الجريدة الرسمية، ص 1828)

عمل الكومنترن : ملف مالاكا

لكن، ها إن ملفاً مُهِمّاً يُسَلَّمُ في 1927 إلى السلطات الفرنسية من طرف الحكومة الاسبانية وعبر المكتب الفرنسي الاسباني المختلط لمالاكا : ويتعلق الأمر فيه بعمل الأممية الثالثة في المغرب بهدف تهييج القبائل الرّيفية المُتَوَقَّع في ربيع السَّنَةِ نفسها [176]. قبل أن نبدي وجهة نظرنا حول قيمة هذه الوثائق، يجدر بنا أن نلخص ما تضمّنته من استنتاجات رئيسية [177].

لقد أبْرز هذا الملفّ في البداية انغراس البنيات الشيوعية المُوَجَّهة نحو الدعاية والعمل في المغرب، وخاصة في منطقة الريف. فقد قرّر الكومنترن، في نهاية دجنبر 1926، اعتبار الريفيين رَهْن إشارةِ الحكومة السوفياتية وفي عهدتها. وبعد بضعة أيام من ذلك، يبدو أنه كَلَّفَ فرعه الاسباني بتنظيم الشيوعية في المغرب والدّعاية لها، وفرعه الفرنسي بالتزويد بالأسلحة والذّخيرة وكذا بالعمل في المغرب الاسباني. لقد كان التّنظيم مُنَشَّطاً في باريس أساسا من طرف دافتيان، وهو مستشار بالسفارة السوفياتية ورئيس «الفرع العسكري للكومنترن في باريس»، وفلكوف، وهو «ممثل عسكري» للاتحاد السوفياتي في باريس، ومستشار تقني للكومنترن. إن هذا الأخير هو الذي تَوَجَّبَ عليه على الخصوص قيادة عمليات تهريب الأسلحة. وفي المغرب، تمّت الاشارة لعدة أشخاص : هم «الوكيل العام للكومنترن»، ويُدْعى شيلمان، ويشغل أيضا منصب رئيس «لجنة إنجاد الريفيين»؛ و«الوكيل العام للشؤون السّرّية للمغرب»، وهو كلينس؛ و«الوكيل العام للاتحاد السوفياتي بالمغرب»، وهو آركاسوف، وقد كانت لهم كلهم صلة وثيقة بالقبائل الرّيفية المتمردة؛ كأن هذه الأخيرة عَيَّنَتْ، من جهتها، مُمَثّلًا هو نورمي باي، الضابط السابق في الجيش العثماني.

176 أي سنة بعد استسلام عبد الكريم.

177 SHA MAROC RSD/79 (IIb). يتضمن هذا الملف أربع سلاسل من الوثائق : 1) التحليل المرسل من طرف مصالح الاستخبارات الفرنسية للجزائر الى الاقامة العامة للمغرب، في 17 فبراير 1927، وهو تحليل لـ «وثائق شيوعية» (عددها أربعون)، في حوزة الحكومة الاسبانية ومتعلقة بـ «استئناف العمل الشيوعي في الريف» (SSA, IIb)؛ 2) مذكرة في فاتح أبريل 1927، معدة من طرف مكتب مالاكا، على أساس اثنين وعشرين وثيقة مرفقة في ملحق (رسائل «مسؤولين» أو «عملاء شيوعيين» مؤرخة في شهري يناير وفبراير 1927) سلمت اليه من طرف السلطات الاسبانية، وقد أعيد إرسال الكل في 21 أبريل 1927 إلى الرباط من طرف المكتب الثاني لوزارة الحربية (II b, 4)؛ 3) سلسلة من ثماني رسائل (لنفس المراسلين سابقا، مؤرخة في شهر أبريل 1927) مرسلة بعناية مكتب ملاكا (II b, 613 26 à 613 G 9)؛ 4) وأخيرا، ثماني وثائق متعلقة بالخصوص بجلسات انعقدت في فيرساي، ثم في باريس من 16 أبريل الى 3 مايو 1927، من طرف نفس هؤلاء «العملاء الشيوعيين» حول الشؤون المغربية، وموجهة الى الرباط من طرف مكتب مالاكا في 9 يوليو 1927 (II b 6, 620 à 627/G). مالم نبد توضيحات معاكسة، فإن الاشارات التالية نابعة من هذا الملف. عن المكتب المختلط الفرنسي ــ الاسباني لمالاكا، أنظر أدناه، مصادر الاسطورة.

لقد سَلَّم مكتب مالاكا نَصَّ الرسائل والملاحظات (178) المتبادلة بين هؤلاء «العملاء» ومراسليهم في المغرب، وانجلترا، وموسكو، خلال الأشهر الأولى من 1927، وهي الفترة التي تمّت فيها الوقائع والسلوكات المذكورة. أكثر من ذلك، تَضَمَّن الملف محاضر ثلاثة اجتماعات عُقِدَتْ في فرساي أيام 16 و17 أبريل و3 ماي من طرف هيأة خاصة لتنظيم يدعى «المجلس المُصَغّر»، وخصِّصت بكاملها لفحص «الشؤون المغربية». وقد ترأسَ الاجتماعَ الأول راكوفسكي سفيرُ الاتحاد السوفياتي في باريس، وشارك فيه، فضْلًا عن دافتيان وفولكوف وونورمي باي، أشخاص سوفيات آخرون على درجة من الأهميّة، وكذا هيركلي وباردو ممثِّلَيْن للحزبيْن الشيوعييْن الفرنسي والاسباني.

إن سياسة موسكو والكومنترن مُصاغَةٌ بوضوح في هذه المراسلات وتلك الاجتماعات : فالأمر يتعلق بتنظيم الجيش الأحمر الريفي بمساعدة لجنة انجاد الريفيين، والتّحْضير، بتعاونٍ مع الحزب الشيوعي الاسباني، للتمرّد الدّاخلي سواء في المغرب أو في إسبانيا. لقد أكّدَ راكوفسكي بأن «الاتحاد السوفياتي يُمْكِنُ أن يساعد القبائل المغربية للتحرّر من النّير الاسباني ويريد ذلك»؛ ويمكنه تعيين الوسائل الضرورية، غير أنه ليس وارداً، في كل الأحوال، القيام بالعمليات في المنطقة الفرنسية؛ لأنها عمليات موجّهة خصوصاً ضد المنطقة الاسبانية. لقد تعلَّق الأمر في بداية 1927 بعمليات عديدة ومُهِمَّة، وفي 16 أبريل، صَرَّح راكوفسكي بنفسه بأنَّ «اللحظة حَانَتْ للشروع في عملياتٍ على نطاق واسع». ولأجل هذا، يلزم السّلاح والذخيرة. لقد كلّف فولكوف، منذ 4 يناير 1927، أَحدهم يُدْعَى كالاهير بأنجلترا بالقيام بشرائه وإرساله وأَخْطَرَ تنظيمَ المغرب بأن عليه تحضير الانزال وحراسة تسلّم البضاعة؛ وكلف بهذه المهمة أَحَدُهم يُدْعى مارتشيلو، وهو من الرّعايا الايطاليين ومقاول بالأشغال العمومية بطنجة. وقد تَمَّ إعداد شحنات أخرى من الأسلحة قادمة من بلجيكا وألمانيا. كما تَمَّ التفكير في وضع مُدَرّبين عسكريين تحت تصرّف الريفيين. وفي هذا الصَّدَدَ، أُقِيمَ وَزْنٌ كبير لضابطين ألمانييْن، المُلَازِم أول (أو القبطان) إنجيلهارت والنّقيب جورغنس اللذين أُلحِقا في السابق بالأركان العامة لعبد الكريم. فبعد أن حَضَّرَ السفير السوفياتي ببرلين ذهابهما الجديد إلى المغرب، حَلَّا بالدار البيضاء حيث تكلّف شيلمان باستقبالهما. أما وسائل الدّعاية، فكان جزء منها يَرِد من موسكو، والجزء الآخر من مرسيليا. لكن فولكوف الذي وجَّهَ لمارتشيلّو مناشير مُعَدَّة للتوزيع بين الجنود الاسبان طلب منه أن ينظِّم بشكلٍ مُستعجل «أوراشاً للطّباعة» وأن يُحَرِّر «الاعلانات» المُتّفق عليها. ولهذا الهدف، كان على وكيل طنجة أن يتّصل بمندوبي القبائل. وكان التمويل الضروري لانجاز مختلف هذه العمليات

178 هل يتعلق الأمر بترجمات أم بنصوص بالفرنسية. (بين مراسلين روس) ؟ إن المصالح لاتوضح هذا أيضا، لكنها ترفق ملفها بصورة فوتوغرافية لثلاث رسائل خطية، كتبها فولكوف بالفرنسية.

بشكلٍ جيد مُؤَمّناً من طرف موسكو. فبعد أن وَعَدَ تشيشفسكي بالمساعدةِ المالية للحكومة السوفياتية «على الأساس المُتَّفقِ عليه من قبل، أي بالاقرار المُتبادل للحكومة والمبادىء السوفياتية» تَقَرَّرَ أنْ يُوضَعَ رَهْن إشارةِ نورمي باي اعتمادٌ قدره 2.350.000 فرنكا.

كل شيء كان جاهزاً، فيما يبدو، لشَنّ عمليات كبيرة؛ لكن، ها أنّ فولكوف يَتَقَيَّد بالتقارير المُوَجَّهة إليه من طرف مُراسليه في المغرب والتي ترى بأن «الوضعية العسكرية الريفية ليست ملائمةً تماماً» من جهةٍ أُخرى، أُخْبِرَ مِنْ طرف شيلمان بأنه «لايوجد أيُّ اتفاق ممكن بين الزّعماء المغاربة» ومِنْ طرف آركاسوف بأن «ممثّلي القيادة المغربية بالغوا كثيراً بخصوص المَقْدُرة القتالية لجيشهم». لذلك، بدا له أنه من الأنسب الاكتفاء بـ «هجومات مفاجئة، بطريقة لاتدع للقوات الاسبانية أية إمكانية للرّاحة» والعَمَل على الزيادة في عتاد الريفيين وتحسينه. وبشكلٍ مُوازي، كان على مجهود الدعاية أن يتطور، أي أن يعمل على «ترسيخ كراهية الغازي والمستغلين والأجنبي في أذهان الأهالي» والقيام بـ «أعمال عدوانية تجاه الأجانب المقيمين في المغرب، وذلك لخلق وضعية مماثلة لتلك الموجودة في الصين».

□ □ □

تبرز القراءة الأولى لـ «ملف مالاكا» الاختلاف الكبير القائم بين الخطابات والوقائع. فالنوايا السياسية المنسوبة للقادة الشيوعيين ليست فيها، مطلقاً، أيّة جِدّة : فلا الاتحاد السوفياتي، ولا الأممية، ولا مختلف الأحزاب الشيوعية، كانت تمنع نفسها، في تلك الفترة، من تأكيد عدائها للامبريالية ورغبتها في المساهمة في انعتاق الشعوب المُستَعْمرة. ومن جهةٍ أخرى، كانت دكتاتورية بريمو دوريفيرا، بداهَةً، جزءاً من الأنظمة السياسية المُهَاجَمَةِ على الخصوص من طرف الصّحافة الشيوعية. لقد كانت رغبة موسكو، أو بالأحرى إرادتها، في أن تضرب عصفورين بحجرٍ واحدٍ، بمساعدتها تمرّد الريفيين وإسهامها في إضعاف النّظامِ الاسباني، تُشَكِّلُ إذَنْ فَرْضيةً مقبولةً قَبْلياً. مع أنّه يلزم التّساؤل عما إذا كانت مطابقةً للأسْبقيات التي سَطَّرَتْها الأممية الثالثة : هل تَمَّ اختيار اللحظةِ جيّداً، سواء بالنظر الى الظَّرْف السّياسي المغربي أو الى الأحداث التي تَهُزّ القارة الآسيوية ؟ لنتجاوز هذا التحفظ، مع أنه أساسي، ولنتوقف هنا عند الفحص الحرفي للنصوص.

إنّ الوقائع المُشَهَّرَ بها، هي في الأخير وقائع عديمة الصلابة : فخلال أسابيع، يتمّ الانتقال من تَحْضيرِ تمرُّدٍ عسكري واسع، عليه أن يُرْفَق بانفجار ثوري في المغرب وفي إسبانيا الى الفكرة القاضية بالاكتفاء حاليا، ببعض «الهجومات المفاجئة». وبالرَّغمِ من أن الخطر المباشر تمّ إبعاده، فإن التهديد ظَلَّ قائماً، مُجَسَّداً في البِنْيات الهائلة للتنظيم الشيوعي وفي تدخّلها في المغرب قَصْدَ تحضير شروط تمرّدٍ ظافرٍ للرّيفيين. غير أنه، لم يَصِلْ أيّ شيء أبداً، لا

الأسلحة ولا المُدرّبون. وإنّهُ لَذُو دلالة خاصّة، بالفعل، أن يَصِفَ «ملفّ مالاكا»، ببذخ كبير في التّفاصيل، ظروف شراء ونقل الأسلحة المَرْصودة للرّيفيين. هكذا نتتبع باهتمام التبدّلات المفروضة على تركيب الحمولة، على الجدول الزمني للانزال وعلى المكان المتوقع للاستقبال، كل هذه الترتيبات ذُكِرَتْ بوضوح كبير. لكن حَالَمَا تمّ الاعلان عن التاريخ النهائي للذهاب، خيَّمَ الصَّمْت. هل صار مختلف عملاء الكومنترن، الذين لم يكونوا حتى ذلك الوقت يهابون أي تسرب، بُكْماً فجأة ؟ أَمْ ينبغي أن نفهم بأن المكتب الفرنسي الاسباني لمالاكا، الذي عرف كيف يحصل ببراعةٍ على صورة المراسلات المتبادلة، فَقَدَ الخَيْط في اللحظة الدقيقة : لحظة وصول الباخرة أمام السَّواحل المغربية وإنزال الأسلحة. على كل حال، لابد من ملاحظةِ أنّ الحكومتيْن الفرنسية والاسبانية اللتيْن تحرسان السواحل المغربية بيقظة، واللّتيْن أُخطِرتا بالأمكنةِ المُتوقّعَةِ تِبَاعاً لانزال الحمولات المُوجَّهةِ للرّيفيين، لَمْ تُدْفعا الى التّدخّل : إذْ لَمْ تَرِدْ أية إشارة، في تلك الفترة، حول مُسَاحَلَةِ الباخرة الانجليزية واكتشاف أو إمْساك كمّية من الأسلحة (179). نفس الأمر بالنسبة للمُدَرِّبَيْن الألمانيّين : فقد تم إخبارنا ماضيا، بظروف ذهابهما الى المغرب، ومرورهما بإيطاليا، وهُوِّيتيهما المُزَوَّرتيْن. لاشيء من ذلك وقع : إذ لم يراهما أحد يدخلان الى الحماية أو ينتقّلان داخلها.

هل غيَّر الشّيوعيون فِكْرَتَهم في آخر لحظة وعدلوا عن إنزال هذيْن الاختصاصيّيْن وكذا الأسلحة التي كان عليهما أن يُدَرِّبا الرّيفيين عليها ؟ أم أن هذه التّنقلات محض خرافةٍ ؟ لكن، أليس معنى التشكّك في صحّة محاولة التمرّد أيضاً هو اتّهام البنيات الشيوعية كما كُشِفَ لنا عنها، ليس بشكلٍ غيرِ مباشِرٍ عَبْر تقارير المصالح المختصة، بل مُباشَرةً بفضل المُراسلات المُتبادَلة بين عُملاء الأممية ومَحَاضِرِ الاجتماعات التي عَقَدُوها لمعالجة شؤون المغرب ؟ لقد كان برانكو لازيتش، المعروف بكفاءته في الموضوع، صريحاً لمّا حرصنا على استشارته :

أوّلاً، لاتسمح لنا المعرفة التي لدينا عن أُطر الكومنترن في تلك الحقبة، بالتحقق من أيّ واحدٍ من الأشخاص المذكورين في ملف مالاكا؛ وفضلاً عن ذلك، لاتتماشى أغلب الوظائف المنسوبة إليهم مع البنيات الحقيقية للتنظيم الشيوعي الدّولي : فليس ثمة رئيس للفرع العسكري للكومنترن، ولا وكيل عام للكومنترن، ولا مكتب سياسي للكومنترن؛

179 لا أثر لها في الأرشيفات التي استشرناها. ومن ملف هام أعدته السلطات العسكرية لمنطقة أكادير بين 1925 و1931 حول مسألة تهريب الأسلحة هذه، تظهر ثلاث إشارات : أولا، إن السلطات علمت مباشرة أو بشكل غير مباشر عبر مصادر خاصة بدخول أسلحة مهربة الى تراب الحماية. ثانيا، لم يتم تقديم أي توضيح حول المصدر الخارجي لهذه الأسلحة. ثالثا، لم تفض التحريات التي أجريت الى أية نتائج مثمرة ؛ فلم يتم أبدا اكتشاف مخازن سرية للأسلحة أو الذخيرة. SHA MAROC AI SAC 710 221. إنه غير وارد أن نستنتج من هذه المعطيات الجزئية جدا غياب أي تهريب للأسلحة الى المغرب. لكن من الصعب ألا نندهش للمفارقة القائمة بين كثرة الروايات التي تحكي عن هذا التهريب وغياب أية علامة مادية.

ثانياً، ابتداءً، من 1921 على الأقل، لم يعد يتم أي اجتماع، في الدول الأجنبية، بين ممثلي السّفارة السوفياتية وممثلي الكومنترن وممثلي الأحزاب الشيوعية. فالحَاجزُ كان مُقَنَّناً، وحتى إذا اعتبرنا بأنّه لم يكن عَازِلاً تماماً، فإنه من غير الوارد مُطْلَقاً أنْ تكون عُقِدَت اجتماعات من طراز تلك الواردة في ملف مالاكا؛

ثالثاً، وأخيراً، يمثّل الحديث، مرّات عديدة خلال تلك الاجتماعات، عن مساعدات مالية يمكن أن تكون قد مُنِحَتْ للرّيفيين، حالة أخرى مُسْتَبْعَدة في رأي لازيتش، إذ بما أن المسائل المالية تُعالَج من طرف فرع مختصّ للكومنترن، فإن فَحْصها لم يُخْلَط أبداً بفحص المسائل السياسية.

في الحاصل، ودون أن يكون من المجدي المضي بعيدا حول محتوى «الافشاءات» المتعلقة بعمل الكومنترن في المغرب، تبدو قناعة برانكو لازيتش قاطعةً : إن ملف مالاكا مُزوَّرٌ وحتى مُزَوَّر بشكل غير مُتْقن (180). لقد كانت بعض مصالح الاستخبارات تُشاطِر هذه القناعة منذ البدء، فيما يبدو. ألا يتعلق التنبيه الذي وجهه القبطان فانلاند، رئيس مصلحة استخبارات شمال افريقيا، من الجزائر الى الديوان العسكري للمقيم العام، بالوثائق المبعوثة من طرف مكتب مالاكا، وهو التنبيه الذي يقول فيه : «بالنسبة لما يتعلق، بتهريب الأسلحة وعمل موسكو بصفة عامة في الشؤون المغربية سجّلت مصلحة استخبارات إفريقيا الشمالية من مصادر عديدة أنه كان ثمة جنوحٌ للمبالغة في تقدير النشاط الحالي للأممية الثالثة وأنّه ثمَّ، في هذا الصّدد ترويج وثائق من أصل مشكوكٍ فيه» (181).

مع ذلك، فإن السّلطات المدنية والعسكرية للرّباط حملت «معلومات» مالاكا على محمل الجد، بما أنَّ المُقِيم اعتبر من الضّروري إخطار جميع رؤساء المناطق، مُنَبِّهاً إياهم بالوصول الوشيك الى المغرب، من جهةٍ لضابطين ألمانيين وهما جورغنيس وانجيلهارت، ومن جهة أخرى لشحنةٍ أولى من الأسلحة والذّخيرة مُوَجَّهَةٍ للريفيين (182). ومنذ ذلك الوقت ظلّ هَوس تمردٍ مُدَبَّر من طرف البلشفيين يُغَذّى بشكلٍ دوري :

☐ «تكشف» وكالة الرّاديو، في بداية 1928، عن كون بعض الشيوعيين قَدْ حضّروا، باتفاق مع «لجنة وهّابية» لـ «تمرّدٍ أهْلِيٍّ بفاس» (183)؛

180 إن الأمر من الداهة بالسبة للسيد برانكو لازيتش بحيث كان علينا أن نلح لكي يقبل بتزويدنا بالايضاحات التي أوردناها أعلاه.

181 SHA MAROC RSD 79 (II C، رسالة رقم 362 في 15 عشت 1927)، ينبغي مع ذلك أن نوضح بأن القبطان فانلاند لايرجع بشكل جلي الى ملف مالاكا.

182 SHA MAROC AI FES 5303 715 (C4، دعاية، مذكرة DG/AI C/3 144في 16 فراير 1927).

183 إن الشؤون الخارجية تذكر هذه المعلومة في برقية للاقامة العامة SHA MAROC RSD 79 II b رقم 34. برقية رقم 76 في 29 فراير 1928) وفي مذكرة الى وزارة المستعمرات، موضحة لهذه الأخيرة بأنه حسب إقامة الرباط فإن «معلومات وكالة راديو لاترتكز على أي أساس جدي» AN SLOT FOM III, 45 (رقم 287 في 3 مارس 1928)

□ في 1932، أُطْلِعَتِ الشؤون الخارجية الرباط بأنَّه، حَسَبَ أحد المخبرين، «في نية الحزب الشيوعي مساندة ما اصْطُلِحَ على تسميته بـ «الكفاح من أجل الحرية» للعرب المتمردين في المغرب حاليا»؛ وأن قبائل المغرب الجنوبي تتأهَّب لشن «عملٍ مُرَكَّزٍ خلال الخريف أو الشتاء» بمساعدة عَمِيلَيْن للسوفيات يوجدان بالمغرب «للقيام بالتدابير الأخيرة لارسال السلاح» (184)؛

□ في معرض حديثها عن الاهتمام الذي يوليه الكومنترن للمغرب، أكَّدَتْ وزارة المُستعمرات، في مارس 1934، بأنه، في رأي الأممية الثالثة «وحده كفاحٌ مُسلَّح يمكنه أن يحمل إليهم (العرب) التحرر من النّير الامبريالي وأن تزامن التّمرّدات في البلدان الاسلامية سيكون تبعاً لذلك ضرورياً للانتصار» (185). بعد بضعةِ أشْهُرٍ من ذلك، أشْرَكَتْ نفس هذه الوزارةُ ـلْكِي دُورْسَايْ * في قلقها : إن موسكو توشك على الاستفادة من نَصْرٍ مُحْتَمِلٍ لـ «المتطرفين» في إسبانيا «لتعلن عن جمهورية سوفياتية ريفية» تكُون، حسب مُخَطَّط الكومينترن، «مِقْفزاً لتحرير شعوب شمال إفريقيا» (186)؛

□ وأخيراً، ذَكَّرَ مدير الشؤون الأهلية بالرباط، في بداية 1935، معلومات بَلَغت إلى إدارة الأمن الوطني بباريس، وتتعلّق «بمشروعٍ عام للتمرّد في إفريقيا الشّمالية مُدَبَّرٍ على الخصوص من طرف رعايا تونسيين باتّفاقٍ مع العناصر الشّيوعية (187).

لنختم بنص يشهد بأن «هوس الهَيَجان» لم يكن وقفاً فحسب على بعض أوساط الادارة العليا، وعلى صحفيين من اليمين المتطرف أو صحفيين مشتاقين الى موضوع مقالة : «يلزم أن يكون المرء في منتهى الغفلة أو المحاباة لانكار المجهودات التي أنجزها السوفيات بهدف تفكيك دفاعنا الوطني، وتخريب نشاطنا الاقتصادي، وتدبير قلاقل وإضرابات، وإثارة

184 SHA MAROC RSD 79 (II b)، إبلاغ للشؤون الخارجية بتاريخ 8 أكتوبر 1932، معاد إرساله من طرف الاقامة العامة الى الجنرال قائد قوات المغرب تحت ورقة إرسال رقم 753/CMC في 4 نونبر. لقد وردت هذه المعلومة من امستردام، حيث سجل أحد المخبرين، الذي يدعى أنه عضو في الحزب الشيوعي، «اهتماما متزايدا بكل ما يهم المغرب». إنه يؤكد بأن ماربوس، الذي تحادث معه، «كان ينوي معالجة هذه المسألة مع الكومنترن»، وأن أغلب معلوماته استقاها من جيبارتي.

185 AN F7 13169. مذكرات شهرية عن الدعاية الثورية التي تهم بلدان ما وراء البحار (31 مارس 1934).

* quai d'orsay

186 AN SOM SLOT FOM III 45 (المغرب، مذكرة 10 أكتوبر 1934). ينبغي أن نسجل أيضا وجود ملف في أرشيفات وزارة المستعمرات يعتبر عنوانه ذا دلالة : «التعليم في بابل ـ مسبق لمصلحة مكلفة بقيادة الحركة الشيوعية في المستعمرات الفرنسية وتسليح الجماهير الثورية» (1931) للأسف، فإن حافظة الملف فارغة. نفسه، 10.III.

187 SHA MAROC AI FES 532 375 (دعاية شيوعية، مذكرة رقم 65/DAI/C3 في 8 يناير 1935)، «بالرغم من أن قيمة هذا الخبر، يوضح بساري، مدير الشؤون الأهلية، تبقى جوهريا قابلة للنقاش، فإنه من غير المشكوك فيه أن العناصر الثورية تكثف دعايتها الخاصة ونداءاتها الى التمرد. إن هذا الوضع يتطلب يقظة خاصة»

هيجانات في مستعمراتنا، خاصة في المغرب والهند الصينية» (188). إن صاحب هذا النّص راديكالي اشتراكي، ويُدعى إيفون ديلبو : وسيغدو بعد ثلاث سنواتٍ من ذلك، أوّل وزير للشؤون الخارجية للجبهة الشّعبية.

تنفيذ الأسطورة

مصادر الأسطورة

إن المعلومات التي سمحت بين 1920 و1935 بخلق أسطورة عدوان بلشفي في المغرب لم تكن فقط وليدة خيال بضعة صحفيين متعطّشين لما هو مثير. لايمكن إغفال المصادر الخاصّة، ومن الأليَق، دون شك، أن نتحدث عنها قليلا، غير أنها لا تأخذ دلالتها الحقيقية إلّا في سياق تدخُّل المصالح المكلّفة بتنوير حكومات الجمهورية حول مشاكل الأمن. فقد كان على هذه المصالح، المُوَجَّهة للبحث عن الاستخبار السياسي، أن تعلم في لحظة أو أخرى بنشاطات شيوعية في المغرب. سنكتفي بالاشارات التي تسمح بإضاءة المصادر الرئيسية للمعلومات المستقاة حول موضوعنا. هناك أربع وزارات معنية : الدّاخلية، المستعمرات، الحربية والشؤون الخارجية.

ففي الداخلية، ينبغي تسجيل كون الأمن العام كان يتوفّر على قناة غريبة مُوَجَّهة للبحث عن الاستخبارات السياسية ذات الأصل الدّولي والمتعلقة بالتحريض الشيوعي بصفة خاصة : يتعلق الأمر بمفوضية آنماس * الخاصّة والتي ربما كان موقعها الجغرافي يُعِدّها سَلَفاً لهذه المهمة (189). وفي إدارة الشّرطة، أمّنَتْ مصلحة الشؤون الشمال إفريقية، المستقلة عن قسم الاستخبارات العامة، من 1925 الى 1945 ، مُراقبة مُشدَّدة لأفارقة الشّمال الموجودين في المنطقة الباريسية، مُرَجِّعَةً (*) معلوماتها للأمن العام، ولكن أيضاً للحربية، والشؤون الخارجية ووزارة المستعمرات (190).

188 هذه الفقرة المقتطفة من التجربة الحمراء، وهو كتاب كرسته إيفون ديلبو للاتحاد السوفياتي ويدعي أنه معتدل، تم الاستشهاد بها من طرف ماريو روستان (نائب رئيس لجنة المستعمرات بمجلس الشيوخ) في مقال لحوليات الاستعمارية، 29 يونيو 1933.

* Annemasse

189 AN SOM SLOT FOM III, 142 (الشيوعية في الخارج). عندما سيحين الوقت، سيهتم خصوصا بـ «المساندات الأجنبية لعبد الكريم» أنظر أدناه، الفصل السابع.

* من التّرجيع.

190 APP 4 519-91. حول الحراسة التي مارستها هذه المصلحة على الوطنيين المغاربة، انظر الجزء الثالث.

وفي وزارة المستعمرات تُؤَمِّنُ مصلحةٌ للشؤون الاسلامية اتصالًا وثيقاً مع حمايات إفريقيا الشّمالية وتسعى الى جمع توثيقٍ حول كل الأسئلة المتعلقة بالسياسة الاسلامية (191). أما مصلحة المُراقبة والمُساعدة لأهالي المستعمرات في فرنسا فتهتم على الأخص بالمنحدرين من الهند الصّينية، من مدغشقر وإفريقيا السوداء وعلى نحْوٍ أقل بأفارقة الشمال؛ ويبدو نشاطها محكوماً أساسا بانشغالات سياسية وبوليسية (192). من جهةٍ أخرى، عَهَدَ ألبير سارو وزير المستعمرات، منذ 1922، إلى إدارته للشؤون السياسية (المكتب الأول) بمَركزة كل الاستخبارات المتعلقة بـ «الدعاية البلشفية» (193). إننا نسجّل أيضاً، لدى نفس الادارة، حضور شخص غريب «مكلّف بالدراسات»، ويتعلق الأمر بغريغوار آليكسينسكي، وهو نائب سابق لبيطروغراد، تمَّ اختياره من طرف ألبير سارو ليهتم خصوصاً بـ «النشاط المتعلق بالاستعمار للشيوعية» (194). فضلًا عن ذلك، تُرَوِّجُ وزارة المستعمرات مذكراتٍ شهرية حول الدعاية الثورية التي تهمّ بلدان ما وراء البحار مُخصَّصة أساساً لسياسة الأُممية الثالثة وللتحريض الشيوعي سواء في مختلف بلدان ما وراء البحار أو في الأوساط الاستعمارية بالبلاد.

قد عثرنا في مستودعات الأرشيفات على تقارير صادرة عن المكتب الثاني للقيادة العامّة للجيش (قسم مركزة الاستخبارات) ومتعلقة بالدعاية الشيوعية في المغرب. وتتوفر الوزارة في الجزائر على مصلحةٍ لتنسيق الاستخبارات على مستوى شمال إفريقيا، لا تكتفي بإعادة إرسال مذكرات المصالح المركزية للاستخبارات أو مصالح الاستخبارات المحلية، بل يبدو أنها كانت تتمتع، على الأقل حتى 1930، بوسائل مستقلة للأبحاث. إننا نكتشف أيضا وجود جهاز في منتهى الخصوصية، نشأ في أعقاب الاتفاقات الفرنسية ـــ الاسبانية المبرمة خلال حرب الرّيف : يتعلق الأمر بـ «المكتب الاسباني ـــ الفرنسي» لمالاكا المُسَمَّى أيضا «المكتب المختلط» الذي يضم ضباطا للمخابرات الفرنسية والاسبانية (195). لقد بدا هذا

191 لقد دعا الوزير حكامه في المستعمرات من جهة، ومعاونيه المباشرين من جهة أخرى الى استلهام الأساليب المتبعة من طرف المخابرات الانجليزية (كذا) في تحريهم عن المعلومات AN SOM Aff. polit.2662 (23، رسالة فاتح فبراير 1928).

192 AN SOM SLOT FOM (خاصة صناديق السلسلة III) لقد اقترح وزير المستعمرات على زميله في الداخلية تعاون C.A I مع مصلحة الشؤون الافريقية ـــ الشمالية بمفوضية الشرطة (في طور التكوين وقتذاك) AN SOM SLOT FOM IX,3 (الشؤون الأهلية الافريقية الشمالية، رسالة رقم 484 CAI في 9 أكتوبر 1924). إن مكتب مرسيليا لـ C.A.I هو الذي أرسل الى الوزارة تقريرا حول «العمل الاشتراكي ـــ الشيوعي في المغرب» III. 45,AN SLOT FOM، الدعاية الشيوعية في المغرب، ورقة إرسال رقم 944 في 27 يونيو 1935)

193 «تحكم النشاط المبذول من طرف التنظيمات الشيوعية وفروعها الى مد دعايتها الى المستعمرات» III.94, AN SOM SLOT FOM (مذكرة رقم 268 في 21 أبريل 1922).

194 يبدو أن أليكسينسكي حافظ على منصبه على الأقل الى غاية يونيو 1936، AN SOM SLOT FOM, III, 62.

195 «إن ضرورة مراقبة ومنع تهريب الذخيرة والمواد الغذائية صوب المغرب جعلت الحكومتين تقرران مؤخرا إنشاء مكتب اسباني ـــ فرنسي بمالاكا» (ثم تلت ذلك تشكيلة المكتب المذكور) SHA VM E 24 (مذكرة EM، المكتب الثاني في 19 دجنبر 1925). ويبدو أن دليل المكتب كان هو SR 11 (انظر SHA VM F 17 et MAROC RSD 79).

ـاً خصّيصاً نحو البحث عن المعلومات المتعلقة بالتحريض الثوري
وتوضح مُذَكِّرَةٌ للمكتب الثاني دوره في هذا الصّدد : «إن
الوطنية الاسلامية، والشيوعية، مُراقبةٌ في المغرب من طرف الأمن
تب الثاني للقيادة العليا. فدور المكتب المختلط يتمثل إذن، من
قبة في المغرب بالأنشطة المعادية التي تستهدف الحماية والتي تتم
ى في تتبعه، خارج المغرب، لتصرفات المنظمات أو الأشخاص
ـ مشكوكاً فيه لسلطات الحماية» (196)، وهذا الجهاز هو الذي
قضية المؤامرة البلشفية في 1927 بالمغرب. وأخيراً، فإن فرع ما
رة للاستخبارات للمسائل الاسلامية *، ذات توزيع محدود، وتمنح
لقة بالجامعة الاسلامية وبالتحريض الثوري في علاقته بالحركات

ـارجية، فبترجيعها للرباط لبعض المعلومات المستقاة من مراكزها
ـي إعطاء تلك المعلومات نوعا من الأهمية. فبصفة خاصة، ينبغي
ـن طرف الكي دورساي للأساليب المتبعة من قِبَل المقيم العام في
ـد كان هذا الأخير، الذي اتخذ تدابير قمعية تجاه «المُحَرِّضين»
ـين، يُقَدَّم كقُدْوةٍ للمقيم العام للمغرب (197).

إدارات الحماية (أمكنة التفتيش المدنية أو مكاتب الشؤون الأهلية
لة من جهة أخرى)، في مجموع البلاد، لاستقاء مختلف المعلومات
ـ كان يتم إرسالها الى الاقامة العامّة من طرف رؤساء المناطق.
ـعُ في الرباط من قِبَل إدارة مصالح الأمن وإدارة الشؤون الأهلية ثُم
لعسكري للمقيم العام. وقد استجاب إنشاء جهاز وَصْلٍ يُسَمّى

ـة EMA، المكتب الثاني SR رقم E 788 في 19 فبراير 1928). يبدو أن المكتب
ـائل هامة : فبعض أعوانه قد يكونون أعضاء لدى قيادات الأحزاب الشيوعية الأوربية؛ انظر
ـأصلة عن تقرير لـ «عون يشتغل لدى المكتب المركزي (كذا) للحزب الشيوعي بلندن»
.SHA MARO

Bulletin de renseignements des qu
SHA M (رسالة رقم 2081 في 11 أكتوبر 1935 للشؤون الخارجية، انظر أيضا الارسال
ـم 1215 في 3 يونيو 1935، لـ «دراسة حول الدعاية المعادية لفرنسا لدى العسكريين
ـ، بتاريخ 21 مايو 1935).

O.L.R، فيما يبدو، لضرورة مَرْكزة الاستخبارات ذات الطابع السياسي الآتية من الخارج [198].

قاد تَشَتُّتُ مصادر الخبر الرّسمية حول الأنشطة الثورية بَعْضَ الأجهزة في كثير من الأحيان، الى المناداة بمركزةٍ صارمة لها. هكذا طلبَ السّكرتير العام في الدّفاع الوطني، في 1929، بأن يُعْهَدَ إليه بجمع وتنفيذ العناصر الضرورية لقيادة جميع أشكال مكافحة الدعايات المناهضة لفرنسا، سواء كان أصلها في شمالِ إفريقيا، أو في فرنسا أو في الخارج، غير أن الفكرة لم تؤخذ بعين الاعتبار، إذ رأتْ كلٌّ من الشؤون الخارجية ووزارة المستعمرات، من جهتهما، أن المصالح الموجودة وتبادل الاستخبارات الذي تقوم به مُلبِّية لمتطلبات الوضع [199].

لقد كانت المصالح التي ورد ذكرها تستعمل وسائل متنوّعة لجمع الاستخبارات التي تبحث عنها. ومن بين هذه الوسائل، ينبغي الحديث قليلا عن «المُخْبِرين». أولًا لاسترعاء الانتباه الى أننا نعثر في الأرشيفات التي اطّلعنا عليها على مراسلات وتقارير رسمية مؤرّخة، مُسْندة، وموقعة في الغالب، مختلطةً بمذكراتِ مُخْبرين، مجهولين، غير واضحة الأصل في مُعْظمها. ويبدو لنا من الغفلة إهمال هذه المذكّرات أو إعطاؤها أهمية مبالغا فيها. وفي الواقع، ليس ثمّة دائما تعارض أساسي بين عيِّنَتَيْ الوثائق، بالرّغم من طابَعيهما المختلفيْن، إذ أن مذكّرات الاستخبار تُرْسل غالباً كما هي، تحت لائحة مُفصَّلة بمحتواها، هذا المحتوى الذي يُشْطَبُ قليلًا أو كثيراً في التقارير المُنْجزة من طرف الرؤساء المسؤولين عن المصلحة. ويلعب توجيه المَكَاتِب، ومزاج الموظف، حساسيته المفرطة أو القليلة بالظّرف السياسي، دوراً حاسِماً في الأمر.

هذا، وتستدعي أهمية شبكات المُخْبرين المُخْتصّين في مراقبة الحركات الثورية أو السياسية فحسْب بَعْضَ التوضيحات. فبصفة عامة، لا تتم المراقبة البوليسية بشكل مُتقطّع؛ فهي ليست متناوبة؛ بل لها طابع المُداومة خلال فترة طويلة نسبيا؛ طبعاً يمكن لهذه المداومة، في بعض الظروف (انعقاد مؤتمر، معرض استعماري) أن تستعمل وسائل مضاعفة. وتتطلب هذه الحراسة أن يكون لدى المصالح أعْوانٌ قريبون جدا من التنظيمات المُراقَبة. ويحدث غالبا أن يصل بعض هؤلاء الأعوان الى مناصب ذات مسؤولية عالية في التنظيمات المذكورة. غير

198 انظر SHA MAROC RSD 79, 88, 91, 128. إن ضابط الربط يوجه عدة مرات في الأسبوع، سواء الى مصالح الأركان العامة للرباط أو الى مصالح الاقامة، مذكرات إخبارية متعلقة بالخصوص بالتحريض الثوري والحركات الاسلامية.

199 AN SOM SLOT FOM III 2 (رسالة بريان في 19 غشت 1929) ونفسه 94 (رسالة المقيم العام في المغرب في 10 أبريل 1930 إلى وزير الشؤون الخارجية). إن المسألة ستستعاد لاحقا، تحت الجبهة الشعبية، مع اللجنة المتوسطية العليا. انظر الجزء الثالث.

أن الأرشيفات لا توضّح، في هذه الحالة، هل يتعلّق الأمر بأعوان مَدْسُوسين أم بمناضلين قَبِلوا في لحظةٍ معينة بأن يصيروا مخبرين (200). وتستعمل المصالح المختصة أيضا مخبرين متطوّعين يودّون إظهار مزاياهم أو إرضاء نزوعٍ منحرف للوشاية. هناك واحد منهم يستحقّ إشارة خاصّة. ويتعلق الأمر بجان رونو وهو مدير جريدة يومية كبرى، لابريس ماروكان »، ثم مدير وكالة هافاس في المغرب في العشرينات. إنه معروف لدى الجمهور كمؤلِّف لما يقارب خمسة وعشرين رواية وقصّة قصيرة، وسيحصل على جائزة الأدب الاستعماري. وهو ضابط سابق، وكان في الهند الصينية «مُرافِق ورفيق كل لحظات» ألبير سارو (201) واحتفظ بعلاقات وثيقة مع الأوساط العسكرية. وكمُعادٍ عنيف للشيوعية، كان يرى يد موسكو في كل مكان من المستعمرات ـــ وخاصّة في المغرب ـــ ولم يكن يكتفي بكتابة ذلك في رواياته. بل ضاعَفَ من التشهيرات في مذكرات سرّية كان يوجهها الى الدّيوان العسكري للمقيم العام (202). وبعد عودته الى فرنسا، سيصير واحداً من المُعاوِنين الرئيسيين لفرانسوا كوتي في صحيفة «صديق الشعب»، وفي 1933 رئيساً لـ «التضامن الفرنسي»، وهو تنظيم ذو نزعة فاشية.

إن المصادر الخاصّة للمعلومات المتعلقة بوجود مؤامرةٍ شيوعية في إفريقيا الشّمالية متعدِّدة. وإذْ يتعذر جَرْدُها، ينبغي منح إشارةٍ خاصّة لِجِهَازَيْن مختصَّيْن في الدّعاية لمكافحة البلشفية : وهما المكتب الاستعماري الدّولي لِلَاهايْ، والوِفاق الدّولي ضد الأممية الثالثة الذي يوجد مقرُّه بجنيف. إنّ الأول، بإنجازه في 1930 لـ «تقرير حول إعداد الحكومة السوفياتية تمرّداتٍ في البلدان المستعمرة» يُنَبِّه القارىء الى «أنّه من واجب المُنَظَّمات الخاصّة والمختصّة مثل المكتب الاستعماري الدّولي أن تقدّم العَوْن للحكومات وذلك بأن تضع تحت تصرُّفها نتائج تقصّياتها وأبحاثها. فبفضل هذا التعاون، يغدو بوُسْع المؤسّسات الرّسمية أن تَسْهَر

200 «النشاط المزدوج للعون السري : كأداة للأمن، يخرب العون السري الحزب، ومن جهة أخرى، وكعضو في هذا الحزب فإنه يساهم في عمله ويقويه. وبنشاط ومبادرة نسبية، يمكن أن يصير «بطلا» للحزب وفي الوقت ذاته بطلا للأمن. أحيانا، وبمساعدة الأمن، يقوم المحرض بمعجزات في عمله الحربي، وبموازاة ذلك، وحتى لايفقد ثقة الأمن، عليه أن يفكر دائما في التبليغ عن أعضاء الحزب، في تدمير مجال من عمل الحزب، وهذا بطريقة لاتسمح بكشفه في عيون المضربين». يوجد هذا النص المدهش في مذكرة بتاريخ 10 فبراير 1925، غير محددة الأصل، ولا إسم المؤلف، متعلقة بتنظيم ووظائف الأمن العام، يبدو أنها كانت من بين الوثائق التي احتجزت عند تفتيش منزل سوزان جيرو (عضو قيادة الحزب الشيوعي الفرنسي) في 24 أبريل 1925 (حادث زنقة داميريمون)، AN F7 13188. نعلم، من جهة أخرى، أن لومانيتي، قد شهرت مرات عديدة، خاصة في الفترة 1926 ـــ 1932، بـ «الجواسيس» و«الأعوان المحرضين»، الأعضاء السابقين للحزب الشيوعي ودعت المناضلين الى يقظة متزايدة.

La presse marocaine

201 نقرأ في الاهداء نهاية السكة الحديدية الى ألبير سارو، وهي رواية استعمارية، باريس، 1927، «اعترافا بالكفاح ضد الدسائس الثورية في المستعمرات، التي أتى حديثا وبشجاعة على كشف خطرها الى الأمة».

202 SHA MAROC RSD 79 («استعلامات جان رونو»).

بسرعةٍ ويُسْرٍ على حماية النظام العمومي» (203). أمّا الوفاق الدّولي ضِدَّ الأممية الثالثة فكان يتوفر على «مراكز وطنية مستقلة». فـ «المركز الفرنسي المُناهض للشيوعية» يُصْدِرُ مجلة شهرية اسمها الموجة الحمراء * يُديرها كوسطف كوثرو، مؤلف لكتاب ضخم عنوانه : البلشفية في المستعمرات والامبريالية الحمراء. وتظهر مذكرات استخبارات المصالح المختصة مَصْدَراً قريباً نسبيا من هذه الأجهزة : أوساط الهجرة الروسية. وقد عالجت عدد من المُؤَلَّفات المؤامرةَ البلشفية ضد إفريقيا الشمالية. وكلها موسومة بانشغال سجالي على الخصوص وفَقْرٍ كبير في المعلومات. مع ذلك، ينبغي الاشارة لبعض المُؤلِّفين بحُكْمِ شهرتهم : فمعرفتهم العامّة بالمغرب، واتّصالاتهم الوثيقة مع الأوساط القيادية أمّنتْ لهم حُظْوَةَ لاتُضاهَى. ومن بين هؤلاء : ج. لادري دولاشارْيير (204) وروبير راينو (205).

وأخيرا، لاينبغي الاستخفاف بالأهمية المُعطاة من طرف الادارة لـ «إفشاءات» الصّحافة حول وجود مؤامرة بلشفية. هكذا كانت بعض الحملات هي الباعث على فتح تحقيق قضائي (206). فقضية إيبرلين، وهو شيوعي مشبوه بارتباطه بتحضيراتِ تمردٍ بلشفي في المستعمرات، مميّزة لحساسية بعض الموظفين السّامين تجاه المعلومات «المثيرة» المُقَدَّمَةِ من طرف الصحافة، والتردّد الحاصل، على الصعيد الأهلي، في تكذيب الحكايات التي لاتُصَدَّق (207). وفي مقابل هذا الموقف، ينبغي تسجيل رَدَّ فعل الأمن العام للمغرب، في 1927، بخصوص المعلومات المتعلقة بتصرفات الشيوعيين في الحماية : «إن بعض الصحفيين قد شهروا، دون ريب، وربما بضجة مبالغ فيها، بالخطر الشيوعي في المنطقة الفرنسية، لكن المقالات التي صَدَرَتْ حَوْلَ هذا المَوْضوع هي لِسِجَالِيين كان وَلَعُهُمْ على الأقل مُعادِلاً لمَوْهبتهم» (208).

203 AN SOM SLOT FOM III 142 (تقرير... توطئة) انظر أيضا AN F7 131 70.

* La vague rouge

204 يعتبر ج. لادري دولاشارير، دون ريب أهم صحفي اهتم بالمغرب تشكل كتبه ومقالاته في لافريك فرانسيز مصادر ثمينة للأخبار حول الحماية وحول السياسة المغربية للفريق الاستعماري، وقد شهر بتأثير البلشفية في حرب الريف (حلم عبد الكريم، باريس، 1925)، ثم ضخم الى أكبر حد ممكن «المؤامرة الشيوعية» في الشيوعية وافريقيا الشمالية، باريس، 1929.

205 إن بوربير — راينو، الذي أسس لاديبش ماروكان بطنجة في 1905، والذي ظل معاونا لـلافريك فرانسيز، متوجها بشكل خاص نحو المسائل الدولية، كتب هو أيضا كتبا حول الدعاية الشيوعية في افريقيا الشمالية، باريس (1925 أو 1926).

206 AN F7 131 43 (حجز جريدة لوكولسكري).

207 انظر AN SOM SLOT FOM III 133، عمل الكومنترن في المستعمرات الفرنسية (رسالة 20 فبراير 1936 من الحاكم العام للهند الصينية، وجوابا رئيس المجلس، وزير الداخلية في 16 أبريل 1936 ووزير العدل في 18 مايو 1936).

208 SHA MAROC RSD 79 (أفراد مشبوهون، IIC2 مذكرة الأمن العام للرباط، يوليوز 1927).

الأساليب

يظهر فحص النّصوص التي نتوفّر عليها أساليب مختلفة لتنفيذ الأسطورة، سنميّز : الافشاء المزعوم، والتأكيد بدون حجج، والمغالاة والخطأ.

□ **الافشاء المزعوم.** إنّ عدداً كبيراً من المعلومات المتعلقة بـ «المؤامرة البلشفية» في إفريقيا الشمالية والمُرَوَّجة سواء من طرف المصادر العمومية أو الخاصّة تُقدّم على أنّها ثمرة تَقَصّي صعب وعميق لاسيما وأنه يستهدف أنشطة تُفترضُ على أنها سِرّية. وفيْ الواقع، غالبا ما تستند «الافشاءات» الى وقائع ذات طابع عمومي. هكذا هو الأمر، على الخصوص، بالنّسْبَة لتلك المتعلقة بمنظمة الأممية الثالثة، بالفرع المكلف بالقضايا الاستعمارية لذى الحزب الشيوعي الفرنسي وبمختلف اللجان المناهضة للامبريالية (209). وبنفس الطّريقة، يتمّ «إفشاء» نوايا البلشفيين بفضل خُطَب وتقارير تُقَدَّمُ على نحْوٍ يوهم بأنها قُرِئَتْ في اجتماعات مغلقة، في حين أنّها ليست سوى استنساخ لنصوصٍ ظهرتْ في المراسلة الدولية * وفي الصّحافة الشيوعية الفرنسية (210).

إن القمع وكذا هذيانات الجمعيات السّرّية للقرن التاسع عشر، يفسر، دون ريب، كون الأنشطة المُطوَّرة من طرف الحزب الشيوعي قد أمكنها أحيانا أن تُحَضَّر وتُدقّق في السّرّية. لكنه ليس ضروريا اللجوء الى قرارات اتُّخِذَتْ في السرّ لتفسير الدعاية والتّحريض

209 انظر العقيد ريرابوف : **العمل السري للأعوان البلشفيين**، باريس، 1926. كوسطاف كوترور : **البلشفية في المستعمرات والامبريالية الحمراء**، باريس، 1930 إن مذكرات المصالح المختصة ملأى بهذا النوع من الكشوفات : هكذا اكتشف المفوض كيديسلي أن «جميع فروع النشاط الثوري المعادي لفرنسا متشابكة حول نجمة شمال افريقيا» وهذا فقط لأن «الأفراد المستهدفين بهذه الدعاية هم قبل كل شيء طلبة أفارقة شماليون بفرنسا» وبالتالي، فقد بلغ عوانين «لبؤرة نجمة شمال افريقيا» كان قد أعطاه إياهما محرو الذي «هو على وشك... أن يمسك بقلب هذه الحركة» (SHA MAROC RSD 79 IIb، رسالة رقم SR 55 124 في 12 دجنبر 1928). وكان الفرع المكلف بالقضايا الاستعمارية للحزب الشيوعي الفرنسي، في 1935، موضوع مذكرة موجهة لتوضيح عنوانه : 120، زنقة لافاييت (إنه المقر المعروف جدا لقيادة الحزب الشيوعي الفرنسي !) واسم المناضل المسؤول : أندري فيرا. (مذكرة OLR، رقم 2972 في 23 أكتوبر 1935).

* Correspondance internationale

210 انظر المذكرات الشهرية عن الدعاية الثورية التي تهم بلدان ما وراء البحار لوزارة المستعمرات والنشرة الشهرية للأقامة العامة للمغرب (**الوضعية السياسية والاقتصادية**). يؤكد الطابع «السري» لهاتين النشرتين الفكرة بأن الأمر يتعلق جيدا بـ «إفشاء» أخبار يتم إخفاؤها عن الجمهور لعدد قليل من المسؤولين. كما أن المغالات في استعمال كلمة «سري» معروف جدا لدى الموظفين؛ ومع ذلك لاينبغي أن نغفل أثره السيكولوجي. إن اللامعقول تم بلوغه من طرف مصلحة المخابرات OLR التي كانت ترسل الى الديوان العسكري للمقيم العام بانتظام، تحت ورقة إرسال «سري» بقصاصات من لوماليتي مخصصة للمغرب وللسياسة الاستعمارية (نفسه RSD 79, II b). وكانت اليومية الشيوعية ممنوعة فعلا في الحماية.

الشيوعييْن في الموضوع الاستعماري (211). فالنصوص العمومية كثيرة بالفعل وخالية
لُبس. وتصنُّع اكتشافها، ومضاعفة «الافشاءات المزعومة» إنَّما يُسْهمان ، بالعكس
تحويل البرنامج السياسي الشيوعي، بمنهجية، إلى مؤامرةٍ مُعْتِمة (212).

☐ **التأكيد بدون حجج.** إنها تقنية كلاسيكية لتسميم الخبر. لكن هل يتعلق
حقّاً ودائما بأسلوب ؟ فمن الافتراض البسيط الى الغلط البيّن المقصود نجد تنوّع
للتصرفات.

منذ 1922، كان لتعليق وزارة المستعمرات، العامّ جدّاً، قيمة توجيهية : «حاليا،
التفكير بأن الحركات التي تأخذ طابع ما يُسَمَّى بالوطنية ستسمح في الغالب بافتراض
سابق ومنسوب إلى مناورات شيوعية (...) فكل مظاهرة ذات نزعات انفصالية يجب ا
من الآن فصاعداً بمثابة عنصر مهم يشجّع على ترويج الأفكار الشيوعية المتطرفة» (213)
ذلك الوقت، صار على التواطؤ بين الشيوعيين الأوربيين والتحريضات الوطنية أن
كمعطى أساسي لايحتاج الى برهنة. وفي نفس الوقت كان يشكل اعتقاداً وتوجيهاً يفرض
على المسؤولين السياسيين والبوليسيين.

في يوليوز 1927، قامت مذكّرةٌ للأمن العام في الرّباط بتوضيح الوضع : «ب
المعلومات المتلقاة من جهات مختلفة، وخاصّة من باريس، نعرف كَمْ هي متعدّدة
الروابط التي تجمع بعض المُحرّضين المُسْلمين بالشيوعيين. لذا يجب على المراقبة
تنصبّ بشكل مكثّف على كل الدّعاة المُعَيَّنين من طرف موسكو والذين نتوصّل بأ
غالباً من فرنسا. إلا أنّه من المفيد مع ذلك الاشارة الى أن المبعوثين الذين تمكّنوا من ال
الى المغرب حتى هذا اليوم قلّة قليلة» (214). هكذا، لا يشكّل غياب الوقائع حافزاً -
الاعتقاد في وجود خطر بلشفي : فإذا كان لم يحدث أيّ شيء لحدّ الآن، فلأن شيئاً ما
ريب، سيحدث في مستقبل قريب. وفي 1928، اعتبر رئيس الأمن الجهوي بفاس بأنّ با

211 إن «السر» يبدو لنا بخلاف ذلك أكثر بداهة، وتفرضه السرية، في مادة تقنية الدعاية. فمثلا توزيع مناشير سيا
وضعها في كتيبات للدعاية التجارية، وتوزيع جريدة ممنوعة مدرجة داخل عدد من مائتان، هذان أسلوبان لفت
المصالح السياسية لوزارة المستعمرات، في وقت مبكر جدا، انتباه المسؤولين (AN SOM Aff. polit 2415،
حول الدعاية البلشفية في المستعمرات، 19 أبريل 1922)، ومن المحتمل جدا أنهما استعملا مرات عديدة
كتيبات أو مناشير أو جرائد ممنوعة الى المغرب (انظر أدناه).

212 يحدث أن تشهر مصالح الشرطة نفسها بالأسلوب انظر AN F7 13101 (حملة ضد الحزب الشيوعي. 27
1929، مذكرة 21 شتنبر 1927).

213 AN SOM Aff. polit 2415 (مذكرات عن الدعاية الثورية التي تهم بلدان ما وراء البحار). مذكرة 9
.1922

214 SHA MAROC RSD 79 (II C2) مشدد عليه من طرف الذي أرسلت اليه هذه المذكرة (الديوان ال
للمقيم العام بالرباط).

أن يستخلص من تَحَرِّيه الطويل أنّ «الآثار العملية للدّعاية الشيوعية شبه منعدمة في الوقت الحاضر» (كذا)؛ لكنه يضيف فوراً : «إلّا أنّه من المُحتمل جدّا أن يتوصّل المبعوثون المأجورون من طرف موسكو، عمّا قريب، إلى خلق مصاعب لنا بتحريكهم ضدنا للجماهير غير المتعلّمة» (215).

لكنّ المِثال الأكثر بروزاً دون ريب، لهذه العقلية، هو الذي يجسده رئيس منطقة الغرب الذي كتب للمقيم العام : «في المدينة، بُور ـــ ليوطي، ليس ثمّة بين الأهالي حركة شيوعية بحصر المعنى. يوجد تحريض وطني قد يكون ـــ **منطقيا ينبغي أن يكون** (216) ـــ متحزّباً جزئياً للحركة الشيوعية ومُسَاعَداً من طرفها، لكن حاليا، ليس هناك أيّ برهان، ولا حتّى أي عَرَض لتواطؤات من هذا القبيل أمْكَنَ كَشْفُها» (217). إن غياب الحُجَج مُؤَكَّدٌ عليه هنا صراحة في الخاتمة؛ فهل ينبغي التفكير بأن الشّكل المُعْطى للمقدّمات «يوجد تحريض وطني قد يكون ـــ منطقيا ينبغي أن يكون...» لا يُعَبِّر سوى عن اعترافٍ بحقائق السّاعة من قِبَل موظّف سام مُتحمّس أو مجرد محترِمٍ للقِيَم السائدة ولكنه يحتفظ لنفسه، في ممارسة مهامه، بإمكانية الوصول الى استخلاصات مُخَالِفة ؟ أوَ ليس من الأبسط التفكير بأنّ الضّغط المُمَارَس من طرف الايديولوجيا السائدة ـــ سواء مُورست هذه الأخيرة بواسطة توجيهات وزـرية أو بواسطة حملات الصّحافة ـــ يُرْغِمُ موظّفي السلطة في بعض الفترات على تكريس انتباههم للخطر البلشفي وللتواطؤ بين العناصر الشيوعية والوطنيين الى حَدٍّ خلق تصرّفٍ ينتمي للتّسمّم الذاتي ؟

لقد سبق أن لاحظنا الشكل المُغْرِض الذي تتّخذه المراسلات الوزارية، خاصّة فيما يتعلق بالدّسائس الشيوعية في الجيش. إن المُذَكّرة التي وجّهها المقيم العامّ للمغرب لمعاونيه، في 1937، لطلب «المعلومات التي أمكن لمصالح (هم) استقاءها حول العمل الشيوعي في المغرب» تبدأ بالتأكيد على أنْ «تطوُّرَ الدّعاية الشيوعية في إفريقيا الشّمالية، المُشَجَّعَ باستمرار الأزمة الاقتصادية والمُتَعَهَّدَ، احتمالًا، من طرف تأثيرات أجنبية، قد ازداد خلال

215 نفسه. (II b، رقم 49، تقرير رقم 4739/SR 21 مايو 1928).

216 التشديد منا.

217 SHA MAROC RSD 88 (رسالة رقم 149 في 9 مارس 1955). لنسجل، في اتجاه مشابه، جواب نائب قنصل فرنسا بتطوان، الذي سئل من طرف المقيم العام حول العمل الشيوعي بالمنطقة الاسبانية (رسالة رقم 44 في 26 فبراير 1935). فبعد أن ذكر أسماء بعض المشبوهين، ختم هذا الموظف قائلا : «في كل هذا، لانرى أبدا أثر الشيوعية الموسكووية... وهو ما لايعني أن موسكو لاتتدخل في السياسة الاسبانية، لكن عملها لايتبدى إلا بمنتهى التهذيب وعبر أشخاص مسخرين. أي أنه لايمكنها أن تجعل وجودها محسوسا في المنطقة الاسبانية إلا بدرجة ثانية وحتى ثالثة.» نفسه. (رسالة رقم 76 في 14 مارس 1935).

الشهور الأخيرة، بارتباط وثيق مع نشاط العناصر الوطنية في الجزائر، وتونس والمغرب» [218].
كيف يمكن التفكير بأنّ مُوَظَّفاً لايهيِّئُه لاتكوينه ولا ممارسة مهمته، في هذا الصدد، لتطوير مَلَكاتٍ نقدية، لا يَنْخَدِعُ بالشكل الصّريح الممنوح من قِبَل رؤسائه لتعْليلاتٍ من هذا القبيل ؟

بل هل من الضروري النطق بلفظتي «شيوعية» و«وطنية» لاثارة هذا التواطؤ ؟ في 1931، أعلنت جريدة لوتون * عن اعتقال أحد المسلمين بالرباط يدعى أحمد الجبلي، وذلك بتهمة توزيع مناشير «تدعو الأهالي الى التمرّد». وقد وضحت الجريدة قائلة بأن هذا الأهلي «ينتسب الى الحماية الروسية». وسيستنتج قراء لوتون الخلاصات بأنفسهم [219]. فهم لا يعلمون بأن الخبر الذي قُدِّمَ لهم خَبَرٌ مُلَفَّق [220] : إذْ ليس فحسْب لم يتم أي توزيع لمناشير تدعو الى التمرّد، وليس فحسب لم تعد «الحماية الرّوسية» توجد منذ 1914 [221] ولكن المعني بالأمر ينتسب، بالعكس، الى الحماية الفرنسية، وسيكون الامتياز القضائي المترتّب عليها في أساس المُرافعة التي قدّمها محاميه.

☐ تُمَثِّل **المغالاة** شكْلاً آخر لتسميم الرّأي. إنّ الأمر يتعلق، انطلاقاً من وقائع دعايةٍ حقيقيةٍ، بتضخيم أهمّيتها الى درجةٍ لا يبقى معها سوى مقاضاة «المُحَرِّضين» أمام المحاكم. عندئذ يُظْهِرُ تحرٍ أكثر عمقاً وعند الاقتضاء تحقيقٌ قضائيٌ هشاشات الاتهام. إنّ قضية دومون وقضية المغرب الأحمر ترصّعان هذا المسعى. فملف دومون انتهى في الواقع الى قضية تافهةٍ للدعاية الشيوعية. ففي الأخير، لم تؤخذ بعين الاعتبار ضد المعني بالأمر سوى أحاديث ذات طابع «هدام» قيلت أمام بعض المغاربة، وتوزيع جريدة باللغة العربية، ممنوعة في تراب الحماية. إن ظروف الاتهام هي التي تُنِمّ هنا عن المغالاة. فمدير مصالح أمن المغرب، بعد أن رُفِعَ إليه الملف وتقريرٌ للجنرال قائد منطقة مكناس، أبلغ المقيم العام بأنه يشاطر السلطة العسكرية استنتاجاتهما : يجب إبعاد جول دومون من تراب الحماية [222]. لكن في غياب المقيم، كان لهيلو، الوزير المنتدب الذي ينوب عنه، رأي آخر؛ فهو يرجو فتح تحقيق قضائيٍّ [223]. وبعد

218 نفسه. رسالة رقم CMC 216 في 21 فبراير 1935.
* Le temps
219 لوطون، 2 مايو 1931 (Le Temps).
220 أنظر الجزء الثالث.
221 إن الحكومة الروسية هي أول من تخلى عن الامتيازات المتحدرة من نظام الامتيازات الأجنبية.
222 SHA MAROC RSD 88 (ملف دومون، رسالة رقم DSS 20051 في 24 نونبر 1934).
223 نفسه، في الرسالة المشار اليها سابقا للأمن، كتب المنتدب لدى الاقامة بخط يده : «في رأيي، من الأفضل التصرف بواسطة تحقيق قضائي. ولا حاجة الى القول بأن هذا ينبغي أن يتم بطريقة مستعجلة حتى يمكن للتفتيش أن يعطي النتائج الايجابية المتوخاة».

يومين من ذلك، ارتأى مدير الأمن أن من الواجب عليه الالحاح على الأهمية التي يمثّلها حلٌّ من مستوى الأبعاد، ذلك أن الاتهام «يمكن أن تنجم عنه مساوىء. فإذا أُقِرَّ، ستكون المناقشات المتبوعة بمرافعات بمثابة إشهار يبدو أنّ من الأحسن تلافيه : ذلك أنها يمكن أن تضع موضع الاتّهام شخصيات كانت لها علاقة مع المُتَّهم عند دعايته. فضلًا عن ذلك، فإن مناقشات من هذا القبيل لا يمكنها إلّا أن تثير حماسة العنصر الأهلي، الذي هو حاليا، أو على الأقل فيما يبدو، قليل الانشغال بدعاية من هذا القبيل. وأخيرا، من الممكن ألّا تنتهي المحاكمة بإقرار الحُكْم، وفي هذه الحالة سيغدو إبعاد دومون صعب التحقيق» (224). هذه الخشية لا تَشْهَدُ بحذَرٍ ما تجاه القضاة، لا سيما وأنَّ دمون من الذين يمكنهم المثول أمام المحاكم العسكرية، ولكنّها تشْهَدُ بنقص الاثباتات المستقاة ضد المعني بالأمر. غير أن السلطة السياسية تجاهبت هذا النقص في الاثبات. كما أن الحكم على دومون بثلاثة أشهر سجنا وبمائة فرنك غرامة والحيثيات التي بررت طرده تظهر المغالاة التي طبعت هذه القضية (225).

في قضية المغرب الأحمر، تمَّ الكشف عن هذه المغالاة من طرف السلطات الادارية نفسها. فكاريو، مُفَوَّض مقاطعة الدّار البيضاء، يخلص في تقريره الى أن هناك، في هذه القضية، ثلاثة مستويات من الوقائع ينبغي الأخذ بها : أولًا، التّنظيم لدعاية معادية لفرنسا لدى الأهالي؛ ثانيا، دعاية معادية للنزعة السعكرية؛ ثالثاً، إنجاز وتوزيع جريدة ممنوعة مُوَجَّهةٍ للأهالي. فيما يتعلق بالنقطة الأولى، يقول المفوض موضحا : «ليست لدينا أية حجّة مادّية. هذه الحجّة يمكن الحصول عليها بواسطة تفتيشاتٍ دقيقة لدى الشخصيات الرئيسية، لكن هذا ليس أكيداً، لأن هؤلاء يقظون». وبالنسبة للدّعاية المعادية للنزعة الاستعمارية، «وحده بيسْيِير يمكن أنْ يُوَرَّطَ فيها، وحَتَّى هنا لا يمكن مُؤاخذته سوى على علاقاته بالبحّار روبور، لأنه لم يتم أبداً تسجيل أي عمل مادّي للدعاية». وأخيراً، فيما يتعلق بإنجاز وتوزيع المغرب الأحمر، يرى كايو بأنه مادام الأمر يتعلّقُ بجريدة باللغة الفرنسية، وبما أنها لا تتضمن أيّ مقالٍ يهمّ أمْن الجيش وأنَّ الجنحة ارتكبَتْ في التراب المدني، فإن المحكمة المدنية هي المختصّة (226). وبناءً عليه، يلاحظ المُفَوّض، من «التّهوّر الدّخول في درب المقاضاة حيث توشك النتيجة على الانقلاب لصالح المُتَّهمين، وهو ما سيكون مؤسِفاً جدّاً.» في الختام، يقترح مسؤول

224 نفسه. (مذكرة رقم DSS 13 في 26 نونبر 1934).

225 لم تحتفظ المحكمة في الأخير ضد المتهم سوى بتوزيع جرائد ممنوعة في التراب المغربي. وفي برقية موجهة الى الكي دورساي، لاعلان طرد دومون، وضح هولو بأن «المتهم كان أحد المحركين الرئيسيين للدعاية الشيوعية في المغرب»، لكن أضاف قائلا «دعاية ليست سوى في بداياتها، ويتابع تنظيمها بنشاط، خاصة في الدار البيضاء» نفسه (برقية مرقومة 106 — 107 — 108 في 6 مارس 1935).

226 يرجع المفوض هنا الى وجهة النظر المعبر عنها من طرف رئيس المحكمة العسكرية للدار البيضاء.

أمن الدّار البيضاء، عوض مُتابعا قضائية، أن يقتصر الحكم على إجراء إبعادٍ في حق الأشخاص السّتة المُجَرَّمين في هذه القضية (227). لكن ها إن الجنرال قائد وَحَدات المغرب، الذي تلقّى نُسْخةً من هذا التقرير، يقلق للتوابع التي خُصِّصتْ لهذا الاقتراح (228). لقد كان جواب المقيم العام ذا دلالة : «يتم حاليا إجراء تقصيات تكميلية، كما تمارس مراقبة في منتهى الفعالية على العناصر الشيوعية التي ستتخذ في حقها الاجراءات اللازمة عند الاقتضاء» (229). هكذا تَمَّ إفراغ القضية بأكملها : ففي فترة أولى، تَمَّ ذلك من طرف مُفَوّض الشرطة الذي بدا عاجزاً عن متابعة المناضلين الشيوعيين المُتَّهمين أمام المحاكم، وفي فترة ثانية من طرف المقيم العام نفسه، الذي رفض اتّخاذ عقاب إداري في حقهم، رغم الطّابع التّقْديري المتعلق بهذا الاجراء.

□ **الخطأ.** يمكن افتراض أن تطور الكفاحات الوطنية والثورية في إفريقيا الشمالية ترافق مع إنتاج عدد من الوثائق التي لم تكن صحتها أكيدة دائما. إننا لانتوفر على عناصر تسمح لنا بتقدير أهمّيتها والتّدليل على إواليات‍ها. وسنكتفي بواحدة من تلك الوثائق ساقتنا صُدَف البحث الى تخصيص حيّزٍ لها والتي سميناها «خطأ مالاكا».

تستدعي الأساليب المستعملة من طرف أصحاب هذه الوثيقة بادىء ذي بدء بعض الملاحظات الشّكلية. فلكي يقتنع الذين أُرسل إليهم الملف بصحّة الوثائق المُرْسَلَة من طرف مكتب مالاكا، أَرْفَقَهُ هذا الأخير بصورة الرسائل المخطوطة ــ بالفرنسية ــ الصّادرة عن فولكوف، أحد العملاء الرئيسيين لـ «المؤامرة البلشفية». يعتبر الأشخاص المقدمون في هذه الوثائق في منتهى القرب والبعد معا؛ وهم أيضا أشخاص في منتهى القوة : إنهم غرباء ذوو شأن. وغالبيتهم يوجدون في باريس (فوظائف بعضهم تضعهم بالضّبط في سفارة السّوفيات)، وعندما لايجتمعون في العاصمة، فإن اختيارهم يقع على فرساي كمكانٍ لندواتهم السّرّية. ثَمَّة من بينهم فرنسيٌّ وإسبانيٌّ يلعبان دوراً عَرَضِياً. ويمكن أن نتساءل عمّا إذا كانت المهام المسندة للانجليز وللألمان، الأوائل كمُهَرِّبي أسلحة وبحّارة مجرّبين، والآخرين كمدّربين عسكريين، لا تتطابق مع خيال تقليدي، تَقَوّى بمناسبة حرب الرّيف الحديثة العهد (230). إننا نجد أيضاً إيطالياً وتُرْكياً. لكن الأشخاص الرئيسيين من الروس؛ كممثلين للحكومة

227 يعني روني شامبيونا، روبير بيسيار، شارل دبوي، ماكسيمليان رومبرو، روجي بانتيي، ومحمد شريف. SHA MAROC RSD 88، (رسالة رقم 12، سري، في 14 مايو 1935 الى رئيس منطقة الدار البيضاء).

228 نفسه. (رسالة رقم 788/2C في 19 أكتوبر 1945 الى المندوب العام لدى الاقامة.

229 نفسه. (رسالة رقم 1251/CMC موقعة من طرف بونسو، بتاريخ 9 نونبر 1935).

230 انظر أدناه، الفصل السادس.

السّوفياتية أو للكومنترن، نجد أنهم هم الذين يلهمون ويُوَجّهون ويراقبون تنفيذ مخطّط التمرد. لقد قدَّمَ انطباع القُوَّة عَبْرَ الاطار الجغرافي للمؤامرة (من موسكو تمر الخيوط عبر باريس، لندن، برلين، برشلونة، وطنجة لكي تصل الى الرّيف)، وعبر الفعالية (شراء وتسليم أسلحة، إرسال مُدَرِّبين، التّحضير في نفس الوقت لأعمال سياسة وعسكرية). وتستدعي قوّة المُتآمرين فكرة قوّةٍ مترابطةٍ للمصالح الفرنسية ـــ الاسبانية : أوَ لَمْ تمض هذه الأخيرة الى حدّ الحصول على المراسلات والمُذكّرات المُتبادلة بين العملاء الشيوعيين ؟ إن معرفة خُطط العدو قمينةٌ بالسّماح بإحباطها.

في العمق، يمكن أن نتساءل كيف تستطيع هذه المتنوعات، التي تبدو طالعةً من رواية رديئة في الجاسوسية، أن تصير موضوع إرسالات رسمية من طرف مصالح وزارة الحربية ومصالح الجزائر والرّباط . أوَ لم تعْلَمْ مصالح الاستخبارت المدنية والعسكرية للحماية، على الخصوص، بأن أيّاً من الأشخاص المورطين لم يُضْبَط أبَداً ولا كان حتّى موضوع إشارة في التّراب المغربي وأنّ لاشيء يسمح بتأكيد الاشارات المُعْطاة من طرف مالاكا والمتعلقة بتنظيم موسكو تمرد السكان الريفيين ؟ إن الانتباه الذي أولته السلطات لهذه المعلومات يُفَسَّرُ، في رأينا، بقراءة أخرى للملف، لم تُشَدِّدْ على قُرْب حدوث تمَرّدٍ بقدر ما شدّدت على الطّابع المُسْتَمِر للتّهديد البلشفي.

يتضمن هوس التّمرّد، كما نَجَم عن مِلّف مالاكا، بالفعل، وجهين. ففي مقام أول، هناك الوصفُ الدّقيق قَدْر الامكان للبنيات الشيوعية المُتّهمة، والاشارات المتعلقة بالوضعية والاتّصالات القائمة بين «عملاء موسكو» والحكاية المُفصلة لمجهوداتهم بهدف تأمين التّسليح ثم التّأطير العسكري الضروري للرّيفيين، كل هذه العناصر استهدفت جعل إمكانية تمرّدٍ ثوري في المدى القصير ذات مصداقية. فالذين أُرْسل إليهم الملف لايعلمون أن التدقيقات المتعلقة بأسماء ووظائف وعلاقات العملاء الشيّوعيين هي، في أساسها، خيالية بخلاف ذلك، يعلمون أن الانزالات المُعْتَزَم القيام بها في المغرب لم تتم. من الأَلْيَق إذن ـــ وهذا هو الجانب الآخر للملف ـــ التوفيق بين الرواية ومنطق الوقائع. إلّا أنّ هذه الأخيرة تُظْهِر بأنّه انطلاقا من 1927 تمكّن الاسبان تدريجياً من التحكّم في الوضع في الرّيف، ماعدا بعض الاشتباكات وبعض الحوادث الرّاجعة الى «هجومات مفاجئة». إن استحالة تمرّدٍ مُعَمَّمٍ وفوري قُدِّمَ إذن كإقرارٍ، من طرف البلشفيين أنفسهم، باستتباب الأمور لصالح الاسبان. غير أن الخَطَر لم يتم إبعاده، لأنّ بنْيات التّدخل الشّيوعي في المغرب، حسب أصحاب ملف مالاكا، لا تزال قائمةً وتعمل جاهدةً لِقَلْبِ الوضع، بتطويرها للدّعاية الثّورية وبتزويدها للرّيفيين بالأسلحة والمُدَرّبين. والبَرْهنة المُسْتَعْمَلة هي بالضبط نفس البَرْهنة التي

سبق أن وَصَفْنا : فكون الهجمة الشيوعية المحضر لها والمرتقبة لم تتم ليس معناه أنها لن تقع. فالمؤامرة البلشفية تشكّل تهديداً مُسْتمراً لا ينبغي صَرْفُ الاهتمام عنه.

وظـائـف الأسـطـورة

هكذا، بتسميم كان بَعْضُ خالقيه أحيانا هم أول ضحاياه، بُنِيَتْ أسطورة العدوان البلشفي في المغرب. يبقى أن نتساءل عن دلالتها الحقيقية. إذ لايمكننا، بالفعل، أن نكتَفِي بملاحظة أنّها تَتطابَقُ مع شعورٍ واسع الذّيوع في الطبقات الحاكمة وجهاز الدّولة : الخشية من رؤية «الموجة الحمراء» تَتَدَفّق على الغرب، مُهددة سيطرته على أراضي ما وراء البحار. إن مؤلّفي التقارير الأكثر تيقنا من التّحريض الشيوعي يعرفون جيداً، في الأخير ــ وهم غالباً ما يكتبون هذا بأنفسهم ــ بأن الخطر ليس فوريا. فتحليل الوضع يسوقهم إلى الدّفع بأجَلِ التهديد البلشفي الى المَدَى البعيد. في هذه الحالات، هل يكون لتقاريرهم قيمة تنبيهية فحسب ؟ ألَا يسمح تحليل النصوص بالمُضِيِّ أبعد من هذا وتمييز من خلال الحَوافِزِ المُعَبَّر عنها من طرف السُّلطات البوليسية والقادة السياسيين وظائف الأسطورة ؟

تـقـيـيـد الـحـريـات العـامـة

يلزمنا التّذكير بأن إخماد الفتن يستهدف، بكل معنى الكلمة، إخضاع السّكّان الأهالي. لقد أُنْشِأ، تدريجيا، جهاز يسهر في المغرب على تأمين الهيمنة الفرنسية على جميع الأصعدة : الاقتصادي، والسياسي والاجتماعي. وترتكز هذه الهيمنة على الفكرة الواضحة والمُتَصَلّبة لتفوّق الغازي وإمكانية تطور تدريجي، ولكن بطيء، للسّكان المحميين وِفْقَ الطّرق والوسائل الوحيدة المحددة من طرف المستعمِر وحده. غير واردٍ إذن بَسْطُ الترتيبات المتعلقة بممارسةِ الحرّيات الدّيمقراطية داخل الحماية. من هنا منشأ نظام تقييدي مفروضٍ على الصّحافة، والتجمعات العُمُومية والجمعيات، ومُشَدَّدٍ على الخُصُوص عندما يتعلق الأمر بالمغاربة. إن تاريخ الحماية مَلِيء، كما سنرى، بمعالم الاحتجاجات التي تزداد قُوَّتها أو تقل ضد هذا الوضع. وهذه الاحتجاجات لم تصدر فحسب عن الأوساط المغربية أو اليسار الفرنسي. بل تصاعدت أيضاً من مختلف قطاعات الرأي التي كانت تهبّ دوريا ضِدَّ نظامٍ كانت تُشَهِّر بطابعه التعسفي. بالنسبة للسلطات، كانت الضرورات العسكرية تُبَرّر حالة الحصار، لكن بعد استسلام عبد الكريم (1926)، لم يعد المُنْشَقّون المغاربة يُعَرِّضون حقّاً الوجود الفرنسي في المغرب للخطر، رغم أن المعارك الأخيرة امتدت الى غاية 1934. وأثناء ذلك، كانت

الخشية من الشيوعية تُستغلّ كذريعة. لقد شكّلتْ بالنسبة للسلطات سبباً كافيا لاعطاء الأسبقية لدواعي الأمن على مُتطلّبات الحرية (231).

بعد أن أشارت مذكّرةٌ لوزير الدّاخلية، بتاريخ 2 غشت 1927، الى أنّ الحزب الشّيوعي «يَجدُّ لخلق التحريض بين السّكان المسلمين لافريقيا الشّمالية، وفي المغرب على الخصوص»، أُلْزِمَتِ الولاة بألّا يمنحوا جوازات سَفَر باتّجاه الحماية «ألّا بمنتهى الاحتراز. هذه الجوازات ينبغي أن تُرْفَضَ لكل فَرْدٍ معروفٍ علانيةً كشخص قابِلٍ لأن يُزْعِج النظام والطّمأنينة العمومية» (232). لقد بدا لنا مع ذلك، أنَّ النشاط الشيوعي في المغرب خلال هذه الفترة كان يُعْتَبَرُ عديم الأهمية. بعد سنوات من ذلك، طَلَبَ الجنرال قائد قوّات المغرب، بعد أن أخبر بأن في نية بعض الجزائريين القدوم الى المغرب «للقيام فيه بدعاية شيوعية أو وطنية (كذا)»، أن يُمْنَعَ «إلى أقصى حَدٍّ ممكن، كلّ فَرْدٍ مشبوه من دخول الحماية» (233). لكن في بعض الحالات، لم يكن مَنْعُ الدّخول الى المغرب مُمْكناً دائما؛ لِذا اقْتُرِحَ الحدُّ من عواقبه. هكذا تقرر أن يمنع فيليسيان شالاي، وهو أستاذ بثانوية كوندورسي، ومعروف بآرائه المُعادية للاستعمار وكان قد ألقى مؤخرا سلسلة من المُحاضرات في منطقة تونس (أبريل 1934)، «من إلقاء أية محاضرة أو أن يقوم بأي تجمع عمومي» (234) في حالة قُدومه الى المغرب.

لقد كانت بعض الفئات من الفرنسيين معروفة، بشكلٍ مُسبق، بتشجيع التحريض المُناهض لفرنسا. خاصّةً، كما أشار مدير الشّؤون الأهلية، المُوَظّفون الذين لهم علاقات مع الأوساط المغربية أو الذين دُعُوا لممارسةِ تأثيرٍ ما على تلك الأوساط؛ فالمُعلّمون والبريديون ينبغي أن يَخْضعوا لمُراقبة خاصّة (235). لكن قائد درك فاس لم ينتظر هذه التّوصية لكي يقول ما يُفكر فيه بخصوص الحرية المتروكة للمُدَرّسين. فبعد أن نَظَّمَ فَرْعُ عصبة حقوق الانسان بفاس، في 22 فبراير 1933، اجتماعاً نَشّطَهُ أُسْتَاذٌ ومُعلّم حول موضوع رَفْض

231 لنسجل من الآن بأن عصبة حقوق الانسان لم تكن مقتنعة بالأسباب ذات الطابع العسكري التي قدمتها الحكومة لتفسير حالة الحصار في المغرب. وينير تعبيرها عن خلافها إشكاليتنا : «إنه لمن المغلوط على الأقل التأكيد على أن الأمر يتعلق بإجراء ذي طبيعة عسكرية : إنه إجراء من طبيعة سياسية أو بالأحرى إدارية هذا الذي يسمح للسلطة ليس بمواجهة خطر لاوجود له، ولكن بتلافي الانتقادات التي ستكدر بعض الموظفين.» رسالة من اللجنة المركزية للعصبة الى وزير الشؤون الخارجية بتاريخ 23 فبراير 1921. دفاتر حقوق الانسان، 10 أبريل 1921، ص ص 161 — 162.

232 APP BA 1676 (نشاطات سياسية في المغرب).

233 SHA MAROC RSD 88 (رسالة رقم 760/2C في 7 أكتوبر 1934 الى المقيم العام).

234 SHA MAROC AI MAR 630 372 (مذكرة رقم 1155 DAI C/3 في 7 يونيو 1934، من إدارة الشؤون الأهلية).

235 نفسه. (رسالة رقم 15/DAI C/3 في 4 يناير 1936 موجهة الى جميع رؤساء المناطق).

المُحَارِبة، أَرْسَلَ الى السُّلطة العليا قُصاصة الجريدة التي عَرَضَتْ للاجتماع (236) وأضاف تعليقاً شَخْصياً : «إنه لمما يصعب احتماله أن نلاحظ بأن كل الاجتماعات التي تدور حول موضوع التنقيص من قوات البلاد منظمة من طرف مربين رسميين للشباب نجدهم أكثر حرصا على النزعة الأممية منهم على وطنهم الخاص» (237). إذا كان المُدَرّسون يُشكّلون فئةً خَطِلَةً على نَحْو خاص، فليس ثمَّة ضَرُورةٌ، في بعض الحالات، لانتظار تورّطهم في مؤامرة شيوعية للتّخلّص منهم. هذا ما سعى رئيس منطقة الغرب الى تفسيره للمقيم العام. فبعد أنْ سُئِلَ عن العمل الشيوعي في دائرته، أجاب بأنْ ليس ثمَّة تحريض بحصر المعنى تمكن الاشارة إليه. ومع ذلك، انتهز الفُرْصة لِيُشَهِّرَ بـ «الدّعاية المتطرّفة» التي تقوم بها الشبيبات الاشتراكية على الخصوص والتي يتشكّلُ مُنَشِّطوها من أربعة مُعَلّمين. «إن الأكثر خطراً، من كثيرين، هو السيد دولما الذي يسعى علانيةً الى جَرِّ الأهالي في أثره». لقد كان له خلال اجتماع صندوق المدارس، «موقف من أكثر المواقف شُبْهَةً» حيثُ، بعد أن انتقد تَصَرُّفَ أغلبية الوُجهاء الأهالي لبور ــ ليوطي، طَلَبَ «أنْ تمنح ملابس للأطفال الأهالي الفقراء» ومن جهة أخرى، يكتب مقالات معادية للنزعة العسكرية في جريدة لوماروك سوسيالست. وهذا يبدو كافيا لرئيس المنطقة كمبررٍ لطرد المعني بالأمر من المغرب (238) وكفرصة يستنتج من خلالها قائلا : «من المستعجَل إيقاف هذا النوع من النّشاط غير المقبول خُصُوصاً حين يَصْدُرُ عن موظّفين يَذُمُّون ويقاتلون النّظام الذي يُؤَمِّنُ عَيْشهم ويسعون الى جَلْبِ قلاقل، أو ما هو أسوأ من هذا، في بلدٍ أرسلتهم فرنسا إليه، مُكلَّفين برسالة حضارية نبيلة» (239).

لقد كان على الموظّفين الفرنسيين في المغرب، بصفةٍ عامة، أن يكونوا، خارج العمل، «قُدْوَةً»، وألّا يُظْهِروا مزاجاً رافِضاً. ولأنّه نسيَ هذا، أوشك موريس روبي، وهو محرِّرٌ شاب بإدارة المالية بالرباط وعضو نشيط في الشّبيبات الاشتراكية، أن يُؤَدّي الثمن غالياً. لقد سمح لنفسه، بإحدى صالات السينما (240)، خلال عَرْضٍ للأنباء، أن يُعبِّر بصوتٍ عالٍ عن استهجانه أمام استعراض عسكري (241). هذا حدث صغير، لكن تم تضخيمه. وبما أن

236 يتعلق الأمر بـكوربي دوماروك في 26 فبراير 1933.

237 SHA MAROC RSD 88 (رفض المحاربة)

238 «سيكون مرحبا جدا أن يتم إرجاع المعني بالأمر، وهو موظف ميتروبوليتاني، كان قد وضع تحت تصرف الحماية، الى إدارته الأصلية. إن السيد دولما غير مرغوب فيه، ليس فقط في بورليوطي، وإنما في مجموع المغرب.» SHA MAROC RSD 88 (رسالة رقم 149 في 9 مارس 1935). الرغبة التي عبر عنها هذا الموظف السامي ستتحقق جزئيا، بعد سنة من ذلك، من طرف المقيم العام بيرتون الذي سيقوم من تلقاء نفسه بنقل دولما.

239 نفسه.

240 في 14 أبريل 1934.

241 لقد أوخذ على كونه صاح : «ليسقط الجيش»، بينما قال بأنه صاح : «لتسقط الحرب !». إن روبي ضابط احتياطي.

رؤساء روبي، المرتاحين لطريقته في العمل، لم يفكّروا في اتخاذ عقوباتٍ، عَمَدَ دوفيرنوا الى إخطار الماريشال بيتان نفسه، الذي أمسك القلم لكي يقول للمقيم العام ما يفكّر فيه بهذا الصَّدد : إن حدثاً كهذا «ينمّ عن عقليةٍ مُزْعجة لدى موظَّفٍ فرنسي في المغرب». يضيف قائلاً، يبدو أن لديكم «عَدَدا كبيرا من الموظّفين الفائضين. أية فرصة ممتازة لتتخلصوا من شخصٍ غير مرغوبٍ فيه. سيكون هذا الاجراء، فضلًا عن هذا، قوي المفعول بالنسبة للزّملاء الذين يمكن أن يستهويهم تقليده» (243). وتطورتْ حملة في هذا الاتّجاه (244). وأخيراً مثل روبي أمام المحكمة العسكرية بالدّار البيضاء التي حكمتْ عليه بالعقوبة القُصْوى، أي ثلاثة أشهرٍ سجناً مع وقف التّنفيذ (245).

هناك فئة أخرى من الفرنسيين في المغرب وَجَبَتْ مراقبتها : إنهم الصّحفيون. لقد كان بعضهم مكروهين من طرف السّلطات. فانتقادهم لعمل الحماية في بعض الظّروف أو فقط قريحتهم اللاذِعَة تنتهي بأن تجعل منهم أشخاصاً غير مرغوبٍ فيهم. وقد كانت إجراءات الطّرد تُقَرَّرُ بسرعة. ولا يبدو، أن الادارة تحت ولاية ليوطي، رأتْ من الضّروري أن تُبَرّر قراراتها بِنَسْبِهَا الى الآراء «التخريبية» للمعنيين بالأمر. ومع ذلك هناك استثناء، يتمثل في قضية هيدلين. لقد كان شارل هيدلين، الذي قدم الى المغرب منذ 1913، محرّراً في جريدة البروغري ماروكان *، ثم في جريدة لابريس ماروكان *، حيث لم يكن يَتَهَيّبُ من خَدْشِ الاقامة العامة. في 24 نونبر 1919، مَسَّهُ قرارُ إبْعاد من المنطقة الفرنسية للحماية بسبب دَفْعِ عُمّال شركة شنايدر الى الاضراب، هذا الاضراب الذي «بدا» أن هيدلين «حَسب السّلطات، قد حاول إعطاءه طابعاً بلشفياً» (كذا). وبعد التّحرّي، تمَّ الاقرار بأن هيدلين لم ينتم أبداً لأيّ تنظيمٍ من اليسار المتطرّف. ومع ذلك، أُكْمِلَ قرار الابْعاد الذي اتُّخِذَ في حقّه بقرار طردٍ في 20 مارس 1925. فاستَقَرَّ هيدلين بطنجة، حيث أسَّسَ مجلّة الحوليات الطنجاوية *. وبعد ذلك بقليل، يكتب ضابط المخابرات الذي نأْخُذُ عنه هذه التّفاصيل، اعتاد على التوجّه

242 يبدو أنه قد عاد الى المغرب، بعد أن أعفي من الأطر، بصفة مندوب للعقيد دولاروك لافريقيا الشمالية، لوماروك سوسيالست، 24 غشت 1935.

243 SAH MAROC RSD 88 (رسالة خطية، في 13 مايو 1935).

244 منشطة خصوصا من طرف لوجور (لليون بيلي) ولافيكتوار (لكوسطاف هيرفيس) اللتين كانت تستعاد مقالاتهما ويعلق عليها بكثرة من طرف هاري ميتشيل، كاتب افتتاحيات لابريس ماروكان (انظر خصوصا 18 و22 يونيو 1935).

245 في 23 يوليوز 1935.

* Le Progrés marocain
* La Presse marocaine
* Les Annales tangéroises

«عَفْوِياً» الى القنصلية العامّة لفرنسا، «لكي يعبّر فيها عن تصرّفاته الوفية، ويؤكّد تعلّقه الشّخصي بالمقيم العام، ويطلب إرشادات يتّبعها» (246). أمّا كاريت — بوفي فهو صحفي من طينةٍ أخرى. إن قِصّة علاقاته مع السلطات المدنية والعسكرية للحماية أحدثت هي أيضاً ضجّةً كبيرة. وهي تقدّم قبل 1930 أحسن مثال على استعمال الأسطورة البلشفية في المغرب.

قضيـــة كاريت — بوفـي

في بداية 1926، أَطْلَقَتْ لوكري ماروكان، وهي الأسبوعية الكبيرة لليسار بالدّار البيضاء (247)، حَمْلةً جدَّ قاسيةٍ ضِدَّ الجنرال فرايدينبورغ، قائد منطقة مكناس، الذي اتّهمته بتَرْكِ الأهالي يُجَرَّدون من أراضيهم لصالح بعض المُتاجِرين (248). لقد كان مُؤَسِّسُها ومديرها العام كاريت — بوفي عضواً بالفرع الاشتراكي للدّار البيضاء. إنه ليس ثورياً. فهو يعتبر الحماية أمْراً واقعاً لا يُعادُ فيه النّظر، ولكنه يؤاخِذ الاقامة على كون سياستها مضادة للمجتمع وغير آبِهَةٍ بما فيه الكفاية بمصالح الجماهير المغربية (249). وفوق ذلك كله، كان يكره العسكريين. لقد اغتبط لتعويض ليوطي بستيك، ولكنه قَلِقَ لاحتفاظ بعض الضّباط الجنرالات، الذين كان يشجب لديهم التّهور والاعتباط بوظائفهم (250).

في 26 أبريل، وصل نبأ اعتقال كاريت — بوفي بتهمة مساعدة بعض الفَارّين من الجيش. فقد استقبل فَيْلَقِيّيْن فَرَنْسِيّيْن صَرَّحَا له بأنَّ لهما آراء شيوعية وأنهما فرّا، بعد أن

246 **SHA MAROC RSD 91** (مذكرة **OLR** في 12 يناير 1932).

247 لقد أسست في 1923 تحت إشارة «جمهورية حرة، لسان حال التجارة، والزراعة والصناعة». وصارت في 1926 «الجريدة الرسمية للحزب الاشتراكي» وبشكل أبسط «الجريدة الاشتراكية في الدار البيضاء» في 1928. وبعد أن كانت نصف أسبوعية من ست صفحات في 1923 صارت أسبوعية في أربع صفحات ابتداء من 1926، ويبدو أن سحبها كان ستة آلاف نسخة في 1926 وسبعة آلاف في 1928 (معلومات مستقاة من **الدلائل السنوية للصحافة**) في 1923 الى 1933، ولا تبدو **لوكري ماروكان** معروفة لدينا إلا بواسطة قصاصات (محتفظ بها في بعض الأرشيفات) أو مقتطفات أعادت نشرها جرائد ميتروبوليتانية أو استعادتها بعض التقارير. وباستثناء عدد واحد مؤرخ في 1925، فإن الخزانة الوطنية لاتتوفر، بالفعل، على مجموعة منتظمة لهذه الجريدة إلا ابتداء من شهر يوليوز 1933.

248 انظر **لافاك**، عدد 54، 15 مايو 1926، التي أعادت نشر مقال طويل **لـلكري ماروكان**.

249 في 1921، أسس في الدار البيضاء أسبوعية باللغة العربية، **الأخبار المغربية**، بتعاون مع شاب فاسي، بدر الدين بن الفاطمي بن ادريس الدراوي. لقد امتدحت هذه الجريدة تفوقات أنصار مصطفى كمال، ونصحت ببعض الاصلاحات في الحماية، خاصة في مسألة التعليم الأهلي، وقامت بسجال مع صحيفة الاقامة العام، **السعادة**. وقد اختفت بعد بضعة أشهر. **الصحافة العربية** في 1927، محاضرة لضباط الطور الاعدادي للشؤون الأهلية من طرف العقيد ماركو، مدير **السعادة**، الدار البيضاء، 1928

250 **مناقشات مجلس النواب**، الجلسة الثانية لـ 11 يونيو 1926 (استفسار لهنري فونطانيي)، **الجريدة الرسمية**، ص ص 2491 وما يليها.

أطلق أحدهما النّار على ضابط. وعندئذ أعطاهما مدير لوكري ماروكان المال وَوَجَّهَهُما الى بعض أصدقائه السّياسيين، إمَّا تمكينهما من العمل أو لتَيْسِير فرارهما. وقد سَلَّمَهما هؤلاء، ضمن هذا الاحتيال، ملابس وجوازات سفر مزوّرة (251). لقد احتج كاريت — بوفي بقوّة : فالعسكريان لم يُقَدّما نفسيهما كفَارّين بل كمُرَخّصٍ لهما «استنفذا ما كان معهما من نقود» ويبّحثان عن عَوْنٍ مالي. وقد سلّمهما 50 فرنكاً و10 فرنكات في اليوم التّالي «للتّخلّص منهما». لاشيء عدا ذلك (252). ومع ذلك أُودِعَ السِّجْنَ، ومعه، بنفس التهمة، آرّيغي، رئيس ودادية السّككين (253)، وسورين، سكرتير الحزب الاشتراكي ورئس فدرالية الجمعيات المهنية، وشامبيون، وهو سككي ورئيس الودادية العُمّالية للرّباط، وكرينو، رئيس فدرالية البناء وعضو لجنة الاضراب، وديل أكيلا، عضو نفس اللّجْنة، وإيسكورو، وهو حلّاق. وقيل بأنّه في فاتح مايو، سيشُنّ النّقابيون والاشتراكيون والشيوعيون عملًا ثورياً (254). لقد اعتبرت القضية في أَوْج حرب الرّيف، ذات أهمية : أَلّا يتعلق الأمر بمشروع حقيقي للفرار ؟ ثم ألا يقود «العدد الكبير للفرارات المُلاحَظَة والسهولة التي تمّت بها» إلى الاعتقاد بأن انكشاف المتواطئين فيها غدا ممكنا؟ (255). لقد سُجِنَ الموقوفون في السجن المدني للدّار البيضاء، في انتظار المثول أمام مجلس الحَرْب. لقد قام اثنان من الاشتراكيين الشبان، وهما إيف فارج وأنطونيلي، بإخطار قيادة الحزب، وفي 30 أبريل أبرق ليون بلوم الى ستيك يقول : «رُفِعتْ إلي احتجاجات كثيرة تتعلق باعتقال العديد من رفاقنا الاشتراكيين، أرجوكم فحص المسألة بنفسكم» (256). وفي الواقع، استجْوَبَ المفوَّضُ المُقَرِّرُ لدى مجلس الحرب المُتّهمين في 20 و30 أبريل، ومباشرة بعد ذلك مَتَّعهم بالسّراح المؤقت باستثناء كاريت — بوفي وإيسكورو. لقد أُطْلِقَ سراح هذين الأخيرين بدورهما في 12 و17 مايو. لكن كان يجب انتظار شَهْرَيْن آخَرَيْن لكي يصدر لصالح جميع المُتَّهمين قرار عدم المتابعة «بَعْدَ أَنْ لم تسمح التحرّيات التي تَمَّ القيام بها بتقديم براهين على الوقائع المنصوص عليها في أمر

251 AN مجموعة بانلوفي، 313 AP 186 (رسالة 19 أبريل 1927 موجهة من طرف وزير الشؤون الخارجية الى عصبة حقوق الانسان).

252 نفسه.

253 لم يكن بإمكان الشغالين أن يجتمعوا وقتذاك إلا في إطار ظهير 29 مايو 1914 الذي استعاد أحكام القانون الفرنسي لـ 1901 حول الجمعيات.

254 رسالة 19 أبريل 1927، المشار إليها سابقا. استفسار في المجلس لهنري فونطانيي مشار إليه سابقا، انظر أيضا لاڤي سوسيالست، السلسلة الجديدة، عدد 11، 13 مايو 1926.

255 رسالة 19 أبريل 1927.

256 AN F7 13171 (دعاية شيوعية في المغرب).

التحقيق» (257). لهذا لم تنته القضية. ففي أوساط اليسار، جرى الحديث علانيةً عن دسيسة. وقد تم التشهير بها من طرف المعني بالأمر، في 9 يونيو، في رسالة الى جريدة **تونس سوسيالست** (258) — ومن طرف هنري فونتانيي، الذي سأل الحكومة من منصة البرلمان في 11 يونيو «عن الشّروط التي باشَرَتْ السلطات العسكرية ضمنها في 26 أبريل الماضي بالدّار البيضاء اعتقال مناضلين اشتراكيين ونقابيين عديدين» (259) — ومن طرف عصبة حقوق الانسان في 15 يونيو (260) — ومن طرف الماسونيين، في 28 يوليوز (261). لقد مُورس ضغط على بانلوفي لاجراء تحقيق. وبدا أنّ وزير الحربية قد أُحْرَجَ كثيراً. فمنذ 14 مايو، كان قد كتب للجنرال القائد الأعلى لقوات المغرب بأنّه بالرَّغْمِ مِن إطلاق سراح كاريت — بوفي فإنَّ التّفاصيلَ المنشورة من طرف بعض الجرائد تترك انطباعاً مُقْلِقاً وينبغي تَوْضيحها (...) إنَّ أصْلَ القَضيّة، تابَعَ قائلًا، يكْمُنُ في الأحاديث التي صدرت عن قنّاصٍ من فيالق إفريقيا، ما إسم هذا القناص وما سيرته ؟» (262).

تدريجياً أخذت الحقيقة أو على أية حال جزء كبير من الحقيقة يظهر : فرئيس منطقة مكناس، الجنرال فرايد نبرغ، هذا الشخص نفسه الذي اتُّهِمَ مِنْ طرف جريدة لوكري ماروكان بتشجيع المُضَارَبة العقارية على حساب الأهالي، هو الذي كان من وراء القضية. لقد فَسَّرَ الأمر في رسالةٍ الى الجنرال بواشو، قائد قوات المغرب. لقد كان القَنّاص يُدْعى دورفو؛ ويبدو أنّه كان عُضْواً في الخلية الشيوعية لفانسين (263)، ومحبوساً من طرف مجلس الحَرْب بمكناس بسبب فراره الى الخارج. وفي 20 أبريل 1926، طلب رؤية الجنرال الذي جعل رئيس الأركان العامّة يستقبله. لقد تحدث الى هذا الأخير عن تنظيم وكالةٍ للفرار بالدّار البيضاء، يقودها كاريت بوفي، تقوم أيضا بتهريب الأسلحة لصالح عبد الكريم. وزعم بأنه تلقى هذه المعلومات من إثْنَيْن من الألمان التقى بهما في مكناس. وقد أرسل رئيس المنطقة، بعد أن تَمَّ إخْطَارُه دورفوا مصحوباً بمفتّش أمْنٍ الى الرّباط حيث اسْتُقْبِلَا في اليوم التّالي من طرف مدير الأمْن العام. وقد أَمَرَهما هذا الأخير بأن يضعا نفسيهما رَهْنَ إشارة مفوّض شرطة الدّار البيضاء فورا. إن السُّلُطات الأَمْنِية هي التي قرّرت حينئذٍ، حسب فرايد نبرغ، أنْ يذهب

257 رسالة 19 أبريل 1927. إن القرار بعدم وجود وجه لاقامة الدعوى كان في 17 يوليوز 1926.
258 SHA MAROC CSTM 22002 (رقابة عسكرية، b مختلفات).
259 لقد نشر فونتانيي قبل ذلك مقالا مهما في لوبوبلير («مؤامرة بوليسية في الدار البيضاء»)، 14 مايو 1926.
260 رسالة اللجنة المركزية للعصبة الى وزارة الشؤون الخارجية. دفاتر حقوق الانسان، 10 يوليوز 1926، ص. 331.
261 رسالة الى بانلوفي. AN 313 AP 186.
262 AN 313 AP 206
263 لاتوجد هذه الاشارة في أية وثيقة أخرى من الأرشيفات التي استشرناها.

كلٌّ من دورفو والمفتش في نفس اليوم الى كاريت ــ بوفي، مُتَنَكِّرَيْن كَفَيْلَقِيَّيْن، لكي يلعبا أمامه دور شيوعيَّيْن فارَّين ويجعلا مدير لوكري ماروكان يكشف عن مشروعه (264). وقد أظهرتِ التّقارير العسكرية التي نتوفّر عليها ضَيْقاً واضحاً، ليس فحسب أمام الأسلوب المُسْتَعْمَل، ولكن أيضا حول القضية برّمتها (265) ولم يعد لدى بانلوفي سوى انشغال واحد : تبرئة الجيش من المسؤولية (266).

في الواقع، كيف لا يمكن التفكير في أنّ العملية بأكملها كانت من مَكْرِ فرايد نبرغ ؟ من المُحتمل أن هذا الأخير لم يكن يطيق مدير لوكري ماروكان، هذا أقل ما يمكن أن يقال. هل حاول القيام بِمَسْعىً لديه ؟ (267). على كل حال، كان من مصلحته توريط كاريت ــ بوفي، لا سيما وأنّ هذا الأخير يعتقد أنه يُدَعّم ستيك في العمق ويؤكّد عن طيب خاطر بأن عمل المقيم العام الجديد تعوقه زُمْرة يقودها رئيس منطقة مكناس وبعض المُوَظّفين المدنيين السّامين من الّذين لديهم حنين لـ «النّظام السابق» ــ نظام ليوطي الذي تتِمّ معارضته بـ «الجمهوري» ستيك (268). لقد كان أورباں بلان، الوزير المنتدب لدى الاقامة، من المتعاطفين مع هذه المجموعة، وقد تعرّض لانتقادات حادة من طرف لوكري ماروكان (269).

264 AN 313 AP 206. رسالة بتاريخ 19 مايو 1926 من الجنرال فرايد نبرغ الى الجنرال بواشو الذي وجه نسخة منها الى وزير الحربية. انظر أيضا رسالة 19 أبريل 1927 المشار إليها.

265 أنظر بالخصوص رسالة 18 مايو 1926، الموجهة من طرف الجنرال برتراند، القائد الأعلى لقوات الساحل الى الجنرال بواشو. نفسه .313 AP 186.

266 إن المشروع الأولي للرد على عصبة حقوق الانسان الموجه من طرف وزير الحربية الى الشؤون الخارجية والمعد من قبل مدير العدل العسكري قد أرجع الى كاتبه من طرف مدير الديوان المدني لبانلوفي مرفقا بالاشارة التالية : «إن الوزير يود أن توضح في هذه الرسالة، التي يصادق على مجموعها، المبادرات المتخذة من طرف مصالح الأمن التابعة للمقيم العام، خاصة تلك المتعلقة باعتقال النقابيين، حتى يتم الاظهار جيدا بأن السلطات العسكرية ليس لها دخل في هذه الاعتقالات» نفسه. (مذكرة مصلحة في 23 نونبر 1926).

267 إن لوكري ماروكان تؤكد هذا، أنظر المقال المعاد نشره من طرف لافاك، 15 مايو 1926.

268 إنها الأطروحة الاشتراكية التي دافع عنها هنري فونطانيي. أمام مجلس النواب وضمن ملتمس نوقش في 7 مايو 1926، احتج فرع الدار البيضاء لعصبة حقوق الانسان على «الاعتقالات التعسفية» التي قامت بها السلطات، مع تعبيرو في نفس الوقت عن تعاطفه مع ستيك. دفاتر حقوق الانسان، 25 يونيو 1926، ص. 310. تحدثت لاتريبون ماروكان التي حاولت أن تبدي نوعا من الموضوعية في وقت بلغت حرب الريف ذروتها (أنظر أدناه، الفصل السادس عن «استفزاز سافل» عن «مؤامرة بوليسية»، وأكدت أن «قضية كاريت ــ بوفي وشركاه» تنفع «أولئك الذين يظلون بدون عزاء لاختفاء الأساليب القديمة للحكومة (... و) أولئك الذين كان من مصلحتهم أن يستنفروا ليس فقط العناصر الجمهورية للمغرب، وإنما أيضا وخصوصا العناصر الجمهورية لفرنسا الأكثر قلقا والأكثر استسلاما للانفعال» ضد لوريبوبليكان التي توجد مصائر هذه البلاد حاليا في عهدتها. رقم 35، 2 مايو 1926 في SHA MAROC AI FFS 530 2431

269 «كنت أناضل في لوكري ماروكان ضد السيد أورباں بلان، لأنه ثبت طبيعيا أن هذا الشخص سرق الدولة وغشها». رسالة من كاريت ــ بوفي الى لوس سوسيانست 9 يونيو 1926، في SHA MAROC CSTM 22002. إن

ومن جهةٍ أخرى، كَانَ بعض المدنيين والعسكريين مُتّفقين على نَسْبِ جانب كبير من الصّعوبات المعترضة في الرّيف الى الدَّعْمِ الذي يتلقّاه عبد الكريم من الشّيوعيين (270). لقد شكل استعمال القّناص دورفو منذ ذلك الوقت فرضية معقولة؛ فتحقيقُ ذلك لم يكن على كلّ حال لِيَسْتعصي كثيراً، خاصّة بالنّسبة لرؤسائه في الرُّتبة.

لذا، فإنَّ نقابة الصُّحفيين تَوَجَّهَتْ بمنتهى القوّة في 18 غشت 1926، عَبْر قَلَمَ جورج بُورْدون، الى بانلوفي : «لا يتعلق الأَمْر، في الحالةِ الرّاهنة، بمعرفةٍ ما إذا كانت محاولة تشويه سمعة كاريت ـــ بوفي وَسَلْبِهِ حرّيته قد تمّت حَسَبَ الأُصول، ولكن في أيّة ظروف، وبأية وسائل مُشينة، وبأيّ إرشادٍ نُفِّذَتْ» (271)، وبَعْدَ أسبوعَيْن من ذلك، أعاد الكرّة، غير مُتَرَدِّدٍ في إثارة قضية دريفوس : «هناك في هذه القضية تجاوزات كثيرة للسُّلطة، ومخالفات مَذْمومة، واستخفاف بالعَدْل، وأخيراً عادات مماثلة تماماً لتلك التي دفعتْ من قبل عدداً منا، كما تعرفون، الى رَهْن حرياتهم إن لم تكن أعمارهم...» (272). وفي 9 فبراير 1927، كتبت عصبة حقوق الانسان بدورها : «لقد تَبيَّنَ إذن من خلال وثيقة قضائيةٍ أنه تمَّ استعمال أعوان مُحَرِّضين لتوريط مواطنين فرنسيين. لن نؤكّد على مافي أسلوبٍ كهذا من شناعة»، وطلب مَكْتَبُها من الوزير اتّخاذ عقوبات في حق المسؤولين (273). لكن بانوفي امتنع عن ذلك، متعلّلًا بالتباس القضية (274) فلم تعد العصبة للالحاح. ربما كانت قد اطمأنّت قبل ذلك بزيارة ستيك، الذي أتى ليوضّح بأنّ كاريت ـــ بوفي وأصدقاءه النّقابيين اعْتُقِلوا في غيابه، وأنّه بمجرّد عودته طلب توضيحاتٍ، وعجّل بالتّحقيق وحصل على إطلاق سراح المعنيين؛ وعلى الخصوص، أكّد المُقيم للعُصْبَويين رسميا بأنّ حوادث من هذا القبيل لن تقع مستقبلًا (275).

لقد انتهت الحلقة الأُولى من قضية كاريت ـــ بوفي. وهي تظهر كيف تمَّ استعمال أسطورة التّدخّل الشيوعي في الرّيف لمحاولة إسكات أحد الصّحفيين (276). لكن الأسطورة

= أوربان بلان هو الذي ناب عن المقيم العام ستيك، الذي كان غائبا، عند اعتقال كاريت ـــ بوفي وأصدقائه.

270 أنظر أدناه، الفصل السادس.

271 AN 313 AP 186

272 نفسه. (رسالة فاتح شتنبر 1926).

273 نفسه. 313 AP 190.

274 نفسه. (رسالة 20 فبراير 1927).

275 دفاتر حقوق الانسان، 10 مارس 1927، ص ص 107 ـــ 109. إن استقبال ستيك كان في 17 يناير.

276 تقودنا ضرورات التحليل الى أن نرجىء مقاربة مسألة «التدخل الشيوعي» في الريف الى الفصول اللاحقة. ويمكن تفسير «الدسيسة» ضد كاريت ـــ بوفي بشكل مستقل عن الاستنتاجات التي سيتم إيرادها حول هذه النقطة. فبالفعل إن المعني بالأمر ليس شيوعيا، فهو ينتمي للحزب الاشتراكي ولم يبر موقفه إبان حرب الريف أبدا انتباه السلطات. من جهة أخرى، لم يسمح التحقيق القضائي (المزدوج بشكل موازي). كما رأينا بتحري حقيقي قامت به وزارة الحربية) بإثبات

البلشفية لم تقتصر، كما نعرف، على زمن الحرب وحده. إن الحلقة الثانية من قضية كاريت ـــ بوفي ستسمح لنا بإضاءة وظيفتها في زمن السِّلْم.

في السنوات التي تَلَتْ حرب الرّيف، واظب كاريت ـــ بوفي على الخطّ الذي عيّنه لنفسه : فكان يدعو المغاربة والفرنسيين الى العيش في وئام (277)؛ ويعمل بما ينصح به، إذْ كان عَدَدٌ من المغاربة من بين أصدقائه ومعارفه (278)؛ بل يبدو حتّى أنه رحّب عن طيب خاطر بكتابات البعض منهم في جريدته (279). وظَلَّ يُشَهِّرُ بالفضائح والمُمارسات التي يعاني منها الفلّاحون. ويندّد ببعض الأساليب العسكرية. وأخيراً، كان يَهْزَأ من الذُّعْر المُعادي للشيوعية الذي كان لدى السُّلُطَات الأَمْنِية (280).

في نظر الشرطة والمصالح المُخْتَصَّة، أَخَذَ كاريت ـــ بوفي، وهو الاشتراكي العجوز وصديق آل لونكي، يُعْتَبَرُ تدريجيا بمثابة شيوعي (281)، وأنه يسعى لجمع الأموال الضرورية لارسال مُمَثِّل للمغرب في مؤتمر الأممية الثالثة بموسكو (283). ولا داعي حتّى الى اعتباره «غوّاصاً» يُخفي آراءه. كتب يقول رئيس الأمن الاقليمي بفاس : فـ «الصحيفة الرئيسية الناطقة بلسان الدعاية البلشفية في العالم الاسلامي هي لوكري ماروكان». ويسمح لنا هذا الموظف الذي عاش وسط السكان المغاربة لسنوات عديدة، بتوضيحه لاتهاماته، بفهم أفضل

وجود أية «وكالة للفرار» أو منظمة لتهريب الأسلحة لفائدة عبد الكريم في الدار البيضاء أو أية مدينة أخرى في المنطقة الفرنسية للحماية.

277 أنظر لوكري ماروكان، 22 شتنبر 1928 (في SHA MAROC CSTM 22001

278 حوارات المؤلف مع روبير ـــ جان لونكي.

279 لقد تم تقديم هذا التوضيح من طرف رئيس الأمن الجهوي لفاس (SHA MAROC RSD 79 IIB, 44، تقرير 29 يوليوز 1927 عن «الحركة البلشفية والدعاية الانجليزية في افريقيا الشمالية»). وللأسباب المذكورة أعلاه، لايمكننا التحقق من صحتها، إلا أنها تبدو لنا محتملة جدا.

280 أنظر لوكري ماروكان، 25 غشت، 8 و22 شتنبر 1928 (في SHA MAROC CSTM 22001).

(281) لقد تم تفييشه في بادىء الأمر كمتعاطف لاغير يشارك في اجتماعات تضم «أفرادا يشار إليهم باعتبارهم شيوعيين» : أنطونيلي، توليس، بوران، كولان، صال، كونغورا، بيهز، كلافيل وديدي. SHA MAROC RSD 79 (II C مذكرة 22 يناير 1927). لنسجل بأن الاثنين الأوليْنم، انطونيلي وتوليس، كانا معروفين كاشتراكيين في تلك الفترة؛ وليست لدينا أية إشارة حول الانتماء السياسي للاخرين. بعد خمسة أشهر على ذلك، كتب المفوض عميد أمن الدار البيضاء يقول : إن كاريت ـــ بوفي «قد يكون ممثلا هنا للحزب الشيوعي»، نفسه. 72,II b)).

(282) «من الممكن وحتى من المحتمل أنه يتلقى المال من باريس، لأن طريقة عيشه لاتتلاءم مع موارده العادية. فقد سافر مؤخرا الى الجزائر والى باريس. واشترى قبل وقت قليل دراجة نارية وهو يتعلم حاليا سياقة سيارة» (كذا). رسالة 27 يونيو 1927، المشار اليه آنفا. إن المخبر جان رونو يتحدث عن أموال تلقاها كاريت ـــ بوفي «نعتبرها، حتى يتضح العكس، مرسلة من طرف خلية من أصل روسي» (مشدد عليه في النص). SHA MAROC RSD 79 (11, 11 b، معلومات جان رونو، رسالة 20 يونيو 1927).

283 نفسه، RSD 82 (نشرة أخبار رقم 14 في 9 أبريل 1929). لنذكر بأن المؤتمر السادس للأممية الشيوعية تم في 1928 وأن السابع لن يتم إلا في... 1935.

للوظيفة الأساسية للأسطورة البلشفية : «إن هذه الجريدة ترضي التطلعات العميقة والأفكار الخلفية لمشايعي النزعة البلشفية في المغرب، أي نفي السلطة الفرنسية، والنزوع في الاستهزاء من كل ماهو فرنسي واعتباره فاسدا، وأخيرا تأويل التدابير والاصلاحات الفرنسية بمنتهى الاجحاف، حتى عندما تكون ذات نفع بديهي للمجتمع المسلم. كل هذه الأفكار تتسرب الى النخبة المثقفة بواسطة شبان متخرجين من المدارس الفرنسية أو من المدارس العصرية (...) فهؤلاء هم الذين يتوصلون بـ لوكري ماروكان ويترجمونها للبورجوازيين والعلماء، بل هم الذين يكتبون هذه المقالات التي تنشر في الجريدة» (284).

هكذا كان انتقاد لسلطات الحماية يعتبر «شيوعيا» بل «بلشفيا»، مثلما كانت تعتبر كذلك كل محاولة للاتصال أو للتقارب بين أوربيين ومغاربة (وخاصة الشبان) تتم خارج القنوات الرسمية. إن ما لم يكن ممكنا احتماله بوجه خاص هو أن كاريت ــ بوفي كان يدعي الانتساب الى المقيم العام الجديد ويحتكم إليه لاصلاح قرارات مرؤوسيه. هكذا دعا المغاربة الى إخطاره بـ «كل أخطاء السلطات المحلية للمراقبة وكذا بالتجاوزات المحتملة للرؤساء الأهالي» (285). وقد بدأت هذه المآخذ الأخيرة ترهص بموضوع سيصير مشتركا لدى اليسار الاشتراكي (وعما قريب الشيوعي) ولدى الوطنيين المغاربة الشبان في الثلاثينات وهو موضوع فرنسا المزدوجة، فرنسا التي تكشف عنها الممارسات التمييزية التعسفية للادارة المحلية، وفرنسا الليبرالية والتقدمية التي كان من المأمول دائما أن تتجسد في المقيم اللاحق. لكن كاريت ــ بوفي لن يشارك في هذه المعركة. لقد مات قبل الأوان في 3 مايو 1933. ومنذ ذلك الوقت، ستغير لوكري ماروكان من توجهها. ستبدي تدريجيا من التفهم لسياسة الحماية بقدر ما ستبديه من الصرامة تجاه المناصرين الفرنسيين والمغاربة للاصلاحات والتغيُّر.

نحو قانون للاستثناء

لقطع الطريق على «التّحريض المُعَادِي لفرنسا»، استعملت السُّلُطات كلّ الوسائل التي يمنحها تشريع الحماية، سواء تعلّق الأمر بترتيباتها العَامّة أو بالقرارات الخاصّة التي تسمح بها. ومع ذلك، أظهرت قضية كاريت ــ بوفي حدود العمل الاداري : فلا «دسيسةُ» 1926، ولا مضاعفةُ التقارير التي تتهمه بالدّفاع المأجور عن البلشفيين في السنوات اللاحقة

284 تقرير رئيس الأمن الجهوي لفاس في 29 يوليوز 1927، المشار اليه آنفا.
285 نفسه.

تمكّنتْ من إسكاتِ مدير لوكْري ماروكان. وحسب قادة الحماية، ضاعف تقدُّم حركات اليسار خلال الثلاثينات بفرنسا وصعود الجبهة الشعبية إلى الحكم من الخطر. هذا ما فسَّرهُ بينازي، مدير الشؤون الأهلية، للسّكرتير العام للحماية. فبينازي هو الوحيد ضمن الموظّفين السّامين الّذين استفسرهم المقيم العام حول النّشاط الشيوعي في الحماية الذي أعطى لهذا النّشاط أهمية مبالغاً فيها. فقد كتب يقول : «إنه يستأثر جدّيا باهتمامي، (...) لقد اكتسبت الحركة الشّيوعية تعاطفات لامراء فيها في الأوساط الوطنية المغربية التي تستفيد بشكلٍ واسعٍ مي دعمها في متابعة مطالبها» ودون أن يُدَعِّمَ تأكيده بأي فِعْل، تابَعَ في الحال : «إنَّهُ لفي حكم الواقع أن دسائس الجبهة الموحدة (286)، رغم المُرَاقبةِ اليَقظةِ التي يخضع لها مناضلوها، غالباً ما تفلت من كلّ عقاب، فيتمُّ الاكتفاء بملاحظة نتائج هذا النّشاط المؤذِي، دون أن تُثبت وقائع الدّعاية وتوصف بما يكفي للسّماح بعملٍ قضائي أو بتدخّلٍ قوي ومُعَلّلٍ للسلطة. لا يمكن أن تستمر هذه الوضعية التي يستغلها العُملاء الخارجيون بتمكّنهم من الدّخول بسهولة الى المغرب وبالاقامة فيه والعملاء الدّاخليون الّذين لهم من الرّفاهية النسبية، خاصّة إذا كانوا مُوَظّفين، ما يجعلهم يقومون بدعاية مزعجة لسمعتنا وسلطتنا في هذه البلاد» (287).

إنّ ما كان يشغل، بالتالي، بال هذا المُوَظّف السّامي هو أن النّصوص الموجودة — ولو أنها تحتمل التّأويل الواسع — لا تعطي للسُّلطة وسائل قَمْعٍ كافية. لذلك، أخذ على عاتقه بادرة اقتراحٍ بأن يوافق المقيمُ العام، على «ظَهِير (288) يتضَمّن عقوباتٍ ضِدَّ المُخِلّين بالنّظام في المغرب **أيّاً كانوا ومهما كانت الوسائل التي يستعملون**»، وذلك قبل أن يعهد به الى توقيع السلطان (289). وسيوقع النص المقترح في 29 يونيو 1935 بَعْدَ شَهْرٍ من ذلك، وسيكون موضوعه «قمع المظاهرات المُناوئة للنظام وأشكال المَسَاس بالاحترام المفروض للسلطة» (290). لقد وَضَّحَتْ مذكّرة التّأويل نوايا الادارة. فغرض الظّهير الجديد هو «أن يطال وَسيلَتَيْن للدّعاية لم تكونا واقعتين تحت التّشريع الحالي، (ألا) وهما : إدخال وحيازة وترويج كتابات تحريضية، **والعَمَلُ الكلامي السّاعي الى أن يخلق، عبر العدوى الذّهنية، عقلية مخالفة للنّظام، للهدوء أو للأمن**» (291). إنّ عبارات الفقرة الأخيرة من الفصل الأول،

286 اشتراكي شيوعي.

287 SHA MAROC RSD 88 (رسالة رقم 051 DAI C/3 في 20 مايو 1935).

288 هنا : قانون، في بعض الحالات، مرسوم.

289 نفسه. مشدد عليه في النص.

290 نشرة رسمية لـ 5 يوليوز 1935. في الواقع، كان الظهير المغربي يستلهم المراسيم المتساة قبل ذلك بضعة أسابيع والتي كانت تهم المستعمرات الفرنسية

291 التشديد منا.

المغرقة في العمومية عن قصد، والتي تنُصُّ على أنّ «أيّ شخْص يكون قد مَسَّ بالاحترام الواجب للسُّلطة الفرنسية أو الشريفية سيكون مُستَحِقاً لنفسِ العقوبات» (السجن : من ثلاثة أشهر الى سنتين، الغرامة : من 500 الى 2000 فرنكاً) «تسعى لِأَنْ تَطَال جميع المناورات ضِدَّ هذه السُّلْطة والتي لا ينطبق عليها أي نَعْتٍ دقيقٍ منصوص عليه من طرف التشريع الجاري به العمل» (292).

هل صارت الحماية منذ ذلك الوقت فصاعِداً في مأمن من العدوى البلشفية وبصفة عامة من التّحريض المُطَوَّر من طرف أحزاب اليسار ؟ إنَّ بينازي لا يعتقد هذا. فبعد بضعة أيام من نشر هذه المذكّرة، أبْلَغَ الدّيوانَ العسكريَ للمقيم بانشغالاته : «إن الدّعاية المعادية لفرنسا ستكون، فعلًا، خطيرةً وصعبة المكافحة طالما أن التّنظيمات الوطنية تحظى بدعم الأحزاب الفرنسية المُتَطرّفة التي تصدر جرائد في إفريقيا الشّمالية وترسل الدُّعاة إليها.» (293). وهو يرى، مثله في ذلك مثل بيروتون، المقيم العام لتونس، والذي سيعين عما قريب في الرباط، بأن «مَكْمَنَ الدّاء في فرنسا» (294). فـ «المعارضة الوطنية والمُعَادية لفرنسا» تجد دَعْماً داخل أحزاب اليسار التي تَسْعى الى تنظيم «العُمّال المغاربة العاملين بفرنسا» و«المثقّفين الشّبان» (295). إننا في عشية الجبهة الشعبية.

خاتمة

نعتقد أننا أثبتنا أنّ النّشاطَ الشّيوعي في المغرب سَمَحَ بإعداد أسطورة حقيقية. وإنّه لَوَاقِعٌ بأنْ لاسبيل الى المقارنة بين واقع الشيوعية في المغرب والصورة التي تَمَّ السَّعْيُ لاعطائها عنه أي صورة مشروع مُوَجهٍ من طرف الأممية الثالثة، ومُحَضَّرٍ له بإرسال «عملائها»، والتغلغل في الجيش، ويستهدف إثارة انتفاضةٍ وطنية وثورية.

لقد كانت كلّ عناصر الاخبار والتعليقات التي أسهمت في إعداد هذه الأسطورة موضوع اتّصالات متواترة على نحوٍ كبير من طرف المصالح المُختَصّة. وساهمت هذه الوضعية، على مستوى موظّفي السّلطة، في خَلْقِ جوٍّ من القلق والتوتّر يعطي مصْدَاقية لما

292 مذكرة 13 يوليوز 1935، رقم 418 DAI C/3، موقعة من طرف الوزير المنتدب لدى الاقامة العامة (إن مرجع المذكرة يسمح بفهم أنها أعدت من طرف بنازي). FES 520 291. SHA MAROC AI.

293 نفسه. RSD 88 (رسالة رقم 1506 DAI/C/3 في 25 يوليوز 1925)

294 نفسه. (رسالة B/4777 التي وجهت نسخة منها من طرف الكي دورساي الى الرباط).

295 رسالة 25 يوليوز، المشار اليها آنفا.

ـو لنا، عن مسافةٍ، مُجَرد مبالغة، وهو بالتالي جدير بالاغفال (296). لذا يكون من العَبَثِ، ـ حَدٍّ سواء، إنكار هذه الأسطورة أو المُبَالَغةُ في أهمّيتها. فلا تاريخ اليسار الفرنسي في ـرب، ولا تاريخ الوطنيين يرتدّان إليها، ولكنها تنير تصرّف السّلطات المحلية تجاههم، ـمح، ربّما، بِفَهْمٍ أفضل لردود فعل الطبقة السياسية ـــ ومن ضمنها قادة اليسار ـــ أمام ـداث المغرب.

للأسطورة البلشفية، بالفعل، وقبل كل شيء، وظيفة تفسيرية. ففي نظامٍ مُرَاقبٍ على ـو شديدٍ كنظام الحماية، الذي تزعم السّلطة الادارية فيه بأنّها تتدخّل على جميع مستويات ـاة السياسية، والاقتصادية والاجتماعية، من المُغْري نَسْبُ الصعوبات المُعْتَرِضة، للخارج. ـ ردّ فعل طبيعي في وسطٍ استعماري، وصادر عن رفضٍ مزدوج : رَفْض الاقرار بأخطائه ـضُه لِأن يرى في مغاربة عنيدين ومُعْتَرِضين شيئاً آخر سوى أدوات تُحَرَّكُ من الخارج. ـ قوّتِ الحرب العالمية الأولى، التي فاجأتْ فرنسا في منتصف غزوها للمغرب، هذا الموقف. ـسائس الانجليزية والاسبانية والألمانية التي كانت الدبلوماسية ثم القوات الفرنسية تَغْزُو إليها ـاعب توغّلها لم يتم نسيانها. وقد أَحْيت الثورة البلشفية، التي لم تُخْفِ عداءها للعالم ـسمالي وللامبريالية الاستعمارية، مخاوفَ كانت قد هدأت بالكاد. فَتَمَّ التّأكيد على الخطر ـي يهدّد الحضور الفرنسي في إفريقيا الشّمالية وبالأخص في المغرب، بالتواطؤ الذي تَمَّ ـعي لاكتشافه بين موسكو وبرلين والدّول العربية. لقد اعتُبِرَ العُدْوان الخارجي مخيفاً، لا ـما وأنّه يتوفّر، بفضل إيديولوجيةٍ تخريبية، على متواطئين داخل المغرب نفسه. هكذا اعتُبِر ـك الذي ينتقدون مؤسسات أو سياسة الحماية مُسَاعِدِين عن وَعْيٍ أو بِلا وعي ـارج : إنهم «فرنسا المُضَادّة». على أية حال، من الأفضل مُماثلتهم ب «الشّيُوعيين»، أنّ النّزعة الأممية لهؤلاء تسمح بربطهم بموسكو. وقد كانت أوساط التعليم وبعض ـحفيين محَطّ انتباه خاص. كذلك، فإن كل حركة رأيٍ في وسطٍ مُسْلِم كانت تُعْزى، التحليل الأخير لتوجيهات الكومنترن، سواءٌ تجلّتْ هذه الأخيرة عبر قنواتها الخاصّة أو ـستْ دروب الاصلاحية الاسلامية. لنكن حَذِرين من هذا : إنّها نفس المُحاجَّة التي طُبِّقَ ليس فقط من طرف قِسْمٍ، من رجال اليسار واليسار المتطرف، بل من طرف أغلبيتهم ـاحقة، في إطار سياسي مختلف، عندما ستُنْسَبُ المظاهرات الوطنية لِعَمَلِ الفاشية الدّولية.

عندما أكدت مصالح الاستخبارات أن عرضا إيطاليا غريبا يوحد بطنجة ومعروف باسم تساليتو وعندما رتب الديوان العسكري للمقيم العام الأوراق التي تتعلق بالعميل الاساسي فيليبي تشكيا في ملف معنوان «Tcheka» يمكن القول أن الأمر يتعلق هنا بدلائل صغيرة لمناخ يبدو لنا صانعوه، دون ريب، هم أول ضحاياه.

هكذا استُعْمِلَتْ أسْطورة العدوان البلشفي ليس فحسب ضد الشيوعيين، الذين كان عددهم في المغرب وقتذاك قليلا جدا، ولكن، كما أظهرت ذلك التهجمات على كاريت ـ بوفي أو فارج، ضِدَّ اليسار بأكمله. فلم يكن الأمر يتعلق بِمَنْع تحريضٍ فَحَسْب، ولكن يمنع كل إمكانية لمعارضة السُّلطة. من هنا كان تقييد الحرّيات العمومية والخاصّة : حريات الدّخول الى الحماية، والتّنقل فيها، والحديث فيها أمام العموم، والكتابة أو الاجتماع فيها، هو الوظيفة الثانية للأسطورة الشيوعية في المغرب. هل ينبغي التمييز إذن بين أولئك الّذين كانوا يستعملون الأسطورة لغايات شخصية وأولئك الذين كانت بالنسبة إليهم وسيلة للحُكْم ؟ فحينما اتُّهِمَ الجنرال فرايدنبرغ، كاريت ــ بوفي بقيادة مشروعٍ شيوعي لفرار الجنود، وحينما أكّدتْ بعض السلطات أنّ مدير لوكري ماروكان هو عميلٌ لموسكو، بدا جيّداً أنّ الأمر يتعلق بإبعادِ خَصْمٍ مُزْعِجٍ وإيقاف حملاتٍ تضع موظّفين سامين موضع الاتّهام. وعندما ضَخّم مدير الشؤون الأهلية جميع علامات التحريض مهما تكن صغيرة، واقترح بالاستناد على ذلك قانونا للاستثناء انتهى الى الحصول عليه، قام بذلك لأنه اعتبر أنّ النّقْدَ الحُرَّ يُشَكّل عامِلًا لتفكّك النظام الاستعماري. فمصالح المجموعات ذات الامتياز تتوقف دون ريب على الحفاظ على هذا النّظام، ولكن أيضاً الفكرةُ التي يمكن أن تكون لدى البَعْض عن قُوّة وعظمة فرنسا. لكن في نظر أولئك الّذين يعتبرون أن الحرّية غير قابلةٍ للقسمة، يمكن لهذه الاعتبارات حَوْلَ تراتبية الدّوافع أن تَبْدُو باعثةً على السخرية.

هل ينبغي المُضيّ بعيداً ونَسْبُ وظائف غريبة على الحماية للعدوان البلشفي في المغرب ؟ إننا نَدَع لآخرين العناية بتحديد الأسباب العامة التي تفسّر كَوْن الأسطورة تجلّت بحدّة أكبر في 1927 و1935. فالسياسة الدّاخلية الفرنسية من جهة، والسّياق الدّولي من جهةٍ أخرى، ليسا غريبين دون ريب عن هذا الأمر. لِنَكْتَفِ بملاحظتين اثْنَتيْن. الأولى تتعلق بسياسة القمع المُمارَسةِ وقتذاك في فرنسا ضِدَّ الحزب الشيوعي الفرنسي. لقد سعى وزيرالعدل بارتو، ووزيرا الدّاخلية، سارو في 1927 ــ 1928، وطارديو في 1928 ــ 1929، لِدَعْمِ طلب رفْعِ الحصانة البرلمانية عن النّواب الرّئيسيين للحزب، وترويج فكرة «مؤامرة شيوعية»، أَلَمْ يُرَجّ وقتذاك في الأوساط الحاكمة أن يتمّ التمكّن من اتّهام الشيوعيين بدسائس تخريبية في المغرب للتمكّن بشكل أفضل من تبرير المُتابعات التي تُشنّ في فرنسا ضد حزبهم ؟

تتعلق ملاحظتنا الثانية بتطور العلاقات بين الدّول الغربية الكُبْرى والاتحاد السوفياتي : لقد كانت وقتذاك خاضعة لضغوطٍ قَوِيّة : «من المستحيل تماماً ضمان السّلْم في القارّتين الآسيوية والافريقية، كتب المكتب الاستعماري الدّولي للاهاي، طالما أن هناك سُلطة بلشفية

تحكم في موسكو. ولا يحتاج الاستنتاج الى توضيح» (كذا) (297). وفي انتظار قَلْبِ السوفيات، فإن أقلّ ما يمكن عمله، كما اعتبرت ذلك بعض الأوساط، هو قَطْعُ العلاقات الدّبلوماسية معهم. لقد استُعمِلتْ أسْطورة العدوان البلشفي في المغرب من طرف جريدة لوماتان خصيصا لهذه الغاية، فقد نشرت هذه الصّحيفة الكبيرة قِسْماً من «ملف مالاكا»، وهو القِسْم المُتعلّق بالتّحضير لانتفاضة القبائل الرّيفية (298). لكن بعد أن عجزتْ الجريدة أمام ردود فعل سفارة الاتحاد السّوفياتي، عن توضيح اتّهاماتها، حوّلت، بعد بضعة أيام حملتها : لقد صارت تطالب بذهاب راكوفسكي، سفير السوفيات في فرنسا، الآثم ليس باشتراكه في مؤامرةٍ ضِدَّ حماية المغرب، ولكن بكونه وَضَعَ توقيعه على بيانٍ أُمَمِي (299). وسيغادر راكوفسكي باريس في الأخير في 16 أكتوبر 1927. لقد لَعِبَ «مالاكا المُزوّر» دوره في إخضاع الرأي العام الفرنسي (300).

297 AN SOM SLOT FOM III 142 (تقرير حول التحضير من طرف الحكومة السوفياتية لتمردات استعمارية، 1930، ص. 90).

298 لوماتان، 19 و20 غشت 1927.

299 لوماتان، 3،6،10 و11 شتنبر 1927.

300 إن فحص اليومية السنوية قد يقدم لنا إشارة إضافية.
19 و20 غشت 1927 : نشر وثائق مكتب مالاكا. 3 شتنبر 1927 : بداية الحملة ضد راكوفسكي.
خلال ذلك، في 23 غشت، كان قد تم إعدام ساكو وفانزيتي، وهو إعدام سبقته وتلته، كما نعرف، مظاهرات احتجاجية عديدة في العالم. هل ينبغي أن نرى، منذ ذلك الوقت، في نشر «مالاكا المزور» ليس فقط إسهاما في تهيئة الرأي لقطع العلاقات الدبلوماسية مع روسيا السوفياتية بل أيضا مناورة أمام الاضطرابات التي خلقتها قضية ساكو فانزيتي والتي لزمت لوماتان، الصمت حولها ؟

الفصل الخامس

اليسار الفرنسيُّ وحربُ الرّيف : اليسار أمامَ عبْد الكريم

في الأيام الأخيرة من يوليوز 1921 سرى نبأ الاختفاء، في شمال المغرب، لجيش من أربعة وعشرين ألف رجل [1]، مُزَوَّدٍ بمدافع سريعة وَبِكُلِّ المُعِدّات الحربية التي ابتكرها العِلْم الأروبي، تحت ضربات جَبَليين، يقودهم واحد منهم يُدْعى عبد الكريم، سبق أن شوهد وهو يلعب الدّومينو، كما وضحت ذلك جريدة لافريك فرانسيز »، على موائد مقاهي مليلية [2]. ومع ذلك، لم تنشر الصحف الفرنسية هذا الخبر تحت عناوين كبيرة : ذلك أن الجيش اسباني، وقد اصطحب الاندهاش لدى المعلقين بارتياح مقنع، أَوَ لَمْ يفشل الاسبان في إدارة المنطقة المعهود بها الى حمايتهم !؟ [3] أَوَ لَمْ يكونوا في منتهى الشّطط عند استقبالهم، خلال الحرب، لأعْوانٍ ألمان، غاضّين الطرف عن تهريب الأسلحة المُوَجَّهة للمغاربة [4] ؟ إن اليسار الفرنسي لم يُولِ كبيرَ اهتمامٍ للحدث. فقد خرج واهِناً من الحرب، لقد كانت الكتلة الوطنية في السلطة؛ والرّاديكاليون يستعدّون للانتقال الى المُعارضة، وكان الحزب الشيوعي قد نشأ منذ بضعة أشهر من انشقاقِ الحزب الاشتراكية. فلم يول هؤلاء وأولئك الذين كانوا مُجابَهين بالصعوبات الاقتصادية والاجتماعية وبالمشاكل النّاجمة عن بناء أوربا الجديدة، سوى اهتمامٍ قليل للمسائل الاستعمارية. «لقد أزفت السّاعة، يكتب مع ذلك بول لويس في لومانيتِي، أزِفَتِ

1 حسب لافريك فارنسيز، شتنبر 1921، ص 265. وحسب عبد العزيز أمين، فإن الجيش كان مكونا من ستين ألف رجل، تاريخ المغرب، 1967، ص 380.

2 لافريك فرانسيز، مقال مشار اليه.

3 «لقد نموا حماية تثير الهزء، لاتستجيب لا إلى التقليد الديني ولا إلى الواقع المغربي» نفسه

4 أنظر لوماتان، 28 يوليوز 1921، لافريك فرانسيز، غشت 1921، ص 238.

السّاعة التي تتساءل فيها الجماهير المسلمة المُستعبَدةُ في كل مكان، والمُستَغلّة سياسيا واقتصاديا، عما إذا كان محكوماً عليها أنْ تظَلّ أبداً في وضعية القِنانة. وإنّ تَحَرُّرَها الشامل يمكن أن يكون أكبر حدثٍ تاريخي للغد؛ هذا ما فهمته جيداً الثورة الروسية» (5). لا ينبغي أن ننخدع : فقد كان هذا التعليق حينئذ فريداً من نوعه. وكانت الصحيفة الشيوعية، مهتمة مثل الجرائد الاشتراكية والرّاديكالية، بعواقب كارثة أنوال على السياسة الدّاخلية لاسبانيا أكثر من اهتمامها بصداها في العالم الاسلامي وبمآل المُستَعْمَرين (6).

في السنوات التي تلت، بَسَطَ عبد الكريم سَيْطَرته على المنطقة الاسبانية وعمقها. لقد خشيت السّلطات الفرنسية أن تتطور المجابهة. وسريعاً، من مناوشات الى كائن، تحول الصّراع بين القبائل المتحالفة مع الزّعيم الريفي والقوات الفرنسية الى حرب حقيقية. أثناء ذلك، أعطت انتخابات 1924 لفرنسا أغلبيةً من اليسار؛ فصار الرّاديكاليون والجمهوريون الاشتراكيون يحكمون بمؤازرة الاشتراكيين الذين سينزلقون تدريجيا نحو الامتناع، قبل أن يجدوا أنفسهم مرّة أخرى في المعارضة إلى جانب الاخوة الأعداء في الحزب الشيوعي. هكذا ستكون حرب الرّيف بمثابة اختبار للمذاهب الاستعمارية والمعادية للاستعمار التي تتوزع مختلف عائلات اليسار الفرنسي، ولقدرتها على الاجابة على أول هيجان وطني ذي بال يتم في الامبراطورية الاستعمارية منذ نهاية النزاع العالمي الأوّل.

إن الموضوع الذي نقاربه عولج جزئيا خلال السنوات الأخيرة. فقد كانت الذكرى الخمسينية لجمهورية الرّيف مناسبة لندوة مُهمّة انعقدت بباريس (7)؛ وعَرَضَ كثيرٌ من المُشاركين وقتذاك بعض جوانب المواقف المُتَّخَذة من طرف اليسار الفرنسي تجاه الحركة الرّيفية، وخاصّةً على مستوى الصّحافة والمناقشات البرلمانية. وتسمح لنا اليوم العودة إلى مصادر لم تُستَغَل وقتذاك بإثراء هذه المعرفة. هكذا تمدّنا أرشيفات بانلوفي * وكذا أرشيفات اللجان البرلمانية بمعلومات مفيدة عن سياسة الكارتيل *. أما أرشيفات معهد موريس طوريز*، حيث أمْكَنَنا فَحْصُ محاضر اجتماعات المكتب السياسي واللجنة المركزية لتلك الفترة، فتُنير موقف الحزب الشيوعي الفرنسي، المدروس حتى الآن من خلال صحافته أساساً، ومن خلال

5 لومانيتي، 28 يوليوز 1921، ص 3 («النزعة العسكرية الاسبانية في المغرب»).

6 لومانيتي، 2 شتنبر 1921 (بول لوي) و3 شتنبر 1921 والتي تليه، تحقيق برنار لوكاش.

7 لقد نشرت وقائع هذه الندوة، التي انعقدت أيام 18 — 20 يناير 1973، تحت عنوان عبد الكريم وجمهورية الريف، باريس، 1976.

تسمية Cartel تطلق على تحالف اليسار الذي تحمل المسؤوليات الحكومية سنة 1924.

* L'Afrique française S.F.I.O

* Painlevé

* Maurice Thorez

مناقشات مجلس النواب وبعض تقارير الشرطة (8). لقد بدت لنا دراسةَ اليسار غير الشيوعي المُقارَبَة سابقاً من خلال تحليل الصّحافة الاشتراكية (9) ضرورية التكملة سواءٌ من خلال تحليل الجرائد الرّاديكالية من جهة، والتروتسكية والتحرّرية الفوضوية من جهة أخرى، أو من خلال فَحْص المواقف المُعَبَّر عنها داخل عصبة حقوق الانسان. وتسمح لنا العودة الى الأرشيفات الوطنية بأخذ نظرةٍ عامّة عن الحملة التي طوّرها الحزب الشيوعي الفرنسي ضِدَّ حرب الرّيف وعن إجراءات القمع الصّادرة عن السُّلطة. أما أرشيفات المُقاطعات، ومناقشات المجالس العامة، وكذا بعض الجرائد المحلّية، فتنير سلوك مناضلي الاقليم. وأخيراً، فإن آثار هذه الحملة في المغرب وتأثيرها على العمليات العسكرية قد دُرِسَتْ خصوصاً من خلال أرشيفات المصلحة التّاريخية للجيش.

□ □ □

يُعْتَبَر عبد الكريم بالنسبة لليمين، سواءٌ وُصِفَ بأنه قاطع طريق، أو مغامر أو ثوري، عَدُوٌّ فرنسا؛ حتى قَبْل أنْ يهاجم القوات الفرنسية. هذا ما تكلّف بتفسيرِهِ واحِدٌ من أحسن مُحَلّليه وهو أندري فرانسوا ـــ بونسي. فبعد أن سجّل الانتصارات التي حَقّقها الزعيم الريفي على الاسبان، ساءل الحكومة المتحدّرة من كارتيل اليسار : «ماذا تُراكُمْ ستفعلون ؟ هناك في لجانكم للدَّعْم أصدقاء مناصرون لعبارة «المغرب للمغاربة». فهل ستُنْصتون إليهم ؟» (10) إن السؤال المركزي الذي ستُجيب عنه قوى اليسار، سواء تلك التي تؤازر الحكومة أو تلك الموجودة في المُعارضة، هو سؤال شرعية تمرّد عبد الكريم. لقد كان هذا السؤال في قلب المناقشات حول الحرْب ـــ أي المسؤوليات المُباشرة للنزاع، والدّلالة التي ينبغي إعطاؤها له، وكذا سير العمليات ـــ وحول السِّلْم : مبدأ التفاوض مع عبد الكريم والمآل المُخَصَّصُ لجمهورية الرّيف.

8 في الندوة المشار اليها آنفا، عالجت ثلاثة تقارير موقف الحزب الشيوعي الفرنسي : ب إيروار، **حرب الريف والبرلمان الفرنسي**، مشار اليه سابقا، ص ص 173 ـــ 217؛ ر. شارفان، **الحزب الشيوعي الفرنسي أمام حرب الريف**، نفسه، ص ص 218 ـــ 236؛ ر. كاليسو، **الحزب الشيوعي وحرب الريف**، نفسه، ص ص 237 ـــ 261. أنظر أيضا ر. لوكينيك، **الحزب الشيوعي الفرنسي وحرب الريف** (أطروحة تبريز) في **موفمون سوسيال**، يناير ـــ مارس 1972، ص ص 7 ـــ 37، وأطروحة السلك الثالث ل خ. كريماديلس، المشار اليها آنفا.

9 ش. ر. آجورون، **الاشتراكيون الفرنسيون وحرب الريف**، مداخلة في الندوة المشار اليها سابقا، مرجع مشار اليه، ص ص 273 ـــ 292.

10 **لوميموريال دولالوار**، 17 دجنبر 1924، الخزانة العامة للرباط (ملف K 3).

اليسار والحرب

المسؤوليات

نعرف الأطروحة الفرنسية الرّسمية حول جذور حرب الرّيف. ففي مايو 1924، بعد أن اعتبر ليوطي أنّ من الضروري حماية منطقة فاس من التهديدات المحتملة للقبائل المتمركزة شمال ورغة، عبرت القوات الفرنسية النّهر، حتى تحتلّ موقعا دفاعيا أفضل. لقد تمّت هذه العملية بلا مقاومة ولن يشهر عبد الكريم العداء إلّا في أبريل 1925، متذرّعا بالطابع الهجومي للتقدّم الفرنسي. والحال، يؤكّد بانلوفي، «أنّ جنودنا لم يعبروا النهر في أية لحظة ولا حتّى أدركوا حَدَّ الأراضي الموكولة الى حمايتنا حسب التأويل الحرفي للمُعاهدات. إنهم يقاتلون حاليا، دون هذه الحدود، ضِدَّ غُزَاةٍ طوَّقُوا مراكزنا وانهالوا على حامياتها بالرّصاص. يقاتلون للدفاع عن سُكّانٍ أخذنا على عاتقنا حمايتهم، هؤلاء السكان لن ينحرفوا إلّا بسبب انتقامات الغازي المُهَدِّدة إن نحن ضعفنا أو بسبب تخوّف من تخلينا عنهم» (11).

هذه الأطروحة تُعارضها بوضوح الأطروحةُ الشيوعية التي تقع مسؤولية حرب الرّيف، في رأيها، أساساً على الحكومة الفرنسية. فمنذ شَهْر مارس 1924، شجبت لومانيتي التحضيرات لحملة عسكرية على عبد الكريم (12). وفي بداية العمليات، قرأ جاك دوريو، أمام البرلمان، رسالةً وجهها فاتان — بيرينيون، رئيس ديوان ليوطي، ابن أخ حفيد هذا الأخير، وتمّ احتجازها وتبليغها الى مكاتب الجريدة الشيوعية (13). لقد كان فحوى هذه المُراسلة أن ليوطي، الذي كان يخشى منذ يناير 1924 هجوماً للرّيفيين، شكّلَ جبهةً جديدة شمال فاس «في حين كان عبد الكريم، المنشغل جدّاً مع الاسبان، غير قادرٍ على الرّد». هذا الخبر ليس

11 مناقشات المجلس، 28 مايو 1925، الجريدة الرسمية، ص. 2479. انظر أيضا مناقشات مجلس الشيوخ، 2 يوليوز 1925، جريدة الرسميةص. 1967 وما يليها ويوجد سرد للوقائع في هوبير حاك، مغامرة الريفية وخلفياتها السياسية، اريس، 1927، الذي يعتبر استلهامه قريبا من الفريق الاستعماري، وعرض موجز للعمليات العسكرية التي تم القيام بها في 1925 في كتاب القبطانين لوستونو — لاكو وموتغان، في المغرب الفرنسي في 1925 باريس 1928.

12 أنظر مانيتي15 مارس، 2 يونيو، 3 غشت، 6 شتنبر، 15 نونبر، 20 و24 دجنبر 1924؛ 21 فبراير، 13 مارس 1925.

13 مناقشات المجلس9 يونيو 1925، جريدة الرسمية، ص ص 2612 2613. يوجد النص الكامل لهذه الرسالة بالخصوص في لومانيتي، 10 يونيو، لاريفولسيون بروليتاريون، ليوليوز 1925، ص ص 30 — 31 وفي : ب سيمار، حرب الريف، ص ص 125 — 128. إن اختطافه كان موضوع شكوى؛ وقد فتح تحقيق قضائي، لكنه لم يؤد الى أية نتيجة. انظر APP BA 1676 (تقرير 31 يوليوز 1925).

جديداً. فهو لا يناقض الأطروحة الرسمية. لكنه قُدِّم بطريقة جعلته يأخذ دلالة خاصّة (14). فمبادرة ليوطي تدخل في ترتيب استراتيجي يبدو أنَّهُ يُلْغي كل محاولةٍ لتحديد تسوية ما مع عبد الكريم في حين يقول معاون الماريشال : إن اليوطي قد يقبل كل إمكانية التعاون الفرنسي مع إسبانيا ضد الريفيين، داخل أراضيهم. ويؤكّد فاتان ــ بيرنْييون من جهة أخرى بأن الماريشال مُتَّفِقٌ تماماً مع الحكومة ويُذَكِّرُ مُرَاسِلَه بأن «الاتصال» قد تَمَّ مع مختلف شخصيات الكارتيل. لقد استفاد الشيوعيون من هذه الوثيقة للتشهير بالطّابع الإِحْترابي للتدابير المُتَّخذَة من طرف ليوطي ومسؤولية الكارتيل في شَنِّ العمليات العسكرية. من جهة أخرى، سعى الحزب الشيوعي إلى إظهار خداع الحكومة التي كانت على علم بتهريبٍ للأسلحة نَظّمته نقابة فرنسية ــ إنجليزية لحساب الرّيفيين. هكذا، لم يكن عبد الكريم يُعْتَبَرُ دائماً من طرف الكي دورساي بمثابة عَدُوٍّ (15). وفي الواقع، إذا كان الرّيفيون مُعادين للاسبان، فإنَّهُمْ لا يطلبون، حسب الشيوعيين، سوى العيش بسلام مع فرنسا (16).

□ □ □

للوهلة الأولى، لم يضع الرّاديكاليون مَوْضع شك المسؤولية الخاصّة لعبد الكريم. إن **ليرنوفيل** تؤكد أن «الرّيف هو الذي هاجم وليس نحن» (17). كتب بيار برتراند، المنشق عن الحزب الاشتراكي وعن **لومانتي** الذي كان يداوم على إعداد افتتاحيات الجريدة الممثلة بحق للكارتيل أي **لوكوتيديال** (18). «إن الريفيين هاجمونا. ونحن ندافع عن أنفسنا. وباستثناء الشيوعيين ــ الذين سَيُسْمَحُ لنا بعدم ذِكْرهم كثيراً ــ من يمكنه أن يجد في الأمر ما يُناقَش ؟» وقد انتهز إدوار هيريو إنعقاد دورة المجلس العام للرّون لكي يُؤازر بنفوذه حكومة بانلوفي والماريشال ليوطي (19). هكذا ضَرَبَ عصفورين بحجر : فهو رَدٌّ على الاشتراكيين الذي أمَّلو في جعله يُعارض خَلَفَه، وعلى اليمين الذي زعم بأن المقيم العام لم يجد لديه كل

14 لقد حاول فاتان ــ بيرنييون قبل كل شيء الرد على الانتقادات الصادرة عن الكارتيل وعن بعض أوساط اليمين التي ترى أن ليوطي «فوجيء» بهجوم عبد الكريم.

15 مناقشات المجلس، 28 مايو 1925، الجريدة الرسمية ص ص 2487 ــ 2488.

16 نفسه، 27 مايو 1925، الجريدة الرسمية، ص ص 2453 ــ 2454

17 ليرنوفيل، 24 مايو 1925.

18 لوكوتيديان، 27 مايو 1925 (للتذكير بأن مجلسه السياسي يضم راديكاليين، فرديناند بويسون وأولار، واشتراكيا واحدا، رونوديل)، بالنسبة لكوسطاف تيري، لايعتبر الريفيون «أعدا» وإنما «حماة حق عام»، لوفر (L'oeuvre)، 29 مايو 1925.

19 مناقشات المجلس العام للرون، 1925 (جلسة 22 مايو) ص ص 394 ــ 397.

الدعم الضروري. ومع ذلك فقد كان في حوزته، منذ نهاية 1924، تقرير حول مشكل الرّيف كان قد طلبه من نائبٍ من وسط اليسار، وهو كالاري دو لامازْيير [20]. لقد عبر هذا الأخير، الذي كان قد ذهب الى الحماية، عن يقينه بأنّ إسبانيا «ستأخُذُ حسابها» قريباً تحت ضربات الرّيفيين، وحينئذٍ، فإنّ الوضعية النّاجمة عن «جوار جمهوريةٍ ريفية غريبةٍ تماماً عن عملنا كأُمّةٍ حامية» لن تكف عن إقلاقنا. غير أنّه في الامكانه تلافي النّزاع، شريطة الحديث مع عبد الكريم. إن هذا الأخير يعلم بأنّه «ليس له من خيارٍ معنا سوى الاتّفاق أو الحرب (...) وباب المغرب الفرنسي المُقْفَل والمُغْلَق على كل تفاوض يؤسفه ويُدْهشه. لِنَقُلْها مادام في الوقت مُتّسَع : إذ لم يَتِم الحديث، سينفجر النزاع في الرّبيع». ويأسف المقرر للنوايا الاحترابية التي يرى بأنّه تبيَّنها في بعض أوساط الحماية، وقد طلب بإلحاح بأن تُعْطى تعليمات للرّباط «لتلافي الأحاديث التي لا يمكن إصلاح وَقْعِها والتي تنم عن امبريالية عديمة الجدوى وذلك من أجْلِ تمكين ضُبّاط الاستخبارات من ربط اتّصالات مع عناصر ريفية وإعطاء حكومة عبد الكريم إحساساً بأنها غير مُهْمَلَةٍ وأنها محلّ تقدير» [21]. تُرى هل راجت نسخٌ من هذا التّقرير ؟ على أي حال، سرعان ما أخذت الشكوك تظهر داخل الكارتيل نفسه : هل مسؤولية عبد الكريم على تلك الدّرجة من البداهة ؟ «إن بادرة الاجراء (اختراق ورغة) الذي منح الريفيين سببا أو ذريعة لكي يقوموا بعدوانهم اتُّخِذَتْ من طرف حكومة السيد بوانكاري في لحظةٍ لم يكن من حقها اتّخاذها»، كما أكّد هذا بيار برتراند. ففي مارس، طلب ليوطي من الحكومة التّرخيص له بالقيام بهذه الحركة، وفي مايو أجابته هذه الأخيرة. غير أنّه بعد 11 مايو، كان قد تمّ عزل بوانكاري، وقبل ذلك كانت عشية الانتخابات [22]. ويزايد كوسطاف تيري على هذا : فبوانكاري هو الآثم. أمّا بالنسبة لبانلوفي «فَيُرَمِّم، يُصْلِح؛ ويجهد نفسه لاخْلاَلِ السِّلْم» [23].

ولقد ألحّتْ قيادة الحز الاشتراكي على كون الرأي العام ظَلّ متروكا في الجهل بمنشإ العمليات العسكرية الدّائرة في المغرب وطبيعتها وأهميتها [24]. ويرى رونوديل، من منصّة المجلس، أنّ هناك مسؤوليات عديدة. إنّ عدوان عبد الكريم يبدو له لا غبار عليْه؛ ولكن ألَمْ يتمّ

20 كالاري دولامازير (1879 ــ 1932)، نائب السين، وهو مسجل في مجموعة اليسار الجمهوري الديمقراطي؛ وقد كان مديرا للشركة الشريفية للتعمير.

21 AN مجموعة بانلوفي، 313 AP 205. لقد تم تسليم تقرير كالاري دولامازير في 3 دجنبر 1924 الى هيريو، الذي كان وقتذاك رئيسا للمجلس ووزيرا للشؤون الخارجية. وقد بلغ هذا الأخير نسخة منه الى خلفه بانلوفي.

22 لوكوتيديان، 31 مايو 1925.

23 لوفر، 23 يونيو 1925.

24 لوبوبل، 24 مايو 1925 (ص. 2).

تشجيعه تهوّرات القيادة الفرنسية ؟ ألّا تُفَسَّرُ نجاحات الزّعيم الرّيفي من جهة أخرى، بالسياسة اللاشعبية للحماية (25) ؟ في الواقع، كان الاشتراكيون منقسمين داخل البلاد، كما تشهد على ذلك تدخّلاتهم بمناسبة الدّورات التي عقدتْها المجالس العامة. ففي الشمال كان سالونكرو صريحاً : «لقد استعرت حرب الريف أساساً بأخطاء الادارة العسكرية الاسبانية»، وكان عدوان عبد الكريم «ممكن التّجنب بسياسةٍ فرنسية في المغرب أقلّ نزوعاً الى الرّوح العسكرية حيث لم يتم السّعْي الى اكتساب مودة سكّان القبائل بقدر ما تّمّ العمل على إبقائهم تحت خشية القمع» (26). أما لوبا، فقد جرّم بدوره القيادة الفرنسية؛ لكن، قال «للبلشفية أيضا مسؤوليتها في منشأ النّزاع المغربي»؛ فبِأمْرٍ من موسكو، عمل الحزب الشيوعي كل ما في وُسْعه «لتحريض سكّان شمال إفريقيا» (27). وفي الهوط ــ فيين، كان كلٌّ من فالبير وبارڤي، يتشاطران وجهة النّظر هذه (28) لكنّ جريدتهما، لوبوبلير دسونتر * أكّدَتْ بأنه «منذ سنواتٍ عديدة، كانت قواتنا، في نفس الوقت، مُهَيَّأةً وعلى أُهْبة التّحْضير المُنَظَّم بغزو الريف وبواسطة العنف، وتطوير «سِلْمٍ فرنسي» على هذا النّحْوِ في الامبراطورية الشريفية» (29). وفي البوش دورون، رفض بون أن يرى في عبد الكريم مُعْتَدِياً. «لقد كان الشعب الآخر دائما هو المُعْتَدِي. ومع ذلك، كانت هناك حالات كان الفرنسيون فيها هم المُعْتدين : فيوم غزت فرنسا المغرب (...) وبعد كل حساب، لم تتم استشارة المغاربة لغزو البلد الذي يسكنون. وإذن من السّهْل إثارة حوادث حدود أو حوادث داخلية تتحول يوماً إلى نزاع مُسَلّح ثم يقال بعد ذلك : إن المغاربة هم الذين بدأُوا» (30).

في عصبة حقوق الانسان، كانت قضية المسؤوليات فُرْصة لنقاشٍ حقيقي. بالنسبة لاميل كان، تبدو أطروحة العدوان اللامُبَرَّر للرّيفيين «منطوية على جزءٍ من الحقيقة»، لكن «لم يَثْبُتْ بأن الحرب لم تكن ممكنة التّلافي. كان في الامكان التفاهم مع عبد الكريم، عندما كان في الوقتِ مُتَّسعٌ. وليس فحسب لم يتمّ التّفاهم معه، بل عومل مسبقاً كعدُوٍّ مقبل» (31). أمّا فكتور باش، فتقدّم بخطوةٍ أخرى : «أوَ ليست الحرب الدّائرة في المغرب حرباً

25 مناقشات المجلس العام للشمال، 1925 (جلسة 7 أكتوبر)، ص. 418.

27 نفسه، ص 425.

28 انظر مناقشات المجلس العام للهوط ــ فيين، 1925 (جلسة 19 مايو)، ص ص 180 ــ 185 و205

* Le Populaire du Centre

29 لوبوبلير دوسونتر، 17 مايو 1925.

30 مناقشات المجلس العام للبوش ــ دو ــ دون، 1925 (جلسة 22 مايو)، ص 536

31 دفاتر حقوق الانسان، 25 يونيو 1925، ص ص 291 ــ 299

دفاعيةً وعلينا أن نتعاطف كليا مع رجال يدافعون عن أرضهم وبقائهم ؟» (32). وعندما كتب مكتب العصبة الى بانلوفي، قحم المسؤولية الشخصية لليوطي : «ليس خافيا على أحد أن منشأ النّزاع الذي جعل الرّيفيين يحملون السّلاح ضد الحكومة هي الحاميات، فنوايا عبد الكريم تجاه فرنسا كانت صادرةٍ عن حيادٍ خيّرٍ كان بإمكان سياسةٍ حاذقة أن تحوّلها إلى علاقات صداقة (...) إن اعتقادنا راسخٌ في أنّ مقيما عاما مدنيا، ليست له أيّة مصلحةٍ في إثارة حالة الحَرْب، كان سيبذل كُلّ مساعيه لتذليل صعوبات جوارٍ تَمَّ تحويله بمنهجيةٍ إلى جوار خطير» (33). لقد دوفع عن وجهة النّظر الرّسمية داخل العصبة، خاصّةً من طرف الاشتراكي موتي الذي أكّد لزملائه بأن «كُلّ التّعلّات التي يتذرّع بها عبد الكريم خاطئة. فالأسواق المنظمة لم تُغْلَق في وجهه أبداً. ولم نعترض سوى على النَّهْبِ الذي كان يقوم به هو وأنصاره» (34). وقد دَعَّمَهُ في هذا أنطوان دو بيريتي، رئيس فدرالية المغرب، الّذي وَضَّحَ بأنّ الرّيفيين ثَمِلون بانتصاراتهم على الاسبان، وأنهم واقعون تحت تأثير مغامرين أجانب، ويستفيدون من مساعدات ألمانيةٍ ومن دَعْمِ موسكو وأنْقَرة، وأنّه ينبغي تلمّس السبب الرّئيسي لهجوم عبد الكريم في رغبته في أنْ يفوز بالعرش الشريفي (35). وفي الجهة المُعَارِضة المتطرفة، نجد مورار، عضو اللجنةالمركزية، ومنشّط فرع مونير ـــ أوديون الذي رأينا، قبل الحرب، كيف أنه اتَّخَذَ موقفا قويا ضِدَّ غزو المغرب، وخاصّةً رينْبي، رئيس الفدرالية الأرديشواز. فهذا الأخير لم يتورَّعْ عن اتّهام قادة العصبة بمحاباة الحكومة. بالتّأْكيد، «لقد كانت الحرب مرغوباً فيها من طرف عَسْكَرِيّينا» لكن «من الصّبيانيات حَقّاً أن تُنْسب لليوطي وبوانكاري في هذه الأحداث مسؤولية حاسمة. إننا نجد هنا، بِحُكْمِ صداقة جزئية للحكومة الحالية، «تحويلًا» مشابِهاً لذلك الذي يتمّ بتحريضِ النّاسِ على الشيوعيين» (36).

حقّاً، لقد انزعج أغلب العُصْبَويين لأنّ واحِداً منهم هو الذي يوجد على رأس الحكومة (37). وتمنّوا لو أنّ تصريحاته تأكّدَتْ بنصوص لا يمكن دحضها، تُبَرْهِن على صِحّة الموقف

32 رسالة من هنري باربوس، جوابا على نداء هذا الأخير (انظر أدناه) المنشور من طرف ليرنوفيل في 7 يوليوز ودفاتر حقوق الانسان لـ 25 يوليوز 1925، ص 342.

33 AN مجموعة بانلوفي 313 AP 190، رسالة من مكتب العصبة الى بانلوفي (نسخة الى وزير الشؤون الخارجية) في 21 يوليوز 1925. إن هذه الرسالة لم تنشر من طرف دفاتر حقوق الانسان.

34 الدفاتر، 1925، ص ص 375 ـــ 376 (جلسة اللجنة المركزية لـ 6 يوليز 1925).

35 نفسه، ص ص 363 ـــ 367.

36 نفسه، ص ص 459 ـــ 466.

37 «من الأكيد أننا كنا سنرفع احتجاجا أكثر حدة ضد حرب المغرب (...) لو أن زميلنا وصديقنا، السيد بانلوفي لم يكن رئيسا للمجلس أو وزيرا للحربية» سيعترف لاحقا فكتور باش (جلسة اللجنة المركزية لفاتح فبراير 1926). نفسه، 1926، ص 206.

الفرنسي تجاه عبد الكريم. ومن هنا إلحاحهم على طلب نشر الوثائق الرّسمية عن منشإ النّزاع. وفي اليسار المُتَطرّف، طالب الشيوعيون أيضاً بهذا النشر، مُتيّقنين من أنّهُ سيؤكد أطروحتهم. لكن هذه المناقشات حول المسؤولية البدئية للعمليات الدّائرة في الرّيف سرعان ما تُجووِزَتْ. وقد كتب الزعيم الشيوعي أ.تران «إن الحجّة بكون المبادرة الشكلية للعُدوان جَاءتْ من الجيش الفرنسي، لا ينبغي وضعها في المقدّمة ولا أن تثار بشكل حاسم. فالبروليتاريا، والجماهير الفرنسية مُطالَبون بِدَعْمِ الرّيف، من أجل استقلاله، حتّى لو كان هو الذي هاجم، إذ أن الأمر يتعلّق بكفاح شعبٍ مُضْطَهَدٍ من طرف الامبريالية الفرنسية التي هي أيضا عدوّة بروليتاريا بلادنا وجماهيرها.» (38). لقد كانت الأسباب العميقة التي يتقاتل من جراءها الفرنسيون والريفيون هي موضوع السؤال، وقد بدت أحزاب اليسار منقسمة بشكل خاص حول معنى النزاع.

معنى النزاع

بالنسبة لحكومة بانلوفي، ينتمي الكفاح الذي يخوضه عبد الكريم، في التحليل الأوّل، للكفاحات التي يخوضها تقليديا مُطالِبون بالعرش ــ روكيات ــ ضِدَّ الحُكْمْ المركزي. إن المغرب امبراطورية تحت سيادة السُّلْطان. وقد أوكل هذا الأخير لفرنسا عَبْرَ معاهدة الحماية بقيادة بلاده في طريق التّقدّم، وبموجب الاتفاقات المعقودة بين فرنسا وإسبانيا، صارت إدارة هذه الامبراطورية مُقَسَّمَةً إلى ثلاث مناطق : منطقة فرنسية، ومنطقة إسبانية، ومنطقة دولية، مع حَصْرِ هذه الأخيرة عمليا في مدينة طنجة. فمن واجب فرنسا إذن الحفاظ على الوحدة المغربية وحماية العاهل الشّريفي (39). إن الرّيف يشكّل منطقة جغرافية من المغرب دون وحدةٍ سياسية. فجمهورية عبد الكريم الرّيفية تَضُمُّ في الواقع فسيفساء من القبائل المتناحرة تقليديا. ليس ثمّة شعبٌ ريفي، كما ألَحّ على ذلك بريان أمام هيأة الشّؤون الخارجية دون أن يحاول أي نائب وقتذاك تفنيد قوله (40). فعبد الكريم إذن ليس سوى متمرّدٍ يستهدف، أبْعَدَ من السيطرة على الرّيف، العَرْشَ الشريفي، ومغامرٍ تتغيّر ميوله النّفسية تجاه فرنسا باستمرار، حسب بانلوفي (41)، ولكنّه أساساً شَرِسٌ وهمجي، كما سنوضّح ذلك جرائد الكارتيل. لقد حملت

38 دفاتر البلشفية، فاتح غشت 1925، ص ص. 1540 ــ 1546. انظر أيضا لافي أوفريير، 26 يونيو 1925 (مومومسو)

39 انظر بالخصوص مناقشات المجلس، 28 مايو و23 يونيو 1925

40 مجلس النواب، لجنة الشؤون الخارجية، فاتح يوليوز 1925.

41 نفسه، 17 يونيو 1925 (الاستماع الى بانلوفي، رئيس المجلس ووزير الحربية).

فرنسا للمغرب السِّلْمَ والعَدْل والتّقدّم. ومن شأن ذهابها أن يُوَرِّط ليس فحسب وجودها في الجزائر كما في تونس، بل أن يشكّل عودة للهمجية. ومن الطبيعي أن يُدَعِّمَ البلشفيون، أعداء الدّيمقراطيات الغربية، عبد الكريم. فمن واجب فرنسا أن تُقاتل، وأن تحمي السّكان الذين ينحونها ثقتهم ضِدَّ «هَجْمَة التّعصّب المُسْلِم». ففرنسا هي جُنْدِيّ الحضارة أمام عبد الكريم (42).

وفي الاتّجاه المعاكس لهذه المُحَاجَّة، يؤكّد الشيوعيون بأن الكفاح الذي يخوضه الرّيفيون ذو طابع تحريري. وهم يقولون بأن عمل فرنسا لم يكن نافعا حقا للمغرب. فمنذ ثمانية عشرة سنة، والمعارك لا تهدأ رحاها في مختلف مناطق المغرب التي رَفَضَ سكّانها الخضوع للهيمنة الاسبانية أو الفرنسية، وفي المناطق «التي تَمَّ إخْماد فِتَنِها»، تبدو الادارة في خدمة مصالح المجموعات المالية والصّناعية التي تسعى للاستحواذ على الثروات الفلاحية والمعدنية للبلاد وتُخْضِعُ المغاربة لاستغلال قاسٍ. أما السُّلطان فليس سوى أُلعوبةٍ بين أيدي الأقامة. إنَّ تمرّد عبد الكريم يَنْخرط في إطار كفاحات الشّعوب المُسْتَعْمَرة ضد الامبريالية. فَمَصْلحة البروليتاريين الفرنسيين المُضطَهَدين من طرف البورجوازية الرأسمالية تلتقي بمصلحة الرّيفيين : إذ أنَّ لهم معاً نفس العدوّ. لقد كان من الضّروري التخلّص من عبد الكريم حتّى تتمكن الامبريالية من تعميق هيمنتها على المغرب وتوسيعها، ولأجل هذا تقتل جنوداً فرنسيين. ومن الضروري للبروليتاريا الفرنسية المتضامنة مع الرّيفيين أن يُحَرِّرَ هؤلاء بلادهم. من هنا برقية التّهاني المشهورة التي بعث بها الحزب الشيوعي الفرنسي الى عبد الكريم منذ 1924 (43). ويستنتج الشيوعيون بأن الحل الوحيد هو الجلاء عن المغرب. سنعود لاحقاً الى هذا الاقتراح. لنتمسَّكْ حالياً بالسّؤالين اللّذيْن تَسْتَتْبِعُهُما مُحاجَّةُ الحزب الشيوعي الفرنسي : الأوّل يعني العلاقةَ القائمة بين الامبريالية والرّيف، والثاني يتعلّق بالطابع الوطني والشعبي لتمرّد عبد الكريم.

42 أنظر تصريحات بانلوفي أمام مجلس النواب، 28 مايو 1925، الجريدة الرسمية، ص ص 2479 — 2480، و23 يونيو الجريدة الرسمية، ص 2758. إن تفخيم الكلام لم يكن ليفزع هذا العالم : «إن قوة فرنسا، يقول، ستنتشر لترغم الهمجية على التراجع. في السابق، كان بإمكان الغازي أن يصيح : إن النبات لاينمو على الأرض التي وطأتها حوافر حصاني. وأنا، في وسعي القول بأن الهمجية لاتعود للنمو أبدا حيثما مرت فرنسا.» تصريحات تم الادلاء بها عند مغادرة الرباط، حيث كان رئيس الحكومة قد تحادث مع ليوطي، وأوردتها لافريك فرانسيز، يونيو 1925، ص 309.

43 «إن المجموعة البرلمانية، واللجنة القيادية للحزب الشيوعي، واللجنة الوطنية للشبيبات الشيوعية تحيي الانتصار الرائع للشعب المغربي على الامبرياليين الاسبان. تهنىء زعيمه المقدام عبد الكريم. تتمنى له، بعد الانتصار النهائي على الامبريالية الاسبانية، أن يواصل، رفقة البروليتاريا الفرنسية والأوربية، الكفاح ضد جميع الامبرياليين، والفرنسيين من ضمنهم، حتى التحرير الكامل للأرض المغربية، عاش استقلال المغرب ! عاش النضال الدوْلي للشعوب المستعمرة وللبروليتاريا العالمية ! توقيع سيمار ودوريو» لومانيتي، 11 شتنبر 1924.

يعتبر المغرب بالنّسبة للشيوعيين خاضعاً للامبريالية، مُمَثَّلَةً أساساً ببنك باريس والبيّي با (44). ويبدو لنا بأن دوريو، الذي سعى الى وصف قوة هذا البنك أمام المجلس، ظل مجافيا للواقع (45). من الأكيد أنّه مُنْذ اتّهامها من طرف جوريس، طوّرت هذه المؤسّسة كثيراً مصالحَها في الامبراطورية الشريفية. وقد قوت مواقعها كمتزعّمة للمجموعة المصرفية الفرنسية، داخل بنك الدّوْلة الذي كانت تعيّن عمليا مُسَيِّرِيه. من هذا الجانب، كانت تراقب قِسْما كبيراً من النّشاط المالي للحماية. فبّاري با كان يمتلك، سواء مباشرة، أو بواسطة الكومباني جنيرال دوماروك، التي تعتبر هي المُسَاهِمُ الرّئيسي فيه، حِصّةً أساسيةً في إنشاء شركاتٍ عديدةٍ تمارس أنْشِطتها في مجالات متنوعة. وقد حصل على امتياز إنتاج وتوزيع الكهرباء، وامتياز النّقل بالسّكة الحديدية، ونقل البضائع بميناء الدّار البيضاء، وشركة التّبغ. كما أنشأ مشاريع صناعية في القطاع الغذائي وقطاع أدوات البناء، وتَدَخّل في الأشغال العمومية والتّجارة الدّاخلية والشؤون الفلاحية. لقد كانَ يضمن هيمنته بالسيطرة على القنوات المالية واختيار مُسَيِّري المشاريع الرئيسية. فقد كان باري با، حسب دوريو، يراقب مائتين وستة وأربعين مليوناً من الفرنكات من بين الأربعمائة وثلاثة وثمانين المُوظَّفة في الحماية (46). ويبدو هذا الرقم، الذي لم نتمكن من إثبات أصله دون الواقع على الأرجح (47).

في خطِّ تحليلات الأممية الثّالثة، رأى الحزب الشيوعي الفرنسي بأن حَرْبَ الرّيف مرتبطة بأزْمَةٍ للامبريالية. غير أنّه لم يقدّم هذه الفكرة سوى في عدد قليل من الوثائق، بشكْلٍ عام وموجزٍ جدّاً. هكذا، أكّد بأنّ الامبريالية الفرنسية «كانت في حاجةٍ مُطْلَقة للعثور على منافذ من خلال حرب جديدة : تموينات الجيوش خلال العمليات، وغزو أراضي جديدة حيث يمكن تصدير المنتوجات والرأسمال» (48). يمكن أن نتساءل عما إذا لم تكن هذه

44 الذي سنشير اليه، توخيا للسهولة، بالتسمية المألوفة باري با (Paribas).

45 مناقشات المجلس، 5 فبراير 1925، الجريدة الرسمية، ص ص 559 — 561. لقد خصصت دفاتر البلشفية وقتذاك أربعة لباري با من توقيع دوليكس (1925، ص ص 854 — 861، 1013 — 1024، 1162، 1167، 1233، 1243) خصصت منها بضع صفحات فقط لتدخلات البنك في المغرب (ص ص 1014 — 1017).

46 أي مائة وثمانية وتسعون مليونا مباشرة وثمانية أوربعون مليون عبر قناة الشركة العامة للمغرب. مناقشات المجلس، 4 فبراير 1925، الجريدة الرسمية، ص 559. لقد تمت استعادة هذه الاشارة من طرف سيمار، مشار اليه سابقا، ص 21.

47 لقد قدر ب. كيان المبلغ الاجمالي للاستثمارات الخاصة المباشرة في 1926 في المغرب بألفين وستمائة وخمسين مليونا من الفرنكات، ينبغي أن تضاف اليها ألف ومائة وثمانون مليون عن الاستثمارات المحققة من طرف الشركات صاحبة الامتياز للمصالح العمومية (خاصة السكك الحديدية والكهرباء). الاستثمارات الفرنسية في المغرب من 1912 الى 1939، مداخلة في المؤتمر الثاني للجمعية الفرنسية للمؤرخين الاقتصاديين، باريس، 5 و6 أكتوبر 1973، المخصص لفحص الموقف الدولي لفرنسا، الجوانب الاقتصادية والمالية، القرنان التاسع عشر والعشرون. نشر موجزا بنفس العنوان، باريس، 1977.

48 لومانيتي، 22 شتنبر 1925 (أطروحات حول الحرب) ودفاتر البلشفية، فاتح نونبر 1925، ص 1076.

الصّياغة تفصح عن تطبيقٍ جد ميكانيكي بعض الشيء لخطاطة صالحة، على الأقل جزئيا، للغزوات الاستعمارية السّابقة على 1914، أو، بعيداً عن الحرب الأولى، بالنسبة للتوسّع الأوربي في الصّين. إن تموينات الجيوش تبدو تافِهةً بالقياس الى المشاكل النّوعية التي تطرحها الصّناعات العاملة لأجل الدّفاع الوطني. من جهةٍ أخرى، أنْ يُرَى في الرّيف سوقاً لتصدير السِّلَع والرّساميل فهذا ينم عن جَهْلٍ خطير بالحقائق الاقتصادية والاجتماعية المحلّية. تبقى المسألة التي يثيرها الشيوعيون بإلحاح أكبر وهي مسألة الثروات الكامنة في الرّيف، وخاصّة الثروات المعدنية. فمن أجل الإستحواذ عليها، دفع بنكُ باريس والبّي با الحكومةَ الى شَنّ الحرب على عبد الكريم (49). أكيدٌ أن في الرّيف طبقاتٍ من الحديد تُسْتَغَلُّ بَعْضها منذ بداية القرن. وسمحت استكشافات جيولوجية سطحية من جهة أخرى، باكتشاف آثار الرّصاص، والزّنك، والزّئبق، والبترول. وفي الواقع، لم يَسْمَح تَنَوُّع التشكيلات المُتَمعدنة لباطن الأرض باستنتاج وجود مناجم هامة في المغرب الشّمالي. بخلاف ذلك ظهر على بُعْدِ مئات الكيلومترات، أنَّ وعوداً غنية بالمنغنيز، والرّصاص، والزّنك كامنة في ثنايا الأطلس، أو في التّخوم الجزائرية ـــ المغربية، لكن الاستخلاصات الأولى لم تكن سوى بِزناتٍ قليلة. في 1925، كان الاستغلال المنجمي الهامّ والوحيد في المنطقة الفرنسية هو استغلال فوسفاط خريبكة، جنوب شرق الدّار البيضاء. وسَيُظْهِرُ المستقبل بأنّه فيما يخص الريف وحدهما منجما ويشان ـــ أشارا وسيطو لازار، المُسَلَّمان للشّرِكَةِ الاسبانية لمناجم الرّيف، كانت لهما نوع من الأهمّيّة. مع ذلك، لم يكن الشيوعيون وحْدَهُم، الذين كانوا يعتقدون في 1925 في ثروة باطن الرّيف (50). فقد كانت هناك خرافة عامّة الانتشار شَجّعَتِ المُضاربات السياسة والمالية، واعتقَدَ مغامِرون من كل الجنسيات أنَّ من الحِذْق الاستفادة من الظروف لمحاولة الحصول من عبد الكريم على وَعْدٍ بامتيازاتٍ منجمية. وبشكلٍ مُوازٍ، اقترحوا خدماتهم على النّقابات المالية، وخاصّةً الانجليزية منها (51). لقد أَلْهَبَتْ إفشاءاتُ سِرٍّ مَدْروسةُ الأحيلة. لكنّ رجال المال أشخاصٌ منطقيون ولا نتوفّر على أيّ عُنْصرٍ يسمح بالتّفكير في أن بنك يّاري والبّي با، المُطّلع جيّداً على الحقائق المغربية، قد اعتقد جديا في إِلْدُوَرادو ريفي *، ويبدو لنا

49 لوماليتي، فاتح و22 يوليوز 1925، دفاتر البلشفية، فاتح يوليوز 1925، ص ص 1381 ـــ 1382، وفاتح غشت 1925، ص ص 1540 وما يليها.

50 أنظر مثلا مقال الاشتراكي أوهري في لوبوبل، 3 يونيو 1925

51 انظر مثلا مقال الاشتراكي أوهري في لوبوبل، 3 يونيو 1925. انظر AN F7 13413 ,APP 1678, وSHA VM (Rlf 14). لقد نشر أ.ف. دوني، مدير لاروفي كولونيل، الـ «ميثاق كارديني ـــ عبد الكريم» في المغامرة المغربية الدامية، باريس، 1926، ص ص 85 ـــ 96.

* Edorado : مَوْطِن أسطوري للثروة.

من المشكوك فيه أن يكون الطَّمَعُ في الثروات المنجمية للرّيف قد لعب دوراً حاسماً في الحَرْب التي شُنّتْ على عبد الكريم. على عكس ذلك، من المُحْتَمَلِ جدّاً أن يكون باري با والمجموعات الرّأسمالية الفرنسية، التي لها مصالح في الحماية، قَدْ تَوَجَّسُوا من أن يهز انتصار عبد الكريم في الرّيف مجموع الامبراطورية الشريفية وأن يُسَدِّدَ ضربة قاضية لاقامتهم في المغرب (52).

إذا كانت حَرْب المغرب حرب اضطهادٍ استعماري من جانب الامبريالية الفرنسية، فهي حرب تحرير وطني من جانب الرّيفيين. لقد قُدِّمَتْ هذه الفكرة من طرف الشيوعيين تحت مَظْهَرَيْن. من جهةٍ، بارتباطٍ مع الحركة العامّة لانعتاق الشعوب المُسْتَعْمَرة. إنّ علي حَمّامو يثير انتفاضة 1871 في منطقة القبايل ويؤكّد بأنه «بعد نصف قرنٍ من الفارق الزّمني، يُكَرِّر عبد الكريم بضخامة أوسع، محاولة الانعتاق الوطني التي شَرَعَ فيها (وقتذاك) مقراني» (53). وكتب مارتي بأن جمهورية الريف تشكّل أملًا لشعوب إفريقيا الشّمالية المُضْطَهَدَة (54). ويشمل هذا الاسْتِقْطَابُ الاسلام كُلَّهُ، ومجموع شعوب الشّرق التي تُظهرها لنا الباريا * مُتَلهِّفَةً للانعتاق من نَيْر الغرب المُهَيْمِن (55). من جهة أخرى، وُصِفَ تمرّد عبد الكريم دون إلحاح خاص على الرّجوع الى الاسلام. إنه لم يتم إسْقَاط العلاقة مسلمون ـــ شعوب مضطَهَدَة في دائرة الصّمت، لكن وَقَعَ تشديد أكثر على المَلْمَح الأوربّي للظّاهرة الرّيفية أو، بدقّةٍ أكثر، على خصائصها الأكثر تأثيراً في وعْي أوربّي. إنَّ كتاب بيار سِيمَارْ كاشِفٌ في هذا الصَّدد. فالسكرتير العام للحزب الشيوعي الفرنسي يبدو منشغِلًا بتوضيح كَوْنِ الرّيف «مُنَظَّماً على طريقة الدُّوَلِ الديمقراطية (...) فعلى رأس كل قبيلة توجَدُ دُومَا مُنْتَخَبَةٌ من طرف مجموع السُّكان» (56). ويبدو الهَمُّ البيداغوجي للزّعيم الشيوعي، بكل تأكيد، واضحاً. لكن هل يكفي تَفْسيرُ رغبةِ تقديم الرّيفيين على أنّهم «قادرون على فهم

52 لقد طرح سؤال آخر في ندوة 1973 من طرف مجالي مرسي، كان يتعلق بمرامي الاستعماري في وادي ورغة، مشار اليه سابقا، ص 144. وثمّة دراسة ينبغي القيام بها حول شروط إسناد أراضي الاستعمار في هذه المنطقة. لنلاحظ بأنه في السنوات الثلاث التي أعقبت انطلاق العمليات، أي من 1926 الى 1928 مع إدخال الغابتين، شمل توزيع القطع الاستعمارية من طرف الادارة 29.000 هكتار في إقليمي فاس وتازة وحدهما، بينما لم تكن قد شملت حتى نهاية 1925 سوى 15.000. إن الجزء الأعظم من هذه الأراضي تم اقتطاعه من الأراضي الجماعية التي في حورة قبائل سيكون مهما توضيح موقفها إبان الحرب الريفية.

53 دفاتر البلشفية، 15 شتنبر 1925، ص ص 1774 ـــ 1776.

54 نفسه، فاتح يوليوز 1925أ، ص. 1382.

* Paria

55 جريدة لوباريا عدد 33 أبريل 1927.

56 ب. سيمار، حرب الريف، 1926، ص. 34.

منافع الحضارة الأوربية». لقد استُعمِلَتْ اقتباساتٌ من الصّحفي الأمريكي سكوت مَاوْرر لاظهار أنّ الاستقلال بالنسبة للريفيين ليس انكفاءً على أنفسهم، ولكنه إمكانية الوصول الى «الابتكارات العجيبة» للغرب. إن لهذه الحجّة مغزىً مزدوجاً : فهي تستهدف الرّدّ على الاتّهامات بالهمجية الصّادرة عن الدّعاية الرّسمية، والتّقريبَ من البروليتاريين الفرنسيين لأولئك الذين يتأثرون مثلهم تماماً بمنافع التقدّم التقني، ولكن يظلّون محرومين منه من طرف الامبريالية. فالاخوان عبد الكريم، يُلِحُّ سيمار قائلا، هم «رجال مُثقّفون»، مُرَبّون «على الطريقة الأروبية»، وقادرون على عَقْدِ اتّفاقات مع مجموعات أجنبية لتسهيل استغلال ثروات بلادهم، شريطة ألّا يَرْهَنُوا استقلالهم (57). فإزاء صورة عصابات الجبليين النّهابين والمُحَمّسين بالتّعصّب الاسلامي، يرد الحزب الشيوعي بصورة شَعْبٍ يَنْوي العيش في سلام داخل حدوده وجَلْبِ الوسائل التّقنية لتحرّره، من الغرب. و«النزعة الوطنية الرّيفية» هي التّعْبير، عن هذه الرّغبة في الاستقلال والتقدّم الاجتماعي أمام الامبريالية.

يبدو النزوع الى «تغريب» الحركة الريفية وعَلْمَنتها أكثر جلاء لدى أحدهم ويُدْعى لوزون. فهو كَمُنْشَقٍّ حديث عن الحزب الشيوعي الفَرَنْسي، الذي كان يوافقه على موقفه تجاه عبد الكريم، خوّلت التجربة التونسية لهذا المناضل، في أوساط اليسار المُتَطرف، سلطة كبيرة فيما يتعلق بالسياسة العربية (58). لقد قادته الانتفاضة الرّيفية الى التساؤل عن طبيعة «الوطنية الأهلية» في إفريقيا الشمالية. فعارض الفكرة القائلة بأن الأمر يتعلق بـ «حركة تضع نصب عينيها إرجاع النظام الوطني الأهلي القديم بأكمله» (59). ويقول بأنه إذا كان هذا الغرض، فلا داعي للكفاح : فقد عرفت الدولة الفرنسية دائما كيف تحافظ على الأطر التقليدية للمجتمع، واستعملتها لضمان هيمنتها. «إن الحفاظ على الاسلام داخل الاسلام، والمحافظة على العربية في وَضَرِها الفزيائي والأخلاقي كان أفضل ما قامت به سياسة الاستعمار.» (60). لكن الاحتلال الاستعماري استتبع، تَغَلْغُلَ الأفكار الغربية، سواء في الأوساط البورجوازية والمثقفة أو داخل البروليتاريا الحضرية. لذا فإن مطالب الوطنيين هي «مطالب مَأخوذة عن الغرب، مطالب تقليدية لشعوب أوربية» (61). ولم يظلّ الريفيون في

57 نفسه، ص ص 35 — 39.

58 عن لوزون، انظر س. ليوزو : الأجراء والحركة العمالية في تونس خلال نصف قرن من الاستعمار، أطروحة دولة، نيس، 1978.

59 ريفولسيون بروليتاريان، يوليوز 1925، ص 6.

60 نفسه، ص 1.

61 نفسه، ص 6.

معزلٍ عن هذه الحركة. لقد جعلتهم معاركهم المستمرة ضِدَّ الاسبان، والأعمال الموسمية التي يقومون بها في وَهْران، في اتّصال مع الحضارة الغربية. وكما تظهر ذلك تصريحات عديدة لعبد الكريم، يختم لوزون قائلا، «إنهم حاملون لهذه الرّغبة في التّطور، في التّغرْبُن، التي تُحَرّك سكّان افريقيا الشّمالية.» لكنهم يعرفون أيضاً بـ «أنّهم لن يتمكّنوا من التّحَضُّر إلّا إذا خرجوا من نيْرِ المُحَضّرين». من هنا عنادهم في القتال من أجل استقلالهم، والأهمية الكبيرة التي يمثّلها كفاحهم بالنسبة لمجموع إفريقيا الشمالية وربما أبعد من ذلك بالنسبة لسكّان مصر والهند (62).

□ □ □

لقد فنّدَ اليسار غير الشّيوعي تحليل الحزب الشيوعي الفرنسي. ومع ذلك كانت عناصره الأكثر تقدّماً — من تحرريين، واشتراكيين أحرارا وشيوعيون منفصلين عن الحزب — تشهِّر بقوةٍ بالامبريالية الفرنسية ومخططات الهيمنة التي يرسمها البَعْض عقب هزيمة الاسبان (63). لقد كانت المجلّة التروتسكية **الثورة البروليتارية** *، قريبة جدّاً من الحزب الشيوعي عندما أكّدَتْ بأنّ غَزْو الرّيف من طرف القوات الفرنسية يشكل الفاتورة الّتي على الكارتيل أن يُسَدِّدها لبنك باريس والبّي — با لكونه مكّنَهُ من البقاء قرابة السَّنة في الحُكْم (64). لكنّ كثيرون هم الذين حرصوا على فَصْلِ الفعل الاستعماري عن الهيمنة الامبريالية. لقد كانت **فلامبو** *، وهي صحيفة فوضوية لافريقيا الشّمالية، تحلم باستعمارٍ يَتِمُّ دون قصف مدافع ودون تدخُّل للرّأسمالية (65). ويدافع ح — هـ.روسني البِكْر في جريدة العَمَل عن «استعمارٍ كريم» (66). ويتمنى إميل كَانْ، وهو شخصية مرموقة من عصبةِ حقوق الانسان، «نظاماً استعمارياً حيث تَتّفِقُ إدارة الأشياء مع حقوق الشّخْص» (67)، أما فكتور أوكانيورْ فطالب بكل بساطةٍ بـ «الحَقّ في الاستعمار» (68). لقد عبَّر رونوديل في الحزب الاشتراكي عن

62 نفسه، ص 9

63 انظر لولبرتير، 16 مايو و8 عشت 1925، دفاتر حقوق الانسان، 5 أكتوبر 1925، ص ص 459 — 466

* La Révolution prolétarienne

64 ريفوليسيون بروليتاريان، مايو 1925، ص 27 انظر أيضا دوني، المغامرة المغربية الدامية، باريس، 1926، ص ص 14 — 15.

* Flambeau

65 ماتيح بوليبور 1925

66 ليرنوفيل، 15 عشت 1925.

68 نفسه، 8 فبراير 1926

تأكّده من الطّابع الايجابي للعمل الاستعماري. إنه يتضمّن «حُثَالَاتٍ» دون ريب، لكن هناك أيضا «الى جانب مشاريع النصابين كلامُ الحُرّية وشعلة الفكر الفرنسي» (69). لقد كان سيفاجأ، دون ريب، لو عَلِمَ بأنّ التعليم في الحماية لا يُمْنَحُ سوى لقلّة قليلة من المغاربة (70) وأنهم لا يتمتعون بحرّية الصّحافة، ولا بحرّية إنشاء جمعيات، وأنّ الادارة الفرنسية لم تُلْغِ أبداً تعسف الزعماء الأهالي. ولأن ليون بلوم يتمتع بحس نقدي أكبر، فقد كان يستشعر بأن اللوحة ليست وردية الى هذه الدرجة وفضّل الحديث عن «واجبات» القُوَّة الاستعمارية. لقد ذكّر بأنّ حزبه كان خَصْماً للاستعمار «طالما أنه الشّكل العصري للامبريالية» ورأى أنّ عَمَلَ فرنسا لا يُمارَس «إلّا بالتأثير، والاجتذاب، والشّعور المُعْطى للاجناس المُسَمَّاةِ دُنْيا بالنّفع المادي أو المعنوي الذي نحمله إليها» (71). هكذا يتمّ التّشديد على المنفعة التي يمثلها التّعمير الفرنسي بالنسبة لتطوّر السُّكّان المَحْمِيين.

إن التّعارض الذي أدْخله حينئذٍ قسمٌ من اليسار بين الاستعمار المُعَمِّر والاستعمار الرّأسمالي شَكَّلَ مُعْطىً أساسياً سَيُسَيْطِرُ على تاريخ علاقاته مع الحماية، وانطلاقا منها، مع الحركة الوطنية. ففي نظره، لا ينبغي للحضور الفرنسي أنْ يتطابق مع حضور بنك باري والبّيي با. إن هذا الأخير لا يعمل على تقوية التّعمير الفرنسي، بل هو، بالعكس، يعوق نُمُوّه. فليس الاستعمار في حدّ ذاته هو الذي يشكّل تهديداً للمغاربة، بل كونه يخدم بعض الاحتكارات. فللجمهور الواسع للسّكان الفرنسيين، من مزارعين، وتجّار، وتقنيين وعُمّال، تأثير إيجابي على المغرب : ولا يمكن لنشاطهم سوى أن يجر السّكان الأهالي في طريق التّقدّم. هكذا طالب كاريت ـــ بوفي، الاشتراكي الصّادق، الذي لا يمكن لمشاعر تعلّقه العميق بالمغاربة، أن تكون موضع شك كما رأينا، بإنشاء«قُرى مُعَمِّرين فرنسيين» ومضاعفتها (72). وفي هذا الاتجاه، مَوْقعت لاتريبون ماروكان *، وهي أسبوعية من الرّباط، تأسست في أَوْج

69 مناقشات المجلس، 23 يونيو 1925، الجريدة الرسمية، ص. 2779.

70 في 1925، نجد من بين العدد الاجمالي للممدرسيين يبلغ 28.759 تلميذا 14.324 مغربيا. أي 5947 مسلما و8377 اسرائيليا؛ والـ 5947 مسلما يمثلون أقل من 1% من الساكنة القابلة للتمدرس وصادرون في معظمهم عن المدارس الابتدائية والمهنية الاسلامية. ولم يكن التعليم الأوربي يستقبل، بالفعل، سوى مائة وسبعة من المسلمين في مدارسه الابتدائية وأربعة وخمسين في مؤسساته الثانوية، بينما كان أبناء البورجوازيين المسلمين يذهبون الى «ثانويات إسلامية» و«مدارس الأعيان» التي كانت تعداداتها خمسمائة وخمسة تلميذا. حماية المغرب، مديرية التثقيف العمومي عرض تاريخي (1912 ـــ 1913).

71 مناقشات المجلس، الجلسة الثانية لـ 9 يوليوز 1925، الجريدة الرسمية، ص 3316

72 لوكري ماروكان، يناير 1924 («المستعمر»).

* LA Tribune marocaine

حرب الرّيف (73) معركتها. فلأنها كانت مقتنعة بأهمية الرّسالة الحضارية لفرنسا، رأت هذه الجريدة أنّ ليوطي أخطأ الطريق باعتراضه على توسّع الاستعمار. وبشكل مُتَرابِط، أشاعت سياسته الأهلية «الخيبة» و«الكراهية» داخل الجماهير المغربية (74). «لقد ارتكبت أكْبَر أنواع انعدام الشرف، وأكبر أنواع الجُبْن، وجرائم فعلية (...) جارّةً هذا المِثال الانساني الذي يُبَرِّرُ ويُلْهِمُ وينبغي أن يُجَسِّدَ عملنا على هذه الأرض في الوحل» (75). منذ ذلك الوقت «هَلْ نحن موقنون بأن أبناء فرنسا الذين يموتون في الجبهة الرّيفية يقاتلون من أجل قضية عادلةٍ ويدافعون حقّاً عن فرنسا ؟» (76). يستحِقّ هذا القلق أن يَتِمَّ التشديد عليه. فهو صادرٌ عن صحفيين حَصَلَ تَرَدُّدٌ في تصنيفهم في اليسار، ولكنّ مَيْلهم العلني الى الحرّية يكفي لترتيبهم، في أرض الحماية، تحت علامة اللاَّمُمْتثلين. وهو صادرٌ عن أشخاص اعتقدوا بحماس في فضائل الاستعمار، وكانوا متعلقين على نحو عميق بالمغرب ويخشون رؤية الحضور الفرنسي مُوَرَّطاً بشكلٍ نهائيٍ بسبب خطأ المُسْتَعْمِر. لقد كانوا يمتنعون عن إدانة عبد الكريم بقدر ما كانوا يمتنعون عن تمجيد مشروعه. وفي المقابل، كانوا يشدّدون على أن تفوّقه ناتِجٌ قبل كلّ شيء عن أخطاء الحماية. إن هذه المقاربة للمسألة الريفية غريبة عن الرّأي الميتروبوليتاني الذي ينزع الى محاكمة عبد الكريم انطلاقا من معايير ثقافته السياسية وحدها.

لم يكن اليسار غير الشيوعي، في غالبيته العظمى، يرغب في أن يكون عبد الكريم بَطَلًا للاستقلال، ولكن زعيماً فيودالياً يُعْتَبَرُ نظام هيمنته مُتعارِضاً مع المبادىء الديمقراطية، وليس لقتاله قيمة تحريرية. غير أن الاتّهام ليس له نفس الدّلالة لدى أغلبية الرّاديكاليين أو بعض الاشتراكيين وبالنسبةِ لعدَدٍ من مناضلي اليسار النقابي، من تروتسكيين وتحرّريين فوضويين. فعند الأوائل، يسمح رَفْضهم لعبد الكريم بتحديد اتفاقهم، مع السياسة الحكومية بكل تصميم. لقد تساءل كوسطاف تيري «كيف يمكن تَصَوُّرُ أن يتم الاستناد بشكلٍ خطير إلى حقوق الانسان، وحتّى إلى حق الشعوب في تقرير مصيرها لتبرير لصوصيات عبد الكريم وعصابته ؟» (77). أمّا بيار برتراند فتحدّث عن «الوطنية الوحشية للقبائل» وعن «امبريالية أحَدِ الروكيين» (78)، بينما أكّدَ إميل كانْ بأنّ «الرّيفيين لا يشعرون بأنفسهم

73 يدير لاتريبون ماروكان، التي يوجد جزء من مجموعتها في المصلحة التاريخية للجيش، (MAROC. AI FES 530 2431) ح. كيرار، وله كمعاونين رئيسيين أوغست مونطاني (أخ روبير، المستشار شبه الرسمي للاقامة) ومكسيم دورركمور، وهو صحفي يقيم منذ أمد طويل في المغرب.

74 لاتريبون ماروكان، 14 مارس 1926.

75 نفسه، 28 فبراير 1926.

76 نفسه، 26 فبراير 1926 (عدد خاص).

77 لوفر، 29 مايو 1925.

78 لوكوتيديان، 9 يوليوز 1925.

مضطهَدين إن لم يكُنْ من طرف عبد الكريم نفسه» (79). ويمر الدّفاع عن الحضارة، بالنسبة لبعض كاتبي الافتتاحيات، عبر الكفاح ضِدَّ الاسلام؛ هذا هو المعنى الّذي ارتأوا إعطاءه لحَرْب الرّيف : «ليس في حقول بواتْيي، بل في سهول ورْغة، في مقدّمة المُرْتفع الرّيفي، ينبغي إعادة شارل مارتيل» (80). ولم يتردد وماريوس موتي الذي تتّفق قناعاته الاشتراكية مع الدّفاع عن مصالح المجموعات المصرفية والصّناعية في المغرب (81)، طويلًا في اتّخاذ موقِف : «إن عبد الكريم ليس سوى جندي مُغَامِر يطمع في امبراطورية. غير وارِدٍ لديه أمْرُ حرّية القريب، وحقّ الشعوب (...) وسيكرس حلول نظامه الطّاغي مَحَلّ حمايتنا انتكاساً للحضارة» (82). أما في لوبوبل *، جريدة الس.ج.ت. فكان عبد الكريم يُقَدَّمُ إمّا كمُغَامِر، بقلم النائب الاشتراكي أوري (83) وإمّا كزعيم فيودالي، بقلم النّقابي ميليون (84).

لم يكن لجميع المنشقّين عن الحزب الشيوعي نفس الموقف الايجابي تجاه عبد الكريم الذي كان يُعبّر عنه لوزون. فإيرنست لافون (85)، الذي كان له تعاطف مع قضية الرّيفيين، لم يكن يُقَدِّر أبداً زعيمهم (86). وبول لوي، مُنَظِّر معاداة النزعة الاستعمارية، لم يكن يفهم كيف أن حزبه السابق يُمَجِّدُ «هذا السُّلطان بالحق الالهي» ويُدَاهِنُ «لا أحد يدري أية وطنيةٍ ملكية وإكليريكية» (87). أمّا رواول فيرفوي (88) فكتب ساخِراً : «إن عبد الكريم إذن ليس رئيس عصابات أو على الأقلّ ليس رئيساً لحكومةٍ بورجوازية» ولكن كي يختم قائلًا : «لا ليوطي، ولا عبد الكريم» (89). إنها نفس الصّرخة التي نجدها في فلامبو : «تقرفنا وطنية أحدهم يُسَمَّى ليوطي بقدر ما تفعل ذلك وطنية أحدهم يُسَمَّى عبد الكريم. فالاثنان يبحثان قبل كل شيء عن سُبُل الجلوس على مقعد الحكم، وتقوية سيادَةٍ وسلطةٍ خطيرة على حدٍّ

79 ليرنوفيل، 9 يوليور 1925.

80 نفسه، 11 يونيو 1925.

81 إنه محامي مطاحن المغرب، أنظر المؤتمر الوطني الرابع والعشرون للحزب الاشتراكي (1927) عرض، ص ص 433 — 436 و453 — 454

82 دفاتر حقوق الانسان، 1925، ص ص (375 — 376) (عرض جلسة اللجنة المركزية لـ 6 يوليور 1925).

* le Peuple

83 لوبوبل، 3 يونيو 1925

84 نفسه، 10 يونيو 1925.

85 غادر الحزب الشيوعي في 1923. وقد انتخب نائبا في 1924 في لائحة كتلة اليسارات، وظلت تدخلاته تتقبل بترحاب من طرف رفاقه القدامى في الحزب.

86 انظر مناقشات المجلس، 28 مايو 1925، الجريدة الرسمية، ص ص 2497 — 2501.

87 لافاك أوفريار أي بايزان، 24 أكتوبر 1925

88 طرد من الحزب الشيوعي الفرنسي في 1922

89 لافاك أوفريار أي بايزان، 6 — 20 يونيو 1925، ص 2.

سواء. ليس لدينا مطلقاً أيّ شيء مشترك معهما» (90). بينما بَدَتْ **لوليبرتير** *، التي تعتبر عبد الكريم «دكتاتوراً»، و «رجعياً شرساً، عَدُوّاً للفقراء» (91) و«نصّاباً دموياً عصرياً» (92)، حريصةً مع ذلك على إظهار تعاطفها مع المُقَاتلين الرّيفيين (93) مع أنّ عبارة «المغرب للمغاربة» لم تعد محلّ إجْماع معاونيها (94).

قيادة العمليات

أمام الانتفاضة الرّيفية التي أخذتْ تتعمَّمُ وتُهَدِّد المواقع الفرنسية، طُرِحَتْ ثلاثة أسئلة : ماهي الوسائل التي يتعيّن على فرنسا اللجوء إليها أمام القبائل المتمردة ؟ هل يتوجّبُ أن يَظَلّ ليوطي مُؤَمّناً لقيادة العمليات وقيادة حكومة الحماية ؟ وأخيراً هل ينبغي للعلاقات بين فرنسا وإسبانيا في المغرب أن تمتَدَّ الى تنسيقٍ وثيق لقواتهما المُسلّحة ؟ تسمح هذه الأسئلة بتقدير الى أيّ حدٍّ وأيضاً وِفْق أية عقلية اعتزمت القواتُ التي دَعَّمَتْ كارتيل اليسارات مؤازرة السياسة الهجومية المُتَبنّاة من طرف حكومتيْ بانلوفي وبريان إزاء عبد الكريم.

□ □ □

لقد نبهت **الراديكال** أنه «لم يعد الأمر يتعلّق بعمليّة شُرْطَةٍ؛ إننا نرى حَرْباً، حرباً حقيقية...» (95). وكتب الجنرال طوفلياب «إذا كنّا نقوم بالحرب، فينبغي أن نقوم بها بوسائل عصرية»، ونَصَحَ بأنه عِوض المدفعية المجرورة بالخيول ينبغي تجريب «تلك ابدّبابات المُصَفّحة للمُشّاة والمُسلّحَة ببنادق رشّاشة» التي تنتقل في كل الميادين، «وجرّارات المدفعية، ودبّابات الاقتحام، ومدافع الجبال» (96). أما **ليرنوفيل** *، فاختارت «الطيران

90 لوفلامو، فاتح يوليوز 1925.
* Le libertaire
91 لولبرتير، 16 مايو 1925.
92 نفسه، 11 يوليوز 1925.
93 نفسه، 4 و11 يوليوز 1925.
94 انطر في مقابل مقال ثورو، نفسه، 30 مايو 1925 ومقالات 25 يوليوز (غير موقعة) وفاتح غشت 1925 (بيار موالد).
95 لوراديكال، 24 يوليوز 1925 (بول ملويسي، سناتور راديكالي اشتراكي للأراضي الفرنسية في الهند).
96 لوفر، 13 يوليوز 1925
* L'ère nouvelle

الثّقيل» : «فالبنسبة للطّيار، كل الأهداف ممكنة، من الأعلى الى الأسفل، ويمكنه أن يَصُبَّ أطنانا من المتفجّرات من شأنها زرع الموت والرّعب (...) فتحت طوفان مماثل من النّار والرّصاص، لن يتأخّر الريفيون في مَدّ أيدي الصّداقة، وحتّى ننتهي سريعاً ونوفّر أرواحاً غالية، لابد من الطائرات، والمزيد من الطائرات !» (97).

لقد سمح اجتماع مشترك لِلَّجْنَتي الجيش والشّؤون الخارجية في المجلس بمعرفة إلى أيّ حَدٍّ ينوي اليمين الذّهاب. وصرح جلن كوري، رئيس الاتحاد الوطني للمقاومين، بأن الطريقة الوحيدة «لوضع حدٍّ سريع للعدوان، هو استعمال قذائف غازاتٍ سامّةٍ، ستتمكّنون بها من الوصول للعدوّ بشكلٍ يقيني مما لو استُعْمِلتْ قذائف عادية» (98). لكنّ بانلوفي نحّى هذا الاحتمال. كما بدا له استعمال الطائرات المُقَنْبلة غير ملائِم للميدان؛ وعلى عكس ذلك، أيّدَ كثيراً استعمال الدّبّابات، غير أنّه ظَلَّ متكتما جدا حول الأعداد المستعملة رغم أن الجلسة كانت مُغْلَقَةً. لقد بدأ الاجتماع بحادثٍ حادّ، فبعد أن ألَحَّ بانلوفي على أنْ يَبْقى عرضُه سِرّياً، رَفَض النّواب الشيوعيون، من حيث المبدأ الالتزام بالسرية، كما سبق لهم أن قاموا بذلك (99)، فتَمَّ إقصاؤهم من المناقشات. أمّا الاشتراكيون، الأكثر امتثالية، فقد سعوا ليس فقط الى التميّز عن الشيوعيين، ولكن إلى إظهار حِرْصِهم على ضرورات الدّفاع الوطني، بالمعنى التقليدي للعبارة. فبالنسبة لرونوديل، لامجال لمُساومة الحكومة حول وسائل القيام بالحرب، بل إنَّ المُعَاون السّابق لجوريس أضاف أكثر من هذا، حيث رأى أمَام هذا الحضور القليل، أنّ من غير المُجْدي أي جِذر كلامي، وقال منذ بداية تدخله «إنّني أعتقد بأنّ المُشاة غير مُسلَّحين بما فيه الكفاية. فليس لدينا هناك مدافع من عيار 37. أعتقد أيضاً بأنَّ عَدَدَ بنادقنا الرّشاشة هو دون ما كان ينبغي أن يكون عليه. إذا أردنا تطوير القوّة النارية، فسنتوصل الى ذلك بسهولةٍ بواسطة أسلحةٍ أسهل عند الحمل والنقل من استعمال المدافع الثّقيلة. هذه ملاحَظةٌ أبلغني بها رجال المِهنة. إن تكتيك الرّيفيين، الذي حدّدتموه جيداً، يُظْهِرُ أنَّ من المَصْلَحَةِ الأكيدة جَعْلُ القوة النارية كبيرةً ومتنقّلة.» (100). بعد ذلك بقليل، عاد إلى مسألة الوسائل العسكرية، وقَلِقَ للأعْدَادِ المتوفّرة، وخَتَمَ كلامه مُطالباً الحكومة بعدم التردّد في طلب متطوعين. لقد كان مُتَّفِقاً في هذه النقطة مع الجنرال كاستولنو. ولا تعكس وجهة نظر

97 ليونوفيل، 10 يوليوز 1925.

98 مجلس النواب، لجنة الشؤون الخارجية، جلسة 17 يونيو 1925.

99 نفسه، جلسة 3 دجنبر 1924.

100 نفسه، جلسة 17 يونيو 1925، إن هذه الفقرة هي الاستعادة الحرفية لتصريح رونوديل في اللجنة، الذي أدلى به مباشرة بعد تصريح بانلوفي. لقد تحدث هذا الأخير عن التكتيك وعن استعمال بعض الأسلحة، ولكن أيضا وأساسا عن مسائل أكثر عمومية. وفقط في تدخل ثان، تحدث النائب الاشتراكي عن شروط الصلح المقترحة على عبد الكريم (انظر أدناه).

رونوديل وجهة نظر الحزب الاشتراكي في مجموعه، ولا حَتَّى وجهة نظر أغلبية الفريق البرلماني (101). إنه لم يتمكّن، من اجتذابه في 9 يوليوز، للتصويت على الاعتمادات العسكرية التي طلبها بانلوفي (102)، فصَعَدَ بْلوم الى مِنَصَّة المجلس ليعلن عن امتناع الاشتراكيين. لقد أكّد زعيم الحزب الاشتراكي بأن «استعمار الحرب الذي يستقِرُّ بالاحتلال والغزو شيءٌ أنكرناه دائماً وسنظَلُّ ننبذه». إنَّ الكفاحات التي خاضها الحزب الاشتراكي سابقاً ضِدَّ احتلال المغرب تجعله اليوم، مرتاح الضمير (103). فهذا الاحتلال أمرٌ واقع، لكننا، يقول ليون بلوم، «لسنا متضامنين، ولا مسؤولين» عن الصعوبات الرّاهنة، وعليه، فإن من شأن التّصويت على الاعتمادات المطلوبة تشجيع الاستعماريين الذين لا يتصوَّرُون الحضور الفرنسي إلّا مَدْعُوماً بالقوّة العسكرية. لكن لن يذهب الاشتراكيون الى التصّويت ضِدَّ الاعتمادات، لأن تصويتاً من هذا القبيل يمكن أن يُؤَوَّل في اتجاهٍ مشَجّعٍ لـ «جلاءٍ بلا شرط» عن المغرب (104).

يكشف هذا الرّفض لاتخاذ موقفٍ واضح عن التيارات المتناقضة التي كانت تهُزّ الحزب الاشتراكي بصدد حرب الرّيف. لقد امتنع ستة اشتراكيين فقط في 29 مايو عن التصويت على جدْول أعمال الثقة في الحكومة (بعد أنْ صَوَّت إثنان آخران، لاباتو ورانيو ضِدّه) (105). وكانوا عشرة أولئك الذين امتنعوا في 19 يونيو عند التّصويت على الرّدّ عقب استفسار دوريو (106) وخمسة وثلاثين في 23 يونيو ، عند جدول الأعمال الجديد للثّقة في الحكومة (107). ويُفَسِّرُ هذا الموقف أيضاً بحُكْمِ الانشقاق الذي كشفت عنه المناقشات داخل الحزب بين أنصار المُشاركة في الحُكْم وأولئك الذين يرون بأنّ السياسة الاقتصادية

101 إنه مع ذلك هو الذي تدخل لوقت أطول في اللجنة عن القضية المغربية. أما بول فور، فقد كان خلال الجلسة التي أتينا على ذكرها، أكثر تحفظا بكثير. لقد سأل إذا كان حقا «لايمكن للعمليات أن تتواصل إلا بوحدات أكثر عددا»؛ ولم يقل أبدا أن تدبيرا من هذا القبيل سيحصل على موافقته. وبعد بضعة أيام من ذلك، كتب في لوبوبل : «إن حزبنا لم ينضم في أية لحظة إلى حرب استعمارية (...). وإذا استمر متخذو الحرب في التضامن البرلماني والحكومي للأيام الأخيرة بخصوص المغرب، بعلة عدم قلب الحكومة، وبعد إمعان النظر، فإنهم سيديرون ظهرهم لتاريخ الاشتراكية بأكمله» (29) يونيو 1925).

102 بعد أن دافع بول ــ بونكور ورونديل عن الاعتمادات العسكرية، أعلن فوالامر وبريسمان، وبارون، وموراد أنهم ضدها، بينما فضل كومبير ــ مروبل الامتناع. لقد أعطى تصويت داخل المجموعة البرلمانية النتائج التالية : تسعة أصوات مع، تسعة أصوات ضد، أربعة وعشرون لصالح الامتناع، حسب لوبوبلير، 17 يوليوز 1925

103 إننا «مؤمنون (...) محررون ومطهرون بجهد وبطولة رجال شهروا، مسبقا، بمخاطر الاحتلال المغربي»، مناقشات المجلس، الجلسة الثانية لـ 9 يولز 1925، الجردة الرسمية، 3316 ــ 3317

104 نفسه.

105 نفسه، الجردة الرسمية، ص 2523.

106 نفسه، الجريدة الرسمية، ص ص 2752 ــ 2753.

107 نفسه، الرجيدة الرسمية، ص ص 2791 ــ 2792.

والاجتماعية للحكومة ينبغي أن تقودهم الى أخذِ مسافةٍ من حلفائهم في الكارتيل. وقد تضاعف فَسَادُ علاقاتهم خلال النّصف الثاني من 1925؛ كما أنّ المشاريع المالية لبّول دومير قَوّتْ مِنْ عداء الاشتراكيين، بينما قادهم تمديدُ العمليات العسكرية في الريف أكثر من سنة لي أي يرفضوا برفقة الشيوعيين الاعتمادات العسكرية الجديدة المَطْلُوبَة من طرف الحُكُومة. لكنَّ الأَعْدَاد المُتوقَّعة من طرف القيادة العليا كانت قد تمَّتْ قبل ذلك : فقد انتقلتْ من ستةٍ وستين ألْفاً وخمسةٍ وسبعين رجُلًا في فاتح أبريل 1925 إلى مائة وواحد من الآلاف وأربعمائة وثلاثة وتسعين في فاتح يوليوز، وإلى مائةٍ واثنين وأربعين ألْفاً وثلاثمائة وأربعةٍ وخمسين في فاتح أكتوبر. لقد كان الفرنسيون يُمَثلّون 30 % من هذه الأرقام، بينما شَكّلتِ المجموعات الشّمال افريقية والسينغالية أغلبية الوحدات. إن هذه الأَعْدَادَ لن يَتِمَّ تجاوزها (108)، ولكن ستتمكن بفضل وسائل المدفعية والطّيران التي وُضِعَتْ تَحْتَ تَصرّفها، من شَنّ عمليات كبيرة، وترميم الوَضْع في الجبهة الشّمالية للحماية الفَرنسية والتّحضير لهجوم واسعٍ ضِدَّ عبد الكريم. لقد كانت هناك مسألتان أوّليتان ينبغي حلّهما : تَعْويض ليوطي وإبرام اتّفاقٍ سياسي وعسكري مع الحكومة الاسبانية. وقد اعتزمت أوساط اليسار إبداء وجهة نظرها في كليهما.

□ □ □

لقد تطلبت قيادة العمليات العسكرية استبدال ليوطي : هذا هو الرّأي المقبول عُمُوماً من طرف الأوساط الرّاديكالية والاشتراكية. فقد عملت مظاهر ليوطي كسَيِّدٍ كبير، وميله للحكم المطلق، وازدارؤهم للأشكال البرلمانية، وعموما قناعاته المحافظة، دون ريب، على إثارة نفور اليسار منه. لكن عنف التّهجمات التي تَعَرَّض لها يُفَسَّرُ قبل كل شيء بِحِرْص أغلبية الاشتراكيين والرّاديكاليين على العثور على كَبْشِ فِداءٍ في القضية الرّيفية. إذا كان التباحث مع عبد الكريم لم يتمّ في الوقت المُجْدِي، فذلك خَطأٌ ليوطي، وإذا لم يتم، بعد ذلك، احتواء اندفاعة الرّيفيين فذلك خطأه أيضاً. إنه ليس رَجُل السِّلْم. ولا هو أيضاً بزعيم الحَرْب التي يتطلبها الوضع (109). لقد كانت رسالة فاتان — بيرينيون هي قطرة الماء التي أفاضت

108 AN مجموعة باللوفي 205 AP 313. إن ديوان وزير الحربية يقابل طلبات التعزيرات المعبر عنها من طرف المقيم العام أو القيادة العليا لقوات المغرب بالوحدات لتي تم إرسالها لكي يخلص الى أن باريس قد أرصت دوما الرباط في نفس الاتجاه، وحلالها للآراء التى أبداها هوبير — حاك، مشار اليه سابقا، أنظر المقدم لور، الانتصار الفرنسي — الاسباني في الريف، 1927

109 إنه لم يعرف كيف يتوقع التمرد الريفي، ولا كيف يتخذ ضده التدابير الضرورية، كتبت كل من لوكوتيدیان (19 يوليوز 1925)، لوفر (22 يوليوز 1925)، لوراديكال (29 شتنبر 1925)، ليرنوفيل («ليوطي التعس، الذي لم يتوقع

الكأس. فصار عليه أنْ يتخلّى عن سلطاته العسكرية للجنرال نولان قبل أن يختفي نهائيا من السّاحة المغربية. ولم ينتبه اليسار الذي لم يَكُنْ مُحَرِّكاً، بحصر المعنى، إلى أن تهجّماته ضِدَّ ليوطي، كانت تساعِدُ أنْصار حرْب الإبَادة ضِدَّ عبد الكريم. لقد كانت أركان الحَرْب العامّة مُتَعَجِّلَةً لِأنْ تستبدل تصورات المقيم العام، الذي لا ينفصل العمل الحَرْبي بالنسبة إليه عن العمل السّياسي، بِمَذْهَبِ حرْبٍ أكثرِ كلاسيكيةً، لا يتردّدُ في استعمال الوسائل الأكْثر أهمّية والأكْثرِ عَصْرِيةً. وسيجسد بيتان، الذي استُقْبِل تعيينُهُ بترحابٍ من طرف قطاع كبير من اليسار (110)، هذه الإرادة (111).

لم تكن لذهاب ليوطي تبِعَات عسكرية فحسب، ولكن أيضا دِلَالَةٌ سياسة ينبغي أن نتوقَّفَ عندها قليلًا، لأنهما تمنحنا واحِداً من مفاتيح قطاعٍ من اليسار تجاه الحركة الوطنية المغربية. لقد احتفت الأوساط الراديكالية والاشتراكية في أكتوبر 1925 بتعيين رجل سياسي، هو السناتور ستيك (112)، في منصب المقيم العام، واعتبرت ذلك بمثابة انتصار. كيف أمكن أن يكون الأمر مخالفاً لذلك، في حين أنّ تلك الأوساط نفسها هي التي ناهضت، على مر السّنين، النّظام التعسفي الذي كانت تعرفه الحماية، وطالبتْ بإحْلَالِ إدارة مدنية مَحَلَّ الادارة العسكرية؟ إنّنا نَعْرِفُ أنّ ليوطي قدْ رفض الرّدَّ بالايجاب على طلب عصبة حقوق الانسان السّاعي لأنْ يُعَلّقَ في المؤسسات العمومية، والبلديات، والمَدارس، إعْلان حقوق الانسان (113). «لقد اعتبر الحاكِمُ الفارسيُ للمغرب الميثاقَ الكبير للبورجوازية الفرنسية تخريبيا وخطيراً»، هكذا علّق الشّيوعي نكيان ــ إي ــ كوكْ. وبينما كان الرجل الذي سيعرف

شيئا، ولم يلاحظ شيئا، ولم يحضر شيئا» 10 غشت 1925). «لاينبغي أن نساومه طويلا في استراحة ربحاها جيدا». لوبوتي بلو، 14 غشت 1925.

110 انظر لوفر، 31 غشت و3 شتنبر 1925، ليرنوفيل، 21 يوليوز 1925، لوراديكال، 24 يوليوز 1925، لوم ليبر، 28 يوليوز 1925. على عكس ليوطي الذي لم تنتقد فقط سياسته بل شخصه أيضا وبعنف، من الراديكاليين الى الشيوعيين، لم يصدر بصدد تعيين بيتان أي تعليق شخصي انتقادي أوغظ.

111 أنظر في هذا الموضوع المداخلة الممتازة ل د. ريفي في ندوة عبد الكريم · **القيادة الفرنسية وردود فعلها تجاه الحركة الريفية، 1924 ــ 1926**، مشار اليه سابقا، ص ص 101 ــ 136. قد أبدى بيتان رأيه بالعبارات التالية حول مخطط العمل المقرر من طرف ليوطي، الذي أحبر به في 18 غشت من طرف وزير الحربية «لقد اعتبرت البرنامج المعروض في "هذه الوثيقة غير كاف. فهو لم يتقصد، بالفعل، سوى أهداف سياسية أساسا، ولم يشكل، في أي حاسب، تهديدا مباشرا لقوة عبد الكريم، كما أنه سمح قبل الأوان بالأمل في إنهاء عمل بدا لي أنه يتطلب مجهودات مغايرة في الحجم والتكلفة والوقت» AN، مجموعة بانلوفي، 313 AP 205 (رسالة 20 أكتوبر 1925، الى رئيس المجلس، وزير الحربية).

112 عضو اليسار الراديكالي، ومشارك بصفته وزيرا للعدل في حكومة بانلوفي.

113 يرى ليوطي بأن هذا الطلب ليس مطابقا لنظام الحماية، لأن مبادىء إعلان الحقوق «منافيه لسلطة السلطان» وللنظام الشخصي للمغاربة المثبت بواسطة الشريعة الدينية. **دفاتر حقوق الانسان**، 1924، ص . 139، وص ص 510 — 511.

باسم هوشي مينه يعطي للاعلان محتوىً كَوْنياً ويدعو المغاربة للكفاح من أجل استرداد حقوقهم (114)، لم يَخْلُ مَوْقِفُ العُصْبَةِ من الالتباس. هكذا كان الكفاح الذي تخوضه لصالح «الحرّية الجمهورية» يستهدف عملياً الحصول على حقوقٍ سياسيةٍ لصالح فَرَنْسِيي الحماية وَحْدَهم (115). وقد طالبتْ فدرالية المغرب مرة أُخرى ، في مؤتمرها لعام 1925 تمثيلهم عَبْر الانتخاب العام في مختلف مجالسِ الحماية (116). وكان هذا المَطْلَبُ يَنْخَرِط في جَوٍّ هيمنتْ عليه منذ نهاية الحرب العالمية الأولى رغبةُ الحماية في إزاحة العوائق التي يضعها ليوطي أمام تطوّرها (117). ولم تكن غرف الفلاحة (118) أو نواب الجزائر (119) وحدهم الذين كانوا يطالبون بسياسة تعمير زراعي فرنسي، بل لقد رأينا اشتراكياً مثل كاريت ـــ بوفي كان مناصراً لهذا المطلب، لا سيما وأنّه بدا له متعارضاً مع استعمار الشركات الرأسمالية الكُبْرى الذي كانت تشجّعه الاقامة (120)، كما أن ليبراليين مثل مكسيم دو روكمور (121) ودوني (122) كانا يشاطران وجهة النَّظَر هذه.

114 مراسلة دولية، 17 أكتوبر 1924.

115 في 1922، صاح كيربو في المؤتمر الفدرالي للدار البيضاء : «أيها الفرنسيون، إنكم تتمتعون في فرنسا بكل حقوقكم السياسية. وعندما جئتم الى هنا (فقدتموها كلها (...) هناك، كنتم مواطنين، وهنا أنتم رعايا...» الدفاتر، 1924، ص 231. عن المطالب المضبوطة للعصبويين المغاربة، أنظر متمنيات الفدرالية، نفسه، ص 484، مقال ماريوس موتي عن العدل في المستعمرات، الذي يثير فيه بالخصوص معارضة ليوطي لانتخاب ممثلين فرنسيين في اللجان البلدية وفي غرفة استشارية، نفسه، ص ص 563 ـــ 570، والمقررات المتبناة في هذا الاتجاه من طرف المؤتمر الفدرالي لـ 1924، نفسه، 1925، ص 5.

116 بعد أن عرض دوبريتي، بعد بضعة أشهر لاحقا، أمام اللجنة المركزية، مطالب الفروع المغربية للعصبة، كان فيليسيان شالاي وحده الذي اندهش لكون الأمر لايتعلق بمشاركة الأهالي في الأجهزة التي كان يطالب بإنشائها. نفسه، ص ص 590 ـــ 591.

117 نعرف عداء ليوطي للاستعمار الزراعي الصغير : «لاينبغي التردد في أن نرى بوضوح أن المغرب ليس ولن يكون أبدا مستعمرة للتعمير الزراعي الصغير» كتب المقيم العام الى وزير الشؤون الخارجية، وأضاف بأن المغاربة لديهم «وسواس مما حدث في الجزائر في بداية احتلالنا، أي تجريد الأهالي من أراضيهم» رسالة رقم 66 في 14 يناير 1921 (أرشيفات شخصية).

118 انظر لوماروكان، 5 شتنبر 1923، لابريس ماروكان، 6 شتنبر 1923.

119 «ليس ثمة معمرون في المغرب؛ إنه واقع أكيد في أنه لايريد أحد، في هذه الأرض الشاسعة»، صاح آبو، نائب قسطنطينة، أمام المجلس، لافريك فرانسيز، أبريل 1923، ص 201، أنظر أيضا نفسه، يونيو 1923، ص ص 295 ـــ 296 (روكس فرايسنينغ).

120 لوكري ماروكان، 28 شتنبر 1924. لقد أعيد نشر المقال من طرف لومانيتي (10 أكتوبر 1924) التي انبهرت بهذه القضية، ودون أن «تمحي» معارضة المقيم للتوافد الكبير للمعمرين الجدد.

121 لاتريبون ماروكا، 14 مارس و25 أبريل 1926.

122 مشار اليه سابقا، ص 35.

لقد قوت التّردّدات التي أبداها المقيم العام في قتال عبد الكريم من عَدَاءِ أُولئك الذين يعتبرون أنّ تثبيت حقوق المُستعمرات الفرنسية لا ينفصل عن تنحية الزّعيم الرّيفي. وكان أغلبية عُصبَوِيِي الحِمَاية يشاطرون طريقة النَّظَرِ هَذِه. هكذا كتب رئيسهم، دو بيريتي، وهو من أعيان الرّباط، الى اللجنة المركزية بأن القيادة الفرنسية عاجزة على مُجَابهَةِ انتفاضَةِ القبائل؛ وَطَلَبَ «بأن تكون للجنرال نولان سلطات واسعة جدا. والشرط الأساسي للتفوق هو أن يكون نولان سيِّد الوضع بإطلاق، أي فوق الماريشال ليوطي» (123). بعد أيامٍ من ذلك، شَكَرَ فرع الدّار البيضاء «الحكومة على تفهّمها لخطورة قضية الرّيف وتعيينها لبيتان ونولان. وطلب إرسال لجنة تحقيقٍ في الأخطاء والاغلاط المرتكبة» (124). إنَّ أولئك الذين شَدَّدُوا، على غِرار كاريت ــ بوفي أَوْ دوني، على ضرورة تنفيذ سياسةٍ تَقَدُّمٍ اقتصادي واجتماعي لصالح الجماهير المغربية، مع تطوير الحماية في نفس الوقت، آخذوا ليوطي على كونه لم يعرف إبرام تسوية سِلْمِية مع عبد الكريم. وفي فرنسا، كان الاشتراكيون والرّاديكاليون على الخُصوص مُتأثّرين بإجْماع الانتقادات ضِدَّ المُقيم العام. فهو تنقصه الصّفات الضرورية إمّا لقتال الرّيفيين، حسب البعض، أو لاقامة السِّلْمِ معهم، حسب البَعْض الآخر. لكنه لم يعرف ، أكثر من هذا، ــ والآراء لم تَعُدْ مختلفة هنا ــ اجتذاب «المُعَمِّرين النّشيطين» وتسهيل التّوسّع الفرنْسي في المغرب» (125). ولا ينفصل النّجاح «الدّيمقراطي» الذي مَثّله ذهابه عن اندفاعة الاستعمار وتقوية امتيازاته التي ستتأكد مع خَلَفِهِ (126). ولن تمر هذه الوضعية دون أن تؤثّر في موقف قطاعٍ عريضٍ من اليسار تجاه المغرب، إذ سيقوي توسيع الحضور الفَرَنْسي في الحماية تياراً استعماريا لدى عدد من المُناضلين ويقودهم الى اتّخاذ موقف أكثر عداءً إزاء المَطْلَب الوَطني.

□ □ □

لِقَطْعِ دَابِر الانتفاضة الرّيفية، بَدَا التَّنْسيقُ العسكري الوثيق بين فرنسا وإسبانيا لا مندوحة عنه. بالنسبة لحكومة بانلوفي، يُعْتَبَرُ الأمر بديهيا. إذ سرعان ما سلم بحُجَج القُواد

123 دفاتر حقوق الانسان، 1925، ص ص 363 ــ 367.

124 اجتماع 26 يوليوز 1925، نفسه، ص 525.

125 فحسب صحيفة الـ س.ح.ت، فإن نبأ ذهاب ليوطي «استقبل بارتياح حقيقي من طرف الأغلبية العظمى للمعمرين المجدين للمغرب، وخاصة من بين أولئك الذين لايصنعون في فئة المستفيدين الكبار» لوبوبل، 30 شتنبر 1925.

126 إن الاستعمار «الرسمي» سيتسارع : فتوزيع الأراضي من طرف مصالح الحماية شمل 24000 هكتارا في المتوسط بين 1926 و1930 مقابل 15000 بين 1918 و1925. وعدد الضيعات الفرنسية «الرسمية» التي تم إنشاؤها على هذا

العسكريين (127). وبَعَث مالْفي لِيُحَضِّرَ لِأُسُسِ مفاوضةٍ عامة مع ديوان مدريد. ويدل اختيار هذا المُفَاوِضِ، المُشَنَّعِ عليه في اليمين، على الاحتياطات التي عزم كلٌّ من بانلوفي وبريان على اتخاذها. فأمام البَرْلمان، لا يمكنهما الكَشْفُ عن نواياهما في التوصّل إلى اتفاق عسكري مع حكومة بريمو دي ريفيرا، دون المجازفة بإزعاجٍ خطيرٍ لِقِسْمٍ من الكارتيل لا يُقَدِّرُ إطلاقاً النزعات الفاشية للهيأة الحاكمة في اسبانيا. لذلك فضّلَا الالحاح على الموضوعين الآخريْن للحوار الدّائر : رَدْعُ تهريب الأسلحة الى المغرب (128) وضع «نظام نهائي وقارّ مع الرّيفيين»، مُهَيِّءٍ للبحث عن سِلْمٍ فعلي (129) . وفي الواقع، كان التّحْضِيرُ لعملٍ مُنَسَّقٍ عسكري بين القوات الفرنسية والاسبانية ضِدَّ عبد الكريم سِرّاً شائعاً (130). فقد كان الرّاديكاليون يَتَمَنَّونه (131)، وعندما تمّ التوقيع على الاتفاقات الأولى (132) وحدهم الاشتراكيون احتجّوا على الخيانة (133). لقد وضح للعيان، منذ ذلك الوقت فصاعِداً، أن حكومة بانلوفي — بريان لن تدّخر أية إمكانية لانجاز الحرب بِجَمْعِهَا لكل الوسائل المتوفرة. هل معنى هذا. أن الحكومة المدعومةَ من طرف الرّاديكاليين والجمهوريين — الاشتراكيين، لم تعد منذ صيف 1925 تتبين السِّلْم إلّا كخِتامٍ لانتصارِ الأسلحة ؟ بالنسبة للشيوعيين الذين كانوا يطالبون بوقف العمليات الحربية وانسحاب القوات العسكرية، وبالنسبة للاشتراكيين الذين كانوا يتمنّون لو يتم الشروع في محادثات مع عبد الكريم، ينبغي للسِّلْم أن يكون في أعقاب تفاوُضٍ لا يجب تأجيله.

النحو، والتي كانت 690 في 1925 (أي 86 في السنة تحت ولاية ليوطي) انتقلت الى 1522 في 1930 (أي 166 في السنة بعد ذهابه). بموازاة ذلك، تطور الاستعمار الخاص بحيث سيحصى في المجموع في نهاية 1929، 3178 مشروعا استغلاليا أوربيا (مقابل 1794 في 1925).

127 SHA VM RIF 17 (مذكرة 11 يونيو 1925 لرئيس المجلس، وزير الحربية).

128 مناقشات المجلس، 28 مايو، الجريدة الرسمية، ص 2494.

129 نفسه، 29 مايو، الجريدة الرسمية، ص 2517 (بريان).

130 انظر لافريك فرانسيز، يونيو 1925، ص 313، يوليوز 1925، ص 348.

131 انظر لوراديكال، 4 — 5 يوليوز و10 شت 1925؛ ليرنوفيل، 16 يوليوز و25 غشت 1925؛ لوم ليبر، 27 يوليوز 1925.

132 لقد تم التوقيع على اتفاق مسبق في 4 يونيو 1925. وأعقبته ثلاثة اتفاقات في 8، و11 و25 يوليوز 1925 حددت مبادىء تعاون عسكري بين البلدين، ثم تم التوقيع على اتفاق جديد في 6 فبراير 1926 نص بتفصيل على العمليات المنسقة بين القوات الاسبانية والفرنسية. SHA VM RIF 18.

133 لقد نشرت لوبوبلير مقررا يتبين منه أن «الحزب الاشتراكي آسف (...) لظهور مخطط تعاون عسكري مع اسبانيا، أمام الرأي العام في الوقت الراهن قبل أن تعرف حتى اقتراحات الصلح، وخلافا للالتزامات التي أخذتها الحكومة على عاتقها أمام البرلمان ...»، 31 غشت 1925. أما احتجاج رونوديل فكان أكثر ليونة : «فقط لأن شروط الصلح لم تنشر، في نظري، بما يكفي من السرعة، أفضينا الى تعاون عسكري كامل عدما، إجمالا، لم يكن يتعلق الأمر بهذا الشكل أمام البرلمان» مجلس النواب، لجنة المالية، 21 أكتوبر 1925.

اليسار والسِّلم

مبدأ التفاوض مع عبد الكريم

عندما بدأت مناقشات البرلمان حول المغرب، في أواخر مايو 1925، لم تكن وزارة بانلوفي موجودة سوى ببضعة أسابيع. وكان غير واردٍ بالنسبة لبانلوفي التفاوض مع عبد الكريم الذي كان يعتبره، كما رأينا، مُتَمَرّداً يُشَكِّلُ مشروعه تهديداً للحضور الفرنسي في إفريقيا الشّمالية. في هذا الاتجاه، كان مُتَّفِقاً مع يمين البرلمان، ومجموعات الوسط واليسار المُعْتدل. لقد كان هؤلاء وأولئك متأثّرين بضغوط الفريق الاستعماري الذي كان المُعَبِّران عنه في المجلس وقتذاك هما ليون باريتي (134) وروكس ـــ فرايسنينغ (135). وعَبّر كيومون، رئيس الوفد البرلماني الذي بُعِث الى المغرب، من جهته، عن التّحفظات التي يمكن أن يبعثها لدى أصدقائه الرّاديكاليين فتح مُفاوضات مع عبد الكريم، وهو ما عبر عنه بقوله : «نعم، نتفاوض، ولكن بعد أن نكون قد قمنا بما ينبغي القيام به، بِعَمَلٍ ليس من اختصاصنا، نحن البرلمانيين، أن نُحَدِّدَ لاوقته ولا مداه لأننا لا نعرف الصعوبات التّقنية التي يخضع لها» (136). إن الحكومة لا تنوي، الادلاء بتصريحات فظّة النوايا من شأنها أن تعجل بتفكّك الكارتيل، الذي بدأته قَبْلًا مشاريعها المالية. ومن جهة أخرى، عليها التّأكّد من الارادة السياسية للحكومة الاسبانية في الصّمود للاندفاعة الرّيفية، وأنْ تُدْخِلَ في حسابها التعاون الممكن إقامته بين باريس ومدريد والثّمن الذي يمكن للهيأة الحاكمة أن تؤدّيه للحصول عليه. من وجهة النظر هذه، لا تَنفصل التّصْريحات الحكومية، وكذا التّصْريحات المنسوبة الى عبد الكريم، عن اللعبة المزدوجة الديبلوماسية والعسكرية، التي تُلْعَبُ في المغرب.

في فترةٍ أولى، كان يتمّ تقديم الحجّة السياسية ـــ القانونية لتَنْحية إمكانية مفاوَضَةٍ مع عبد الكريم، ولأنّ هذا الأخير لا يمتلك صفة مُحَارِبٍ، فهو أيضاً لا يمكنه ادّعاء التفاوض. ولا يمكن لفرنسا من جهة أخرى أنْ تتصرّف بمفردها، فمصالحها مُتكافِلَةٌ مَعَ المصالح الاسْبانية. إن على باريس ومدْريد أن تتفاهما، خاصّة حول الحدود بَيْن مَنْطِقَتيْ الحماية، قبل أنْ توضّحا

134 كعصو نارر في اليسار الديمقراطي، ورئيس «للمحموعة البرلمانية للمغرب»، يرى ليون ناريتي أن التفاوض مع عد الكريم سيكون مظهر ضعف يؤدي الى تمير القبائل الواثقة من فرنسا عن هذه الأخيرة وتقوية الزعيم الريفي انظر مناقشات الملجس، 28 مايو 1925، الجريدة الرسمية، ص ص 2474 ـــ 2479.

135 كائب لوهران، وعضو في اليسار الراديكالي، لايرتقب روكس ـــ فرايسينغ الصلح إلا عقب استسلام عد الكريم : على الزعيم الريفي أن يطلب الأمان ويخصع لشروط الحكومة العرنسية. نفسه، 9 يوليوز 1925، الحريدة الرسمية، ص ص 3301 ـــ 3302.

136 نفسه، الجريدة الرسمية، ص 3305.

شروط سِلْمٍ في الرّيف. لكنّ ديوان بانلوفي كان لايزال حريصاً على مُراعاة اليسار الاشتراكي الذي كانت أصواته ضرورية لتنْصيبه. من هنا مجهودات بريان لكيْ يُفَسِّرَ في المجلس بأنّه من الممكن إجراء محادثات مع عبد الكريم دون فتح مفاوضة معه (137). ومع ذلك كان من الواضح بأنّ الحكومة لا تنوي الذّهاب بعيداً في هذا الطريق.

ستعمل مسألة نَشْرِ شروط السِّلْم وتَصْريحات عبد الكريم، خِلاَل الصّيف، على إحياء النقاش. لقد وَضّحَ بانلوفي بأنّ الحكومة مُسْتَعِلّةٌ لأنْ تخبر القبائل الريفية بالخطوط العريضة لنوايا فرنسا، حتّى قَبْلَ أن تكون اتّفاقات مَدْريد قد ضُبِطَتْ. لكن إرسال شروط السِّلْمِ مباشرة الى عبد الكريم أمر غير وارد. فهذا الأخير سيعرفها، دون أن يكون أيُّ مَسْعًى — «من شأنه أن يبدو كطالبٍ للسِّلْم» — قد تمّ القيام به إزاءه (138). لقد حصل رئيس البرلمان قبل بضعة أيامٍ من ذلك، في لجنةِ الشؤون الخارجية، على انضمام رونوديل الى نَهْجه (139)، وهذا ما لم يمنع هذا الأخير، أن يطلب في جلسةٍ عمومية، «تقديم» هذه الشروط الى الزّعيم الرّيفي (140). وستتخذ الأجهزة القيادية للحزب الاشتراكي مَوْقِفاً أكْثَر وُضوحاً : فهي لا تفصل نَشْر شروط السِّلْم عن تبليغها الى عبد الكريم. هكذا كان فَهْمُ ممثّلي التّنظيمات الاشتراكية الفرنسية والاسبانية والانجليزية المجتمعةِ بباريس في 08 يوليوز (141)، والمؤتمر الوطني الاستثنائي لأيّام 15 — 18 غشت (142)، ومؤتمر الأممية الثانية، الذي انعقد بعد بضعة أيام من ذلك في مرسيليا (143). ومن جهتهم، ثابر الشيوعيون، الذين كانوا يطالبون بِسَلْمٍ فوري، على إظهار أن عبد الكريم مستعدٌ كل الاستعداد لذلك. ودعوا الحكومة الى تشكيل لجنة تضم خصوصاً ممثّلي المركزيتين النقابيتين، س.ج.ت، و س.ج.ت الوحدوية وتنظيمات الفلاّحين، وذلك استعدادا للمفاوضات (144). لقد أعطت لومانيتي صَدًى واسعاً لتصريحات «رئيس جمهورية

137 انظر نفسه، 29 مايو 1925، الجريدة الرسمية، ص 2517.

138 نفسه، 9 يوليوز 1925، الجريدة الرسمية، ص 3313.

139 مجلس النواب، لجنة الشؤون الخارجية، 17 يونيو 1925.

140 «اسم من أولئك الذين يعترضون أن على عبد الكريم أن يأتي إلينا بالحبل في عنقه ؟ كلا، ستتحادث ستتفاوض» مناقشات المجلس، 23 يونيو 1925، الجريدة الرسمية، ص 2779.

141 انظر لوبوبلير، فاتح غشت 1925.

142 طبقا للمقرر الذي تم تبنيه في 28 يوليوز، فإن المؤتمر «يأسف : لكون الحكومة الفرنسية تراجعت عن النشر الفوري لشروط السلم المقررة مع الحكومة الاسبانية؛ لكونها لم تر ضروريا أن تبلغ مباشرة أو رسميا شروطهال للسلم الى عبد الكريم، مقدمة بهذا للزعيم الريفي تعلات لكي لايعطي جوابه عن اقتراحات مقدمة على هذا النحو» نفسه، 31 غشت 1925.

143 تستعيد المذكرة التي تبنتها الأممية الثالثة بالضبط نص مقرر 28 يوليوز السابق. نفسه.

144 حلول أعمال مقترح على المجلس، باسم الحزب الشيوعي، من طرف كاشان، مناقشات المجلس، 29 مايو 1925، الجريدة الرسمية، ص 2513.

الرّيف» : فأعادت نَشْر المقابلات الصّحفية التي خَصَّ بها الصّحفيين الأجانب (145)، وعرَّفَتْ بـ «شروطه للسِّلْم» المُبَلَّغةِ عَبْرَ وُسَطاء (146)؛ ونَشَرتْ، أخيراً، الرّسالة التي وَجَّهها للبرلمان الفرنسي (147). لكن لم تكن الجريدة الشيوعية وحدها التي أرادت تعريف الرّأي العام بنوايا عبد الكريم. فقد نشرت جريدة الكوتيديان، المُشْتَبَهة قليلًا وأوّليا بالتعاطف مع القضية الريفية، في 23 يوليوز وثيقةً مُعَنْوَنة ب «خطاطة شروط السِّلْم الموضوعة من طرف عبد الكريم»، التي وَضَّحَتْ في اليوم التّالي بأنها بُلِّغَتْ بها من طرف ضباطٍ بريطانيين. وفي الواقع، تعلق الأمر بالقبطان كوردن كانينغ، مُنَشِّط الرّيف كوميتي الذي لم يتوقّف عن إثارة الضّجيج حوله. لقد كان لهذا النّشر، في جريدة تنتمي دائماً للأغلبية الحكومية، وَقْعُ القنبلة. لا سيما وأن كاتب افتتاحيتها، ب. برتراند، ألحّ على أن هذه الوثيقة تشكل أساساً لنقاشٍ مقبول (148). فثارت ثائرة اليمين، وتصاعد الاحتجاج من الجرائد الرّاديكالية : فالأسلوب المُسْتَعْمل يُشكّل «نوعاً من التّحدّي للقاعدة الطبيعية للمحادثات الدبلوماسية» (149).

ومن جهتها، رفضتِ الحكومة، التي أنْهَتْ ضبط شروط السِّلْم مع الحكومة الاسبانية، نَشْرَ هذه الشّروط، رغم الالحاح الشّديد للحزب الاشتراكي وعصبة حقوق الانسان (150). لقد اكتفتْ بالاخبار بأن المندوبين الفرنسيين والاسبان ينتظرون في مليلية وطنجة مجيء مبعوثي عبد الكريم لمعرفتها (151) وأكدت مذكّرات شبه رسمية أن هذا الأخير يرفض الشروع في مفاوضة إن لم يتمّ الاعتراف، مسبقاً، باستقلال الرّيف (152). وفي 20 غشت، بَلَغَ نَبَأ مفاده أن الحكومتين، بعد أن اعتبرتا أنّ مندوبيهما صَبَروا ما فيه الكفاية، أمَرتا هؤلاء بالعودة الى وظائفهم المعتادة. لقد علقت لافريك فرانسيز قائلة بأن عبد الكريم قد تَهَرَّبَ من «نداءٍ صريح ومباشر (...) ووحدها القوة يمكنها من الآن فصاعِداً حلّ المُشْكِل الرّيفي» (153).

145 لومانيتي، 23 يونيو (استجواب عبد الكريم في شيكاغو تريبيون)، نفسه، 25 يونيو (بخصوص الاستجواب «المزعوم» لعبد الكريم في بوبولو ديطاليا، نفسه، 28 يوليوز 1925).

146 نفسه، 28 يوليوز («للمرة الثانية، يعلن عبد الكريم أنه مستعد للسلم»)، نفسه، 31 يوليوز («للمرة الثالثة، عبد الكريم يقترح السلم»)؛ نفسه، 23 شتنبر 1925 («للمرة الثالثة (كذا) ها هو اقتراح للسلم باسم الشعب الريفي»).

147 نفسه، 21 غشت 1925.

148 لوكوتيديان، 24 يوليوز 1925.

149 لوراديكال، 15 — 26 يوليوز 1925، انظر أيضا لوفر، 24 يوليوز، وليبرلوفيل، 25 يوليوز 1925.

150 انظر رسالة 17 يوليوز 1925 الموجهة من طرف مكتب العصبة الى رئيس المجلة، دفاتر حقوق الانسان، 25 يوليوز 1925، ص 354. في 11 غشت، كرر مكتب العصبة طلبه. نفسه، 25 غشت 1925، ص 381.

151 لافريك فرانسيز، غشت 1925، ص 405 وما يليها.

152 نفسه، شتنبر 1925، ص ص 456 — 457.

153 نفسه. لقد كان ليون غابرييلي، المراقب المدني في تاوريرت، بمنطقة وجدة، «الوسيط شبه الرسمي» المعين من طرف الحكومة الفرنسية، بحكم معرفته الجيدة بالبلاد الريفية وبحكم الاتصالات التي تمكن من إقامتها مع الأركان العامة لعبد

وكانت وجهة النّظر هذه مُتَبادلةً بشكلٍ واسع في الأوساط الرّاديكالية : «إن التّفاوض مع عبد الكريم خطأ. (...) فلم يَكُنْ ممكناً قَطْعُ دابِرِ عبد القادر إلّا بأسْرِه» (154). «لا ينبغي أنْ تُشجّع النّذل (...) ولا يكفي صَدّه (عبد الكريم) داخل حدوده. فهو لَنْ يفهم أرْيَحِيَّتنا. (...) يَنْبغي رَبْط كل حيوان مُزْعج.» (155).

يلزم انتظار 3 أكتوبر لكي يُعْلِن بانلوفي أخيراً في خطابه بنيم عن شروط السّلْم المُقَرَّرَةِ من طرف الحكومتين الفرنسية والاسبانية، ويؤكّد على أنّها «رُفِضَتْ» من طرف عبد الكريم (156). وفي 21 أكتوبر كرر توضيحاته أمام لجنة المالية، لكن الاشتراكيين ظلّوا مُرْتابين. لقد «تأسَّفَ» رونوديل، الذي شَدَّدَ موقفه، لأنّهُ شَاعَ من قبل ب «أنّها ستُنْقَلُ الى عِلْم عبد الكريم بطريقةٍ لا تَدَعُ أيَّ مجالٍ للشّك» (157). ثم اقترح، مع فانسون أوريول، بأنْ تُرْسَل الى عصبة الأمم، حتّى يقوم هذا الجهاز بتبليغها الى عبد الكريم «في حالة ما إذا امتنعت الحكومة الفرنسية عن تبليغها إليه بنفسها» (158). وبالرّغم من أنه لمَّحَ الى أن الموقف الاشتراكي حول اعتمادات الحَرْب سيتوقّف على الأجوبة المُعْطاة لهذه الأسئلة، فإن الزّعيم الاشتراكي اصطدم بتصميم بانلوفي. لقد اكتفى بالرَّدِّ بأنه مُعادٍ لفكرة تَوْجيه «دعوة جديدة لاحْلال السّلْم» لعبد الكريم، لأنّ ذلك سيرد اليه «كلّ اعتباره»، مادام أن الزّعيم الرّيفي لم يَعُد سوى «رَجُلٍ في حالة فرار». أمّا عَرْض الأمر على عصبة الأمم، فلا يرى أنّ ذلك ممكنٌ،

الكريم ومع الزعيم الريفي نفسه تحت مراقبة ليوطي. وبعد ثمانية وعشرين سنة على الأحداث، أكد عابريلي أن التوجيهات الحكومية «لم تبد (له) متوفرة على أي أمل في النجاح»، ليس فقط بسبب تصميم عبد الكريم على الحصول على الاعتراف الكامل بدولته، ولكن بسبب تدخل اسبانيا. «كان ذلك معناه فقدان كل أمل في الوصول الى تسوية خاصة مع الريف، مثلما كان يحذوني الأمل» ل. عابريلي، **عبد الكريم وأحداث الريف**، الدار البيضاء، ص 132.

154 **لوراديكال**، 17 غشت 1925.

155 نفسه، 22 ـ 23 غشت 1925. انظر أيضا **ليرلوفيل**، 23 غشت 1925 ولوم ليبر، 4 شتنبر 1925.

156 يوجد الجزء المتعلق بالمغرب من خطاب نيم، خاصة في **لافريك فرنسيز**، أكتوبر 1925، ص ص 529 ـ 530 وفي **دفاتر حقوق الانسان**، 5 أكتوبر 1925، ص ص 469 ـ 471.

157 لقد ردد هذه العبارة مرتين في سياق تدخله. **مجلس النواب، لجنة المالية**، 21 أكتوبر 1925.

158 نفسه. يعتبر اللجوء الى عصبة الأمم لتسهيل حل سليمي يراعي مصالح الأطراف المتنازعة في حرب الريف فكرة «اشتراكية» حصرا. لقد تم تقديمها بالخصوص من طرف مؤتمر 28 يوليوز ومؤتمر الأممية الثانية لغشت 1925. إن الشيوعيين الذين كانوا يرون في المؤسسة الدولية قبل كل شيء أداة في خدمة الامبريالية («جمعية الأمم الكبيرة لسحق الصغيرة») آخذوا مع ذلك، بصوت دوريو، الاشتراكيين على عدم لجوئهم اليها في نزاع الريف. انظر **مناقشات المجلس**، 27 مايو 1925، **الجريدة الرسمية**، ص 2461. بعد ثلاثة أشهر منذ ذلك، أعلن نائب سان ـ دوني أمام اللجنة المركزية : «ماذا فعل الاشتراكيون خلال كل مناورات السلم هذه ؟ لقد قالوا : «ينبغي وضع (كذا) الريف تحت مراقبة عصبة الأمم (. .) وهذا اقتراح ليس له سوى هدف واحد، ألا وهو تقوية الامبريالية الفرنسية، والانجليزية والاسبانية» **أرشيفات معهد موريس طوريز**، سلسلة 93، محضر اللجنة المركزية لـ 18 غشت 1925.

واعتبر أن «ذلك سيخلق سابقةً خطيرة جدا» (159). كان المؤتمر الرّاديكالي الاشتراكي قد اختتم أشغاله قبل ذلك بثلاثة أيام، وتَغَيَّر إِجْماعُ المُشَارِكين، الذي أفسدته المشاريع المالية لكايّو، الى تأييد السياسة المغربية لبانلوفي، الذي دُعِيَ الى حَفْل الاختتام، مع التّذكير بضرورة «وقف القتال في المغرب بأسرع ما يمكن» (160). لقد كانوا يعلمون، منذ 6 أكتوبر، بأنّ واحِداً منهم، هو ستيك، سيخلف ليوطي.

لقد دافعت حكومة جديدة، في نهاية السنة، عن هذه السياسة المغربية أمام البرلمان، لكن مع بقاء نفس الأشخاص في مراكز القيادة : فقد احتفظ بريان، الذي صار رئيساً لمجلس الحكومة، بالشّؤون الخارجية، وظل بانلوفي في الحربية. لقد كانا يعلمان بأن أصدقائهما الرّاديكاليين بدأوا يقلقون تمديد العمليات ـــ فأمام العسكريين، لايعود ستيك سيّد اللعبة ـــ وللعبء المالي الذي تستتبعه (161). لذلك سعيا الى طمأنة البرلمان. إنّ الوَضْعَ تحسَّن بشكْلٍ واضح : هكذا يتحدث بانلوفي عن «حماس» القبائل التي تنضَمّ الى فرنسا (162)، ويؤكد بريان بأن الخسائر في الرّجال، «قد تقلّصت»، منذ شَهْرٍ على الخصوص، «إلى الحدّ الأدنى. فلم تعد هناك معارك» (163). وبناءً عليه، يعتبر أن مسألة التّفاوض ينبغي أن تُستَأنَف على أسُسٍ جديدة : «لسنا مُرْغَمين، قبل كل شيء، على اعتبار أنّ عبد الكريم هو بالضرورة من ينبغي التّفاوُضُ معه. هل هو مُؤَهَّلٌ حاليا من طرف جميع القبائل ؟» (164). غير أن كاشي ورونوديل لايفهمان المسألة على هذا النّحو. «أنتم في حَرْبٍ مع عبد الكريم، وعليه، ينبغي أن تتفاوضوا معه إذا كنتم تريدون إِحْلَال السِّلْم». وقد طَلَبَا أنْ يستقبلَ الوزيرُ كانينغ حامِلَ عروض السِّلْم. إِلّا أنَّ بريان رَفَضَ هذه الامكانية وخَتَم قائلًا : سنتفاوض مع الرّيفيين، مع جبالة. وإذا انتخبوا عبد الكريم كممثّل فلن يسعنا سوى القبول» (165). فصَفَّقَ أغلب الرّاديكاليين (166). لكن عصبة حقوق الانسان استأنفتِ النّقاش. لقد أيد كل من سكرتيرها

159 مجلس النواب، لجنة المالية، 21 أكتوبر 1925.

160 AN F7 13191 (المؤتمر الثاني والعشرون للحزب الراديكالي ـــ الاشتراكي، نيس، 15 ـــ 18 أكتوبر 1925).

161 متحدثا باسم الحزب الراديكالي، صرح مالفي، الذي هو أيضا رئيس لجنة المالية : «لقد أنفقنا في المغرب أكثر من مليار في تسعة أشهر، ولنا في المغرب أكثر من مائة ألف رجل، حوالي أربعين جنرالا، وأركان عامة عديدة. ولدينا فيه عتاد حربي مهم كان علينا أن نأخذه من الاحتياطات الموجودة في فرنسا (...) إن هذه، على أية حال، نفقات مفرطة بعض الشيء في الوضعية المالية التي نوجد فيها» مناقشات المجلس، 30 دجنبر 1925، الجريدة الرسمية، ص 4858.

162 نفسه، ص 4859.

163 نفسه، ص ص 4843 ـــ 4855.

164 نفسه، 4855 (رونوديل).

165 نفسه، 4868.

166 انظر لوفر، 23 دجنبر 1925 ولورادكال، 2 ـــ 3 يناير 1926.

العام، كيرنو، وَبوكلي، رفض الحكومة استقبال كوردِن كانينغ. بينما عارض فكتور باش، مدعوماً باعتدال من طرف إميل كان، وجهة نظرهما (167). وقد تمَّ الاتّفاق على عبارات رسالةٍ مُوَجَّهَةٍ لرئيس البرلمان تأسف للأقوال التي تفوه بها كل من بانلوفي والرئيس أمام المجلس، ونقرأ فيها : «إنّ ما يقلقنا أكثر هو أن نسمع وزير الحربية يضيف خلال نفس هذه الجلسة، شرطين جديدين لشروط السِّلْم المُقَرَّرة في يوليوز : عدم التّفاوض سوى مع رجالٍ **يريدون حقّاً السِّلْم ومؤهّلين للحصول عليه**. وأن نسمعكم أنتم، سيدي الرئيس، تصرِّحون بأنّ الحكومة لم تعد تعترف لعبد الكريم بصِفة التفاوض حول السِّلْم، لأنه لم يعد زعيم حَرْبٍ، وأنّه **فَقَدَ عاصِمَتَه، ولأننا تَقَدَّمْنا**. فأقوال من هذا القبيل تسمح بالتفكير في أنّ شروط يوليوز التي عُرِضَتْ على عبد الكريم حينما كان مُنْتَصِراً لم تعد صالحةً له، في رأيكم، منذ صار مُنْهَزِماً» (168). ولم يكتف كيرنو نفسه، في لوكوتيديان، بملاحظة أنّ الحكومة غيرت موقفها. بل استشعر بأنّ ما هو واردٌ ليس مجرد تغيير مُخاطَبٍ، بل مبدأ التفاوض الحقيقي نفسه لتفاوُضٍ حقيقي (169).

استقلالٌ، استقلالٌ ذاتي أم خضوع الرّيف ؟

صوت مجلس النواب في 23 يونيو 1925، بأربعمائة وأربعة وتسعين صوتا ضِدَّ واحدٍ وثلاثين (الأصوات الشيوعية وصوتان اشتراكيان) وحوالي أربعين امتناعاً راديكاليا ــ اشتراكيا واشتراكياً، على جَدْوَلِ الأعْمَالِ المُقَدَّمِ من طرف الأغلبية. لقد سَجَّلَ هذا الأخير تصميم الحكومة على «الدَّفْعِ بالمفاوضات مع إسبانيا نحو حَلٍّ يلائم بين احترام المعاهدات الدّولية والتطوّر الحرّ للسكّان الرّيفيين ويُؤَمِّنُ أيضاً جوارَهم السلمي مع المنطقة الفرنسية (للحماية)» (170). لا ينبغي لهذه الأغلبية السّاحقة أن تُوهِمنا. فقد تمَّ النّصُّ المُعْتَمَد والنّقاش الذي تلاه عن نوع من الالتباس. وتبعاً للالحاح على احترام المعاهدات الدّولية أو على التطوّر الحرّ للسّكان الرّيفيين، كان يَتِمُّ التّأرجح بين سياستَيْن. لقد كانت الأولى تستهدف الحصول على

167 جلسة اللجنة المركزية للعصبة في 4 يناير 1926، برئاسة فكتور باش، دفاتر حقوق الانسان، 10 فبراير 1926، ص ص 60 ــ 61.

168 نفسه، 25 يناير 1926، ص 41.

169 «البارحة كانت الحكومة تريد أن تتفاوض مع عبد الكريم. واليوم لم تعد تريد ذلك» لوكوتيديان، 20 يناير 1926. أنظر أيضا نفسه، 30 يناير 1926.

170 مناقشات المجلس، 23 يونيو 1925، الجريدة الرسمية، ص 2781.

خضوع القبائل المتمرّدة للسُّلطات وللحكومتين الفرنسية والاسبانية، في إطار المنطقتين المكلّفتين بإدارتهما. أما الثانية فتستتبعُ ألّا تَحوُل المُهِمَّةُ التي تتحملها فرنسا ـــ واستطراداً إسبانيا ـــ طبقاً لمعاهدة الحماية، دون مَنْح الرّيفيين نظاماً خاصّاً يؤمِّنُ لهم نوعاً من الاستقلال (171). وفي كلتا الحالتين، كان الأمر يتعلق بالريف، وبالرّيف وحده؛ إذ أنّ الحلول المُرْتَقَبة لا تعوق الحفاظ على الحضور الفرنسي في المغرب.

لقد زوبعت الأُطروحة الشيوعية هذا العَرْض. فقد طالب الحزب الشيوعي، دون ريب، باستقلال الريف، ولكنه عندما ربط السلم بالجلاء العسكري عن المغرب طرح مشكل شرعيةِ الاحتلال الاستعماري. يمكننا أن نميز في محاجته ثلاثة مستويات للتحليل. أولًا هناك المعارك ضِدَّ الرّيفيين : ينبغي وضع حدٍّ لها بالاعتراف باستقلالهم، أي برفض «تسليم الرّيف» لاسبانيا وللسّلطان. وفي مقامٍ ثانٍ، وَضْعُ مسؤوليات النّزاع في الاعتبار لتلافي تكرُّرِه وتسجيل مقاومة المغاربة للاحتلال الفرنسي : فالسِّلْم الحقيقي، والنّهائي، مُرْتَبِطٌ بالجلاء العسكري عن المغرب، أي في الواقع مغادرة الحماية. يعتبر هذا الحلّ، الذي تفرضه، في نظر الشيوعيين، الأحداث، مطابقا في الأخير لموقف الأُمَمِية الثالثة لصالح تحرّر الشعوب المُسْتَعْمرة، ولكن تعميمه لا يُمكن أن يُرْتَقَب، كما ذكّر دوريو، إلا بعد وصول الشّيوعيين الى الحكم، أي بعد ثورة البروليتاريا. فأطروحة الجلاء هي التي كانتْ في قلب المُحاجَّة الشيوعية؛ وقد سمح التباسُها الرئيسي، المقصودُ من طرف الحزب، بالرَّبْط بين موقف براغماتي وسِلْمَوي ـــ أيّ شيء يمكن أن يكون طبيعياً أكثر من المطالبة بانسحاب القوات في وجهة النظر هذه ؟ ـــ وموقف مذهبي وثوري يستهدف استقلال جميع المستعمرات. ويفصح الحيّز المُخَصَّصُ للاستشهادات من جوريس في عروض الحزب الشيوعي عن هذا الالتباس (172). لقد تمّ الاستناد الى جوريس، لأنّ الشيوعيين ظلّوا متأثرين بمكانته لدى الجماهير، ولأنه بدا لهم أنّ من الانصاف، رغم تَحفُّظات المُتَمسِّكين بالمذهب، وَسْمُ مكان الخَطيب الكبير في التقليد الفرنسي المُعادي للاستعمار. ولكن أيضاً، ولكن أساساً، لأن الحزب الشيوعي بتذكيره بموقف جوريس إبّان غزو المغرب، وبوضعه لأُطروحة الجلاء تحت رعايته، استهدف إرباك الاشتراكيين. غير أنَّ هؤلاء احتجوا : لقد مَيَّز جوريس بين الغزو الذي رفضه دائماً والأمر

171 يوضح كاشان : «على الحكومة أن تحمل لنا هذا المساء التأكيد بأن هناك استعداد للاعتراف باستقلال الريف (مقاطعات في الوسط) أو أن الكلمات لم يعد لها معنى» لفسه.

172 تعتبر الاستنادات الى جوريس في المجلس تقليدية ـــ أنظر مناقشات، 28 مايو 1925، الجريدة الرسمية، ص 2496 (بيرثون)، 29 مايو، الجريدة الرسمية، ص 2513 (كاشان) ـــ، وفي الاجتماعات العمومية أو في مقالات صحافة الحرب. وبمناسبة ذكرى موته، ولم يتردد كاشان في أن يكتب : «إن حملته ضد المغرب، كانت ستسبب قتله»، لوماليتي، 2 عشت 1925.

الواقع الاستعماري الذي سلّم به وبدا له أنه يتضمن منافع لا يُستهان بها لصالح السكان المُسَيْطِرِ عليهم. إلّا أنّهم، بدافع السّجال الذي جَرَفَهُمْ، ودون ريب أيضاً، بدافع الرغبة بالنسبة للبعض منهم، في تبرير تطوّرهم الخاص، مَحَوْا كفاحَ الزعيم الاشتراكي، الطويل، لصالح استقلال ووحدة المغرب (173). وأكّدوا بأن الجلاء الذي يقترحه الشيوعيون «يعني مغادرة وربما قتل الأهالي المجمّعين تحت حمايتنا والمعمرين المجتذبين من طرفنا الى هذه المستعمرة» (بلوم) (174).

لايمكن ارتقاب السِّلْم، بالنسبة للاشتراكيين، إلّا شريطة تقديم اقتراحات مقبولة لعبد الكريم (175). لقد وَصَفَ رونوديل الريفيين كـ «أناس من عيّنة خاصة، لهم طبعهم الخُصوصي، وهَمٌّ خاص باستقلالهم» (176)؛ وطلب من الحكومة أنْ تُؤَمِّن لزعيمهم «الاستقلال السياسي الذي هو في حاجةٍ اليه» (177). وتحدثت لوكوتيديان في نفس الاتّجاه (178). أمّا الرّاديكاليون فمنقسمون : لقد كان أغلبيتهم، كما رأينا، أكثر انشغالًا بتقوية وسائل الحرب منهم بحث شروط السِّلْم. مع ذلك قَبِلَ البَعْض في بداية صيف 1925 بإمكانية

173 هكذا استفاد رونوديل وكومبير — موريل من تعلق جوريس بميثاق الجزيرة الخضراء وبالمعاهدات الدولية لتبرير احترام معهادة الحماية. نفسه، 29 مايو 1925، الجريدة الرسمية، ص 2516 وص 2518. وحينما استشهد طومسون بخطاب لجوريس لصالح التوغل السلمي (نفسه، 30 دجنبر 1925، الجريدة الرسمية، ص ص 4859 — 4853) لم يأخذ أي نائب اشتراكي الكلمة لكي يذكر بأن الأمر يتعلق بنص لـ 1903 ولكي يحتج على هذا الاستعمال التعسفي لأقوال نائب طارئ من طرف أحد زعماء الفريق الاستعماري. في المقابل، أكد بطوبيلي مع ذلك بأنه «يمكن أن يكتشف في خطب جوريس حول المسألة المغربية المبدأ الأساسي لسياسة استعمارية اشتراكية هي بالأولى سلبية» لوبوبل، 24 يونيو 1925.

174 مناقشات المجلس، 9 يوليوز 1925، الجريدة الرسمية، ص 3315. إن إميل خان صريح : فالجلاء «من شأنه أن يعطي إشارة الانطلاق للنهب، والاغتصاب والقتل، ليس فقط في المغرب، بل في مجموع شمال افريقيا» 25 يونيو 1925، ص ص 291 — 299. أما كيرنو فكتب من جانبه : «قتل الأوربيين، مجحية، نهب، معارك قاتلة للاخوة بين القبائل، نزاعات النفوذ بين الدول المتنافسة، هذا ما ستكون عليه العواقب الحتمية للشعار الشيوعي إذا ما تم اتباعه» لوكوتيديان 25 غشت 1925. بينما خشي فكتور باش، بلهجة أكثر رزانة، من ألا يكون التخلي عن المستعمرات «لفائدة الأهالي، ولكن لفائدة الأمم الأوربية، التي ربما لن ترق أساليبها الاستعمارية الى مستوى أساليبنا». ليرنوفيل، 7 يوليوز 1925. ينبغي أن نلاحظ بأن جملة «القتل» تم حذفها أيضا في المقرر الذي صوت عليه المؤتمر الاشتراكي الذي «عين أنه ضد الجلاء عن المغرب الذي سيخلق تعقيدات دولية أكثر خطرا من الوضع الراهن؛ لوبوبلير، 31 غشت 1925.

175 «ينبغي أن تعرفوا ليس فقط ما يمكنكم منحه لعبد الكريم، بل ينبغي أن تنشغلوا أيضا بما يمكن أن يقبله» (رونوديل)، مناقشات المجلس، 23 يونيو 1925، الجريدة الرسمية، ص 2779.

176 نفسه.

177 نفسه، 27 مايو 1925، الجريدة الرسمية، ص 2450.

178 30 يونيو 1925.

استقلال الرّيف (179). بينما ذكَّرت عصبة حقوق الانسان بأنّها أخْبَرَتْ رئيس البرلمان، في دجنبر 1924، بأنّه «كان ممكناً وسيكون مُسْتَحْسَناً الاعتراف بسلطة عبد الكريم، في إطار الامبراطورية الشريفية» (180). لكنّ الخِلَافات لم تتأخّر في الظّهور داخِلَ لجنتها المركزية. فلم يرتإ كل من بوكلي وماريوس موتي المعاديين بشدة لعبد الكريم، تقديم أيِّ تنازلٍ للزّعيم الرّيفي، وعلى عكس فيليسيان شالاي، عبَّرا عن ثقتهما في الحكومة لايجاد تسوية سلمية (181). ومن جهته، أبْرَزَ فكتورباش أنَّ من بين المبادىء الأساسية للعصبة يوجد حقّ الشّعوب في تقرير مصيرها : «إذا كنّا اليوم قد غيّرنا رأينا، ينبغي أن نقولها» (182). أمَّا الفروع المغربية التي تمَّ استفسارها، فبدت هي أيضا منقسمة حَوْل سُبُلِ السِّلْم (183)، لكنّ رئيس الفدرالية استَبْعَدَ إمْكَانِيَةَ ريفٍ مُسْتَقِلٍّ يكون من شأنه «إقامة بؤرةٍ بالغة الخطورة بالنسبة للحضارة في إفريقيا الشمالية»، واعتَبَرَ ألّا مَخْرَج للنزاع سوى ب «استسلام عبد الكريم، إمَّا بغصن الزيتون أو بالسلاح» (184). ومع ذلك، أكَّدَتِ الحكومة الفرنسية، بلسان بريان، أنها لا ترى ضَرَراً في وجود «ريفٍ حُرٍّ بين أيدي الرّيفيين» (185). وقد تساءل أمام لجنة الشؤون الخارجية عن الطابع «المستقِلّ قليلاً» الذي سيكون لهذه المنطقة، وكذا عن الدّور والصِّفة اللذين سيُخوَّلان لعبد الكريم (186). أما بانلوفي فكان بعد ذلك بأيام أقل وضوحا أمام المجلس، لكن بلوم انتزع من كلام رئيس الحكومة أن «أساس السِّلْم المعروض من طرف فرنسا سيكون الاستقلال الفعلي السياسي والاقتصادي معاً للرّيف وللقبائل المُجْتمعة حَوْلَ عَبْد الكريم» (187). إلّا أن بانلوفي امتنع عن تأكيد أو نَفْي تأويل الزّعيم الاشتراكي. ولكن في 15 غُشْت، ذَكَّرَتِ لوكوتيديان

179 انطر لوراديكال، 7 و10 يوليوز 1925.

180 محضر احتماع اللجنة المركزية لـ 25 مايو 1925. دفاتر حقوق الانسان، 25 يونيو 1925، ص ص 307 — 308.

181 نفسه، 25 غشت 1925، ص ص 375 — 376 (محصر احتماع اللحنة المركرية لـ 6 يوليوز 1925).

182 نفسه

183 منذ دحنبر 1924، صرح فرع طنحة : «إن الريف، كبلد مستقل، لاينبغي أن يتم غزوه بالسلاح؛ ينبغي أن ينظم بالرضى الحر لسكانه». وفي 8 شتنبر 1925، مجيبا على استفتاء العصبة، طلب بأن تجرى مفاوضات الصلح «على أساس الاعتراف بالاستقلال الاداري، والاقتصادي والسياسي ويوكل أمر مراقبة تلك المفاوضات الى دولة عظمى بتعويض من جمعية الأمم»! أما فرع تاوريرت، فكان مع صلح مشرف «حتى وإن كان لايرضي شوفينيين في فرنسا الذين سيصيحون مرة أخرى بالخيانة» (يوليوز) في المقابل، أعلن فرعا وحدة ومشرع بلقصيري بأنهما مع مواصلة العمليات العسكرية (15 و21 يوليوز) نفسه، 25 شتنبر 1925، ص ص 438 — 441

184 نفسه، 25 غشت 1925، ص ص 363 — 367 («في المغرب» بقلم أ. دوبريتي، رئيس الفدرالية المغربية : مقتطفات من رسالته الى اللجنة المركزية بتاريخ 19 يوليوز 1925).

185 مناقشات المجلس، 29 مايو 1925، الجريدة الرسمية، ص 2517.

186 لجنة الشؤون الخارجية، فاتح يوليوز 1925.

187 مناقشات المجلس، 9 يوليوز 1925، الجريدة الرسمية، ص 3315.

بلاغاً شِبْهَ رَسْمِيٍّ ينص على أنه «سيفتح الاعتراف باستقلال الرّيف من جديد المسألة المغربية برمتها» (188). فعاد الاشتراكيون للأمر، وطالب مؤتمر الأممية الثانية، المنعقد في مرسيليا، بأن «تكون المفاوضات مع عبد الكريم مرتكزة على استِقْلالِ الرّيف، وأن يكون هذا الأخير مرفوقا بتصحيح للحدود يسمح للريفيين بتنظيم اقتصادهم، والتموّن بشكل طبيعي» (189).

خلال الأشهر الثلاثة الأخيرة، دَارَ بخلد الطبقة السياسية أنَّ أفكار الحكومة لم تُقَرَّرْ بوضوح حول النِّظام الذي كان ممكناً تخصيصه للرّيف. لقد رفض الاشتراكيون أن يَرَوْا بأنّ بريان وبانلوفي منشغلان، قبل كل شيء، بتطوّر المعارك وبمقدرة الاسبان على مساعدة المجهود العسكري الفرنسي. ومع ذلك، أمكنهم الاعتقاد بأنه إذا لم يتعلق الأمر باستقلالٍ حقيقي، فإن باريس ومدريد مُسْتعدّتان للاعتراف للقبائل الريفية باستقلال ذاتي واسع تحت سلطة عبد الكريم. لقد أظهر خطاب نِيمْ الحُدودَ التي نَوَتِ الحكومتان الفرنسية والاسبانية تعيينها لهذا الاستقلال الذّاتي. ففي مقامٍ أول، من غير الوارد أن يتمكّن الرّيفيون من الاعتراض على الاتفاقات الدّولية المتعلقة بالحرية التجارية وعلى «المواد الجمركية»، وهذا يعني منعهم من التدخل لتقنين إنتاج السلع ودخولها ورواجها داخل ترابهم. وفي مقامٍ ثانٍ، يمنع عليهم استيراد الأسلحة والذّخيرة، إذ أنّ فرنسا وإسبانيا هما اللتان خصّتا نفسيهما بمراقبةِ تنظيم الشرطة والأمن. وأخيراً، ينبغي لهم أن يقبلوا باحتلال الاسبان لقطاع من السّاحل بمجرد توقّف القتال. وعليه، فإن عبارة استقلال ذاتي لا تنطبق سوى على إدارة القبائل بمعناها الضيق، وبالاضافة إلى هذا ينبغي تسجيل غياب أية إشارة الى عبد الكريم. فقد رفض هذا الأخير، حسب بانلوفي، هذه الاقتراحات (190) التي أضاف رئيس المجلس بالتشديد على أنها مطابقة لـ «المعاهدات الدّوْلية». لقد نَسِيَ بأنْ يَذْكُرَ، عَلّقَ الاشتراكي المعتدل روجي سالونكرو، بأن تلك الاقتراحات كانت ستضع الرّيفيين في وضعية تبعيةٍ أكْبَر من الاستقلال الذاتي الواقعي الذي أفلحوا في استرداده ثم في الحفاظ عليه، سواءٌ تجاه إسبانيا أو تجاه السُّلْطان (191). ولم

188 في 9 شتنبر أظهر هيريو أمام المجلس العام للرون أن استقلال الريف مناف لميثاق الجزيرة الخضراء. عرض المناقشات، ص ص 830 — 831.

189 لوبوبلير، فاتح غشت 1925.

190 مجلس النواب، لجنة المالية، 21 أكتوبر 1925 (تصريح بانلوفي).

191 لوريفي دونور، 24 أكتوبر 1925 في AN F7 13177 (الشمال). ينبغي تسجيل أنه في نفس العدد من دفاتر حقوق الانسان الذي نشر قسما من حطاب نيم المتعلق بالمغرب، شهر هنري سي، العضو الشرفي للجنة المركزية للعصبة، بـ «الاختلاقات الديبلوماسية» و«رجال المهنة» الذين يمنعون الحكومة من أن تجد حلا سلميا. ينبغي، ختم قائلا، «الاعتراف للريفيين باستقلال حقيقي هو الذي يتمسكون به لاسيما وأنه لم يسبق لهم أن خضعوا لأحد». الدفاتر، 5 أكتوبر 1925، ص ص 468 — 469.

يمنع هذا بانلوفي من أن يؤكّد داخل لجنة برلمانية بأنّ فرنسا «ضربت للعالم مثالا في الحِلم الكبير، وأبدت إنسانية وأريَحيَّة لا مثيل لهما» (192). لكنّ رونوديل لم يكن مُقتَنِعاً بذلك. فقد انتقد الشروط المتعلقة بممارسةِ الشُّرطةِ داخل الرّيف وباحتلال جزء من السّاحل من طرف إسبانيا، ذلك الاحتلال الذي اعتبره غير ممكن القَبول (193). وفي المقابل، احتفى الرّاديكاليون باللبرالية التي تطبع في رأيهم الاقتراحات الفرنسية ـــ الاسبانية (194) واكتفوا بطلبهم بأن تُبْعثَ من جديد الى عبد الكريم (195).

لقد شجعتِ الانتصارات التي أحْرزتْ عليها القوات الفرنسية في بداية الشتاء أنْصَار حَرْبَ الابادة. فَقَلِقَتْ عصبة حقوق الانسان. لقد اعتبرتْ أنَّ شروط السِّلْم التي ذَكَّرَ بها بانلوفي في نِيمْ تشكِّلُ أساساً لتفاوض مقبول، لا سِيمّا وأنَّ عبد الكريم، حسب بَعْضِ المعلومات (196)، لن يعتبر أبداً الاعتراف باستقلال الرّيف شرطا لَازِما للمحادثات وأنه سيكتفي بالوَعْدِ باستقلالٍ إداري. كما لفتت انتباه رئيس الحكومة الى هذا العَرْض للزعيم الرّيفي، وانتهزتِ الظَّرْفَ لكي تؤكّد بأن العُصْبَة «لن توافق على إلْحاقٍ، مهما كان عن طيب خاطر» (197). لقد كتبت رسالةً جديدةً لكي تفصح عن تأثّرها لمّا علمت بأنّ «الوضعية الجديدة للانتصار التي توجد فيها الحكومتان الفرنسية والاسبانية تدفعهما الى فرض شروطٍ جديدة على القبائل الرّيفية وجبالة، وأنهما لن توافقا على السِّلْم هذه المرّة إلّا مُقَابل الاستسلام» (198). لقد كانت تخوّفات العصبة مُبرَّرَةً. فبالنسبة للحكومة الفرنسية، كانت ساعة المفاوضة قد ولت. لقد أخذ التعاون الفرنسي ـ الاسباني يتقوى، وتطبيقا للاتفاقات، ضَبَط بيتان في مدريد خطوط هُجُومَ رَبيع 1926، الذي يستهدف، باختراقه مرتفع بني ورياغل، تدمير قواعد عبد الكريم وإرغام الزّعيم الرّيفي على طلب الأمان. وكان على بريان وبانلوفي أن يجابها في المجلس معارضةً تشتدّ أكثر فأكثر تجاه الحرب. لقد صرح كاشان في 30 دجنبر بأن هذه الأخيرة «قد سبّبتْ قبل الآن خسائر قاسية لبلادنا، خسائر لا

192 لجنة المالية، 21 أكتوبر 1925.

193 نفسه.

194 انظر لوفر، 4 أكتوبر 1925.

195 لقد صوت مؤتمر الحزب، المنعقد بنيس، بالاجماع على مذكرة مقدمة من طرف مالفي تدعو «الحكومة الى أن تجدد، بنية إنسانية لن يتنكر أحد لطابعها (...)، بأنها مستعدة دائما لأن تضمن للسكان الريفيين وجباله أوسع استقلال ذاتي سياسي وإداري وتجاري، في إطار المواثيق الدولية»، **AN F7 13191**.

196 نشرت من طرف لوماتان لـ 14 نونبر 1925.

197 رسالة 25 نونبر 1925. دفاتر حقوق الانسان، 5 دجنبر 1925، ص 595.

198 رسالة 11 يناير 1926. نفسه، 25 يناير 1926، ص. 41 إن الأهمية التي علقها مكتب العصبة على هاتين المراسلتين (اللتين ستظلان دون جواب) تؤكدها السرعة، غير المعتادة، في نشرهما.

تُعَوَّض، بدون الحديث عن العار الذي تثيره والمتمثل في كونها تريد فرْض قانونها على بَلَدٍ لا يريده ويقاتل من أجل استقلاله !» وها أن الحكومة الاسبانية تريد «مواصلة الحَرْب الى غاية قرارٍ نهائيٍّ بالسّلاح» (199). لقد عَبَّر رونوديل عن نفس التخوّفات : «أَوَدُّ كثيراً لو أنكم لا تقاتلون من أجل إسبانيا» (200). كلاهما ألَحَّا على الاحتفاظ بشروط السِّلْم. وفي 26 فبراير، خَلَطَ حوالي عشرين راديكالياً وراديكاليا اشتراكياً تصويتهم بتصويت الاشتراكيين لتأييد التّعديل الشيوعي الرّامي الى تخفيض الاعتمادات العسكرية للمغرب. لقد ظهر في تصويت جديد بعد ذلك بوقت قصير، انقلاباً لِلأغلبية : فقد اتّجه مائتان وأربعة وستُّون صَوْتاً — بينما لم يكن الشيوعيون والاشتراكيون يشكّلون سوى مائة وأربعة وعشرين — ضِدَّ مائتين وستة وأربعين، وأربعة وثلاثين امتناعاً، الى تعديلٍ اشتراكي استهدف، من خلال تخفيضٍ رمزي للاعتمادات المُوَجَّهة لعمليات المغرب وسوريا، إظْهَار «الرّغبة في إنهاء هاتين الحَمْلتين» (201).

خلال النّصْفِ الأوّل من مارس، طَرَحَتِ الحكومتان الفرنسية والاسبانية، كَوْنهما لاتنويان مبدئيا وفي كلّ حالٍ من الأحْوال التفاوض إنْ لم تُقْبَل الشروط التّالية من طرف الرّيفيين : أولًا : الخضوع للسّلطان؛ ثانيا : إبعاد عبد الكريم؛ ثالثا : تبادل الأسرى؛ رابعا : تجريد القبائل من السّلاح مقابل ضمانات ستُحَدّد. لقد تمَّ إبلاغ هذه الشروط لعبد الكريم من طرف كابْرييلّي، وفي 21 أبريل افتتح مؤتمر وجدة أشْغاله (202). لقد رأى الشيوعيون بأن هذه الشّروط غير مقبولة وأنها تمثّل «قِنَاعاً لمواصلة الحرب» (203). أما جريدة لوم ليبْر *، القليلة التعاطف مع الريفيين، فلاحظت بأنها «لايمكن أن تقبل إلا من طرف مهزوم»، وتساءلت : «هل يُعْتَبَر عبد الكريم مهزوماً ؟ هذا هو السؤال» (204). لقد عزمت كل من باريس ومدريد، في حالة الرّفض، على شن عملية عسكرية «نهائية»، لكن سيكون من

199 مناقشات المجلس، 30 دجنبر 1925، الجريدة الرسمية، ص 4842.

200 نفسه، ص 4856.

201 تفسير تصويت ميسترال، صاحب التعديل، نفسه، 26 فبراير 1926، الجريدة الرسمية، ص 1003. إن عددا من التصحيحاتُ في التصويتات أتت لتغير نتيجة هذا الاقتراع (رقم 491). في الأخير، لم يعد ثمة سوى مائتين وسبعة وخمسين صوتا للمصادقة على التعديل مقابل مائتين وتسعة وستين ضده وثمانية عشر امتناعا.

202 عن المتطلبات الفرنسية — الاسبانية والدور الذي لعبه غابرييلي في هذه المفاوضة المسبقة. انظر : المقدم لور، عمل مشار اليه، ول. غابرييلي، عمل مشار اليه.

203 لومانيتي، 15 أبريل 1926 (دوريو)

* L'homme libre

204 لوم ليبر، 13 أبريل 1926

الأفضل كثيرا، علّقتْ جريدة أوجين لانتيي (205)، أنْ يُفضِيَ المؤتمر الى نتيجة، بحيث يتم تلافي «إراقةٍ جديدةٍ للدّماء» (206). لقد اعتبرتْ ليرْنوفيل أنّ فرنسا، بعكس إسبانيا، «ليس لها ما تربحه» من مواصلة القتال، وأكّدت بأنّ عبد الكريم «سيتلقّى تعويضاً» نظير إبْعاده (207). أمّا لوكوتيديان، التي عبّرتْ عن اقتناعها بأن الشّروط الفرنسية ـــ الاسبانية لا يمكن أنْ تُعْتَبَر نهائية، فنشرت البلاغ الذي سلَّمَهُ الوفد الرّيفي للصّحافة في وجدة والذي وضّح التعديلات التي يرجو إدخالها على الطّلبات التي وُجِّهَتْ إليه (208). ولكن ها أن الأنباء تقول بأنه ليس فحسب تَمَّ الاحتفاظ بهذه الشروط، بل إن الوفد الفرنسي الاسباني طالب، منذ افتتاح المؤتمر، بإرجاع فوري للأسرى دون تبادل، كما فَرَضَ شَرْطاً تمهيديا آخر للتّفاوض : تَقَدُّم القوة الاسبانية بسَبْع كيلو مترات. «إجْمالًا، علّقَ جون بيو في لوفر، قبل التّصدّي لمناقشة الاتّفاق، كان يمكن أنْ يُطْلَبَ من الرّيفيين أن يُقَيِّدوا أيديهم بأنفسهم ويضعوا أنفسهم في وَضْعٍ لا يعود في مقدورهم معه أيّ نقاش. بحيث يمكنهم الاعتقاد بأن هَدَفنا الحقيقي إنّما كان الاستيلاء، بالحيلة وبلا مقاومة، على نقاط هامّة وبعدها لن نَأْبَهَ كثيراً للنّتيجة الحسنة أو السيّئة أمام إنذار نهائي سابق» (209). أمّا كيرنو فانفجر قائلا : «هل السِّلْم مع الرّيفيين مرغوبٌ فيه ؟» وهل سيتم الكَفُّ عن هذه «الاثارات لمواصلة الحرب» (210) ؟. لم تكن هناك فقط أسبابٌ تتعلق بالسياسة الدّاخلية هي التي تُفَسِّرُ هذا السُّخْط الذي أبداه جزءٌ من اليسار الرّاديكالي (211) بل الإحْسَاسُ بأنّه خُدِعَ من طرف الحكومة، والغَمُّ لملاحظة أنّ متطلبات «الشّرف» (ج. بيو) و«الحق» (كيرنو) لا تتلاءَمُ جيداً مع واقعية العسكريين. لقد نَظّمت عصبة حقوق الانسان تجمعا عموميا كبيراً للاحتجاج. وعبّر الخُطباء عن تأثّرهم أمام الشّروط المفروضة على الرّيفيين. وصرح جان لونكي بأن مطالبتهم بأن يتركوا للاسبان المواقع التي لم يعرف هؤلاء غزوها، «معناه الرغبة في أنْ يُهَيِّيء الريفيون بأنفسهم الحبل الذي سيخنقهم» (212). أمّا إميل كان فألَحَّ على نظام الاستقلال الذّاتي

205 غادر لوتون، التي كان أحد كتاب أخبارها الرئيسيين قبل حرب 1914، لكي يأخذ، في 1919، إدارة لوم ليبر، الصحيفة القديمة الكليمانسو.

206 مقال مشار اليه.

207 ليرنوفيل، 10 و14 أبريل 1926

208 لوكوتيديان، 21 أبريل 1926

209 لوفر، 20 أبريل 1926

210 لوكوتيديان، 27 أبريل 1926.

211 تماما مثل لوكوتيديان، تبدو لوفر معادية لقطيعة نهائية للراديكاليين مع الاشتراكيين.

212 عرض الاحتجاج العمومي المنعقد في 20 أبريل 1926 باريس، دفاتر حقوق الانسان، 30 مايو 1926، ص ص 248 ـــ 249.

الواسع جدّاً الذي ينبغي منحه لهم؛ بينما أكّدَ العقيد ميطوا بأن «السِّلْمَ لن يكون ممكناً إلّا يوم نضمن للقبائل استقلالها ونخلّص البربر من واجب الاعتراف بسلطة السُّلطان» (213). لكنّ بوكلي على الخصوص، بوكلي المعتدل جدّاً والذي عاد من المغرب مُعْجَباً بالعمل الفرنسي، صرَّحَ بدوره بأنّ «المطالبة بإبْعادِ عبد الكريم جنونُ أعمى أو حِسَاب وَقِح» (214). وبعد أن رَفَضَ الوفد الرّيفي الانذار النهائي توقّفت المفاوضات. واستُأْنِفت العمليات العسكرية، وفي 27 مايو سَلَّمَ عبد الكريم نفسه للقيادة الفرنسية.

أثار استسلام عبد الكريم لدى الرّاديكاليين، ردود فِعْلٍ مختلفة. فقد عبر غابرييل كوديري عن ارتياحه دون تحفّظ وهَنّأ بانلوفي الذي «بِقَهْرِهِ عبد الكريم سمح لبلادنا بأن ترفع رأسها عاليا عامِلًا بهذا على إعادة هذه الثقة التي ستَرُدُّ أكثر من كل الاعتمادات الذَّهَب، الفرنك إلى قيمته وأعداءه إلى صوابهم» (215). وامتدح السناتور شومي ستيك مُخْمِد فِتَن المغرب (216). أما لوفر فقد اختارت بقلم كوسطاف تيري، الاحتفاء ببريان، «الرجل السّعيد : إنه يُفلح دائما وفي كلّ شيء، حَسْبُهُ أن يريده». فعشيّة الدّخول البرلماني، ارتفع الفرنك من جديد، واستسلم عبد الكريم : «لقد سُوِّيَ الأمر، مثل انقلاب مفاجىء» (217). غير أنّها ظلّت تخشى أنْ يَدْفَعَ «عقابٌ شديد» لعبد الكريم العُصاة الى مواصلة مقاومتهم (218). لقد اعتبر كيرنو أن روح الاعتدال تَغَلَّبَتْ وأعْرَبَ عن اقتناعه بأنّ السِّلْم انتصر لأن عبد الكريم فَهم بأنَّ الحكومة الفرنسية لا تروم لا إلْحَاقاً تُرابياً ولا انتقاكاً وأنّ القبائل الرّيفية ستحتفظ بحرّياتها (219). وفي الواقع، لم يعد الأمْرُ يتعلق بنظامٍ للاستقلال الذاتي للرّيف. فقد كانت الوعود التي قَدّمها بريان مُرْتَبطةً بوضع عسكري ملتبس واستهدفت إلْزام الأغلبية البرلمانية الحياد. لكن لا الحكومة الفرنسية، ولا الحكومة الاسبانية كان بإمكانهما احتمال وجود ريف مُوَحَّد تعتبرانه تهديداً كامِناً لاقامتهما في إفريقيا الشّمالية. فَرّق تسُد : لقد كان «تفكيك الكتلة الرّيفية» هو الهدف الذي تَقَصَّدَهُ العسكريون كما «السياسيون» المتجمّعون حول ستيك (220). وطبعاً، لقد احترس القادة الفرنسيون من الكشف عن نواياهم الى حين

213 نفسه

214 نفسه.

215 ليرنوفيل، 25 مايو 1926.

216 لوراديكال، 8 يونيو 1926.

217 لوفر، 28 مايو 1926.

218 نفسه، 30 مايو 1926.

219 لوكوتيدبان، 28 مايو 1926.

220 انظر الاتفاق الفرنسي ـــ الاسباني لـ 6 فبراير 1926 ورسالة 4 مارس 1926 لستيك. SHA VM RIF 14.

انعقاد مؤتمر وجدة. فقد أكّد بانلوفي وقتذاك أمام المجلس، بأنّ حِرْصه على استقلال القبائل الرّيفية بالغ الشّدة. إلّا أنّ هذه الأخيرة خاضعة «لهيمنةٍ مُعينة (...) لمؤسسة نظامٍ عسكري بالغ القسوة» ينبغي مساعدتها على التحرّر منه. فباسم حرّية القبائل واستقلالها الذّاتي، صرّح بانلوفي بأنّه يحارب وَحْدَة الرّيف ورغبته في الانعتاق من الهيمنة الاستعمارية التي يمثّلها عبد الكريم (221). لقد كان النقاش نموذجيا. ماهي الحالة الأكثر تخلّفاً للمغرب ؟ «إنها طبعاً الحياة المستقلّة للقبائل، أجاب دوريو، فتوحيد القبائل تحت حُكْمٍ قوي، تعتبرونه مُفْرِط القوّة في رأيكم، هو على أية حالة تَقَدُّمٌ مُحَقَّقٌ في التّنظيم المستقل للمغرب وللرّيف. وعندما تستهدفون تدمير هذا التّوحيد، فإنّكم تتّبعون سياسة رجعية وليس سياسة تَقَدُّمٍ» (222).

□ □

لقد وصلت الحكومة الفرنسية إذن إلى أهدافها. فقد قادت الحرب ضِدّ الريفيين بمشقة كبيرة وأرغمت زعيمهم على الاستسلام. إنها ربحت السّلْم، ولِنَفْهَمْ من هذا أنّها، رغم التزاماتها، أخْضعت القبائل المتمردة لسلطة القِوى الحامية ومَحَتْ كلٍ فكرةٍ لنظامٍ استقلالٍ ذاتي للرّيف. ومع ذلك كان انتصارها العسكري والدبلوماسي مُهَدّداً ليس فحسب بمقاومة الرّيفيين وقُدْرة عبد الكريم على حمايتهم، ولكن أيضا بالحملة التي طوّرها حينئذٍ، اليسار المتطرف الشيوعي، وبمستوى أقل، بعض الأوساط الاشتراكية والتحرّرية داخل البلاد.

221 مناقشات المجلس، 23 أبريل 1926، الجريدة الرسمية، ص 1963.

222 نفسه الجريدة الرسمية، ص 1965. انظر أيضا نفسه، 11 يونيو 1926، الجريدة الرسمية، ص 2500.

الفصل السّادس

اليسار الفرنسي وحرب الرّيف (تابع)
الحملات ضدّ الحرب

لم يكن الشيوعيون وحدهم الذين احتجّوا في البلاد ضدّ حرب الرّيف. فلا يمكن إغفال المعارضة التى لقيتها سياسة الحكومة في قلب تنظيمات اليسار الأخرى، وسنفحصها بتفصيل. لكن لم يكن لها لا الاتّساع ولا الطّابع المُنَظّم اللذان كانا للحملة التي طوّرتْها تنظيمات الحزب الشيوعى الفرنسى. فقد اعتزم هذا الأخير، بالفعل، عدم إغفال أي شيء للتعريف بسياسته المغربية وخلق حركة رأي تؤثّر على السلطات العمومية. كما أنّهُ رأى في هذه الحملة الوسيلة الممتازة لتنفيذ تكتيكه لجبهةٍ وحيدة وتقوية تنظيمه ونفوذه.

□ □ □

الحَمْلة الشّيوعية

لقد بدأ التحريض الشيوعي ضدّ حرب الرّيف منذ النصف الثاني من سنة 1924، وتعمَّمَ وأخذ بسرعة كثافةً كبيرة انطلاقاً من مايو 1925، وخفَّ بعد إضراب 12 أكتوبر، ثم استُؤنف في بداية 1926 وامتدّ حتّى استسلام عبد الكريم. وسنفحص تباعاً توجيهات هذه الحملة وتنظيمها، وكيفيات التحريض المُطوَّر في كل أنحاء البلاد ومحاولات تحقيق جبهة موحدة ضد الحرب.

سُؤال أولي : هل بادرةُ الحملة الشيوعية متوجّبةٌ على الحزب الشيوعي الفرنسي أم على الأممية الثالثة ؟

لِنَقُلْ فوراً بأنه من المُستحيل الاجابة بصراحةٍ على هذا السؤال في الوضع الراهن للتوثيق، ومع ذلك فإن بعض الملاحظات يمكن أن تنير الموضوع.

أوّلاً، لم تناقش الأممية الشيوعية حرب الرّيف، لا في مؤتمرها الخامس سنة 1924، ولا في جلسات اللجنة التنفيذية من 1923 الى 1926. ولَمْ يَجِدْ تَدخُّل المندوب الاسباني أباريسيو، في يونيو 1923، حَوْل المنافسة الفرنسية ــ الانجليزية ضرورة القيام بحملةٍ للتخلّي عن المغرب، أيَّ صدى وقتذاك (1). ولم تستند المناقشات المستفيضة للمؤتمر الخامس حول المسألة الاستعمارية أبداً الى الرّيف أو إلى المغرب بصفةٍ عامّة. وفي يونيو 1925، كلّفت اللجنة التنفيذية مكتبها الشّرقي بإطلاقِ نداءٍ «ضِدّ حرب الرّيف» لصالح «تآخي الجنود الفرنسيين والرّيفيين من أجل سِلْمٍ عاجل» و«الاستقلال الكامل للشّعوب المُستَعْمرة» (2)؛ وقد كان سيمار أحد المُوَقّعين على هذا النّداء الذي صدر بعد تسعة أشْهُرٍ على البرقية التي وجّهها لعبد الكريم، وفي لحظةٍ كانت فيها حملة الحزب الشيوعي الفرنسي قد بوشِرَتْ. فَضْلاً عن ذلك، هَنَّأ زينوفيف، رئيس الأممية الشيّوعية، في خطاب ألقاه في 11 يونيو بموسكو، الحزب الفرنسي على موقفه تجاه حرب الرّيف (3).

يكشف فحص صحافة الأُمَمية بدوره غياب الاهتمام بحرب الرّيف. فقد ألحّ مقال روزي عن «المغامرة الاسبانية في المغرب»، المنشور في المراسلة الدولية * لـ 19 نونبر 1921، بصفة خاصة على تنافس الامبرياليتين الفرنسية والاسبانية وأغْفَل عبد الكريم (4). واستند مقال فايان ــ كوتوريِيه عن «إفريقيا الشّمالية والشيوعية» لـ 26 أبريل 1922، إلى الجزائر وتونس (5). بينما يعتبر مقال 17 أكتوبر 1924 لِنْكبان ــ إي ــ كوك، هجوما عنيفا على سياسة ليوطي، وليس له علاقة بالرّيف (6). أما المقالان اللّاحقان، وهما مقال كيتيدُورُوڤسكي في 20 مايو، ومقال علي كمال فولادي في 13 يونيو 1925، اللّذان علّقا على العمليات العسكرية

1 إ. كولوتي بيشيل و روبيرتازي، مشار اليه، ص 107
2 مراسلة دولية، 13 يونيو 1925، ص ص 503 ــ 504.
3 نفسه، 24 يونيو 1925، ص ص 527 ــ 528.
* La correspondance internationale
4 نفسه، 19 نونبر 1921، ص ص 95 ــ 96.
5 نفسه، 26 أبريل 1922، ص 243.
6 انظر أعلاه.

رنسية ضِدَّ الرّيفيين، فَقاما بتحليل أعمق من التحليل الذي خصصته الجريدة الشيوعية رنسية قبل سَنَةٍ من ذلك للوضع في الرّيف ولدور عبد الكريم (7).

ثانياً، لا تسمح أرشيفات الحزب الشيوعي الفرنسي بمعرفة المزيد. كما أننا لانتوفر على ضر السكرتارية وليس أكيداً أنّها سُجّلت. ولا تستند تقارير المكتب السياسي، وخاصة رير اللجنة المركزية، المتميزة بالغزارة حول حملة الحزب ضِدَّ حرب الرّيف، إلى الأممية (8)، ولا هَرُ فيها أنه كان لمندوبي الأممية الشيوعية دور قيادي، اللّهُمَّ رُبَّما، كما سنرى عندما تعلق ر بعلاقات الحزب الشيوعي بالاشتراكيين.

ثالثاً، يبقى أن مبادارات الحزب الفرنسي كانت منسجمة مع الخط العام للأممية لثة. فقد ركّزتْ هذه الأخيرة في المؤتمر الخامس على الدَّعْمِ الذي يتعيّن على المُنظّمات يوعية أن تقدمه لمكافحة الامبريالية ولحركات تحرر الشعوب المُسْتَعْمرة. ويبدو جميع يوعيين من قيادة الحزب الى مناضلي القاعدة بتنظيمهم لحملة ضِدَّ حَرْب الرّيف، مُقتنعين عمل طبقاً لتوصيات الأممية (9).

رابعاً، لنختم بملاحظةٍ أخيرة. إن المَأْخَذَ الذي سيُسَجَّلُ على الشيوعيين بكونهم كانوا حرب الرّيف بالضبط مُنَفِّذين لموسكو، لم يكن له من معنًى وقتذاك لدى الغالبية العظمى ناضلين. لقد كان شعور التضامن الثوري والدّولي عاليا جدّاً، في تلك الفترة التي لم تكن عكرتها تجليات الاستبداد الستاليني، بحيث أنه عندما كانت تنشأ اعتراضات داخل زب ضِدَّ تَوَجُّه وطُرُق الحملة ضد الحرب — وليس ضِدَّ مبدئها — فإن هؤلاء المُعارضين نوا يحتكمون إلى الأممية الشيوعية، جاعلين من هذه الأخيرة قاضياً في الأخطاء والقرارات تكبة في نظرهم من طرف قيادة الحزب الشيوعي الفرنسي.

وجيهات والتنظيم

شعارات والتكتيك

تهم توجيهات الحزب الشيوعي من أجل الحملة ضِدَّ حَرْب الرّيف بَثُّ شعارات زب وتكتيك الجبهة الموحدة مع الاشتراكيين والـ س.ج.ت (10).

نفسه، 20 مايو 1925، ص 430 و13 يونيو 1925، ص 504.

ما عدا، كما سنرى لاحقا، بمناسبة التحريض بين النساء.

لقد توصل كريماديسل الى نفس الاستنتاجات مشار اليه، الجزء الأول، ص ص 71 — 72.

إن قسما كبيرا من معالجتنا يستند الى محاضر اجتماعات اللجنة المركزية للحزب الشيوعي. لتوضيح بشأن هذا الموضوع أن اللجنة المركزية كانت تجتمع كثيرا في 1925. هكذا، كانت مسألة المغرب إما قد أثيرت، وإما نوقشت باستفاضة

لقد كانت شعارات الحزب أربعة : **أولاً** : السِّلْم الفوري مع الرّيف، **ثانيا** : الجلاء عن المغرب، **ثالثاً** : استقلال الرّيف، **رابعا** : التآخي. لكنها لم تُقَدَّمْ فوراً بهذا الشَّكْل. لقد بدأ الحزب الشيوعي بتمييز وَقْف النِّزاع والسِّلْم في الرّيف، الذي غالباً ما ارتبط بالمطالبة باستقلاله. إن اختيار عبارة «السِّلْم الفَوْري» وقع انتقاده من طرفِ ثران «لأن بإمكانه أن يَسْتَمِرَّ في ترويج وَهْمٍ خطيرٍ بين الجماهير التي يمكن أن تَعْتَقِدَ بأَنّ في استطاعة الامبريالية إقامة السِّلْم بين يومٍ وآخر» (11). لكن دوريو سَيُفَسِّرُ لاحِقاً بأنّ «السِّلْم الفَوْري» يُعارض «السِّلْم السَّريع» المرفوع من طرف كتلة اليسارات : «السلم السريع معناه إبادة الريفيين، أي إرسال خمسمائة ألف جندي لسحق الرّيفيين» (12). والجَلاء، هل هو الكلي أم الجلاء العسكري عن المغرب ؟ إننا نجد التّعبيرَيْن معاً في أدبيات دعاية الحزب. ويوضح دوريو أيضاً بإن تعبير «الجلاء العسكري» كان «فَخّاً» للاشتراكيين الذين صاغوا هذا الشّعار قبل حرب 1914. لكن من الواضح أنّ «الجلاء العسكري والجلاء العام مُرادفان بشكلٍ مطلق، على الأقل فيما يخص المغرب» (13). وتمثل هذه الشّعارات الثلاثة الأُولى أهدافاً؛ أما الرّابع، وهو شعار التآخي، فَيُقَدَّمُ كوسيلةٍ للعمل من أجل السِّلْم. وسيكون كما سنرى، مثار انتقادٍ خاص. لِنُسجّل، الآن، بأنّ اعتماده كان مناسبة لنقاشٍ حول الانهزامية، التي يشكِّل التّآخي دعامتها الأساسية. لقد كان ثران ودوريو مُتَّفِقَين على ضرورةِ مُعارضةِ الدّعاية للحرب بتحريضٍ لصالح «الهزيمة العسكرية الامبريالية» في المغرب : «لا ينبغي ربط مآل الجنود الفرنسيين ومآل القيادة العليا للجيش الفرنسي» (14) وبما أنّه من مصلحة البروليتاريا أن تنهزم الامبريالية، فإن على الدّعاية لتآخي الجنود أن تُسَاوِقها دعاية تدعو الجماهير العُمّالية الى مُقاطعة صُنْع الذّخيرة ونقلها، والى مَنْع الجنود من الذهاب (15). ويتعلق الأمر هنا، كما يوضح س طوريز بشعارات مشتقة إن جازا القول من شعار التآخي ولا ينبغي أن يكون فيها أي

في الاحتماعات التالية : 3 فبراير، 19 مايو، 2، 16 و26 يونيو، 13، 28 و29 يوليوز، 18 عشت (صباحا ومساء)، فاتح، 10، 22 و29 شتنبر، 7 أكتوبر، لقد كانت هذه الاحتماعات تضم حوالي ثلاثين مشاركا لم يكن معظمهم أعضاء مثبتين في اللجنة المركزية

1 أرشيفات معهد موريس طوريز، السلسلة 93،محضر اللحنة المركزية لـ 18 عشت 1925.

12 نفسه، السلسلة 142، محضر اللجنة المركزية الموسعة لـ 8 أبريل 1926.

13 لقد بدا مونموسو متحفظا : «إن الجلاء من غير قيد أو شرط، المطروح كشعار أمام الحماهير، يمكن أن يستعمل كجلاء لجميع المعمرين وجميع العمال» بينما «لايحمل الجلاء العسكري أي التباس» نفسه، محضر اللجنة المركزية لـ 18 غشت 1925. لقد كان طوماس (انظر نفسه) قد صرح في 28 يوليوز أمام اللجنة المركزية، بأنه «ينبغي أن نتخلى عن شعار الجلاء العسكري عن المغرب الذي يسبب الالتباس»، نفسه

14 نفسه.

15 المؤتمر الثالث لـ س ج.ت الوحدوية، باريس، 26 — 31 غشت 1925، عرض المناقشات، ص 73.

لبس؛ فهي تُعبّر عن تضامن الشّغالين مع الجنود ومع الرّيفيين وعن رغبتهم في أن تنتهي الحرب؛ لكن ضرورة العمل لا تعني أنّ الثّورة قد بدأت (16).

في اجتماع المكتب السياسي يوم 19 مايو 1925، لاحظ قادة الحزب الشيوعي أن هناك تيارا يتكون داخل كتلة اليسارات ضد الحرب. وتبعا لذلك، توجب تقديم اقتراحات للكفاح المشترك للاشتراكيين من كل المستويات. وقد وضح طوماس، أحد مندوبي الأممية لدى الحزب الفرنسي (17) قائلا : «إن اقتراحاتنا ستقابل دائما بالرفض من طرف الاشتراكيين، لكنها ستسمح لنا بالتشهير بالقادة» (18) وقد استأنف دوريو قائلا بضرورة اعتماد تكتيك من مرحلتين : أولا، التنصيص على العمال الاشتراكيين الذين يختارون شعاراتنا. وبعد ذلك إظهارهم على أنهم مناهضون لرؤسائهم. ويضيف : «هكذا سنتلافى الخطر الذي يحذرنا منه مونموسو، والماثل في دفع يسار الحزب الاشتراكي نحو اليمين، هذا اليسار الذي يكره التورط مع الشيوعيين. إن علينا، من جهة أخرى، أن ننتقل من تكتيك لآخر بسرعة تقل أو تزداد، حسب الأوضاع المحلية» (19). وفي 5 يونيو، دعت مذكرة للجنة المركزية سكرتيري المناطق الى توجيه نداء خاصة للمنظمات النقابية الكونفدرالية وللفدراليات والفروع الاشتراكية لتشكيل لجان للعمل ضد حرب المغرب. وقد وضحت مع ذلك بأن الهدف هو خلق «حركة وحدة عمالية واسعة ضد الاتحاد المقدس للبورجوازية الرأسمالية والزعماء الاشتراكيين الديمقراطيين الذين يخونون الطبقة العاملة» (20). ولم يتم تحديد الموقف الذي ينبغي مراعاته تجاه العناصر الاشتراكية بوضوح. هذا ما اشتكى منه مندوب الأممية : «ليس لدينا تكتيك واحد، بل عشرة تكتيكات» (21)، وقد انتقد على الخصوص الموقف المبالغ في التفهم الذي أبداه بعض القادة تجاه عناصر من يسار الحزب الاشتراكي. هكذا استحسن كاشان، في إحدى افتتاحيات لومانيتي، توجهات الشرارة * وهي صحيفة أقلية اليسار الاشتراكي، التي «تبذل جهدا لانتزاع الاشتراكية من نفوذ زعماء اليمين» بل لقد مضى الى حد إبداء اقتناعه بأن

16 أرشيفات معهد موريس طوريز، السلة 93، محضر اللحنة المركزية لـ 20 يوليوز 1925.

17 حسب أندري فيرا الذي سألناه في هذا الموضوع، فإن طوماس قد يكون هو الاسم المستعار لغورالسكي، مبعوث الأممية الشيوعية، المقدر كثيرا من طرف زينوفييف. لقد كان بألمانيا في 1923 حيث كان معروفا باسم كلاين، قبل أن يقدم الى فرنسا. وقد كتب بعض المقالات في لومانيتي بتوقيع لوبوتي.

18 أرشيفات معهد موريس طوريز، السلسلة 95، محضر المكتب السياسي لـ 19 مايو 1925.

19 نفسه، السلسلة 93، محضر اللحنة المركزية لـ 2 يونيو 1925).

20 AN F7 13092 (مذكرة عامة رقم 103 في 5 يونيو 1925).

21 أرشيفات معهد موريس طوريز، السلسلة 93، محضر اللجنة المركزية لـ 28 يوليور 1925.

L'etıncille *

«قسما مهما» من مناضلي، القاعدة مستعدون لمغادرة «حزب رونوديل، ليس من أجل المجيء الى الشيوعية (هذا غير وارد) ولكن ليقفوا ضد سياسة التعاون التي ينهجها الكارتيل» (22). إنه لم يفهم شيئا في رأي مندوب الأممية الذي رأى بأنه «عندما يصير مناضلو الحزب الاشتراكي، الذين يمثلون دور معارضة البورجوازية، حمرا من الغضب، ينبغي ضربهم بقوة أكبر» (23). أما سيمار فقد حرص على فصل الزعماء الاشتراكيين عن مناضلي وعمال القاعدة : «ينبغي أن نتبع تجاه الحزب الاشتراكي، ثلاثة تكتيكات مختلفة وذلك تبعا تعاملنا مع الزعماء، مثل بلوم وشركاءه، الذين يتعين علينا مهاجمتهم بقوة لاسيما وأنهم يتصنعون الجنوح أكثر الى اليسار؛ ومع المناضلين الذين تبنوا وجهة نظرنا والذين يخدمون تحريضنا، أو مع عمال القاعدة» (24). لقد اقترحت الجبهة الموحدة من طرف الحزب الشيوعي على أساس شعارات الحزب، ومن ضمنها شعار التآخي. وفقط في مؤتمر فاتح دجنبر اعتبرت القيادة أن فرض هذا الشرط كان خطأ تكتيكيا وقررت بأن القبول به لم يعد يشكل منذ ذلك الوقت فصاعدا شرطا للجبهة.

لجنة العمل ضد حرب المغرب

لقد ذكر دوريو أمام اللجنة المركزية بأن الأممية اعتبرت التوفر على سياسة جيدة لايكفي، لأنه إذا لم يكن لديكم تنظيم جيد لن تتمكنوا من تنفيذ الشعارات السياسية. وفي سنة 1925 تلك، التي بدأت بـ «مؤتمر البلشفة»، أخذت مسألة التنظيم أهمية كبيرة داخل الحزب الشيوعي. لقد أثيرت باستمرار لتفسير ضعف الأعمال التي قامت بها الحركة الشيوعية. إن البنيات التنظيمية التي تم وضعها بمناسبة الكفاح ضد حرب الريف لم تنجز دون عناء ولا دون احتدام نقاشات حادة بين قادة الحزب. لقد كان تجمع لونابارك ضد حرب المغرب الذي تم في 16 مايو تحت رعاية لجنة عمل ضمت الحزب الشيوعي، و س.ج.ت لوحدوية والجمعية الجمهورية لقدماء المحاربين، التابعة للحزب، والشبيبات الشيوعية (25). وهذه الصيغة ليست جديدة، فقد سبق أن طبقت على الخصوص أثناء الحملة التي نظمها الحزب الشيوعي ضد احتلال الرور، وعندما طلبت اللجنة المركزية تطبيقها على الصعيد المحلي، بدا من المحتمل أن تكون بعض المناطق قد سبقت الى ذلك. لكنها لم تكن مع ذلك

22 لومانيتي، 26 يوليوز 1925.

23 محضر اللجنة المركزية لـ 28 يوليوز 1925، المشار اليه سابقا.

24 نفسه، محضر اللجنة المركزية لـ 29 يوليوز 1925.

25 انظر لومانيتي، 14 مايو بالنسبة للاعلان عن اللقاء و17 مايو بالنسبة للعرض. إن عبارة لجنة العمل ضد حرب المغرب لن تستعمل من طرف اليومية الشيوعية إلا ابتداء من 6 يونيو 1925.

خالية من المشاكل : سواء فيما يخص المشاركين في لجان العمل هذه، أو الدور الذي كان على هذا التنظيم أن يلعبه بالنسبة الى الحزب، أو الوسائل التي ينبغي منحها له، إلى درجة أن التجريبية تغلبت في البداية، وقد خولت سلطة تقديرية واسعة بما فيه الكفاية لتنظيمات الحزب الجهوية والمحلية لانشائها. لقد دعى سكرتيرو مناطق الحزب الى عدم الاكتفاء بإنشاء لجان المقاطعات، بل عليهم أن يتدخلوا على مستوى القاعدة «مبرهنين على روح المبادرة»، وأن يجعلوا جمعيات المعامل تصوت على جداول الأعمال، وأن ينظموا لجان وحدة بروليتارية ويثابروا على الخصوص على إنشاء لجان عمل مع «الزعماء والمناضلين المحليين الاصلاحيين» (26).

لم يتوجّه الحزب نحو إرساء تنظيم حقيقي للجان العمل إلا تدريجيا. في الأسابيع الأولى للحمْلة، لم يتضمن إنشاء لجنة عمل على الصعيد الوطني إخضاع اللجان الجهوية والمحلية لهذه الأخيرة، (27) لقد أدى الى تشكيل لجنة عملٍ مركزية، وذلك في أعقاب مؤتمر عُمّال المنطقة الباريسية لِيَوْمَيْ 4 و5 يوليوز، وهو من أول التظاهرات الجماهيرية التي نظّمها الحزب ضِدَّ حرْب الرّيف. لقد ضمّت هذه اللجنة المركزية للعمل، مبدئيا، مائة وخمسة وعشرين عُضْواً مُنْتَخَباً، أي مائة مُمَثّل للمَعَامِلِ الأكثر أهميّةً مُنْتمين الى مختلف التنظيمات المُمَثِّلة في هذا المُؤْتمر، وخمسة وعشرين مندوباً للّجان الجهوية للاقليم (28). لكن تم التسليم في الواقع بأن يكون الحزب الشيوعي، والشبيبات الشيوعية، و س.ج.ت الوحدوية وقدماء المحاربين، هي العناصر المكونة للجنة المركزية واللجان الجهوية والمحلية. وكانت تتوفّر على هيأةٍ تنفيذية من تِسْعَةٍ وعِشْرين عُضْواً تمّ اختيارهم على الخصوص من بين ممثّلي التّنظيمات الأربعة. لقد كان المُشْكِل، بالنّسبة للحزب الشّيوعي هو أن يَجِدَ لها مُنَشِّطاً، لأنه حتى ذلك الوقت، كان بونْفون هو العنصر الوحيد المُدَاوِم في سكرتارية لجنة العمل، ومهما تكن مزاياه فإنه لم يعد

26 AN F7 13092، مذكرة عامة رقم 104 في 11 يونيو 1925 الى سكرتيري المناطق.

27 إن الحزب الشيوعي، وليست لجنة العمل، هو الذي لعب وقتداء دور المنشط والمنسق هذا، كما تشهد بذلك، المذكرات التالية :

1) تخبر مذكرة 29 مايو 1925 للمنطقة الباريسية للحزب الشيوعي، سكرتيري المنطقة بقرار اللجنة المركزية للحزب أن تشكل باتفاق مع الـ س.ج.ت الوحدوية والشبيبات الشيوعية «لجنة عمل للنضال ضد حرب المغرب»، وتعرض برنامج الاجتماعات المعد قصد التحضير لمؤتمر عمالي يوضع تحت رعاية اللجنة الجهوية للعمل. **أرشيفات معهد موريس طوريز، السلسلة 119.**

2) لقد شرحت مذكرة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي لـ 5 يونيو، لسكرتيري المناطق ضرورة إنشاء لجان عمل في كل مكان. أما مذكرة 11 يونيو فعادت الى المسألة موضحة شروط تحقيق الجبهة الموحدة. **AN F7 13092** (المذكرتان رقم 103 و104).

3) دعت مذكرة جيدة للجنة المركزية بـ 24 يونيو المناطق الى الاجابة عن استفتاء جد محدد حول تكوين لجان العمل، والاجراءات المتخذة قصد تحقيق جبهة موحدة واللقاءات المنظمة. **AN F7 13175** (مذكرة رقم 105).

28 لومانيتي، 7 يوليوز 1925.

كافيا لهذه المُهِمّة [29]. وسيقع الاختيار على طوريز، وستُفسِّر سوزان جيرو دوافع هذا الاختيار في اللجنة المركزية المُجْتَمِعة يوم 13 يوليوز : «يلزم على رأس لجنة العمل رفيق يكون عليه أن يُشِيعَ فيها توجيهات الحزب، ولكن دون أن يكون معروفاً كشيوعي مشهور، وأن يكون لديه حِسّ سياسي، وألّا يدع العناصر المُتَعاطِفة تتجاوزه، وألّا تصْرِفَهُ عن هذه المُهِمّة الأساسية أية مهمةٍ أخرى. إن المكتب السياسي يقترح عليكم طوريز، رغم الصّعوبة التي سنجدها في تعويضه في منطقة الشّمال» [30]. لقد كان طوريز، حتّى ذلك الوقت، مُحْتَكراً فعلا من طرف منطقة الشّمال. ولم يتدخّل تقريباً في اللجنة المركزية حول مَسْألةِ المغرب الى غاية ذلك الثالث عشر من يوليوز حيث قَدَّم تقريراً عن المؤتمر العُمّالي المنعقد بِلِيلْ والذي خَصَّهُ بكل عنايته. وتكشف تقارير اللجنة المركزية وقتذاك عن مناضِلٍ جِدّي ومُتَواضِع، ومُعادٍ للنّقاشات السّياسية التي يعتبرها غالباً تجريدية حرصا منه على الفعالية، ومنشَغِلٍ قبل كل شيء بمسائل التّنظيم. وستكون مُهِمّته هي دَفْعُ الحملة ضِدَّ حَرْب المغرب وتنسيقها. لقد اعتزم القيام بذلك على نَحْوٍ يرتبط بشكلٍ وثيق مع مُقَرَّرات الحزب. لكن كان يلزمه لذلك أن تكون لديه الوسائل التي تُمَكِّنُهُ من فَرْضِ احترام تلك المُقَرَّرات، ودوريو هو الذي تكفّل بإظهار الصّعوبات التي يصطدم بها المسؤول الجديد للجنة العمل.

بعد شَهْرٍ من تعيين طوريز، قَدَّم نائب سان ــــ دوني * أمام اللجنةِ المركزية تقريراً حول دور الحزب في لجنة العمل. وقد بدأ بالتشكّي بأن تعليمات المركز لا تُطبَّقُ في الخلايا، ثم تابع قائلا : «نفس الشيء في لجنة العمل. فطوريز وبونفون وكارالْب [31] هم الّذين يقومون بكل شيء. إن الشّعارات لا تُرَدَّدُ من طرف تنظيمات القاعدة التي يبدو أنها تستخِفُّ حقّاً بها. ولجنةَ العمل التي ليس في وُسْعِها تطبيق الشّعارات هي لجنة استعراض لا يمكنها قيادة العمل ضِدَّ حرب المغرب وحَمْلةِ الوحدة ذات الأهمّيّة البالغة بالنسبة للحزب و س.ج.ت الوحدوية». لقد آخذ المكتبُ السياسي على كونه «آلة لاطلاق الشّعارات» وكونه لم يسهر على

29 يبدو أن بونفون إطار نقابي؛ إنه عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي.

30 لم يفسح تصريح سوزان جيرو المجال لأي تعليق. لقد أعقبه «قرار» اللجنة المركزية بالترحيص لطوريز بأن «يقبل تكليفه سكرتيرا للحنة المركزية للعمل»، أرشيفات معهد موريس طوريز، السلسلة 93، محضر اللجنة المركزية لـ 13 يوليوز 1925. إنه ليس صحيحا أن يكتب، بأن لجنة العمل كان يقودها طوريز منذ شهر أبريل 1925. كما فعل ذلك كل من ن. لوكينيك و ج. كريماديلس (مقال وكتاب مشار إليها). ينبغي أن نسجل، من جهة أخرى، أنه بمقتضى قرار لم نعثر على أصله، عين طوريز رئيسا للجنة العمل، بينما احتفظ بونفون بصفة السكرتير (انظر رسالة اللجنة المركزية للعمل الى الحزب الاشتراكي والى الـ س.ج.ت، المنشورة من طرف لومانيتي، 23 يوليور 1925).

يتعلق الأمر بدريو.

31 لقد كان كارالب أيضا إطارا نقابيا موضوعا رهن إشارة لجنة العمل.

ربْط العمل التّنظيمي بالعمل السّياسي. واعتبر، على الخصوص، أنّ إنشاء الأجنحة النّقابية (32) غير كافٍ جدّاً. أما بالنسبة لـ «هشاشات» لجنة العمل، فإنه ينبغي تصحيحها بإعطاء اللجنة الوسائل الضّرورية «إذا أردنا لها ألّا تنتهي إلى الافلاس». وألح أيضا على ضرورة التحرك أكثر في اتّجاه المعامل ولجان الوحدة البروليتارية التي ينبغي لتشكيلها أن يتسع أكثر في البلاد (33). وقد وضّح طوريز بدوره مصاعبه. فبدأ بالتشكّي من لومانيتي التي لا تمنح لحملة لجنة العمل حيّزاً كافيا (34). أما بالنسبة للتّظاهرات الرّئيسية للجنة، تلك التي ينبغي أن تتِمّ في الأوساط العُمّالية، فإن الهيأة التنفيذية للجنة العمل هي التي تتحمل مسؤوليتها؛ غير أنه لا أعضاء الحزب الشيوعي ولا أعضاء س.ج.ت الوحدوية الذين يشكّلون جزءاً منها يحضرون الاجتماعات؛ فهذه الأخيرة تنعقد فقط مع «بعض مندوبي المعامل». لقد حاول كثيرا، رفقة كارالب، تنظيم تجمّعات في المعامل، لكن هنا أيضاً «تخلّى عنا كل من الحزب الشيوعي و س.ج.ت. الوحدوية فيما يتعلق بالخُطباء والمُعِدّات والأموال» (35). لكن مونموسو رَدَّ بأنّه إذا كان مناضلو س.ج.ت الوحدوية لايحضرون فلأن ذلك ليس بإمكانهم مادامت هناك مهام أخرى تمنعهم من ذلك؛ فغيابهم مشفوع إذن بـ «التنظيم السيء» (36). لقد بدا واضحا بأن السكرتير العام لـ س.ج.ت الوحدوية. لم يكن مُقْتَنِعاً بإعطاء لجنة العمل دَوْرَ مُنَشِّطَة الكفاح ضِدَّ حَرْب الرّيف. وسيعود الى هذا بَعْدَ بضعة أسابيع من ذلك، خاصّة عندما سيتعلّق الأمْرُ بتحديد المسؤوليات الخاصّة لهؤلاء وأولئك في التّحضير للاضراب العام ل 12 أكتوبر. لكن طوريز الذي كان يستفيد من الدّعم الكامل للقيادة السياسية ـــ خاصة دعم سيمار وسوزان جيرو ـــ سيكون قد تمكّنَ، خلال ذلك، من إعطاء فعاليةٍ أكبر للجنةِ العمل، وذلك بتكثيف دعايتها وجَمْعِه، لعدَدٍ من العُمّالِ غير المُنَظّمين حَوْلَ المُناضلين الشيوعيين والنّقابيين رغم ما في ذلك من مصاعب.

تنظيم الدعاية

لقد تطورت الحملة الشيوعية بدعم من صحافة الحزب (37)ج ففي باريس، أصدرت لومانيتي، التي كانت تسحب في نهاية 1924، مائة وسبعين ألف نسخة (38)، ملصقات

32 أي الخلايا الشيوعية داخل تنظيمات نقابية.

33 أرشيفات معهد موريس طوريز، السلسلة 93، محضر اللجنة المركزية لـ 18 غشت 1925.

34 «عندما حاولنا إطلاق حملتنا في لومانيتي بنشرنا لمقالات عن الشعارات وعن المقررات، قيل لنا بأن هذا كثير على لومانيتي وبأنه ليس ثمة حيز. وانتقلت أوراقها الى الصفحة الثانية ثم الثالثة، ثم الى ركن بشكل صغير» نفسه.

35 نفسه.

36 نفسه.

37 انظر أدناه، الاشارات المتعلقة بصحافة الشبيبات الشيوعية.

38 من باب المقارنة، ينبغي أن نلاحظ بأن سحب لوفر هو من نفس المستوى (000 170) وأن سحب لوكوتيديان بلغ 280.000. AN F7 12953.

لتنمية بيعها بارتباط مع أحداث المغرب (39). وفي الاقليم، كانت الصحف التي يتوفر عليها الحزب الشيوعي الفرنسي تعيد نشرّ النداءات الموجهة من طرف التنظيمات المركزية. وكانت بعضها تنشر أخبارا محلية أو مقالات جديدة موجهة ضد حرب الريف (40). لقد كانت معدات الدعاية هامة : إذ كانت تتضمن كراسات (41)، وملصقات ومناشير وإعلانات صغيرة (42) نشرت مبدئيا من طرف المركز (43)، ووجهت من قبله الى مختلف المناطق، ليس دون صعوبة أحيانا. وتميزت بعض الفدراليات بتأمينها، لاعادة طبع تلك المنشورات بوسائلها الخاصة (44) أو حتى بنشرها لنص جديد (45). هناك شكل آخر للدعاية : ترويج عرائض تطالب بالصلح الفوري مع الريفيين (46). إلا أن التجمعات العمومية تظل هي الشكل المفضل للتحريض لدى الشيوعيين. لقد دعت قيادة الحزب، ثم قيادة اللجنة المركزية للعمل، لمسؤولين الجهويين والمحلين الى المضاعفة منها. ووجهت إليهم «مخططات محاضرات». ولقد كانت لهذه الأخيرة استعمال مزدوج : من جهة يمكن أن تصلح مخطاطات للنقاش داخل

39 انظر AN F7 13174 (السين).

40 انظر لوماليتي دوميدي، 2 يونيو، 19، 20 و21 يوليوز 1925 ــ لوطرافايور دوسولتر ــ أويست، 4 يوليوز و3 أكتوبر 925، ــ لاديبش دولوب، 11 يونيو 1925 (في AN F7 13173 و013175 ولوتشيني دونور إي يا ــ دو ــ كالي، 6 و13 يونيو، 12 و26 شتنبر 1925.

41 لستشهد خاصة بـ ضد حرب المغرب، الذي يتضمن ثلاثة خطب لدوريو، وبيرثون وكاشان ألقيت بالمجلس أيام 27 ــ 29 مايو 1925، ــ وكتيب ل‌لوماليتي، أعاد نشر استفسار دوريو لـ 23 يونيو، مسبوقا بنسخة من رسالة فاتان ــ بربيون وتوطئة لتران، ــ نظن أننا نقاتل من أجل الوطن . نص من خمس صفحات، غير موقع، ومسبوق بتوطئة لأندري مارتي، ومؤرخ في 2 أبريل 1926 («لماذا يموت أبناء الشغالين في المغرب»)... وعن نجاحها، ينبغي تسجيل البرقية الموجهة من طرف شيوعيين من نيم الى الادارة الباريسية (والتي تم احتجازها) : «ابعثوا فورا كتيبات ضد المغرب، كاشان ــ دوريو ــ بيرثون؛ على نحو مستعجل، تراكمت علينا الطلبات». AN F7 13176 (كار).

42 نجد ملصقات عديدة، ومناشير وإعلانات صغيرة (وغالبا بنسخ أصلية) في العديد من صناديق الأرشيفات الوطنية وفي بعض مجموعات الأرشيفات المقاطعتيه. وقد جمعت مجموعة منها في AN F7 13172.

43 حسب مذكرة لمفوضية الشرطة، غير مؤرخة ولكن من المحتمل جدا أنها في 1925، كان عدد المطبعيين بالمنطقة الباريسية، الذين «اشتغلوا لحساب الشيوعيين» أحد عشر. APP BA 1676. وفي الواقع أتت أهم الملصقات والمناشير حسب علمنا من مطبعة دوعان. ولا نتوفر سوى على إشارات جزئية عن أعداد السحب المنجزة (انظر أدناه، أعداد سحب مطبوعات الشبيبات الشيوعية).

44 هذه هي حالة المنطقة الأطلسية (انظر AN F7 13105، لوار أنفيريور، تقرير أدبي موجه للمؤتمر الجهوي لـ 1926) ومنطقة بوردو (انظر AN F7 13176 جيروند).

45 أعدا الاتحاد الاقليمي للنقابات الاتحادية للآلب ــ ماريتيم ومنطقة نيس للحزب الشيوعي وجمعية قدماء المحاربين أعد ونشرا في أواخر مايو 1925 ملصقا رائعا بالألوان يؤكد على أن حرب الريف تتم «لفائدة بنك باريس والبلاد ــ با والشركة المرسيلية للقرض التي كان نائبها ماريتي (للآلب ــ ماريتيم) حاكما» AN F7 13173 (آلب ــ ماريتيم) ــ كما تم سحب مناشير في كل من مرسيليا والجزائر بمناسبة إرسال تعزيزات عسكرية. أرشيفات معهد موريس طوريز، السلسلة 117.

46 أنظر خاصة AN F7 13174 (الشمال و 13175 (باس ــ آلب)

خلايا الحزب، داخل الشبيبات والنقابات، ومن جهة أخرى يمكنها تسهيل التدخلات في التجمعات العمومية (47).

إننا لانتوفر على عناصر تسمح لنا بتقييم كلفة هذه الحملة (48). لقد كان تمويلها يشغل، كما رأينا، بال موريس طورِيز (49). وعلى أية حال، كانت تنظيمات القاعدة مدعوة للحصول على أموال بواسطة بيع الكراسات والشارات، ومن خلال جمع التبرعات التي كانت اللجنة المركزية للعمل تسعى للاستئثار بأكبر حصة من مداخيلها (50).

تحريض في جميع الاتجاهات

لقد تطورت الحملة الشيوعية على صعيدين : فمن جهة استهدفت تعبئة الخمسة وستين ألف منتمي للحزب (51) وتغطية جزء كبير من البلاد خاصة بواسطة حملة من التجمعات العمومية. وقد توجهت لـ «شغالي المدن والحقو، شغالي فرنسا والمستعمرات»، لكن إذا كانت هذه العبارة قد استعملت غالبا ـــ لأنه من الضروري التأكيد دائما على التضامن الذي يجمع كل الشغاليين ـــ فإن تنفيذ الدعاية كان يتطلب، من جهة أخرى، بذل مجهودات خاصة باتجاه مختلف فئات السكان، فكان يتعدى الشغالين اليدويين عند الاقتضاء. كانت الحملة التي قررها الحزب الشيوعي حملة في جميع الاتجاهات : وكان من شأن بنيته، وتجذره في الأوساط النقابية وتنظيماته الجماهيرية أن تجعل منها حملة ممكنة.

47 هناك أشكال كثيرة منها. أنظر تلك التي في آندر ـــ إي ـــ لوار (AN F7 13173)، والشمال (AN F7 13174) والمنطقة الليونية (AN F7 13177) والمنطقة البوردولية (AN F7 13090).

48 حسب اليومية الشيوعية. كانت نفقات ومداخيل اللجنة المركزية للعمل تقدر، في أواخر أكتوبر 1925، بـ 336 261 فرنكا، مع مراعاة مبلغ 77000 من استحقاق المطبعيين، لوماليتي، 10 نونبر 1925

49 هل ساهمت الأممية الثالثة في هذا التمويل وبأية حصص ؟ لانعرف شيئا عن هذا. لنذكر تصريح فلوريمون بونط الذي يقول بأنه تلقى من الحزب الشيوعي الهولندي، من باب التضامن الشيوعي الدولي، «مبلغا هاما» لمساعدة اللجنة الجهوية للعمل للشمال حتى تقوم بدعايتها ضد حرب المغرب. AN F7 13177 (الشمال).

50 «إن الموارد المحتملة للجنة العمل الجهوية سيقدمها بيع البطاقات (؟) ووضع لوائح للاكتتاب يتم التنازل لها عن قسط 25%» مذكرة اللجنة المركزية للعمل في 25 غشت 1925، AN F7 13092.

51 AN F7 13096 («وضعية الحزب الشيوعي عداة المؤتمر الوطني لكليشي»، مذكرة أعدها الأمن الوطني في أبريل 1925).

حملة التجمعات العمومية

لقد شكل تنظيم التجمعات العمومية في مجموع فرنسا التظاهرة الأكثر مشهدية في الحملة الشيوعية ضد حرب الريف. وقد طرح انعقاد التجمعات بعض المشاكل، سواء فيما يتعلق بالاعلان عنها عن طريق ملصقات، أو بحجز القاعات، أو بتوفير المركز لخطباء معروفين أو بالاحتياطات التي وجب اتخاذها بحكم المراقبة البوليسية. لنكتف الآن بأخذ نظرة عن مدى المجهود المبذول من طرف الحزب الشيوعي ولجان العمل (52). فبالرغم من أن الأرشيفات لاتخلو من ثغرات حتمية، بدا لنا بأن المعلومات المستقاة تسمح بتقدير إيقاع هذه الحملة وكثافتها، وكذا مقدرتها التعبوية (53).

بعد انطلاق بطيء جدا للحملة في مايو 1925، نلاحظ نوعا من التفاوت بين الاقليم، حيث كان برنامج التجمعات مكتظا على الخصوص في يونيو وبرنامج المنطقة الباريسية حيث توزعت تلك التجمعات بانتظام طيلة أشهر الصيف الثلاثة. لقد انخفض إيقاعها في شتنبر واستأنف في بداية أكتوبر، عند اقتراب إضراب الأربعة والعشرين ساعة. هكذا أحصينا من 15 مايو الى 15 أكتوبر مائة وخمسة تجمعات في المنطقة الباريسية وأربعمائة وثمانية وخمسين تجمعا في الاقليم. وتعتبر هذه الأرقام دون الواقع بالتأكيد، إذ أن التجمعات لم تكن كلها موضوع تقارير من طرف مصالح الشرطة وسلطات المقاطعات (54). ومن جهة أخرى، تبدو المعلومات، في بعض المقاطعات منعدمة أو جد متقطعة بحيث لايغدو في وسعنا إيرادها. لم تتوقف الحملة بعد شهر أكتوبر؛ لكنها عرفت نوعا من الهدوء حتى نهاية السنة. ثم استأنفت في يناير وامتدت حتى يونيو 1926. وبالرغم من أننا لانتوفر على معلومات في منتهى الدقة عن هذه الفترة الأخيرة، فإنه من الواضح أن كثافة الحملة وتتذاك قد قلت (55) وأن عدد التجمعات المخصصة أساسا للمغرب قد تقلص.

52 لاتدخل في مجال بحثنا الاجتماعات التي انعقدت بالمبادرة الوحيدة للشبيبات والتي سيأتي الحديث عنها لاحقا.

53 يتكون مصدرنا من التقارير الممركزة من طرف وزارة الداخلية حول «الدعاية الشيوعية ضد حملة المغرب» والتي هي مرتبة حسب المقاطعات : إنهما تشمل الفترة الممتدة من نهاية شهر مايو 1925 إلى شهر يونيو 1926. AN F7 13173 إلى 13178 (1925) و13104 إلى 13105 (النصف الأول من سنة 1926). وقد اقنعتنا عددا من التحريات في مجموعات الأرشيفات المقاطعتية بأنها لاتتوفر حول هذه المسألة الخاصة، ماعدا بعض الاستثناءات القليلة جدا، على معلومات مختلفة أوتكميلية. (أنظر في الخاتمة، مصادر — بيليوغرافيا).

54 بشكل خاص، الاجتماعات الكثيرة جدا، المرتجلة تقريبا، التي تمت في مخرج المصانع. ترى هل لأنها احتسبت هذه الأخيرة بشكل واسع أكدت فدرالية الحزب الشيوعي للمنطقة المتوسطية أنها سهرت على «أكثر من 400 اجتماع» ضد حرب الريف تقرير أدبي لسنة 1925، AN F7 13104 (بوش — دو — رون).

55 أقل مع ذلك كما كان يعتقد كل من نر لوكييك، مقال مشار إليه، وكريا ديلس كتاب مشار إليه، اللذين يريان بأن الحملة الشيوعية توقفت تقريبا في أكتوبر 1925

إنه لمغر القيام بتوزيع جغرافي لهذه التجمعات. لكن يثنينا عن ذلك نقص معلوماتنا، وأكثر من ذلك، تفاوت أهمية المستعمين المجتمعين ـــ الذين كان عددهم يتراوح بين عشرات الأشخاص والآلاف، وبخلاف ذلك، بدا لنا أن من شأن جدول للتجمعات التي ضمت على الأقل خمسمائة شخص حسب تقديرات الشرطة، أي عددا واقعيا للمشاركين أكثر ارتفاعا على العموم، أن يسمح بتقدير الأثر الحاسم للحملة الشيوعية (56).

النقابات العُمّالية

لقد جاءت الحملة ضِدَّ حَرْب الرّيف بعد ثلاث سنوات من انفصام الوحدة النّقابية. فأمام التوجّه الاصْلاحي لـ س.ج.ت، أظهرت المركزية الجديدة، الـ س.ج.ت الوحدوية، التي كانت تضُمُّ حوالي خمسمائة ألف منضوي، ثَوْرّيتها واعتزمت الربط الوثيق بين الكفاحات السياسية والكفاحات الاجتماعية. ولم يكن التّضامن الذي أبْدته تجاه الحزب الشيوعي، والذي كان يأخذ أحيانا شَكْل تبعية، خاليا من المصاعب لأن تركيبتها لم تكن أبداً منسجمةً. لقد اختار الحزب الشيوعي بداية حملته ضِدَّ حرب المغرب لكي يعلن عن انضمام القادة الرئيسيين للكونفدرالية الاتحادية للحزب (57). وفي الواقع، لم يكن ينوي فقط أن يُلقِيَ بكُلِّ ثِقْلِ نَقَابييه في المعركة ضِدَّ الحرب، لكنه كان ينوي أيضاً الاستفادة من ذلك الظَّرف لكي يربط بشكل أوثق النقابات والحزب. لقد أُوكِلَ أَمْرُ ترويج شعارات الحزب الى «الأجنحة الشيوعية» في مختلف النقابات، كما أُوكِلَ إليها أَمْرُ توْطيد أولئك الذين استهوتهم الأفكار الشيوعية وإقناع «الكونفدراليين» والعناصر المعزولة (58). وعليه، فقد تطوع قادة الـ س.ج.ت الوحدوية على نحوٍ عميق الى جانب الحزب الشّيوعي الذي كانوا يُقِرّون بإدارته. فحضّروا للمؤتمرات العُمّالية التي كان عليها تُلْحِم وحدة البروليتاريا في الكفاح. وشاركوا بفعالية في حَمْلَةِ لجنةِ العَمَلِ كما أعلنوا تضامُنَهُمْ مع المناضلين ضحايا القَمْع. لقد كان في جدول أعمال مؤتمرهم الوطني «الكفاح ضِدَّ الامبريالية والحرب» الذي كان موضوع تقرير لمُونْمُوسُو. وتبنى هذا المؤتمر قراراً يطالب بـ «الصلح مع الريفيين على أساس الاستقلال

56 لم نشر إلا إلى الخطباء المعروفين من بين أولئك الذين ذكرتهم تقارير الشرطة. ومن جهة أخرى، فإن «المؤتمرات العمالية والفلاحية» التي تشكل أهم التجمعات المنظمة من طرف الحزب الشيوعي الفرنسي في نضاله ضد الريف (أنظر أدناه) لاتوجد في هذه اللائحة.

57 تم اتخاذ قرار النشر من طرف اللجنة المركزية في 2 يونيو 1925 (أرشيفات معهد موريس طوريز، السلسلة 93) وصار فعليا بعد شهر من ذلك، لومانيتي، 5 يوليوز 1925.

58 «لايمكن أن نجعل النقابات تشتعل، شرح راكامون، سكرتير الـ س.ج.ت الوحدوية، إلا بتحريك الخلايا» أرشيفات معهد موريس طوريز، السلسلة 93، محضر اللجنة المركزية لـ 16 يونيو 1925.

الكامل للرّيف»، وقرَّرَ بأنْ يوصِيَ بالتّآخي، ومقاطعة صنع الأسلحة والذّخيرة والنقل العسكري، وكذا بتنظيم إضراب إنذاري طيلة أربع وعشرين ساعة.

لم تكن الـ س.ج.ت الوحدوية تنكر، بأنّها تطوّر نفس الأطروحات التي يطوّرها الحزب الشيوعي الفرنسي. بالعكس، لقد كانت تعتبر أن هذا التّطابق في النظر يقوّيها. لكنها كانت تُمَوْضِعُ حملتها في إطار كفاحها لصالح التّوحيد النقابي. وكان هذا الأخير يمرّ، في رأي الاتّحاديين، عبر التّشهير بقادة الس.ج.ت؛ مُدَعِّمي حكومات الكارتيل، وعبر تبنّي برنامج مُعَادٍ للامبريالية. وفي 23 مايو 1925، اقترحت اللجنة التّنفيذية لـ س.ج.ت الوحدوية على الـ س.ج.ت تنْظيم جولة مشتركة واسعةٍ للدّعاية في مجموع فرنسا بهدف الاحتجاج ضِدَّ حرب الرّيف الّتي تشكّل «مَسّاً بحقّ الشّعوب في تقرير مصيرها، وهو حقٌّ مُسَلَّمٌ به من طرف الحكومة ومُدَافَعٌ عنه من طرف مُنَظَّمتنا» ودَعَتِ «الكونفدراليين» الى تبنّي شعارَيْ «الصلح الفوري» و«الجلاء العسكري عن المغرب»، مُذَكِّرَةً بأنّ هذا الأخير كان مُطالَباً به من قِبَل من طرف الـ س.ح.ت. (60). وفي نفس اليوم، شَهَّرَ ليون جوهو * بـ «النّزعة الأممية المزعومة لقادة الأممية الثّالثة (التي) ليستْ، في الحقيقة، سوى دعوةٍ للنّزعة الوطنية الأكثر ضيقاً. إنّ الشّغّالين، أضاف، لا يَقْبَلُونها مثلما لا يَنْوون اللّحاقَ بدسائس أولئك الذين يريدون تَشْجيع المُغَامرة ويحلمون بغزوات جديدة» (61). لقد رَدَّ مُونْموسو باتّهام سكرتير الـ س.ج.ت. بـ «تأييد الطّابع الالْحَاقِي للحَرْب المغربية وبتقويته، وذلك على حساب الجمهورية الرّيفية ولفائدة بعض ملاكي الأبناك، ولو كان ذلك بهلاك ملايين الأشخاص على جانِبَيْ خطّ النّار» (62). إننا نلمس اللّهجة. لكن كان هناك خلف المواجهة العادية بين المركزيتين النّقابيتين، تعارضٌ صريح حول المعنى نفسه للنّزاع المغربي، كشَفَتْ عنه حملة المُنَظّمتين. فبينما كانت جريدة «الكونفدراليين» تُقَدِّمُ عبد الكريم كـ «زعيم عصابةٍ» فَصَلَهُ «خِصَامٌ» عن الاسبان (63)، كان «الاتّحاديون» يلحّون على الطّابع الوطني والشعبي لقتال الرّيفيين ويضاعفون ضغطهم : «إن المبدأ الأكثر بساطة لحق الشّعوب في تقرير مصيرها يُلْزِمُ القادة الكونفدراليين بكل تصميم بالانضمام الى صَفّنا للمطالبة بالصلح الفوري مع الريفيين،

59 المؤتمر الثالث لـ س.ج.ت الوحدوية، باريس 26 ـــ 31 غشت 1925، عرض المناقشات، ص ص 67 ـــ 68

60 لومانيتي، 23 مايو 1925

* الكاتب العام لـ س.ج.ت (القريبة من الحزب الاشتراكي)

61 لوبوبل، 23 مايو 1925

62 لومانيتي، 25 مايو 1925

63 لوبوبل، 29 مايو، 3 و 18 يونيو 1925.

وبعد ذلك بالجلاء العسكري عن المغرب، وهي الضّمانة الأساسية للمُستَعْمَرِينَ ولِحياةِ الجنود الذين يسقطون كُلَّ يومٍ من أجل قضيةٍ ليست قضيتهم» (64). يستتبع الصلح حَسَبَ الـ س.ج.ت حلًّا يَحْفَظُ في نفس الوقت الحُرّيات الرّيفية والحضور الفرنسي في المغرب؛ وبالتالي ينبغي الشّروع في تثبيت حدود المغرب الفرنسي (65). المغرب الفرنسي ؟ «أين يوجد هذا الاقليم المجهول ؟» تساءلت جريدة الحياة العمالية * ساخرة (66). وبما أنّ صحيفة لوبوبل اتّهمتِ الشيوعيين بكونهم «أعداء السِّلْم»، لأنهم كانوا يتمنّون «انهزام القوات الفرنسية في المغرب» (67)، فقد رد مونموسو بأن «انهزام الشّعْب الرّيفي سيعني التّقْوِية المؤقتة للحُكْم البورجوازي على حساب البروليتاريا الفرنسية» (68)؛ فالاصلاحيون هم الّذين «يَقْبلون بمواصلةِ الذّبْح في ظِلّ الصّيَغ المتناهية الدّهاء للصلح الوَهْمِي المفروض على عبد الكريم» (69). إنّ ما أثار سُخْط قادة الـ س.ج.ت؛ ليس فقط الدّعم الذي يُقدّمه الحزب الشيوعي والـ س.ج.ت الوحدوية للريفيين، بل كونه ينخرط داخل استراتيجية مُرَتَّبةٍ من طرف موسكو. وفي مؤتمرهم الوطني، شَرَحَ ميليون، مُعَزِّزاً قوله بسَيْلٍ من الاستشهادات، بأن الشيوعيين يُشجّعون تطوّر كلّ العوامل الوطنية في العالم مِنْ أجْلِ تثبيت أفضل لدكتاتوريتهم «بادىء الأمر في روسيا، وربّما بعد ذلك في العالم» (70).

إلى أيِّ حَدٍّ أمْكَنَ لهذه الحجج أن تؤثّر في مناضلي القاعدة ؟ سنرى لاحقاً أن كلّ النّقابين الكونفدراليين لم يكونوا لِيُشاطِرُوا وِجْهات نظر قيادتهم حول المُشْكِل المغربي. إذ المعلومات تنقصنا حول المواقف المُتبنّاة من طرف مختلف الفدراليات الاتّحادية. لقد كانت في المجموع تُمثّل جَبْهَةً مُوَحَّدَة (71). وقد تمّت المُصادقة على تقرير مُونْمُوسو بإجْماع المؤتمر، ما عدا امتناع واحد هو امتناع مندوب نقابة سِكَكِي (شالون — سور — مارن الذي أبدى تحفّظاته حول مدى ملاءمة شعار التّآخي للطرف الراهن (72). ولكن ستظهر

64 لافي أوفرير، 26 يونيو 1925
65 لوبوبل، 10 يونيو 1925
66 لافي أوفرير، 12 يونيو 1925
* La Vie ouvrière
67 لوبوبل، 23 يوليوز 1925
68 لافي أوفرير، 14 غشت 1925
69 نفسه، 7 غشت
70 المؤتمر الكونفدرالي الثامن عشر لـ س. ج. ت. 26 — 29 غشت 1925، باريس، عرض المناقشات، ص 163.
71 لقد نشرت لافي أوفرير بالخصوص الشعارات ضد الحرب الصادرة عن الاتحادات الاقليمية و«الخلايا الشيوعية»، أنظر 19، 26 يونيو و3 يوليوز 1925.
72 عرض، مشار إليه

تناعدات الرّأيْ داخل الـ س.ج.ت الوحدوية، كما سنرى، بمُناسَبَة إضراب الأربع وعشرين ساعة، الى حدٍّ أن بعض المُناضلين سيقْطعُون علاقتهم مع الحزب الشيوعي ويبتعدون عن قيادة المركزية النّقابية.

□ □ □

هناك فئة خاصّةٌ من العُمّال سعى الشيوعيون الى تعبئتهم ضِدَّ حَرْب المغرب. إنهم العُمّال الأجانب أو الذين ينتمون الى المستعمرات. فهؤلاء الذين كانوا مُسْتَغَلّين بشكل مزدوج بصفتهم عُمّالًا وبصفتهم مُسْتَعْمَرين، كانوا قابلين للتّأثّر على الخصوص بنداءات الحزب الشّيوعي الفرنسي لتحرير شعوب ما وراء البحار. في هذا الوسط، كان التّحْريضُ لصالح عبد الكريم مُرَكّزاً على المَلْمَح الوطني لكفاح يُقَدَّمُ على أنّه نموذجيٌّ. لقد ردّدت لوباريا، «منبر البروليتاريا المُسْتَعْمرة»، باكِراً صَدَى المعارك التي يخوضها المغاربة وامتدحت «جمهورية الرّيف» (73). ولم ينتظر اتحاد التضامن مع المستعمرات (74) هجوم الزّعيم الرّيفي على القوات الفرنسية لكي يُعَبِّر له عن تعاطفه الشّديد. وفي 30 شتنبر 1924، وجَّهَ الحاج علي، في أعقاب اجتماع بباريس ضَمَّ أربعمائة شَخْص، تحية الجمع الى عبد الكريم «الذي يكافح، كما فعل عبد القادر سابقاً، من أجْل استقلال بلاده» (75). لقد انعقدتْ تجمعات جديدةٌ في 3، ثم في 17 أكتوبر؛ فحيّا بيرطون خلالها «البطل عبد الكريم الذي سيكون انتصاره دليل تحرير الأشْخاص المُلَوّنين» (76). أمّا مؤتمر العُمّال الأفارقة الشماليين للمنطقة الباريسية، المنعقد في 7 دجنبر، فختم أشغاله بإرسال برقيةٍ مُوَجَّهَةٍ «الى المغاربة وإلى زعيمهم عبد الكريم» مُؤَكّدة لهم تضامن العُمّال معهم «في عملهم من أجل تحرير أرضهم» (77). وفي 26 مايو 1925، انعقد بمرسيليا المؤتمر الأوّل للعُمّال الأفارقة الشّماليين لـ البوش — دي — رون، الذي انتهى بصَيْحات «عاش السِّلْم الفوري في الرّيف: عاش استقلال الشعب المغربي. عاش الحزب الشيوعي !» (78). لقد كان الحزب الشيوعي الفرنسي يوزّع مناشير باللغة العربية بين الشغّاليين المغاربة. وقد استرعى واحد من هذه المناشير، وهو طويل للغاية، انتباهنا.

73 لوباريا، فبراير 1924 («عاش المغرب الحر»)، يونيو — يوليوز 1925 («عاشت جمهورية الريف»).

74 عن الاتحاد البين إستعماري، أنظر أعلاه، الفصل الرابع

AN SOM، شؤون سياسة 2415، مذكرات حول الدعاية الثورية...، 30 شتنبر 1924.

نفسه، 31 أكتوبر 1924.

نفسه، 31 دجنبر 1924

AN F7 1317: (بوش — دو — رون)

فبعد أن أثار بتعابيرَ مثالية الوضعيةَ في المغرب قَبْل الاستعمار وشدّد على أطماع الرأسمالية الدّولية، أكّد تضامن الشعب الفرنسي مع الشعب المغربي : «لايرغب أغلبية العُمّال، والفلّاحين والجنود الفرنسيين سوى في استقلالك الكامل، ولا يعترفون بحقّ رأسمالييهم في الهيمنة عليك ولا في استعبادك. وهم أنفسهم يسعون الى التّحرّر من استعباد رأسمالييهم؛ ويسعون الى محاربتهم، وكذا محاربة حكومتهم التي أهانتك، لأن الظُّلْم يهيمن في فرنسا أكثر منه في المغرب العربي. فما يرغب فيه عُمّال وفلّاحون فرنسيون لأنفسهم، يرغبون فيه لك أيضاً. ومُتَّحِدين معك، سيهتفون عالياً من أعماق القلب : عاش استقلال المغرب العربي» (79). هل قررت سلطات الحماية في أكتوبر منع خروج الشغالين المغاربة المتوجهين الى فرنسا بسبب الخشية من انعكاسات هذه الدّعاية أم لأسباب محلّية ؟ انعقد، بعد استسلام عبد الكريم، تجمّعٌ ضَمَّ الشّغّالين الأفارقة الشّماليين بباريس، فألقى كوست، السكرتير العام للمنطقة الباريسية للحزب الشّيوعي، كلمةً موجزةً، ثم أخذَ إسعاد الكلمة باللهجة القبايلية وبن لكحال ومناضلٌ تونسي باللغة العربية. وقد صرحوا بأنه «اذا كان عبد الكريم قد استسلم فإنّ المقاومة ليست أقل مما كانت ضدَّ الاحتلال الفرنسي...» 80

لقد كان الشّغّالون المهاجرون الآخرون يتلقّون دعايةً لا يبدو أنه كان لها نفس الطّابع التّنظيمي. وتسمح معلوماتنا، وهي جدّ ناقصة، بافتراض أنّ هذه الدّعاية كانت ترتكز أساساً على الـ س.ج.ت الوحدوية، التي كانت تمنح بَعْض التّسهيلات لمختلف المجموعات الوطنية، في الحدود الضّيّقة المفروضة من طرف القمع البوليسي. هكذا كان العُمّال البولونيون يُصْدِرون صحيفة تدعى الاتّحادي البولوني تَمَّ مَنْعُها بقرار وزاري في 4 يونيو 1925 (81). وبعد ثلاثة أسابيع من ذلك. عُوِّضَتْ بصحيفةٍ جديدة هي الحركة النّقابية تُضَمِّنَ عددها الأول مقالًا مُتعلّقاً بحرب الرّيف وبالتّحضير للمؤتمريْن العُماليّين والفلاحيّيْن لباريس وليل. وفي النّصف الثاني من غشت، قام طوماس أُولزانسكي، وهو بولونيّ تَجَنَّسَ بالجنسية الفرنسية، ومندوب دائم لـ س.ج.ت الوحدوية، بإلقاء سلسلة من المُحاضرات على مواطنيه السّابقين، في لِيل، وبْلان ـــ ميسْرون، وفيك أونينغ وفيكوانيْ وأنزان، حيث خَصَّصَ حيّزاً كبيراً للأسئلة المطروحة من طرف الكفاح ضِدَّ حَرْب المغرب (82). أمّا العُمّال الايطاليون فكانوا يشاركون بكثرةٍ في

79 إن ترجمة هذا المنشور، التي قامت بها دون ريب مصالح مفوضية الشرطة، تحمل تاريخ 16 أبريل 1925 AN F7 13171.

80 AN F7 13103.

81 احتيالا بسبب المقالات المتعلقة بأحداث المغرب، APP BA 1676.

82 AN F7 13177 (الشمال)

التجمعات العمومية المُنظَّمةِ من طرف لجان العمل المحلية، وليس فقط في الميدي الفرنسي في الشّرق أيضاً (83). لقد ضاعفت لومانيتي، عشية الاضراب الانذاري لـ 12 أكتوبر، نداء باللغات الأجنبية : الأرمينية، الايطالية، التشيكية، الاسبانية وحتى بالعبرية (84). كما كا المناشير المُوزّعة من طرف الـ س.ج.ت الوحدوية تتضمن ترجمة ايطالية وترجمة اسبانية (وذلك لدعوة المناضلين الى تكثيف حملتهم، من 20 نونبر الى 20 دجنبر، ضِدَّ غلاء المعي وضِدَّ الحرْب الامبريالية معا.

الفـلّاحـــون

غالبا ما كان الحزب الشيوعي يربط في نداءاته للتّظاهر ضِدَّ حَرْب الرّيف، ، الفلّاحين والعُمّال (86). لقد كانت الطبقة الفلاحية الفرنسية، التي ابتُلِيَتْ كثيراً بحر 1914، مجالًا قابلًا للتأثّر على نَحْو خاص. تُرى هل قام الشيوعيون، لهذا السبب، بأعمال خاصّة اتّجاهها ؟ إنّ توثيقنا ناقص في هذا الأمْر. ولا يسمح لنا سوى بإشارات جزئية جِدّاً.

يبدو أن المؤتمرات العُمّالية والفلاحية الجهوية، التي سنعود إليها لاحقا، لم تجمع سوى عَدَدٍ قليل الفلّاحين، ولم يتدخل منهم في المنصة سوى ثلاثة حسب تقارير **لومانيتي** (87). وبعكس ذلك، يبدو أن الدّعاية الشيوعية ضِدَّ حَرْب المغرب غالبا ما همت مُسْتمعين تتكون أغلبيتهم من الشّغال الزّراعيين وصغار الفلّاحين. ويمنحنا وجود مجلس فلاحي فرنسي، وهو تنظيم جماهيري للحز (88)، سبيلًا للبحث لم يكن في مقدورنا ارتياده. فباسمه تدخّلَ مُنَشِّطُهُ على الصعيد الوطني وهو رونو جان، من منصة مؤتمر المنطقة الباريسية (89). ويبدو لنا بأنّ هذا الجهاز قد طوّ

83 أنظر 13173 و13174 AN F7

84 لومانيتي، 8 و10 أكتوبر 1925

85 AN F7 13104 (ماس ـــ آلب)

86 لنورد إعلانين صغيرين تعريفيين : «لقد قاتل العمال والفلاحون طوال خمسة أعوام من أجل الصناعيين وأرباب الأبناك يعودوا يريدون الطاعة. لتسقط حرب المغرب» «من يموت ؟ أبناء العمال والفلاحين. من يؤدي الثمن ؟ العمال والفلاحون» AN F7 131 72

87 ليونس روحي في مؤتمر باريس، **لومانيتي**، 6 يوليوز 1925 ـــ وباش في مؤتمر بيربي، نفسه، 18 غشت 1925 وميو في مؤتمر مرسيليا، نفسه، 24 غشت 1925.

88 قدمت السلطات بشكل غير دقيق المجلس الفلاحي الفرنسي على أنه ينتمي الى لـ س.ج.ت الوحدوية الزراعية، تعلق الأمر بالنسبة لهذه المنظمة تجمع صغار الملاكين والنضال ضد التنظيمات الزراعية القائمة والموحودة «تحت تأ الاكليروس وكبار الملاكين» (**فوالابيزان**، 28 نونبر 1925) بموازاة ذلك تتوفر الـ س.ج.ت الوحدوية على فدرالية للزرا تدأب على جمع الأجراء الزراعيين.

89 يعتبر رونو ـــ جان، نائب لو ـــ إي ـــ غارون، دون ريب أحد أقوى شخصيات الحزب الشيوعي الفرنسي. لقد كل من طرف الحزب بمتابعة المشاكل الفلاحية، وأنشأ منذ 1922 أسبوعية، **لافوا بايزان**، وهي الصحيفة الزراعية للحز

على الصعيد المحلي، أعْمالاً مطلبية نَوْعية كانت مناسبة لاثارة مسألة الرّيف. هكذا كانت المشاكل المتعلقة بزراعة الكروم موضوع حملة في الاجتماعات في ليبيريني أوريانطال، في ذروة الكفاح ضِدٌ الحَرْب : في 26 يوليوز 1925 بـ سان لوران دو لا سالانك (ثلاثمائة شخْص)، وفي 28 ب إيسبيرا دو لاكلي (مائة)، وفي 29 بـ إيلن (ثمانون)، وفي 30 بـ بيزيًا دو لا ريفيير (سبعون)، وفي فاتح غشت بـ ريفيزالت (خمسمائة) وفي 2 بـ بار دو مالو (ستّون)، وفي 3 بـ بيكساس (مائة) (90). وأخيرا، نعلم بأنّه بين نهاية 1925 وبداية 1926، عقد المجلس الفلاحي حوالي إثْنَيْ عشر مُؤتمراً جهويا سبقْتها تجمعات عمومية وزعت خلالها لافوا بيزان *، الجريدة الأسبوعية للحركة، بالمجّان على آلاف الفلاّحين؛ لكننا نجهل الحيّز المُخصّص في هذه التظاهرات لحرب الرّيف (91).

وحَسَبَ وسائل الدّعاية الموضوعة تحت تصرّف المُناضلين، يبدو أنّه تمّ تطوير حجتين رئيسيتين في الحملات : حجّة النّزعة السِّلْمية ـــ «أيها الفلاّح الشاب كفَى من الدِّماء» ـــ وحجّة التبذير المالي : «إن كتلة اليسارات لا تجد المال للزّراعة. لكنها تجده لشنّ الحرب في المغرب» (92)؛ ويمكن ربط كلتيهما باتّهام الرأسمالية (93). ولم يكن الوعي بحق الرّيفيين في الاستقلال غائباً في المناقشات. لنسجّل بأن أحَدَ المُزارعين، وعمره ستّة وأربعون عاماً، وضّحَ في لاكوكْبي، وهو مَوْضِعٌ صغير من البيريغور، عندما استُدْعِي الى اجتماع من طرف الشبيبة الشيوعية، بأنّ السُّمعة الفرنسية لا يمكن أنْ تُمَسَّ إلا إذا تمّ انتهاك حدود فرنسا نفسها لأنّ «العرب لم يُبْحِروا نحو مرسيليا. والمغرب لا يعود لنا. بل يعود للعرب طبقاً لحق الشّعوب في تقرير مصيرها» (94).

الشيوعي التي صارت في 1925 «لسان حال المجلس الفلاحي الفرنسي». للأسف، لاتتوفر الخزانة الوطنية، فيما يخص فترة حرب الريف، سوى على خمسة أعداد من هذه الجريدة

90 إن الاشارات حول عدد المشاركين من مصدر بوليسي AN F7 131 77 (بيريني ـــ أوريونطال).

* La Voix paysanne

91 ضعيف دون ريب اعتبارا لكون هده المؤتمرات تمت في فترة انخفضت فيها كثافة النضال ضد الحرب ويخصص عرض مؤتمر كوسن، وهو الوحيد الذي توفرنا عليه 3 أسطر للمغرب من 120 سطرا. لافوابايزان، 28 نونبر 1925.

92 .AN F7 131 72

93 «سيئو اللباس، سيئو التغذية، سيئو العلاج، بدون أنباء من عائلاتهم، هذا هو الوضع الذي فرض على جنودنا في المغرب. وهذا فقط لأن حفنة من أرباب الأبناك وقع اختيارهم على ثروات الأرض وباطن الأرض المغربية» لافوا بايزان، 5 دجنبر 1925، أنظر أيضا 26 دجنبر 1925.

94 الأرشيفات المقاطعتية للدوردوني، 193 M 4 (عرض اجتماع 7 يونيو 1925).

الـشـبـان

إن الشُّبّانَ هم الذين يتم استدعاؤهم لمُحاربة الرّيفيين؛ فالشّبان العُمّال، والشبان الفلاحون، والشبان الجنود هم الّذين يشكّلون، من الجانب الفرنسي، أوّل ضحايا هذه الحرب. وعليه، كان ينبغي تطوير تحريض خاص في اتجاههم. ولم تكن هناك أية صعوبات في هذا الأمر، لأنّ التنظيم الشيوعي كان يتوفر لهذا الغرض على أداةٍ ممتازة، هي فدرالية للشباب، ديناميكية، إلى درجة أنّ مُشاركتها في الكفاحِ ضِدَّ حرْب الريف هي ربما المَلْمَحُ المعروف أكْثَر، من هذه الحملة. فبحرصها على أن تؤكّد ذاتها بالمقارنة مع جيل لم يعرف كيف يمنع الحرب العالمية، دفعتها حساسيتها تجاه النّزعة الأممية إلى أن تَتَّبعَ بِهِمَّةٍ تعليمات الأممية. لقد كانت فعاليتها ــ التي تَمَّ النّزوع الى الاعتراض بها على تردّدات أو «عجز» الحزب، المخترق بتيارات متناقضة ــ مُتجَسِّدةً في أحد القادة، وهو جاك دوريو، الذي كانت له قبل ذلك هيأة زعيم ــ وكانت قد عثرت على مَخْرَجٍ في الكفاحات المُعَادِية للنزعة العسكرية : وقد أعقبتِ الحملة ضد حرب الريف الحملةَ ضَدَّ احتلال الرّور.

لقد دعا المؤتمر الوطني للشبيبات الشيوعية، المنعقد في أواخر 1924، الى تآخي الجنود الفرنسيين والشّعب المغربي، وطالب بالجلاء الفوري عن المغرب (95). ولم تكن تلك هي انطلاقة حملة الشبيبات الشيوعية. ففي نهاية الصيف، حَيَّتْ تفوّقات عبد الكريم (96) وفي 30 شتنبر، أصدرت مع الشبيبات الشيوعية الاسبانية بياناً يمتدح الكفاح من أجل استقلال الشّعْب المغربي (97). وفي مُسْتَهَلّ 1925، كان عدد المنضوين تحتها يقارب اثني عشر ألفا، إلا أن هذا العدد لايمكّن من تصور الحملة التي قادتها. في وسعنا مقاربة المجهودات التي قامت بها في تلك السنة إذا أحصينا عدد النسخ من الجرائد التي كانت تصدر تحت رعايتها.لقد كانت لافان كارد، وهي لسان حال الشبيبات الشيوعية، تَسْحب 8.000 نسخةً في 1925؛ وستتحوّل من نصف شهرية الى أسبوعية ابتداء من شتنبر، دون أن تغيّر من سَحْبها الذي سيرتفع، بمناسبة فاتح مايو 1926 الى 17000 (98). لكن العدد الخاص لأواخر مايو 1925 الذي تضَمَّنَ النّداء الى التآخي مع الرّيفيين سُحِبَ في 50.000 نسخة (99). أما الصحافة

95 أنظر لافان ــ كارد، 15 ــ 31 يناير 1925.

96 نفسه، 15 ــ 30 شتنبر 1924.

97 نفسه، فاتح ــ 15 أكتوبر 1924.

* L'Avant-Garde

98 حسب التقرير الأدبي المقدم إلى المؤتمر الوطني الخامس للشبيبات الشيوعية (سان ــ دوني، 11 ــ 14 يوليوز 1926)، وهو متضمن في كتيب مطبوع في 32 صفحة يتضمن أيضا مشاريع القوانين ومشاريع الأطروحة المقدمة من طرف الفدرالية AN F7 1318

AN F7 131 7 (السين)

المعادية للنزعة العسكرية، فكانت تتوّفر، من جهةٍ على جريدة نصف شهرية هي لاكازيرن (*)، التي كانت تَسْحَبُ 10.000 نسخة وملحقا شهرياً، ولاباج دوجون لوكان (*) التي سُحِبَ من عددها لـ 5 يونيو الذي دعا الجنود والبَحّارة الى «التآخي مع المغاربة والصّينيين» 5.500 نسخة (100). ومن جهةٍ أخرى، كانت هناك نَشْرتان تَصْدُران مَرَّتَيْن في السَّنَة، في فترة مجالس المُرَاجعة العسكرية وهما لوكونسكري التى سَحَبَتْ 000 30 نسخة في مايو وفي نونبر 1925 و 40.000 في أبريل 1926، ولوليبيري، التي صدرت لأوّل مَرَّةٍ في مايو 1925 ب 20.000 نسخة، و25.000 نسخة في نونبر 1925 وفي مايو 1926 (101). لقد نشرت فدرالية الشبيبات الشيوعية وسائل دعايةِ مُعاديةِ للنّزعة العسكرية تُضَمَّنَتْ في الفترة المُمْتَدَّة من تاريخ يناير 1925 الى 5 مايو 1926، 22.000 مُلْصَقاً و1.108.000 مَنْشوراً و000 520 1 إعلانا صغيرا. لقد تمَّ ابتكار معظم هذه الوسائل بارتباط مع الحملة ضدّ حرب المغرب (102).

لقد شاركت الشبيبات الشيوعية في مختلف لجان العمل وفي التجمعات العمومية المُنَظَّمة من طرف هذه الأخيرة. وبشكلٍ مُوَازٍ، هيأتْ عدداً من اللقاءات بوسائلها الخاصّة. ومن الصّعب القيام بإحصاء لعدد الاجتماعات التي عَقَدتْها على هذا النَّحْو ضِدَّ حرْب الرّيف؛ بيد أننا نتوفر، بخلاف ذلك، على مُخَطَّطٍ هيأته الفدرالية بمناسبة «الأسبوع الدّولي للشباب» من 30 غشت الى 5 شتنبر 1925 وعلى الحصيلة النّقدية لهذه الاجتماعات (103). لقد شاءت صُدْفةُ التوقيت أن يحُلّ هذا الأسبوع تقريبا في ذروة الكفاح ضِدَّ حَرْب المغرب : فكانت هذه الأخيرة تحتلّ الصّدارة في المُظاهرات المُرْتَقَبة. هكذا يكون في مُكْنَتِنا تكوين فكرة عن المجهودات الخاصّة المبذولة من طرف الشّبيبات الشّيوعية لتنظيم حملة التّحريض هذه، والمصاعب التي واجَهَتْهَا في مستوى التّنفيذ. لقد تمّ الاعلان عن ثلاث

La Caserne *
La Page de Jean Gouin *

100 نفسه، حسب مذكرة للجنة المركزية، فإن سحب كازيرن كان، في 1926، بين 12500 و14000 نسخة ولاباج دوجان لوكوان 4000 بحكم «ضعف» التنظيم الشيوعي، بالنسبة لهذه الأخيرة، في تولون وبريست أرشيفات معهد موريس طوريز، السلسلة 177.

101 تقرير الأدبي، مشار إليه سابقا.

102 نفسه

103 مذكرة موجهة من طرف الفدرالية الوطنية للشبيبات الشيوعية بمناسبة الأسبوع الدولي للشباب (30 غشت — 5 شتنبر 1925) AN F7 130 92. إن الحصيلة النقدية توجد في التقرير الأدبي المقدم إلى المؤتمر الوطني الخامس للشبيبات الشيوعية، المشار إليه آنفا.

سلاسل لّلقاءات : 1) إثنا عشر لقاء دوليا، بمشاركة مناضلين ألمان، وبلجيكيين، وإيطاليين، وإسبان وروس. لكن لم يحضر أحَدٌ من هؤلاء الخُطباء. فتمّتْ تسعة لقاءات مُنِيَتْ ثلاثة منها بالاخفاق (104). وكان أحسن الاجتماعات في الشّمال، بـ هيلم ــ لِيلْ، وخاصّةً بـ إينان ــ لْيطار (أربعمائة مشارك)، وفي الميدي، بـ آلي حيث أعقب اللقاء مظاهرة-لبضعة آلاف من الأشخاص (105). 2) إثنان وتسعون لقاءً مُنَظّماً من طرف المركز، أي ستون في المنطقة الباريسية واثنان وثلاثون في الاقليم، بخُطَبَاء قَدَّمتهم قيادة الحزب الشيوعي وقيادة الشّبيبات الشيوعية. وفي الواقع، لقد تمّ إنجاز حوالي ستين من تلك اللقاءات، بحضور أربعمائة شخص في المتوسط. لقد علقت الفدرالية قائلة بـ «أن أغلب الرّفاق الذين وضعهم الحزب تحت تصرّفنا تمّتْ استعادتهم من طرفه بعد ذلك، أو أخلّوا بالتزاماتهم»، وهذا ما يُفَسِّرُ «النّجاح القليل لبعض الاجتماعات» (106). 3) لقاءات نُظِمّت بمبادرةٍ من الوفاقات. إنّنا لا نتوفّر على مُعْطياتٍ مُرَقَّمة؛ غير أن الفدرالية تعتبر أنّها كانت عديدة : «إنها لم تضمّ، في المجموع، جمهوراً غفيراً، لكنها جلبت في كل الحالات تقريباً، انخراطات وسمحت لنا على الخصوص بأن نُجَدِّدَ الاتّصال في القاعدة المحلية مع كثير من المنخرطين الّذين كانوا قد غادرونا» (107). وقد وَضّحت الفدرالية بأنه، على عكس ما حدث مع القيادة المركزية، كانت «مساعدة الحزب للقاعدة أفضل، وأكثر فعالية» (108).

إن الشّبيبات الشيوعية ولم تَقْصُرْ نشاطها على ترويج وسائل الدّعاية وعلى تنظيم تجمّعاتٍ عمومية (109). لقد كانت أكثر هِمَّةً في نقل التناقض الى التجمعات المُنَظَّمةِ من طرف الحزب الاشتراكي والـ س.ج.ت، كما كانت تعرف أيضاً تنشيط سهراتٍ فنيّة تُفْسِحُ مكاناً للخطاب السياسي. بجوار الأغاني والعروض المسرحية. ولم يكن اختيار المتن محايداً. هكذا، بمناسبة افتتاح المَدْرسة الثانية للشّبيبات الشيوعية، كان مُلْصَق المسرح البلدي لسان ــ دوني يحمل كعنوان في 16 شتنبر 1925 : **الريف** «مسرحية من الأحداث الراهنة في لوحتين»، ألّفها كرانجوان ومثّلتْها على الخصوص بَدام لارا، وهي مشتركة في الكوميدي فرانسيز. لقد سبقتِ العَرْض كلمتان موجزتان ألقاهما كلٌّ من مارسيل كاشان وفرانسو

104 «لاقاعة في مرسيليا، وجمهور قليل في تولوز، و300 شخصا تقريبا في ليون»، التقرير الأدبي، مشار إليه.

105 نفسه

106 نفسه

107 لقد برر هذا الجانب أكثر، وضحت الفدرالية، في المنطقة الباريسية، نفسه.

108 نفسه

109 بالنسبة للدعاية في الأوساط العسكرية، أنظر أدناه، الفصل السابع.

شاسينىْ، سكرتير الشّبيبات الشيوعية (110). وحتى الأغنية صارت وسيلة للتّعبير السياسي. فاستعاد مونتيوس أغنية «إلى ضحايا المغرب» وهو مونولوغ سِلْمي كان قَدْ أَلَّفَهُ قبل 1914 (111). وكانت ذاتَ استلهامٍ مُجَاوِر لهذا المنولوغ تلك الأغنية التي كَتَبَها جول هوبير وشارليس، وهما كاتبا كلماتٍ معْروفان، وفْقَ لحن دولوروسا.

إنهم يمضون هناك،
تحت الشّمس المغربية
ماذا تُرَى سيكون غَدُهُمْ.
ففي قلبنا،
ثمّة ألَمٌ كبير
لرؤية هؤلاء البؤساء يرحلون
هُمُ الذين يمضون هناك. (112).

كانت «تحت الشّمْس المغربية» أغنيةً ناجحةً؛ فهي تذكر حنين الجندي الفرنسي الذي يفكّر أمام الرّيفيين في حبيبته التي بقيت في الوطن. لقد كان اللّحْنُ في منتهى الشعبية بحيث أن الشيوعيين الشّبان سطوا عليه وجعلوه، في خدمة معركتهم بكلمات جديدة. وكان عنوان أغنيتهم «المغرب للمغاربة»؛ وهذه لاَزِمَتُها :

تحت الشمس المغربية،
نَهْلَكُ جوعاً وعَطَشاً وبُؤْساً
لماذا المُضِيّ عِند الرّيفيين
الذين هم في وطنهم ولماذا شَن الحَرْبْ ؟
كَفَى من الكِفَاحَات اللاّمُنْتهي
فليس للبروليتاريين هناك ما يفعلون
وبالتّآخي سيتركون أخيرا
المغرب للمغاربة (113).

110 لومانيتي، 15 شتنبر 1925. لنسجل بهذا الصدد أن الفدرالية الشيوعية للسين تتوفر على فرقة مسرحية امتدصيتها خارج باريس هكذا قدمت، في نهاية شهر مايو 1925 بليون، عرضين لـ نار، وهي دراما من عشر لوحات، حسب باربوس، أمام خمسمائة إلى ستماءة متفرج، وقبل رفع الستار قدم القيم على المسرح عرضا حول حرب المغرب AN F7 131 74 (الرود).

111 انظر أعلاه، الفصل الثاني

112 لاقت الأغنية بعض النجاح، مادمنا نعرف أن لها طبعتين APP BA 1676.

113 إن الأغنية، الموقعة ح. لودوفلك من الفرع الرابع عشر والوفاق الرابع، مكونة من ثلاثة مقاطع إن نصها موجودة في لوكونسكري لأكتوبر 1925 ومارس 1926

قليلةٌ هي الأمثلة التي لدينا عن مظاهرات الشّارع. فتلك التي وقعت في سان ـــ دوني لاختتام الأسبوع الدّولي للشباب جمعتْ، حسب مفوضية الشرطة، أَلْفَيْ شَخْص. لقد كانت هناك لافتات رفعت أمام البلدية مِثْل «المغرب للمغاربة»، «الصلح الفوري مع الرّيف» وجاورتْ شعاراتٍ مُعادية للنزعة العسكرية وسِلْمية أو مُعادية للسياسة الاقتصادية والاجتماعية للحكومة. وعندما مَرَّ الموكب أمام الكاتدرائية، انضافت إشارة معادية للاكليروس : لقد أخذ المتظاهِرون يُنْشِدون الأممية ويصيحون بهتافات : «لتسقط الحرب»، «البورجوازيون في المغرب»، «هُو هُو رجال الدّين»، «الاكليروس في المغرب». عند انتهاء المُظاهرة، تَعَرَّض خمسة شبان إيطاليين للاعتقال بسبب مشاركتهم فيها؛ ومنذ اليوم التّالي نَصَّ قرارٌ وزاري على طَرْدِهم (114).

لقد كان للدّعايةِ ضِدَّ حرب المغرب لدى الشيوعيين الشّباب محتوى يتميّز أساساً بمعاداة النزعة العسكرية. فحرْب المغرب معناها «صَلْبُ» الجنود، والتموين غير الكافي، والثّلج والصّقيع (115)، وهي أيضا المسالك الوعرة، و«الوَحَلُ الذي يلْتصِقُ بالفخذين والكَتِفَيْن»، و«الأمراض، والجراح والموت» (116). ولم تكن الاشارات الى الرّيفيين غائبة. كانت فقط أقل عَدَداً أو بدقّة أكثر أقل صَخَباً. لقد ارتضى التّحريض المُعادي للنّزعة العسكرية شعارات بسيطة، مُفْحِمَة، وليست بحاجة لأية برهنة حتى تفهم. أمّا الكفاح ضِدَّ الامبريالية فكان يمكنه عند الاقتضاء أن يفسح المجال لبعض الشعارات، لكن كانت هذه الأخيرة تظلّ شكلية، مجرّدة، وغريبة عن وعي المُناضلين الشّبان، إنْ لَمْ تُرْفَقْ بتفسير. لقد كان هذا الأخير يتم على مستويين : فالأوّل يستعيد مُحاجَّةَ الحزب الشيوعي حول عُملاء الحرب، الرأسماليين الذين يَسْتَغِلّون الشّغّالين ويسعون للاستحواذ على ثروات الرّيف. أما الثاني، وهو الأكثر جِدَّةً، فيشدِّد على الضّحايا. «إن المتمرد أخوكم، والامبريالية عدوّكم»، هذا هو عنوان مقالٍ نَشَرَتْهُ لاكازيرن (117). لكنّ مَنْشوراً لفدرالية الشّبيبات الشيوعية تمكّن، رغم تعثّرات التّعبير، من العثور على لهجة أكثر مباشرة؛ لقد تخيَّلَ حواراً بين شابَّيْن تلقّى أحدهما ورقة الذّهاب الى المغرب : «نصيحة : اعتبر العرب بمثابة إخْوَةٍ لك وضحايا نفس المُسْتَغِلّين مثلك. فإذا

114 APP. Prov. 238 (عرض مظاهرة الشبيبات الشيوعية بسان ـــ دوني في 6 شتنبر 1925) أنظر أيضا ج ـــ ب ـــ بروني، سان ـــ دوني، المدينة الحمراء، 1890 ـــ 1939، باريس، 1980، ص ص 269 ـــ 270.

115 خلافا لمؤلفي أغنية تحت الشمس المغربية، يعرف الجنود أن الريف سلسلة من الجبال يكسوها الثلج في فترة من السنة.

116 أنظر لاكازيرن، فاتح أكتوبر 1924، 20 أبريل، 20 ماي، 5 يونيو، 5 يوليوز، 20 غشت، 20 أكتوبر 1925، 20 مارس 1926

117 المصدر نفسه، 20 يناير 1926 (ص 2).

يكافحون للتّحررّ من المبتزّين الفرنسيين مصّاصي الدّماء، مُدُّ لَهُمْ يدين أَخَوِيَتَيْن،
سم ولا تَنْسَ أبداً أنَّ تحت بزّتك يستقِّر وجه المُضْطهد. أَصْلِحْ هذا بمساعدة الشعوب
بهدة على التحرّر.» (118). كما استعملت صيغة الحوار، التي عبّرتْ عن هذه الرّغبة في
وفي تفسير اقتراحات سياسية بعبارات بسيطة، مَيْسورة للجميع، مِنْ طَرَفِ الطّبعة
بة لـ لافانكارد التي وَضَعَتْ في المشهد امرأةً وجنديا. لقد كان هذا الأخير يتحدث
ت من أجل الوطن فأجابت المرأة بأنها لا تفهم : كيف يمكن لفرنسي أن يموت من
طنه في المغرب ؟ يمكن القبول على الأكثر بأن يموت مغربيٌّ هناك من أجل وطنه مُدَافِعاً
سه ضِدَّ الفرنسيين. لكن ماذا يعني الوطن إذن (119) ؟

ســاء

في مايو 1925، أَخْبَرت مارغريت فوسكاف، المسؤولة عن السكرتارية النّسوية بفرع
باللّجنة المركزية، سكرتيري المناطق الشيوعية بقرار اللجنة المركزية بـ «القيام بعَمل
ـ لتعبئة النساء ضِدَّ حَرْب المغرب». ولذلك، فهم مدعوون لأن يخصّصوا لهن حيّزاً
في جرائدهم وملصقاتهم ولقاءاتهم ولأن يُنظمّوا تجمعاتٍ في المعامل من أجل «استنفار
ت ضِدَّ الحَرْب» (120). لقد شَجعتْ ديناميكية بَعْض المناضلات على انعقاد
ت نسوية أساسا : فحسب لومانيتي استجاب : خمسة آلاف «شغّالة» بباريس،
سوزان حيرون في 27 ماي (122). كما أنَّ النداء الى الأمهات، الذي كان تقليدياً قبل
، احتفظ بقوّته (121). لقد استُقْبِلَ وَفْدٌ من العاملات والشغّالات، بقيادة كارشيري،
ف رئاسة الحكومة. وكان ذلك لتسليم عريضة احتجاج ضِدَّ حَرْب الرّيف : «لقد
وَلَدَيْن في الحرب (حرب 1914)، قالت في نهاية المقابلة إحدى المُشاركات. وعلى
، أن يذهب في نونبر القادم. أُقْسِمُ بإنّكم لن تأخذوه مِنِّي من أجل حربكم في

منشور معنون بـ : الحروب الاستعمارية، وزع خاصة ساحت، في يناير 1926، AN F7 131 82
لافان — كارد، الطبعة الألزاسية (باللغة الألمانية)، عدد 9، يوليوز 1925 في AN F7 131 77 (الألزاس).
مذكرة عامة رقم 102، في 22 مايو 1925، موقعة عن فرع التنظيم من طرف ر دالي، وعن السكرتارية النسوية من طرف مارغريت فوسكاف، AN F7 130 92
لومانيتي، 27 و29 مايو 1925
نفسه، 30 يوليوز 1925.
«... أيتها الأمهات، أيتها النساء، أولا يعتبر دم أبنائكن كما أنتن بكثير من ملايين أرباب الأبناك نفسه 27 مايو 1925 (ميشيل مارتي). «أيتها الأمهات إن أبناءكن فلذات !» نقرأ في الملصقات المعلقة بكثافة من طرف الشبيبات الشيوعية AN F7 131 73 (آلب — ماريتيم)

المغرب» (124). وفي المؤتمر العُمّالي للمنطقة الباريسية، تحدّثت مناضلة تُدْعى كلاورس باسْمِ وَفْد العاملات : «لن نقوم بالحرب؛ إننا نحن النّساء، قالت، سنمنع رجالنا من الذّهاب. نريد السلم وإلا سنثور، ستنْهض مثل جنود الجيش الأحمر» (125). لقد كان مؤتمر الـ س.ج.ت الوحدوية مناسبةً لعقد نَدْوة وطنية نِسْوية. فعملت كثير من المُناضِلات، مثل مارث بيكو، آليس بريسي، مارغريت فوسكاف، اللائي ينتيمن للنقابات الاتّحادية للسّين (126)، ومارث ديريمو من الشّمال، وجيرمين كوجون، من روين، على تطوير أطروحات سِلْمية. إنَّ النساء غير مُتعلّمات، وَضّحَتْ هذه الأخيرة. فهن يقرأن جرائد مثل لوبوتي باريزيان ولوماتان التي «تحشو رؤوسهن بكلام فارغ»، ولا يفهمن شيئا في الحروب الاستعمارية. لكن إذ قيل لهن بأن «صَبِيَّتَهُنّ سيذهبون ليموتوا في المغرب» وأنّهن سيتحمّلن تبعات حرب الرّيف بعد تبعات الحرب الكبرى، وقتئذ «سيفهمن» (127).

تُرَى هل عزم الحزب على تعبئة النّساء كأمّهات أمْ كَزَوْجات ؟ لقد كانت توجد قبل ذلك، بالفعل، لجنة للأمّهات والأرامل ستَجْهَدُ لتجميع كل القِوى النّسوية ضِدَّ حَرْب المغرب (128). لكن كثيراتٌ هن المناضلات اللائي اعتقدن بأن هذا الشّكل للتدخّل بات غير كاف وينبع من تصور للمرأة هزيل جدا وقليل المطابقة، في كل الأحوال، للدّور الذي تلعبه في المجتمع (129). لقد كانت خطاطةَ المُحاضَرة حول «النساء والمسألة المغربية» المُحَرَّرةَ من طرف اللجنة النّسوية لفدرالية الشّمال خالية من كل لبس : «لا يتعلق الأمر بالدّفاع عن أخ أو عن إبن، إن المسألة أعْلَى من هذا. فسواء كان لي ابْنٌ أم لا، أو أخٌ ذَهَبَ للقتال في المغرب أو مُحْتَمَلٌ ذهابه، فإن واجبي كبروليتارية هو أن أنتفض ضِدَّ المشروع المغربي» (130) لقد دَعَتْ جيرمين كوجون، في التدخّل السابق ذكره، العاملات إلى رفض العمل من أجل

124 لومانيتي، 7 يونيو 1925

125 نفسه، 6 يوليوز 1925، إن ألفونسين جيرار تكلمت في مؤتمر ليل باسم النساء الشيوعيات للشمال. نفسه، 13 يوليوز 1925

126 إن مارث بيكو منتدبة لنقابات التعليم، وأليس بريسي، لعاملات المصانع، ومارغريت فوسكاف للمستخدمين.

127 المؤتمر الثالث للـ س ج.ت الوحدوية، باريس 26 — 31 غشت 1925، عرض المناقشات، ص ص 60 — 61

128 وجه، بالخصوص، «نداء حارا» إلى مؤتمر النساء الاشتراكيات للأممية الثانية المنعقد بمرسيليا لومانيتي، 25 غشت 1925

129 إن المسألة تتجاوز مجالنا كثيرا، نحن فقط أن نظهر بأنها طرحت بمناسبة التحريض ضد حرب المغرب. وقد اغتنمت الفرصة إحدى المناضلات، وهي مستخدمة في السكك الحديدية لأفينيون وتدخلت في منصة المؤتمر العمالي لمرسيليا، لكي تطالب بـ «تحرير المرأة التي ستربي، بدورها، أبناءها بطريقة ثورية» نفسه.

130 A N F7 131 74.

الحَرْب، وليس فقط أولئك اللواتي «يَصْنَعْنَ القذائف»، ولكن كلّ الشغّالات، خصوصاً شغّالات النسيج والملابس الحاهزة (131). هل يمكننا الاستنتاج من هذا أن التحريض النّسْوي يتطلبت تنظيماً خاصّاً داخل الحزب نفسه وداخل لجنة العمل ؟ لقد أَوْلَتْ ماري ديبو، مَنْدُوبة الأممية (132)، في هذا المنحى التعليمات التي تلقّتْها. فقد رَجَعَتْ «الى تطبيق الثورة الرّوسية برمته»، واقترحتْ على اللجنة المركزية تنظيم نَدْوةٍ لعاملات المنطقة الباريسية. وسيكون على هذه الأخيرة أن تعين لجنة للعاملات، مرتبطةً بلجنة العمل، وستعمل معها «لاجتذاب حوالي خمس عشرة مناضلة من الجماهير حتى تكون هناك ارتباطات مباشرة مع عاملات أهَمّ المعامل» (133). لقد انفجرتِ الاحتجاجات. فأبدى طوريز اعتراضه على تشكيل لجنةٍ جديدةٍ بجانب لجنة العمل (134)، ورغم الدَّعْم الذي لقيته لدى دوريو، سحبت ماري ديبوا هذا الاقتراح الأخير. ولم يحتفظ إلا بمبدأ تنظيم نَدْوة لعاملات المنطقة الباريسية. وفي الواقع، عندما ستنعقد هذه الندوة في 27 شتنبر، بمبادرة من اللجنة المركزية للعمل، سيكون لها طابع آخر. ستتحوّل الى «نَدْوَةٍ نِسْوية للمنطقة الباريسية»، لقد تَمَّ افتتاحها من طرف بونفون، بينما أعطى تقرير لومانيتي لتدخلات المناضلين (135) أهمية أكبر من تلك التي خولها لتدخّلات المناضلات. وقد دعت لُوسْيَان ماران، التي شدّدتْ على أهمّية «الشّغالات» إلى جوار «العاملات» و«غير المُتَحَزّبات» بالمقارنة مع «المُنَظّمات» (136)، الى الكفاح في إطار التّنْظيمات الموجودة : لجان العمل ولجان الوَحْدة البروليتارية (137).

131 المؤتمر الثالث الـ س.ج.ت الوحدوية، مشار إليه سابقا، ص ص 60 ــ 61.

132 إن ماري دوبرا، هي من جنسية ألمانية، حسب أندري فيرا. ولايبدو أن تقارير الشرطة التي وصفتها كامرأة شابة بين خمسة وعشرين وثلاثين سنة، قد اشتبهت في أصلها الأجنبي، مما يسمح على الأقل بافتراض أنها كانت تتقن الفرنسية كثيرا. لقد ناضلت بنشاط داخل الـ س ج.ت الوحدوية ومثلت الصناع الحلاقين للسير في المؤتمر الوطني.

133 أرشيفات معهد موريس طوريز، السلسلة 93، محضر اللجنة المركزية لـ 18 غشت 1925.

134 إنه يذكر بوجود لجنة الأمهات والأرامل التي تشتغل، على حد قوله، بطريقة مرضية نفسه.

135 كابار عن الشبيبات الشيوعية، دوكلو باسم جمعية قدماء المحاربين، أعيري عن الاتحاد الأحمر، ومرة أخرى كان أحد المناضلين وهو دوسوسلاد ــ الذي اعترض في اللجنة المركزية على اقتراح ماري دوبوا ــ الذي ختم الاجتماع. لومانيتي، 28 شتنبر 1925.

136 تعطي لوسيان ماران أرقاما حول التمثيل النسوي : 555 مندوبة (ينبغي أن نقرأ دون ريب 556) أي 211 شغالة و345 عاملة؛ ومن هذا المجموع 301 لاحزب لهن و255 منظمات. وكشفت أيضا عن أن هناك في هذا المجموع 68 ضحية للحرب الكبرى.

137 نفسه. سينشر الحزب الشيوعي في فبراير 1926، بمناسبة «الأسبوع الدولي للمرأة»، ملصقا رائعا بثلاثة ألوان ينادي النساء الى النضال «ضد الغلاء والضرائب، ضد حربي المغرب وسوريا، ضد الفاشية ومن أجل حماية الأمومة والطفولة والحصول على الحقوق السياسية للمرأة» AN F7 13105 (لوار ــ آنفيريول).

قدماء المُحَاربين

كان الحزب الشيوعي الفرنسي يَوَدُّ أن تُطوِّرَ الدّعاية التي كان يقوم بها ضَدَّ حَرْب المغرب، بشكل واسع إزاء قدماء المحاربين. لقد استعملت الجمعيةُ لقدماء المُحاربين، لهذا الغَرَض، الزّاويةَ التي كانت تمنحها لها لومانيتي بانتظام. كما أنها أُشْرِكَتْ، في كل المواضيع التي توجد بها، في تشكيل لجان العمل (138). هكذا شاركتْ في حملة التّجمعات العمومية، وبادرت أحيانا الى عَقْد بعض اللقاءات. لقد كانت قيادتها الوطنية تبعث مندوبين الى الاقليم. فكانت تدخّلاتهم موسومة في الغالب بروح معادية للنّزعة العسكرية وبنزعة سِلْمَية ذات شكْلٍ تقليدي. هكذا شَرَح لانكران، بتولوز، أمَامَ حضورٍ من أربعمائة وخمسين شَخْصاً، بأنّه شَاهَدَ في مرسيليا إبْحار الجنود الشّبان نحو المغرب وأنّه لاحظ بأنّ هؤلاء الشّبان كانوا يبكون، ليقينهم بأن أغلبهم لن يروا عائلاتهم مرة أخرى (139). وفي بيرجيراك، كان جلْبير، وهو مبتور السّاق، أكثر عدوانية. فقد تحدث عن «الجنود المرتدين للملابس الرّثّة العزيزة على السيد بانلوفي. والذّاهبين لِحَمْلِ الحَضَارة الى أولئك المغاربة المُتوحّشين الذين بدفاعهم عن بلدهم لايفعلون سوى أنّهم يُكَرِّرون سلوكنا لـ 1914»؛ وخَتَم قوله بالنّداء الى التّآخي كما حصل على التّصويت على جدول أعمالٍ يطالب «باحترام الاستقلال المغربي» (140).

لكن الجمعية الجمهورية لقدماء المُحاربين لم تكن الجمعية الوحيدة لقدماء المُحاربين التي كان يمكن للحزب الشيوعي أنْ يسند إليها حملة عند الاقتضاء. فعلى الصعيد المحلي، كانت جمعيات المعطوبين والمُسرَّحين، وجمعيات الأرامل وأيتام الحرب تُنَشّط في بعض المَرّات من طرف مناضلين شيوعيين. إن واحِداً منهم، يُدْعى باشْيودي، ومهنته جزّار هو الذي كان سكرتيراً عامّاً لجمعية المعطوبين، والمُسرَّحين ومتقاعدي الحرب بمقاطعة كَانْ. ومنذ 24 مايو 1925، استدعى جَمْعاً عامّاً قرَّرَ القيام فيه بدعاية فعّالة ضدَّ حرب الرّيف. لقد نَشَر الجَمْعُ مُلْصَقاً يطوّر فيه موضوعين : موضوع رعب الحرب وموضوع المُسْتفيدين؛ لكنه لم يخلُصْ لا إلى التّآخي، ولا إلى الجَلاءِ عن المغرب، وهو ما يسمح بقياس حُدودِ عَمَلِ المناضلين داخل بعض التّنظيمات الجماهيرية (141). لقد كانت هذه الجمعية مرتبطةً، دون ريب،

138 تبدو تعدادات جمعية قدماء المحاربين، حسب أ. بروست، «صعبة التقدير»؛ وهو يورد ثلاثة تقديرات بالنسبة لسنة 1926، أي 10000، و23000 و25000، تبدو لنا ضعيفة حدا. قدماء المحاربين والمجتمع الفرنسي، 1914 — 1939، ثلاثة أجزاء، باريس، 1977، الجزء الثاني، ص 27.

139 اجتماع 3 أكتوبر 1925، A.D، هوط — غارون، M 1136.

140 اجتماع 18 يوليوز 1925، A.D، دوردوني، 1 M 76.

141 AN F7 13173 (آلب — ماريتيم).

بالفدرالية العُمّالية والفِلّاحية للمَعْطوبين، التي كان مقرها المركزي ببوردو (142). وعلى نَحْوٍ مُوَازٍ لهذا التّنْظيم الأخير، كانت توجد بـ نِيس جمعية للمُسَرَّحين وضحايا الحرب ستندمج في يناير 1926 مع الفدرالية العُمّالية والفلاحية وتَتَبَجَّحُ منذ ذلك الوقت بأن لها قرابة مائة ألف منضو (143). لقد كانت لديها جريدة نصف شهرية وهي لوليبيري *، كانت تهاجم ليوطي (144)، وفي أوائل يونيو 1925، أصْدَرَت مُلْصقاً ذا استلهام سِلْمي : «ينبغي مَدُّ اليَدِ للرّيفيين» (145)، وفي غشت، جرّت هذه الجمعية جمعياتٍ أخرى ـــ الأرامل وأيتام الحَرْب، معطوبي ومُسَرَّحي الآلب البحري، معطوبي ومُسَرَّحي الجبهة ـــ للتّوقيع بجوارها على ملصقٍ آخر «من أجل السِّلْم ضِدَّ كلّ الحروب» (146). وفي دجنبر، طالبت بالتصويت على قانون «يُرَخِّص بالبحث عن آثمي الحرب الكبرى ومعاقبتهم وكذا التحرّي عن المسؤولين عن الحرب في المغرب وعن الحرب في سوريا ومعاقبتهم» (147). كما احتجّتْ، في بداية 1926، على اسْتِئناف العمليات في الرّيف (148) وأخذت الحكومة على وَضْعِها لشرط إبعاد عبد الكريم من بين شُروط السِّلْم (149). ومن جهةٍ أخرى، وُزِّعَتْ مناشير عديدة صادرة عن بحارة وجنود البحر الأسْود، وعن الجنود الحمر (150) أو عن متمردي طريق دي دام (151). لقد دَعَوْا

142 تعتبر الجمعية العمالية للمعطوبين، المؤسسة في 1916 تحت رعاية الـ س.ح ت. هي أصل الفدرالية العمالية والفلاحية للمعطوبين، التي أنشأت في 1919. وهي لاتتميز كثيرا عن جمعية قدماء المحاربين في بداياتها، وقد حدث أن كان للتنظيمين نفس المسؤولين على الصعيد المحلي؛ ومع ذلك فهي مبتعدة كثيرا عن الحزب الشيوعي. أنظر أ. بروست مشار اليه، الجزء الأول، ص. 70.

143 لوليبيري، 15 فبراير 1926 في AN F7 13141. إن أ. بروست، الذي لايذكر لا هذه الجمعية، ولا جريدتها، ينسب الى الفدرالية العمالية والفلاحية 80.000 عضو في فترة 1932 ـــ 1935، مشار اليه، الجزء الثاني، ص 54.

Le libéré *

144 لوليبيري، 31 مايو 1925، في AN F7 13173 (الب ـــ ماريتيم).

145 AN F7 13173 (آلب ـــ ماريتيم). لابد أن لهذه الجمعية جهاز التقاط في إيزير، لأننا نجد هذا الملصق مرة أخرى معلقا في فوران، A.D إيزير، 76 M 1 (23 يونيو 1925).

146 AN F7 13175 (آلب ـــ ماريتيم).

147 لوليبيري، 31 دجنبر 1925، في AN F7 13141.

148 نفسه. 15 فبراير 1926.

149 نفسه، 15 مايو 1926.

150 منشور موزع ببريست في يونيو 1925 «خفية» حسب تقرير المفوض الممتاز. AN F7 13173 (فيستير). وإذا كان منشور قدماء ملاحي وجنود البحر الأسود صادرا بشكل ملحوظ عن عناصر شيوعية، فإن المنشور الذي وقعه الجنود الحمر يبدو لنا، رغم النداء الى التآخي، صادرا عن عناصر حرة للحزب. انظر أيضا المقال الطويل حول التآخي المرسل من طرف جماعة قدماء الملاحين أعضاء الحزب الشيوعي، 13 فبراير 1926 (ص 4).

151 تم توزيع لنداء قدماء متمردي طريق دي دام (1918) الى الذين يذهبون الى المغرب في نهاية شهر يونيو 1925 بالثكنات في فالونسيان، AN F7 13174 (الشمال) وفي ليموج. A.D هوط ـــ فيين 184 M 1.

مُجَنَّدِي الوحدات العسكرية، المُحْتَمَلِ إرسالهم الى المغرب، الى استلهام نموذج الّذي
أكبر منهم وإلى التّآخي مع الريفيين.

تُرى هل سمحت الحملة ضِدَّ حرب الرّيف للحزب الشّيوعي الفرنسي بم
مُسْتمعيه من قدماء المُحاربين (152) ؟ إنّنا لا نتوفّر على إحصائيات تسمح بالاجابة ع
السؤّال. فالأرقام التي لدينا، والتي هي الأكثر قُرْباً من هذه الفترة، تَهُمّ أعضاء ال
العُمَّالية والفلاحية في 1928. وعليه، يبدو أن المُقاطعات الّتي قدَّمَتْ لهذا التَّنظ
الأعداد من المنضوين هي، بالترتيب، لأدوردونيْ، لاسين، لولو، لوفِنِسْتير، لاجيرون
شارونط آنفيريور (153). وباستثناء مقاطعة لولو، التي ليست لدينا عنها سوى معلومات
فإنّ الأمْرَ يتعلّق جيداً بمقاطعاتٍ كان الحزب الشيوعي قد قام فيها سنة 1925 بحملة
بما فيه الكفاية. ومع ذلك، سيكون من التّهور استنتاج وجود علاقة سببية بين الظّاهرت
سيما وأن العلاقات بين الحزب الشيوعي والفدرالية العُمَّالية الفلاحية، بدت، في
1926، بأنها موسومة بالفتور (154).

المثقفـــون

كان المثقّفون آخر هدف لحملة الحزب الشيوعي الفرنسي ضِدَّ حرب الرّيف.
1925، خَمَدَ الحماس الذي أثارته الثورة البلشفية في الأوساط الأدبية والفنية لليسار
صار-أناطول فرانس، الذي كان قد مات منذ سنة، رغْماً عن لومانيتي، مُعْتَرَضاً عل
طرف الجيل الجديد. وابتعد رومان رولان عن الحركة الشيوعية. لقد أقلقت الصعوبات و
التي عرفتها روسيا السوفياتية وعواقبها على الحزب الشيوعي الفرنسي، كثيرين من بين
الذين أعلنوا غداة مؤتمر تور عن انضمامهم أو تعاطفهم مع الحزب الشيوعي الفرنسي
ذلك، هناك قاسِمٌ مُشْتَرَكٌ جَمَعَ أولئك الذين يكافحون داخل الحزب وأولئك الذين ا
عنه : إنه الرّعب من الشوفينية والحرب. لقد صرَّحوا، تحت حكومات الكتلة الو
بعدائهم لمعاهدة فرساي ولاحتلال الرّور. وكانت حَرْب الرّيف مناسبة للحزب الشيوعي

152 تم إظهار العلاقة بين هذه الحملة وجهود التطويع من خلال النص التالي الموجود في إعلانات صغيرة : «أيها
القديم، إن الآلام التي تحملتها طوال خمس سنوات يتحملها حاليا جنود تعساء في جبهة الريف. لكي تحميهم، أ
الحزب الشيوعي» الأرشيفات المقاطقية للمورث ـــ إي ـــ موزيل، 1 M 641 (تقرير 3 مارس 1926).

153 أ. بروست. مشار اليه، الجزء الثاني (لائحة التعدادات المقاطعقية لجمعيات المحاربين في 1928).

154 نفسه، الجزء الأول، ص 102

يقيس مدى الاهتمام بأطروحاته داخل هذا الوسط، (155). ويعود الفضْل في القيام بهذا التحرّي لـ كْلاَرْطي *، وهي نَشْرَةٌ أسَّسها باربوس قبل أن يبتعد عنها منذ 1923 (156).

نشرتْ هذه المجلّة منذ عددها ليونيو، «رسالة مفتوحة للمُثَقّفين السِّلْميين، وقدماء المحاربين، والثّائرين» لكي تطلب منهم بأنْ يفكروا في حَرْبِ المغرب، واعِدَةً بأن تنشر الأجوبة كاملة ودون تعليق. لكنها، دون أن تنتظر، وَضَّحَتْ : «بالنّسبة لهذه الحرب الجديدة، أبْرم السّاسة والمثقفون مرة أخرى الوَحْدة المُقَدَّسة والمُشينة لـ 1914، ممتدحين حملة الرّيف وحق فرنسا في التّدخّل طبقاً للمعاهدات الدولية التي لا ينقصها سوى رضى الشّعب المغربي نفسه» (157). وقد أعقبتِ «الرسالةَ المفتوحةَ» افتتاحيةٌ طويلةٌ لمارسيل فورْبي بعنوان «رَأْيُنا في الأمر» استعادت الأطروحات التي كان يطوّرها الحزب الشيوعي الفرنسي، حول استغلال الأهالي وإخماد الفِتن «بطلقات الرّشاشات وقنابل الطائرات»، ومرامي الامبريالية حول ثروات الرّيف. وبعد أن امتدحَتْ قِتَال عبد الكريم، أنْكَرَتْ أن يكون عملها يرمي الى «تشجيع الجامعة الاسلامية» و«دَعْمِ الزُّعماء الأهالِي، المُضْطَهِدين هم بأنفسهم» : «فحركَة التحرّر الوطني تدعو بَدْءاً وطبعاً الى اتّحاد كُلِّ القوى الوطنية ضِدَّ المُضْطَهِد»، وستختفي «الانحيازات الوطنية» عندما ستتغير الحياة الاقتصادية للبلاد، بقدر ما تسمح وَضْعية الرّيف ونوايا قادته بالتفكير في ذلك (158). لقد بعثت كلاَرْطي رِسَالتها داخل مظروف مضمون الى أكثر من مائتي مثقّف فرنسي. وتَمَّ نَشْرُ الأجْوبة (159) في 15 يوليوز؛ فكانت تتراوح بين بضعة أسْطُرٍ وفقراتٍ عديدة، وهي تسمح بتمييز ردود فعل مختلفة.

لقد صرحت بعض الشخصيات التي تم استفسارها، مثل الأستاذين رشي، ورويسن، ومدير توفيل ليتوير، موريس مارتان كار، دون تحفظ، باتفاقهم مع السياسة الحكومية... بينما عبر عدد من الكتاب والصحفيين عن احتجاجهم على عمليات الريف لأسباب إنسانية وسلمية أساسا. هذا هو شأن شيوعيين سابقين مثل جورج بيوش الذي احتج على تقتيل

155 طلب فايان ــ كوتوريي أن يتم القيام بعمل بواسطة باربوس قصد إثارة احتجاج للمثقفين السلميين، رومان رولانز بيوش، إلخ، ضد الحرب. أرشيفات معهد موريس طوريز، محضر اللجنة المركزية لـ 2 يونيو 1925.

* Clarté

156 لقد كانت هيأة تحرير كلارطي بعيدة عن الانسجام، وكانت تضم وقتذاك الى جانب بيربي، مارسيل فوربي، وفايان ــ كوتوريي، ورجالا مثل ج.ر.بولش أو إ. بيرث اللذين كانا أكثر مقاومة لإرشادات الحزب الشيوعي.

157 كلارطي، يونيو 1925.

158 نفسه.

159 من بين الذين لم يجيبوا، الكاتب رولان دورجوليس والأساتذة لانجمان، هادامار، آندلير، جيز، بوكلي، هماك وسلمويود أمثال لوسيان لوفوابي، مارك سانيي وكيرنو.

«جنود فرنسيين أبرياء» و«جنود ريفيين أبرياء» (160)، وسيفرين الذي اقتصرت إجابته على ست كلمات : «ضد كل الحروب دون أي استثناء» (161) وفرانز جوردان : «أمقت الحرب، أمقت القتل، أمقت العنف» (162)، ولوسيان ديكاف، وجورج دوهاميل وأنطونان آرطو، أو الفوضوي الكطلاني هان راينر. أما روجي مارتان دي كار، فرأى بأن هذه الحرب «مقيتة» لكنه عبر عن «اضطرابـ»ـه، لأنه يرى أن إدانة كل مشروع استعماري تعني «إقامة دعوى على التاريخ العالمي وعلى كل ما اصطلح تسميته حضارة» (163)، كما أن البعض عدلوا من عدائهم للحرب بتحفظات كبيرة على عبد الكريم بحيث تساءل بيارهامب «هل تعتقدون بأنه يمكن أن تكون هناك جمهورية ريفية يكون رئيسها عبد الكريم ؟» «عندما سينتهي القائد الشديد البأس من استعمال البربر كجنود، فإنه سيستعملهم كمنجمين، وإنه لمما يخشى منه أن يشبه القانون الاجتماعي لرئيس الجمهورية هذا، كثيرا، قواعد شرطة رومانوف *» (164). وبالنسبة لجوزيف حولينون، فإن عبد الكريم «يتبع عن قرب خط رئيس العصابة القادر على أن يصبح سيديا فيوداليا، مستغلا للمناجم، صانعا للنقود، ومُغْرِّماً للقبائل» (165). لكن أليس حريا بـ «مغامري البلشفية ذوي النزعة العسكرية» أن يدانوا في نفس الوقت مثل «وطنجيي فرنسا *»، سأل بول روبوكس (166). لقد كان مورياك أكثر صراحة : «إن عبد الكريم لم ينهض ولم يستمر إلا بفضل الأمل الكبير الذي أعطيتموه إياه. **وتخدم حرب المغرب هذه، على نحو رائع مقاصد موسكو** (...) هذا هو ما يثير سخطي؛ هذا السخط، هذه الحساسية البورجوازية التي تتأثر للدم المراق، التي تلمس **الحق**، وتحب **السلم** لدى أناس تكمن قوتهم الحقيقية، فيما يبدو لي، في صدق شامل، في غضب لايأبه لأي شيء...» (167).

إن بعض الأجوبة فقط هي التي ركزت على حق الشعوب في تقرير مصيرها. لقد كتب شارك فيلدراك (168) بأنه «في المغرب، يعتبر المغاربة في وطنهم». أما الشاعر جورج

160 نفسه
161 نفسه.
162 نفسه.
163 نفسه.
* الاشارة هنا الى قيصر روسيا ما قبل ثورة 1917.
164 نفسه.
165 نفسه.
طنجي (patriotard) دو الوطنية الصاخبة (م).
166 نفسه.
167 نفسه. (مشدد عليه في النص)
168 نفسه.

شنفيير فوضح رأيه باستفاضة قائلا «... إن المسألة لاتكمن في معرفة ما إذا كنا نمثل الحضارة في المغرب، بل إذا كنا هناك، في وطننا أم لا. هل ثمة رجل صادق وعادل بمقدوره الزعم بأن لنا في المغرب حقوقا أكثر من حقوق المغاربة أنفسهم !» (169). وكتب لويس كيطان «بالنسبة لنا، يعتبر وجود جمهورية الريف في مثل قداسة وجود اسبانيا أو فرنسا»، وعليه، فقد طلب من الجنود أن يتآخوا مع الريفيين (170). بينما ذكر بيار باراف بأن احترام حق السكان في تقرير مصيرهم لايقبل أية تقييدات «من الصين الى إيرلندا، من الهند الى مصر، ومن جورجيا الى المغرب» (171)، فيما رجا فكتور مارغريت أن تتم المواءمة بين هذا المبدإ والحفاظ على الاستعمار الفرنسي. أما بالنسبة للسورياليين، فإن النداء الى المبادىء الكبرى، ومقولتي الحق والحضارة، مرذولة على السواء. لقد كان أراغون صريحا : «... بما إنه باسم فرنسا يمكن إرسال الناس للموت، فلتندثر هذه الفكرة مثل جميع الأفكار الوطنية من على الأرض (...) لكن اسمحوا لي، أيها السادة، لهذا السبب نفسه، بأن أواخذكم لكونكم استعملتهم تعابير مختلفة تنبع من الكلام الوطني وذلك قصد تعبئة الجميع لهدف سياسي دون ريب : استقلال، سيادة وطنية، حق الشعوب غير القابل للتقادم في تقرير مصيرها. ليس ثمة **شعوب** بالنسبة إلي، وقد اقترب الى فهم هذه الكلمة — أي كلمة شعب — عندما تكون مفردة. وأخيرا، فأنا لاأقبل بكونكم تتوجهون بالحديث الى أولئك الذين يعتبرون أنفسهم، مهما تكن جدارتهم، قدماء محاربين : إنني اعتبر كل شخص يتباهى بهذا اللقب مغفلا أو نصابا. أنا بجانبكم، أيها السادة، ضد الوطن (172). أما روني كروفيل وإيلوار فقد تحاملا، بعنف شديد، على «الحضارة» الفرنسية، بينما ذكر رومان رولان، بغرابة، بأنه «تنبأ» بـ «اجتياح أجناس اسيا وافريقيا» هذا الاجتياح الذي لن يميز بين «الامبريالية وشيوعية أوربا» (173).

لم ترض أغلب هذه الأجوبة هنري باربوس. فقد أفْرَطَتْ في تأمّلاتٍ توشك على صَرْفِ العقول عمّا ينبغي أن يكون هو الأساسي : التشهير بالحرب. لذلك أعاد مؤلّف (النّار) الكرّة. فأطْلَقَ في أعقاب الأجوبة التي أتينا على فَحْصِها «نِداءً» جديداً «للشّغالين المثقّفين» : «هل تدينون الحَرْب أم لا ؟». لكن مادام الأمر قد تعلّق هذه المرة بِجَمْعٍ أكبر

169 نفسه. (مشدد عليه في النص)

170 نفسه.

171 نفسه

172 نفسه. (مشدد عليه في النص).

173 نفسه.

عدد من المثقفين حول قضية الريف، فإنّه محا التّهجمات العنيفة ضَدّ الاستعمار والاشارات الى الاسلام أو حَتّى الى شخص عبد الكريم. ولم يبق سوى الكفاح ضِدّ الحرب وتأكيد حق الشعوب في تقرير مصيرها (174). ويسمح هذا النص الجديد بقياس المسافة التي أخذها باربوس من شعارات الحزب الشيوعي : فلم يعد التآخي مع الرّيفيين واردا، ولا الجلاء عن المغرب. لقد توجّه النّداءُ لصالح السّلْم ــ «فوق الخلافات الباريسية للأحزاب السياسية» (ليس ثمّة كلمة تميّز الحزب الشيوعي) ــ ليس فحسب الى الرّأي العام والحكومة ولكن إلى عصبة الأمم، مُنْضَمّاً بذلك الى اقتراح تَمّ التّعبير عنه مِراراً من طرف الاشتراكيين والتُقِدَ بشِدَّةٍ من قِبَل الشّيوعيين. ومنذ ذلك الوقت، قَبِلَ قِسْمٌ كبير من بين أولئك الذين كانوا قد أبدوا تحفّظاتٍ أنْ يصدّقوا على توقيع هذا النداء (175)، الى جوار مجموعة تحرير **كلارْطي** (176) والمجموعة السريالية (177)، ومجموعة «فلسفات» (178). كما انْضَمّ إليهم صحفيون مثل هنري جونسون، وأستاذ مثل كازاميان، وممثلةٌ مثل مدام لارا. هكذا كانوا حوالي المائة أولئك الّذين عارضوا المثقفين المُقَدّمِةِ لائحتهم من قِبَل **ليكلير** * **والفيغارو** هؤلاء الّذين حرصوا على دعم الحكومة وتأييد القتال الذي تخوضه القوات الفرنسية «من أجل الحق، والحضارة والسلم» (179).

سيكون أمَدُ هذا الانعطاف التكتيكي قصيراً. فابتداءً من 15 أكتوبر استعاد مارسيل فورْيي المواضيع المُعْتادة للحزب الشيوعي ورَدَّ على الاعتراض الذي يرى بأن الجلاء عن المغرب سيكون مُؤَشِّراً لتقتيل البِيض إذ قال «لقد وردت حُجَّة الدَّم هذه في كتابات كُلّ سِلْمَيي العَالَم؛ لقد صَلُحَتْ كَقِناعٍ خداع للخيانة الاشتراكية لـ 1914 (...) وفي الواقع، إذا حَدَثَ يَوْماً تَقْتِيلٌ لِلْبِيض في إفريقيا الشمالية، والهند، والصّين أو في جهةٍ أخرى، فالغَلْطَةُ غَلْطَةُ البيض. ولأننا وضعنا أنفسنا في مجال الأخلاق وحده، الذي هو رُبّما المجال الأخير حيث لايزال بمقدورنا أحياناً أن نقترب من السِّلْميين البورجوازيين **الشُّرَفاء**، نجرؤ على الزّعْمِ

174 نفسه.

175 ب. هامب، ج. جوليبوس، ف. مارغريت، ر. رولان.

176 22 موقعا.

177 19 موقعا

178 4 موقعين : ل. كتيرمان، ه. لوفيفر، ب. مورانج، و ج. بولتزير

* L'elain

* le Figaro

179 لقد أعاد **كلارطي** نشر النداء الذي ظهر في هذه الجرائد ــ ونشرت تكذيبا لليون بول فارك يحتج فيه على استعمال اسمه من طرف **لوفيغارو**، 15 أكتوبر 1925.

بأنّ ظُلْم الغزوات والاحتلالات الاستعمارية ولاأحلاقيتها يُبرّرانِ أسوأ أشكال العنف من جانب الشعوب المُضْطَهَدة. إننا لانطلب من السُّلْميين أن يصيروا ثوريين؛ وإنّما نطلب منهم أن يظلّوا شُرفاء، الى جانب كونهم سِلْمَيين؛ وألا يظهروا بالتالي بخصوص المغرب، والجزائر، ومصر، والهند والصين، مشاعر مبتذلة تليق بتجار للعبيد» (180). لقد شهَّرت المجلة، التي واصلت فضلًا عن ذلك استقصاءها، بـ «الجُبْن الجماعي تقريبا للمثّقفين السُّلْميين» (181). وغداة استسلام عبد الكريم، رَثَتْ إحدى الافتتاحيات لـ «انهيار الجبهة الرّيفية (...) وهي هزيمة كبيرة للبروليتاريا (الفرنسية)» وأَكَّدَتْ على أنّه إذا كانت «الايديولوجيا الامبريالية قد تغلغلت في الطبقة العاملة» فذلك بِفَضْلِ «الانتهازيين أشباهِ المُثقّفين البروليتاريين الّذين هم في الواقع مثقّفون بورجوازيون مُسْتَتِرُونَ ببراعة». ومع ذلك، استخلصت **كلارطي**، بأنه «لم يتجل حس استقلال الشعوب المستعمرة أبدا بمثل هذه الحدة. كم من الزمن سيظل بمقدور الدول الرأسمالية لأوربا أن تحتفظ بقوة السلاح، وبامبراطورياتها المتغطرسة ؟» (182).

في المجموع، كانت حصيلةُ التّحريض الذي نظمته **كلارطي** ضِدَّ حَرْب الرّيف إيجابيةً بالقَدْر الذي شجعت به المجلة عدداً من المُثقّفين على التّعبير عن تيارٍ معاد للحرب وللسياسة المغربية للحكومة. وبخلاف ذلك، سَمَح الاستقصاء بقياس المسافة التي كانت تفصل غالبيتهم عن الأطروحات المُدافَعَ عَنْهَا من قِبَل الحزب الشيوعي. إلّا أن التّاريخ يُسَجِّل، مع ذلك، بأن تمرّد عبد الكريم كان مناسبةَ تقارُبٍ بين مُعَاوِني **كلارطي** ومجموعة السرياليين. ويمكننا أن نتساءل عَمَّا إذا لم يكن الطَّابَع العاصفيُّ للعلاقات التي ستكون لهؤلاء مع الحزب الشيوعي قَدْ تَمَثَّلَ مُسْبقاً وبشكلٍ واسع في بعض ردود فعلهم أمام أحداث المغرب.

تطبيق خطة الجبهة الموحدة وإخفاقُها

تطبيقاً لتعليمات اللّجنة المَرْكزية، دُعِيَ سكرتيرو مناطق الحزب الشيوعي الى اقتراح حملةٍ اتّحادية على التّنْظيمات الاشتراكية وعلى نقابات الس.ج.ت. ضِدَّ حَرْب الرّيف (183). لقد كان على هذا الاقتراح أن يُوَجَّهَ الى جميع المستويات، بَدْءاً من الزّعماء الى المناضلين

180 كلارطي، 15 أكتوبر 1925 (مشدد عليه في النص).

181 نفسه.

182 نفسه، 15 يونيو 1926.

183 مذكرتان للجنة المركزية رقم 103 و104 ليومي 5 و11 يونيو 1925، المشار اليهما سابقا

العاديين. لكن لم يكن لدى قيادة الحزب الشيوعي أيّ وَهْمٍ : فقد كان رَفْضُ الزّعماء في حُكْمِ الأَمْرِ المُقَرَّرِ بالنّسبة إليها : «إنّنا نكرّر على أسماعكم اقتراحنا لجبهةٍ موحدة، صاح دوريو في المجلس، باتّجاه الاشتراكيين. ونحن نعرف بأَنّكُمْ سترفضونه» (184). كيف كان يمكن للأمر أن يكون غَيْرَ ذلك. بالنَّظَرِ الى الطريقة الّتي كان يُعَامَلُ بها قادة الحزب الاشتراكي في الصحافة الشيوعية (185) ؟ لقد كانت الاقتراحات الأُولى التي وجهت اليهم عدوانية حتى في شكلها نفسه. لنأخذِ المثال من منطقة الشّمال. فقد استُهِلَّتِ الرِّسالةُ التي وُجِّهَتْ لـ «المواطن سالونغرو» سكرتير فدرالية الحزب الاشتركي، من طرف سكرتارية المنطقة الشيوعية، بمقاضاة الأرثدوكسية الاشتراكية ــ «خِلَافاً لميثاق حزبكم، صَوَّتَ النواب الاشتراكيون على الميزانية (لحرب المغرب)...» ــ كما أَكَّدَتْ على مسؤولية الحزب الاشتراكي في تحويل المغرب الى «رُكَامِ جُثَثٍ» و«أبنائنا (و) إِخْوَتِنَا الى قاتلين أو الى جثث». ولَمَّحَتْ إلى أن الممارسة السياسية للاشتراكيين متناقضة مع الالتزامات التي تعهدوا بها أمام الناخبين (186). ولا يتعلق الأمر هنا بإبداء تقديرٍ لقيمة هذه الحجج؛ إذ يمكن اعتبارها مع ذلك شرعية بين «حِزْبَيْنِ شقيقَيْن» لا تَحْفلُ أساليبهما السّجالية بالفروق الدّقيقة. لكن تلك الحجج كانت تتسَجَّلُ في سياق خاص : سياق عَرْضِ كِفَاحٍ مُشْتَرِكٍ ضِدَّ حَرْبِ الرّيف. وفي الواقع، كان رَفْضَ القادة الاشتراكيين أو الكونفدراليين للاقتراحات الشيوعية ــ أو في الغالب غياب إجابتهم عليها ــ يشكل عُنْصُراً لا يمكن فَصْلُهُ عن تكتيك الجبهة الموحدة. لقد كان الأمر يتعلق بـ «البَرْهنة للجماهير العُمّالية على خيانة زعمائها وبـ «دعوتها لأَنْ تُنْجِزَ معنا العمل الضروري، رغم هذه الخيانة» (187). وقد قام الحزب الشيوعي إذن بدعاية نشيطة على مستوى القاعدة لصالح عمل اتّحادي، وسيستعمل لهذه الغاية وسيلتين اثنتين، تِقْنِيتين للتّجْميع، تقنية المؤتمرات العُمّالية وتقنية لجان العمل. وقد تم التخطيط لكلتيهما لتكونا متكاملتين، لكنّ شروطَ تنفيذهما سمحتْ باكتشاف مصاعب جَمّة تعكس، في النّهاية، تصورات متعارضة للجبهة الموحدة.

184 مناقشات المجلس، 27 مايو 1925، الجريدة الرسمية، ص 2462.

185 «شهروا برؤسائكم وغادروهم. تعالوا إلينا لنحارب الامبرياليين جبهة وحيدة قوية (...) (إنهم) لم يتجرأوا على التصويت ضد اعتمادات حرب المغرب، لقد امتنعوا فحسب»، لومانيتي، 14 مايو 1925 في 31 مايو، أعلنت اليومية الشيوعية عن فتح «منبر للمحتجين»، أي في المقام الأول، «للعمال الاشتراكيين الذين يريدون الاحتجاج على موقف نواب حزبهم» «أيها العمال الاشتراكيون، لاتتسامحوا مع رؤسائكم الاصلاحيين» نفسه، 5 يونيو يسعى مواصلة العمل لاجتذاب «جميع البروليتاريين الشرفاء الذين يداوم الاشتراكيون على شدهم الى عربة الامبريالية». نفسه، 25 يونيو 1925.

186 AN F7 13174 (الشمال).

187 مذكرة اللجنة المركزية رقم 104 في 11 يونيو 1925، المشار اليها سابقا.

المؤتمرات العُمّالية والفِلاحية

لقد تمّ تنظيم سبعة مؤتمرات عُمّالية وفِلاحية من طرف الحزب الشيوعي و س.ج.ت الوحدوية، خلال صيف 1925 للاحتجاج ضِدّ حَرْب المغرب. وكان على الحزب الشيوعي ليس فحسب أن يجتذب جماهير عريضة من الشغالين، بفضل عمل النّقابات الاتّحادية، بل أيضاً أنْ يدفع أكْبَر عددٍ ممكن من المناضلين الاشتراكيين والنّقابيين المستقلّين والكونفدراليين الى المُشاركة في هذه التّجمّعات. ويمكن تلخيص الحصيلة، كما اسْتُخْلِصَتْ من التّقارير المنشورة من طرف لومانيتي. لقد كانت المعطيات المُرَقّمة التي جُمِعَتْ هنا، كما سنرى، موضوع نِزاعات حادّة. لقد أكّد هذا التقديم في نفس الوقت على الأهمية التي أعطاها الحزب الشيوعي لمؤازرةِ المُنَاضلين غير الشيوعيين وعلى حُدُودِ مجهوده. وتظهر بداهة هذه الحُدود أكثر عند قراءة تقارير اليومية الشيوعية. فخلافاً لِمَا كان يمكن تَوَقُّعه، لم يتم تعويض الضّعف النّسبي لتمثيل الاشتراكيين والنّقابيين المُسْتَقلّين والكونفدراليين بالأهمية التي أُعْطِيتْ لتدخلاتهم في الطبْز: فاثنا عشر منهم تقريباً، فقط، هم الذين أخذوا الكلمة في المؤتمرات الخمسة التي تم سرد نقاشاتها (188) وكان الحيز الذي خصص لهم في تقارير لومانيتي هامشيا (189). إننا نجد من بينهم اشتراكيين بارزين على الخصوص وهما ديشامب وليبوط. كما ديشامب مناضلا معروفا من فدرالية الشمال. وكصحفي، كان يساهم في كل من ليتانسيل ولافاك أوفريير * كما كان ينشد مجموعة من اليسار المتطرف (190)، ويؤاخذ قيادة الحزب الاشتراكي بقوة على رفضها لوحدة العمل مع الشيوعيين من أجل الكفاح ضد حرب المغرب (191). لقد ساهم بنشاط في مؤتمر لِيلْ (192)، وسيقبل، عقب ذلك، بأن يكون شريكا في أغلب

188 اشتراكيان ساريس (دولامار، الذي يتكلم باسم عمال المؤسسات العسكرية، ومناضل آخر لم يتم توضيح اسمه) إثنان بليل (ديشامب وأووست)، واحد بليون (ليبوط)، إثنان بربي (دولامار ومندوب فرع فوبط)، إثنان بمرسيليا (فاسينو، مسؤول الشبيبات الاشتراكية لتولون ومندوب فلاحي للباس ــ آلب)؛ نقابيان كونفدراليان بباريس، واحد بليون، واحد بمرسيليا حيث تدخل أيضا مندوب النقابة المستقلة لأوباني.

189 كمثال على ذلك، يتضمن عرض المؤتمر العمالي لباريس فقط بعض الأسطر المتعلقة بتدخلات الاشتراكيين ونقابي الـ س.ج ت، بينما تم إيراد تدخلات الممثلين البلشفيكيين الاصلاحيين الثلاثة بشكل مطول. أما فيما يتعلق بتدخلات الخطباء الشيوعيين، لنذكر، حسب الأهمية موموسو (164 سطرا)، سوزان جيرو (162)، دوريو (131)، باربوس (118)، كاشان (110)، رونو حان (188)، تراد (75)، مايان ــ كوتوريي (61)، طوربوز (43) . لومانيتي، لـ5 و6 يوليوز 1925

* La vague ouvrière

190 الذي يضم 110 عضوا حسب والي الشمال. رسالة الى وزير الداخلية في 8 يوليوز 1925. AN F7 13177 (الشمال)

191 رسالة 7 يوليوز، مشار اليها من طرف ف. بوبط في لومانيتي لـ 10 يوليوز 1925

192 AN F7 13117 (الشمال).

مبادرات اللجنة المركزية للعمل. وقد طرد من الحزب الاشتراكي، مثلما سيكون هذا هو مآل ليبوط، مناضل فرع ايفري (193). فقد صار هذا الأخير، منذ مؤتمر باريس، سكرتيرا للجنة المركزية للعمل، وبهذه الصفة شارك في مؤتمر ليون. لقد أبدى ديشامب، وليبوط، تقريبا كل المندوبين الاشتراكيين والنقابيين الكونفدراليين الذين تم إيراد تدخلاتهم، معارضتهم لموقف قادتهم. وأعلنوا جميعا اتفاقهم مع الأطروحات التي يدافع عنها الحزب الشيوعي حول حرب الريف وأيدوا الشعارات التي أطلقها الحزب.

لقد أوصى مندوب الأممية الثالثة بـ «السهر على الحفاظ على قيادة المؤتمرات العمالية بين أيدينا» (194). لقد تجاوزت النتيجة التوقعات : فقد حالت المراقبة التي قام بها الحزب دون وقوع أي نشاز. إذ لم يعبر أي مشارك، حسب الجريدة الشيوعية. لكن هل كان المنظمون وحدهم موضوع الخلاف ؟ لقد كانت الحاجة الى الوحدة محسوسا بها بقوة بحيث إن المناخ لم يكن يسمح أبدا بنقاش حقيقي حول مضمونها وأبعادها. ففرحة اللقاء جنبا الى جنب، والشعور بأنه يمكن التأثير على الأحداث بشكل جماعي هما اللذان يفسران، أبعد من إرادة الأجهزة، كون التحليل الملموس للاقتراحات الشيوعية، لسبل ووسائل معارضة حرب الريف، وللصعوبات المعترضة من أجل تعبئة شغالي المدن والحقول، قد ظل في المرتبة الثانية. لقد سجلت المؤتمرات العمالية، حسب موتموسو، نجاحا للجبهة الموحدة (195). شريطة التوضيح بأن الجبهة الموحدة بدت، من خلال هذه التظاهرات، كانضمام لامشروط لغير الشيوعيين إلى اقتراحات الحزب الشيوعي، لدرجة أن انخراط بعضهم في الحزب يمكن أن يظهر كتمديد فوري لهذا الموقف (196).

المبادرات المحلية وردود فعل الأركان العامة

بموازاةٍ مع التّحضير للمؤتمرات العُمّالية والفلاحية الأولى، كَوَّنَ سكرتير المناطق الشيوعيون لجان عملٍ ضِدَّ حَرْب الرّيف. لقد أَمَرتْهُم قيادة الحزب بألّا يكتفوا بإنشاء لجانٍ

193 لوماليتي، 3 شتنبر 1925. انظر في لافاك أوفريير إي بايزران (11 أكتوبر 1925) احتجاج السيد ديشامب ضد هذا الطرد. لقد تضامن فينيورون، المستشار البلدي الاشتراكي لدرافيل مع ليبوط وانخرط في اللجنة المحلية للعمل، لوماليتي، 9 شتنبر 1925.

194 أرشيفات معهد موريس طوريز، محضر اللجنة المركزية لـ 2 يونيو 1925.

195 انظر لافي أوفريير، 10 يوليوز 1925.

196 إنها حالة لوسيان ماسيو، قائد الشبيبات الاشتراكية لتولون، الذي غادر تنظيمه لينخرط في المغرب الشيوعي، بعد بضعة أيام على مؤتمر مرسيليا (أنظر رسالته المفتوحة الى أعضاء الحزب الاشتراكي والشبيبات الاشتراكية المنشورة من طرف لوماليتي في 8 شتنبر 1925).

مُقاطعتية. فكان عليهم أن يتدخّلوا في القاعدة «مبرهنين على أكبر قَدْرٍ من المبادرة» (197). وقد تمَّ لَفْتُ انتباههم دون ريب إلى ضرورة عدم القيام بتنازلات حول شعارات الحزب الشيوعي. لكنّهم مُلْزَمين، بأنْ يأخُذوا بعين الاعتبار في ممارستهم اليومية العوارض المحلية التي تُدْخِلُ نوعاً من المرونة في علاقاتهم مع العناصر الاشتراكية والكنفدرالية. فكان يمكن اجتذاب هؤلاء الى المُشاركة في لجان العمل انطلاقاً من الهمّ الأساسي لمعارضة حرب الرّيف، وتطوير تحريضٍ يُرْغِمُ الحكومة على تعديل سياستها والتّوجُّه نحو السِّلْم، دون أنْ يَقْبلوا، لِأجْلِ هذا التحليل النتائج الشيوعية، بشكْلٍ كلّي. ومن جهةٍ أخْرى، رافق التكوينَ التدريجي للجنة المركزية للْعَمَلِ لُيونةٌ كبيرةٌ في علاقاتها بالتنظيمات الاصلاحية. هكذا استعادت الرِّسالةُ التي بَعَثَتْ بها في 4 غشت للحزب الاشتراكي اقتراحاتٍ وَحْدَةِ العمل على أساس الشّعارات المُتبنّاة مِنْ طرف مُؤْتمَرَيْ باريس وليل، دون الاشارة الى شعار التّآخي. لكنها، لم تتضَمَّنْ بصفة خاصة أقَلَّ انتقادٍ للمواقف المتبنّاة من قِبَل الحزب الاشتراكي. أوَ لَمْ يكْتُبْ كاشان، قبل ذلك بأيام، في لومانيتي بأنَّ «المؤتمر الاشتراكي القادم لـ 15 غشت سيتوجّه نَحْوَ تحقيق جبهةٍ وحيدةٍ عُمّاليةٍ واسعةٍ أكثر فأكثر» (199). إلّا أنّ صلابةَ الأجْهِزَةِ لن تسمح بالتّقدّم جدّيا في هذا الاتّجاه. إذ سيتغلب الحذر والأحكام المُسْبَقَةُ الاشتراكيةُ من جهة، والطائفية الشيوعية من جهةٍ أخرى، مانعة تطَوُّرَ عَمَلٍ اتّحادي حقّاً.

لقد تَميَّزَ المؤتمر الاشتراكي لغُشت 1925 بتَصَلُّبٍ واضح للحزب تجاه السياسة المغربية للحكومة. فلم يعد الحزب الاشتراكي راغباً في أن يمنح أصواته لعمليات الحرب. لكنه اعتزم أيضاً إدانة «كُلِّ إثارةٍ ديماغوجية من شأنها أن تقود جنوداً منعزلين إمّا الى التّآخي مع الرّيفيين أو إلى الفِرار، فتجعل منهم ضحايا، في نفس الوقت، للنّزعة العسكرية الفَرَنْسية وللسياسة الخارجية للبلشفية» (200). وإذَنْ فقد تم استهداف التحريض الشيوعي عبر التّآخي والاشارة الى البلشفية، وكذا عبر معارضة شعار الجلاء عن المغرب، لكن ليس أكيداً أن الصّياغة اسْتَتْبَعَتْ، بالنّسبة لجميع المُناضلين، إدانة جِذْرِيةً لِكُلِّ سَعْيٍ لعملٍ اتّحادي. لقد أعادت ليتانسيل نَشْرَ رِسَالةٍ لأحدهم يُدْعى فالونتان كولونيل من فرع لاموط سان مارتان إيزير توضّح بأنه ينبغي رفض «الجلاء الفوري» عن المغرب والتّآخي، ولكن في المُقابل، ليس ثمة سببٌ يمنع من الانضمام إلى لجان العَمَل : فـ «أين إذن يَكْمُنُ العِصْيانُ في ضَمِّ

197 مذكرة رقم 104 في 11 يونيو 1925، المشار اليها سابقا.

198 هذه الرسالة ستكون موضوع أحد المناشير، أنظر AN F7 13105 (لوار — آنفيريور).

199 26 يوليوز 1925.

200 لوبوبلير، 31 غشت 1925.

المجهودات الخاصّة الى مجهودات جُزْءٍ من البروليتاريا، ضِدَّ حَرْب الرّيف» (201) ؟ إنّه لم يكن وحده في هذا الرّأي. إلّا أنّ قيادة الحزب رَأَتْ أنّ من الضروري، في كل الأحوال، أن تضع النّقط على الحروف. فبتوقيع بول فور، أصدرت باسم اللجنة الادارية للحزب «تحذير المُنضمّين للحزب مِنْ المناورات الشيوعية واقتراحاتٍ ما يُسَمَّى بلحان العَمَل، حَيْثُ تبدو الطريقة المُعْتادة لِعُمَلاء موسكو» وبعد أنْ أكّدتْ بأنّ عمل الاشتراكيين ضِدَّ حرْب المغرب ليس له أيّ قاسم مُشْترك مع الحملة التي أوحى بها البلشفيون، ختمتْ بالتذكير بأنّه «في كل البُلْدان التي تَمَّتْ فيها محاولةُ جبهةٍ وحيدة مع الشيوعيين، سعي هؤلاء دوْماً الى الاستفادةِ منها، طِبْقاً لتكتيكٍ مُعْلَن بوقاحة، لمحاولة الحَطِّ من المتهوّرين الّذين ينْقادون لمقاصدهم الماكرة وإضعافهم» (202). لقد غذت علاقة موسكو ـــ الحزب الشيوعي موضع النّقْد الذي طَوَّرَهُ الاشتراكيون، لا سيما وأنهم سعوا، مستندين الى أحداث جورجيا، الى وَضْع الشيوعيين في تناقض بخصوص إرادتهم للعمل على تحرّر الشعوب...

أثارت بَعْض المُبادرات التي اتُّخِذَتْ من طرف الشيوعيين داخل البلاد لصالح جبهة موحدة، تحفّظات كبيرة داخل اللّجنة المركزية للحزب الشيوعي. لقد طَلَبَ مونموسو بأن يُمْنَع الدّخولُ الى لجان العمل على الفوضويين (203)، بينما لاحظ سيمار، في أواسط الصّيف، بأنّ «هناك نزوعاً في بعض المناطِق الى توسيع لجان العَمَل التي، إنْ لَمْ نلزم الحَذَر بِحُكْمِ التّكتيك الجديد المُتّبع من طرف قادة الحزب الاشتراكي، ستنقلب قريباً ضِدّنا» (204). إن الأمْرَ يتعلّق أيضاً بمَنْع السّاسة المحلّيين من استعمال لجان العمل للتّمْويه على الجماهير العُمّالية واستعادة تأثيرهم. فلا يمكن، التخلّي عن المواقف الأساسية المُحَدَّدَةِ مِنْ طرف الحزب الشيوعي، ولا التراجع عن إدانة الاشتراكية الديمقراطية بذريعة اتحاد واسع. فمنذ مؤتمر الحزب الاشتراكي وهذا الأخير يسعى حسب دوريو «لِأنْ يجتذب داخله كل المُعَارِضَةِ التي ضِدَّ حَرْب المغرب وتقوم بِتَحْيِيدِها»، أي، في الواقع، «تقوم بمنع لجنة العمل (المركزية) من الانتصار». إنّها «مناورة» تستهدف «السّماح للبورجوازية الفرنسية بمواصلة الحَرْب دون أن يُوَرِّط ذلك العناصر الاشتراكية كثيرا» البرهان ؟ استمرار تهجّمات الاشتراكيين ضِدَّ الحزب الشيوعي ومُعارضتهم لشعار الجلاء عن المغرب (205). لقد رأت القيادة الشيوعية إذن أنّ من

201 ليتانسيل، 17 أكتوبر 1925 (مشدد عليه في النص).
202 نفسه
203 أرشيفات معهد موريس طوريز، السلسلة 93، محضر اللجنة المركزية لـ 2 يونيو 1925.
204 نفسه، محضر اللجنة المركزية لـ 29 يوليو 1925.
205 نفسه، محضر اللجنة المركزية لـ 18 غشت 1925.

الضّروري أن تُعيدَ تأكيد تعلّقها بالبرنامج السياسي الذي صادقت عليه المؤتمرات العمالية. فلا يمكن أن تكون هناك جبهةٌ موحدة أخرى غير تلك التي حُدِّدَتْ تحت مراقبة الحزب. لقد أفصحت طلقة الانذار التي أرسلتها لومانيتي عن مدى قلق قادة الحزب وعن الحدود التي ينوون تعيينها للتجمعات التي تتم تحت رعاية لجان العمل : «حتى الآن، كانت لجان العمل مكان اجتماع مندوبي مختلف التنظيمات العمالية، الذين يأتون ليناقشوا لانهائيا هذا التفصيل أو ذاك من تفاصيل اللاعمل (كذا) أو ليغالوا في التدقيق حول الاختلافات الايديولوجية. حاليا، تعتبر اللجنة المركزية واللجان الجهوية للعمل، وهي أجهزة منتخبة من طرف الممثلين المباشرين للعمال والفلاحين على أساس برنامج دقيق ومحدد، مكلفة بتطوير تحريض عميق والقيام بعمل جدي يلزم التجمعات المشاركة» (206).

يلزم انتظار الندوة الوطنية لفاتح دجنبر 1925 لكي تنتقد قيادة الحزب الشيوعي الطابع المتصلب جدا لتكتيكها الأتحادي. لم يتعلق الأمر بالتخلي عن الشعارات المتعلقة بحرب الريف، إذ يعبر شعارا التآخي والجلاء عن المغرب عن موقفين مطابقين للأطروحات الشيوعية حول المسألة الاستعمارية والكفاح ضد الامبريالية، لكن كان من الخطأ طرح قبولهما كشرط للجبهة الموحدة (207). هكذا أقر الحزب الشيوعي بإمكانية تنظيم حركة اتحادية دون أن يطلب من المشاركين فيها انضماما لامشروطا لأطروحاته. لكن يبدو أن وقت تشكيل جبهة وحيدة قوية ضد حرب المغرب كان قد فات. إذ لم يعد للعمليات العسكرية نفس الوقع في الرأي العمومي. وأخذت الانشغالات الاجتماعية والمالية تطغى على المخاوف التي كانت تثيرها أبناء الجبهة. لدرجة أن لجان العمل، عند توسيعها لنداءاتها، لم تعد تضع في مقدمة اقتراحاتها «السلم الفوري في المغرب»؛ فمنذ ذلك الوقت، تم دمج هذا الشعار ضمن مطالب أخرى.

□ □ □

لقد كان إخفاق الجبهة الموحدة بشكل عام من صنع الأركان العامة السياسية. ولا ينبغي لهذا الانخفاق أن يخفي بأن بعض مسؤولي النقابات والأحزاب قد حاولوا، على الصعيد المحلي، وألحوا أحيانا، في تجميع قوى اليسار ضد حرب الريف.

206 لومانيتي، 17 شتنبر 1925 (ص 5 · «دور الحزب في اللجنة المركزية للعمل»، مقال غير موقع).

207 «لقد اقترفنا هذا الخطأ الفادح، صرح طورير، بطرحنا قبول شعار التآخي» كشرط للجبهة الموحدة واستعملت سوران جيرو بدورها عبارات مطابقة تقريبا. في المقابل، أكد طورير بشكل غريب · «لاينبغي أن نتخلى عن شعار الجلاء، في حين أن الجماهير تطلبه، والاشتراكيين والبورجوازية نفسها يتكلمون عنه» **أرشيفات معهد موريس طورير**،

في الشمال، وبالرغم من العلاقات المتوثرة التي كانت بين الاشتراكيين والشيوعيين، تمت مظاهرة اتحادية كبيرة بدانكيرك في 15 غشت 1925، بمبادرة من النقابات. لقد أخذ كل من الشيوعي فلوريمون بونط، مسؤول فدرالية الحزب وهوك، سكرتير الاتحاد المقاطعتي لـ س.ج.ت، الكلمة أمام حضور قدر من طرف الوالي بألف وثمانمائة شخص. وطالب الملتمس الذي تم التصفيق عليه في نهاية اللقاء، على الخصوص، بالوقف الفوري للقتال مع المغرب وسوريا وإعلان استقلال الريف. ثم نظم المتظاهرون استعراضا كبيرا كان على رأسه، بالاضافة الى الخطيبين المذكورين، مسئوولوا النقابات الكونفدرالية والاتحادية الجهوية، وبارا، وهو نائب شيوعي، وخمسة مستشارين بلدين اشتراكيين من (دانكيرك) (208). لكن هذه المظاهرة ستظل دون أية لواحق في المقاطعة.. وفي بداية 1926، نظمت لجنة العمل لدائرة فولونسيان، اجتماعا كبيرا بملعب الخيل. وقد دعمه كل من السكرتير السابق، وأمين الصندوق للفرع الاشتراكي، المطرودين من طرف الفدرالية. لقد ثابرا، رفقة روث وديشامب، من أجل اجتذاب رفاقهم القدامى من الحزب الاشتراكي لكن دوائر الحزب ردت بسرعة. ففي آخر لحظة، امتنع موريس موران، مدير ليتانسيل، الذي كان مقررا كخطيب، عن المشاركة، عقب رسالة من القيادة المحلية الجديدة للحزب الاشتراكي. كما أن حظهما كان سيئا : فها هو كونسطان هوبري، هو مناضل معروف من الحزب الاشتراكي الذي قبل المشاركة في اللقاء، يموت صبيحة المظاهرة بالذات. وستوضع هذه الأخيرة تحت رئاسته الشرفية، بينما قبل أدولف هينفار، المستشار البلدي للحزب الاشتراكي نيابة الرئاسة. لكن واحدا من زميليه الاشتراكيين، الموجودين في المكتب، غادر الاجتماع، لاختلافه دون ريب مع ما ورد من أقوال ديشامب، الذي كان يمتدح التآخي. ومع ذلك فقد تم ذلك الاجتماع أمام ألفين وثلاثمائة شخص (209). أما في لاسوم، فلم تجد نداءات لجنة العمل صدى ايجابيا سوى لدى فوضويي المقاطعة، المجتذبين من طرف باستيان، رئيس تحرير جيرمينال، جريدة آميان الفوضوية (210).

في الشّرق، وفي بداية صيف 1925 لَحِقَتْ مجموعةٌ وِفاقٍ اشتراكيةٌ من بوزانسون، رفقو مينجوز، بالشيوعيين داخل لجنة عمل. وقد نشروا مع الـ س.ج.ت الوحدوية مُلْصَقاً

السلسلة 91، المؤتمر الوطني لفاتح دحسر 1925. ملزه انتظار مؤتمر يوبيو 1926 لكي يضع سيمار في نفس المستوى التآخي والجلاء العسكري عن المغرب، لكن أظهرت الرسالة المفتوحة إلى المناضلين (انظر نفسه) والممارسة اليومية بأنه لم يعد واردا بعد مؤتمر فاتح دحسر، تقديم هدين الشعارين كشط للجبهة الوحيدة.

208 AN F7 13177 (الشمال)

209 AN 13105 (الشمال)

210 AN F7 13178 (سوم).

ومنشوراً يطالبان ب «الوقف الفوري للقتال، والجلاء عن وَرْغَة المُحْتَلّ من طرف قواتنا، في انتظار الجلاء الكامل عن المغرب كما عن كل المستعمرات المغتصبة من سُكّانِها بالرَّغْمِ من حَقّ الشعوب في تقرير مصيرها؛ وكَذا الشروع في المُفاوضات مع عبد الكريم» (211). كما نَظمّوا اجتماعات، لكن دون أن يتوصلوا، فيما يبدوا، الى جَمْعِ عَدَدٍ مُهِمٍّ من الحُضور (212). بخلاف ذلك، رفض أعضاء الحزب الاشتراكي بـ ريمس المشاركة في المُظَاهرات المُنَظَّمةِ من طرف الحزب الشيوعي، والاتّحاد الاشتراكي ــ الشيوعي والاتّحاد الفَوْضوي (213).

وفي منطقة الرّون ــ آلب، نُسَجِّلُ غياب جواب الاشتراكيين والنّقابيين الكونفدراليين على الدّعوات التي وجهها إليهم شيوعيو إيزير أو رفضهم لها (214).في حين نجد أنَّ قيادة الفدرالية الاشتراكية لـ سافوا، التي شاركتْ في التّظاهرات الأولى للجنة العَمَل بـ شامبيري.، عَدَلَتْ فيما يبدو بِسُرْعةٍ عن هذا الموقف (215). أمَّا بـ ليون، فكان الوَضْعُ أكثر انسجاما. فقد ضمّتِ اللجنة الجهوية، بالاضافة الى الحزب الشيوعي، والشبيبات الشيوعية، والـ س.ج.ت، النّقابة المستقِلّة للبنائين. وقَدْ نَظَّمَتْ، في 2 غشت، مُظَاهرةً جمعتْ ألفاً ومائتين من الأشخاص وتلقَّتْ بهذه المناسبة عوْن نقابة التبغ الـ س.ج.ت وبعد تدخّلات مختلفة، من ضمنها تدخّل ليبوط، وضّحَ نائبٌ اشتراكي بأنه ينبغي تجاوز تعليمات الزُّعَمَاء (216).

في الغرْب، مكّن التحريضُ النشيط ضِدَّ حَرْب الرّيف الذي لُوحظَ في الأوْساط النّقابية لـ بريست من تنْظيم لقاء اتّحادي كبير في 25 يونيو 1925، لكن لا أحد من المُشاركين أشَارَ الى التّآخي أو الى الجلاء عن المغرب (217). لقد كانت مُشاركة العناصر الاشتراكية أو النّقابية الكونفدرالية، الى جانب الشيوعيين، ضئيلةً في باقي المنطقة. لِنُسَجِّل مع ذلك بأنّ الفرع الاشتراكي لـ تريكيي بـ لي كوط دي نور، طلب في نهاية 1925 «بأن تُدْرَسَ المُشارَكةُ في الجبهة الموحدة المُقْترحَة من طرف الحزب الشيوعي بصدق، وذلك من أجل أهداف متّفق عليها»، ومن ضمنها العمل ضِدَّ الحروب الاستعمارية (218).

211 ارشيفات معهد موريس طوريز، السلسله 117

212 AN F7 13175 (دوب)

213 تم تحمع في فاتح عشت 1925 أمام 600 شحص وبعد الشيوعيين، احتج على موقف قيادة الحزب الاشتراكي كل من لوريال من الاتحاد الفوصوي وبواسيري من الاتحاد الاشتراكي ــ الشيوعي. AN F7 13177 (مارن).

214 AN F7 13173 (إيزير). نفس الموقف في لالوار، AN F7 13174 (لوار).

215 AN F7 13178 (صافوا).

216 AN F7 13177 (رون)

217 تم تنطيم اللقاء من طرف الشبيبات النقابية، وبورصة الشغل المستقلة، وبورصة الشغل الاتحادية ونقابة الـ س.ج.ت للصناعة AN F7 13176 (فستير)

218 ليتانسيل، 26 دحسر 1925.

في الليموزان، رَفَضَ الاشتراكيون ونقابيو الس.ج.ت، في البدء، الرَّدَّ على دعوة الحزب الشيوعي و س.ج.ت الوحدوية لتشكيل لحنة عَمَلٍ. ولأنهم كانوا أقوياء بِدَعْمِ النّقابتين المُستَقِلّتين للأحذية وصناعة الخزف، كَرَّرَ الشيوعيون اقتراحهم. فردَّ الكونفدراليون بالموافقة شريطة أن تتكون اللحنة خصيصاً من ممثلي التنظيمات النّقابية. وانضمَّ الى هذه الفكرة المستقلّون والمجموعة التحرّرية. أمّا س.ج.ت الوحدوية فطلبت مهلة للتفكير، ثم رَفَضَتْ : بحيث لَنْ تضُمَّ لجنة العمل لمنطقة لليموزان في الأخير سوى عناصر شيوعية (219). وفي الشّير، كان لابد من انتظار الأيام الأولى من 1926، لكي تتمكن لحنة العمل من أنْ تُلْحِقَ بها عناصر غير شيوعية، وتتمثل في أعضاء المجموعة الاشتراكية ـــ الشيوعية، والاتحاد الفوضوي، وعصبة حقوق الانسان، والفِكْر الحر، والمحافل الماسونية، لكن لا الاشتراكيون ولا الكونفدراليون كانوا مِن المُنْضمّين (220).

وفي الجنوب الغربي، كان إخفاق وَحْدَةِ العَمَلِ مع الاشتراكيين والنّقابيين الكونفدراليين والمُستَقِلّين، جَليّاً في بوردو، رغم مجهودات فدرالية الكتاب (221)، نفس الشيء في الدوردوني (222)، وفي تولور، حيث نسجّل، مع ذلك، في بداية 1926، تَحَسُّناً في العلاقات بين الشّيوعيين والاشتركيين (223). أمّا في طارنْ، فقد نَجَمَ وَضْعٌ خاصّ في أواخر شهر مايو 1925، بسبب القرار الذي اتّخَذَتْهُ أغلبية القيادة الاشتراكية ضد الرّأي القطعي للسكرتير الفدرالي، بالقيام بعملٍ مُشْتَرَكٍ مع الحزب الشيوعي ضِدَّ حَرْب المغرب، قَصْدَ فرض «السِّلْم الفوري واللامشروط مع الرّيف، والاعتراف بالرّيف، والجلاءُ العسكري عن المغرب». بعد بضعةِ أيّامٍ مِنْ ذلك، تَمَّ تَنْظيم لِقَاء في آلبي، حيث تَدَخَّلَ الى جوار الاشتراكيين والشيوعيين مُمَثِّل النّقابات الاتّحادية وسكرتير الاتحاد الاقليمي لـ س.ح.ت. لكن لا يبدو، مع ذلك، أنَّ وحدة العَمَلِ هذه قد امتدَّتْ أبْعَدَ من الصيف (224).

في الميدي المتوسّطي، كانت الأعمال الاتّحاديةُ قليلةً أيضاً ومَحْصورَةً في بَعْضِ الأماكن. ففي لوكار، ظَلَّتِ النداءات التي وُجِّهَتْ الى الاشتراكيين والى الكونفدراليين من طرف الفرع الشيوعي لـ نِيمْ من أجْلِ إعْدَادِ حَمْلةٍ ضِدَّ حرْب الرّيف، دون طائل. وفي المقابل، شارك منتمون للشّبيبات الاشتراكية والنّقابات المستقلة بـ آلي، وهي منطقة نفوذ

219 الأرشيفات المقاطعية للهوط ـــ فيس 184 M 1

220 AN F7 13104 (شير)

221 الأرشيفات المقاطعية للاحيروند، 2-363 M 1 (تقرير 4 أكتوبر 1925)

222 الأرشيفات المقاطعية للدوردوني، 193 M 4.

223 الأرشيفات المقاطعية للهوط ـــ غارون، 968 M

224 انظر AN F7 13174 (طارن)

شيوعي، في الاجتماعات التي نَظَّمَتْها لجنة العمل المحلية (225). أمّا د. بيرينيان، فوحده عُضوٌ من الاتّحاد الفوضوي تَدَخَّلَ بَعْدَ الخُطباء الشيوعيين في لقاء فاتح يوليوز (226). بينما رأينا في الفار، أخيراً، كيف تم طرد رعيم للشبيبات الاشتراكية من طرف فدراليته بسبب انضمامه الى المبادرات الشيوعية (227).

إضراب 12 أكتوبر 1925

نعثر على أوّل إشارةٍ لاضراب احتجاجي ضِدَّ حَرْب المغرب في تَدَخُّلٍ لطوماس، مندوب الأممية لدى اللجنة المركزية للحزب الشّيوعي الفرنسي. لقد قال بأنه ينبغي «توسيع لجنة عملنا والتّحضير لمؤتمر العمّال (...) وتوجيه نداءات للنساء ونداءات للشغّالين. إن إضراباً احتجاجياً يمكن أن يصير على هذا النحو ممكناً». لكنّه وَضَّحَ بأن «هذا الاقتراح للاضراب ينبغي أن يَصْدُرَ عن الجماهير، عن النّساء وعن المعامل، ولكن ليس عن الحزب الشيّوعي» (228). أمّا ماري دوبوا، التي تدخّلتْ مباشرة بَعْدَهُ، فقد طالبتْ بأن يُحَضِّرَ المؤتمرُ العُمّالي للمنطقة الباريسية، الذي سينعقد بَعْدَ شَهْرٍ، «للاضراب السّياسي» (229)، بينما ذَكَرَ دوريو في تلخيصه للترتيبات المُقَرَّرَة من طرف اللجنة المركزية أنّ من بينها «إضراب احتجاجي سيسبقه مؤتمر عُمّالي هام» (230). وفي 5 يوليوز 1925، صَعَدَ فور ــ براك، مندوب ستروين في مؤتمر العُمّال والمُستَخْدَمين والفلّاحين للمنطقة الباريسية، الى المنصة ليقترح إضراباً عامّاً لأربعٍ وعشرين ساعة «تكون نتيجته إيقاظ الطبقة العُمّالية في مجموع البلاد» (231). وقد تَمَّ الأَخْذُ بالفكرةِ في قَرارٍ صوتت عليه الجمعية كما أن المؤتمرات التي انعقدت بالاقليم بين يوليوز وشتنبر، ومؤتمر الـ س.ج.ت الوحدوية (أواخر غشت)، انضمَّتْ الى هذا الاقتراح.

225 في 30 ماير، 2 و12 غشت، 25 شتنبر و12 أكتوبر 1925. AN F7 13179 و13176 (كار).
226 AN F7 177 (بيريني ــ أوريونطال).
227 انظر أعلاه وAN F7 13178 (فار).
228 أرشيفات معهد موريس ــ طوريز، السلسلة 93، محضر اللجنة المركزية لـ 2 يوليو 1925.
229 نفسه.
230 نفسه.
231 لومانيتي، 6 يوليوز 1925.

الدلالة

قبل أن نتساءل عن تنظيم هذا الاضراب، ينبغي توضيح دلالته. إن هذه الأخيرة لم تكن في الأصل مرتبطة أساساً وبقوّةٍ بحرب المغرب. فبالنسبة لطوماس، يُعْتَبَرُ الاحتجاج ضِدَّ العمليات العسكرية مناسبةً لِشَنّ حملةٍ ضِدَّ المشاريع المالية للحكومة ولصالح مطالب الشّغّالين. وفقط بعد انعقاد مؤتمر العمّال بِليلْ، أخذ الاضراب، قبل كل شيء، معنى احتجاج البروليتاريا الفرنسية ضِدَّ حَرْب الرّيف، لكنَّ التحضير له أظهر حينئذٍ استحالة قَصْرِ التّظاهرة العمّالية على هذا الهدف.

إنَّ ثَمَّةَ التباساً ينبغي رَفْعُه : لم يكن واردا في ذِهْنِ القادة الشيوعيين، أنَّ بمقدور الاضراب إيقاف الحَرْب (232). لقد قال طوريز هذا مِراراً وبكل وضوح (233). وها أن مذكّرة من اللّجنة المَرْكزية لِلْعَمَلِ تُوَضّحُهُ بقوّة : «يجب علينا مكافحة الوَهْمِ الذي يرى بأن الاضراب وَحْده، يمكنه أن يجعل الحَرْب تضع أوزارها. إن إضراب الأربع وعشرين ساعة ليس سوى أحد الأسلحة التي ستمكننا من توجيه الضربة الأولى. و(هو) ليس سوى بداية الكفاح الفِعْلِي للبروليتاريا الميتروبوليتانية ضِدَّ حَرْب الرّيف» (234). لقد تخيل ميشيل مارتي الحوار التالي في إحدى الحانات : «أتعتقد بأنَّ بقاءنا مَكْتُوفِي الأيدي سيوقف دَوِيّ المِدفع ؟ سَأَلَ أَحَدُ العُمّال. كَلّا، أَيُّهَا الرفيق، لا أعتقد دلك، لكنَّ هذا سيجْعَلُ الحكومة تفكّرُ كثيراً» (235). بطريقةٍ أَوْضَحَ، بدا الاضراب في نهاية الصيف بمثابة رَدٍّ عُمّالي على شَنّ الهجوم الفرنْسي على المغرب. لقد اقتنع الشيوعيون بأنَّ القُوّتَيْن المشتركَيْن، الفرنسية والاسبانية، سَتَسْحقان الرّيفيين سريعاً. وعلى الاضراب أنْ يُعَبِّرَ عَنْ تضامُنِ البروليتاريا الفرنسية مع الشّعْبِ الرّيفي الذي

232 «إن الاضراب العام، كما تصوره الشيوعيون، كان (.) من نوع الوهم · فقد اعتقد الحزب الشيوعي الفرنسي أن بإمكانه إيقاف آلة الحرب بواسطة إضراب العمال الفرنسيين وحده»، ن. لوكيبك، مقال مشار إليه، ص 47.

233 أمام المؤتمر الوطني لـ س.ج.ت الوحدوية · «لا وهم هناك ! وقبل كل شيء ليس الوهم الكبير بأن الاضراب قادر، وحده، في الوقت الراهن، على منع الحرب في المغرب، إن ما نطلبه من الرفاق، إن ما نريده دون غيره، وما أشارت اليه المؤتمرات العمالية، هو مظاهرة، هو احتجاج، هذا كل ما هناك»، المؤتمر الثالث لـ س.ج.ت الوحدوية، 26 ـــ 31 غشت 1925، عرض المناقشات، ص 74 وأمام اللجنة المركزية للحزب : «لن يوقف الاضراب حرب المغرب»، أرشيفات معهد موريس طوريز، السلسلة 94، (محضر اجتماع 10 شتنبر 1925).

234 مذكرة غير مؤرخة، بعنوان «الاضراب المقبل لـ 24 ساعة»، AN F7 13092. نجد طبعا في الخطب والكتابات العديدة حول الاضراب أقوالا تؤكد فيما يبدو وجود هذا الوهم لدى بعض المناضلين. هكذا كتبت أليس بريسي · «أيتها النساء، لوقف المجازر الاستعمارية، حضرن لاضراب الـ 24 ساعة» لوماليتي، 12 شتنبر 1925. لكن ينبغي، دون ريب، أن نأخذ بعين الاعتبار قوة الشعار وحمية الخطاب.

235 لوماليتي، 30 شتنبر 1925

قرّرتْ حكومةُ بانلوفي «خَنْقَهُ» (236). لكن ها أن دوريو يورد من الجزائر، حيث كان، بأن الهجوم الذي شنّهُ بيتان كان «إفْلاساً ذريعاً» : وأن الحرب ستتواصل طوال الشّتاء. وإذَنْ، كان على العُمّال أن يُظْهِرُوا مُعارَضَتهم بواسطة الاضراب ضد هذه الحملة وضد تمديد العمليات (237).

مع ذلك، ووعيا منه بالاعتراضات التي كان التّحْضير للاضراب يلقاها داخل الـ س.ج.ت الوحدوية، تساءل مونموسو في فاتح شتنبر «عَمَّا إذا لم يكن مُمْكِناً إضافة بعض الشّعارات المطلبية لِشِعارِ إضراب الأربع وعشرين ساعة» (238). وقد عاد الى هذا الأمر بإسهاب في 10 من نفس الشّهْر : «من الأكيد أنه إذا أردنا خَوْض المعركة على أساس الشّعار الخصوصي «ضِدَّ حَرْب المغرب» فإن 75% لن يَتْبَعُونا. يلزمنا رَبْطُهُ بالوضعية الاقتصادية للعُمّال. فينبغي أنْ نَرى إذا كان ممكناً أنْ نُلْصقَ شعار الكفاح ضد الضرائب الجديدة، ومن أجل الزّيادة العامّة في الأجور بشعار الكفاح ضد الحرب....» (239). لقد كانَتْ هذه الانشغالاتُ مُشْتَرَكةً بين عددٍ كبير من أعضاء الّلجنةِ المَرْكزية للحزب. وتشهد نداءات الّلجنة المركزية للعَمَل (240)، والمُذكّرات التي وَجّهَهَا الحزب الشيوعي الفرنسي في النّصْف الثاني من شتنبر بتوسيع الشّعارات (241). وسيعمل قادَة النّقابات الاتحادية على تأويل هذه التعليمات تَبَعاً لانشغالاتهم الذّاتية وحساسيتهم الخَاصّة. فالمنشور الذي أصْدَرَه شغّالو التّعْدين والدّاعِيَ الى الاضراب، لم يتضمن سوى خمسة أسْطُرٍ حول حرب المغرب، لكن الاشارة الى الهجوم الامبريالي ضِدَّ الشّعْب الرّيفي كانت خاليةً من أيِّ لُبْس إذ «أن أبناءَ الشغّالين يسقطون من أجل قضيةٍ ليست قضيتهم (...) يقولون بأنّهم يحملون الحضارةَ لشعوب لَيْسَ لديها ما تصنعه بهذه الحضارة، ولا تطلب سوى أنْ تعيش بسلام (...) إن ما يرومون، هو الاستحواذ على ثروات الرّيف» (242). على عكس ذلك، دَعَت نقابة النّجّارين، السّلْميةُ النزعة، المُنضمّين إليها إلى إضرابٍ احتجاجي ضِدَّ الحَرْب، دون أن يرد ذكر

236 انظر لومانيتي، 22 شتنبر 1925 (ماسار) ولاڤي أوڤريير، 14 غشت 1925 (مونموسو).
237 أرشيفات معهد موريس طوريز، السلسلة 94، (محضر اللجنة المركزية لـ 29 شتنبر 1925).
238 نفسه، (محضر اللجنة المركزية لفاتح شتنبر 1925).
239 نفسه، (محضر اللجنة المركزية لـ 10 شتنبر 1925).
240 انظر خاصة لومانيتي لـ 12 و19 شتنبر 1925.
241 إن المذكرة العامة رقم 120 (غير موقعة)، بتاريخ 21 شتنبر 1925، توضح، في موضوع تنظيم الاضراب : «يلزم الالحاح بشكل خاص على الشعارات التالية : «الزيادة العامة في الأجور، الصلح الفوري مع الريف وسوريا؛ ضد ضرائب كايوكس؛ إطلاق سراح المساجين المدنيين والعسكريين، إعادة إدماج جميع المطرودين؛ من الأبناك، والنقل الحضري والسكك، الخ.» A! F7 13092.
242 AN F7 12919 (منشور تم توزيعه في 10 أكتوبر 1925).

للمغرب أو الريف في ندائها ذاك (243). لقد بدا بعض قادة نقابات السّكّكيين ومُسْتخدمي النّقْل للمنطقة الباريسية، حَريصين على إظْهار تضامن الشّغّالين تُجَاهَ الجنود الّذين يسقطون كُلَّ يومٍ في المغرب (244). لكن الوضع الدّاخلي لهذه النّقابات لم يسمح لها بأَنْ تُرَجِّعَ صَدَى هذا الانشغال. فالمَرْجِعُ المَغْرِبي لا يكاد يستجيب لمشاكلها لدرجة أنّ سكرتير نقابة شركة النقل (245) تمكَّنَ من جَعْلِ خمسة آلاف شخص يهتفون في الاضراب بَعْدَ أَنْ أعْطَى لهذا الأخير اتّجاهاً حِرَفِيّاً بحصر المعنى (246). ومع ذلك، ظَلَّ الاحتجاج ضَدَّ حَرْب المغرب في مقدّمة النداءات الى الاضراب التي أطلقتْها كُلٌّ من لومانيتي ولا في أوفرير. كما أنّه كان حاضرا في الملصقات والمناشير التي أصدرتها، اللّجْنة المركزية للعمل بهذه المناسبة (247).

التنظيم

يطرح التّحضير للاضراب ثلاثة أسئلة متشابكةٍ على نَحْوٍ وثيق سنعمل، على التمييز بينها لأغْراض التّحليل : من كان مسؤولًا عن تنظيمه ؟ كيف كان رَدُّ فعل النّقابات وبشكل عام القطاعات المهنية الرئيسية في الأسابيع الّتي سبقت المظاهرة ؟ وأخيراً، كيف تَمَّ تَحْدِيدُ تاريخ الاضراب ؟

اختيار المسؤولين

لقد كلَّفَ قرارٌ من المؤتمر العُمّالي للمنطقة الباريسية لجنَةَ العَمَلِ بالسَّهَرِ على التّحضير للاضراب وتحديد تاريخ باتّفاقٍ مع التّنظيمات النّقابية. غير أن المناقشات التي جَرَتْ داخل الحزب الشيوعي تُظْهِرُ بأنّ تطبيق تلك التّرتيبات لم يتم دون مصاعب. ففي 18 غشت 1925، لاحَظتِ اللّجْنةُ المَركزية للحزب الشيوعي بأن التّحضير للاضراب لم يتقدّم إلّا قليلًا : «إننا، نحن لجنة العَمَل، صَرَّحَ طوريز، ليست لدينا الوسائل لاطْلاق الشّعَار، طالما أنّنا لم نَجْمَعِ العُمّال في لجان وَحْدَةٍ بروليتارية» (248). لقد اعتبر كُلٌّ من سوفاج ورباحي أن

243 نفسه، (ملصق تم تعليقه في 9 أكتوبر 1925).

244 انظر لومانيتي، 24 شتنبر 1925 (مقال س. سيليي، سكرتير مكلف بالدعاية في نقابة الفنادق و27 شتنبر 1925 (مقال لوبورسيي، سكرتير نقابة S T C R.P

245 شركة النقل العمومي للمنطقة الباريسية (الميترو والحافلة).

246 شملت المطالب التي تقدم بها دوفو، السكرتير العام لنقابة النقل الحضري : مساواة المستخدمين في النقل بالمستخدمين البلديين، وحمل الشارة النقابية، والاعتراف من طرف قيادة لجان المخازن والمعامل، وإعادة إدماج الأعوان المطرودين منذ بداية السنة. AN F7 12919 (احتجاج شوموت ــ بالاس في 6 أكتوبر 1925)

247 انظر AN F7 12919

248 أرشيفات معهد موريس طوريز، السلسلة 93، محضر اللجنة المركزية لـ 18 غشت 1925.

الاضْراب من اختصاص المكتب السياسي للحزب وكذا الهيأة التّنفيذية لِلْجْنِةِ العَمَل. أمّا مونموسو فكان صريحا : «إنّني مُعْتَرِض كُلّ الاعتراض على الاضراب المُنَظَّمِ من طَرَفِ لجنة العَمَلِ وَحْدها، لكنني مع الاضراب العام المُنَظَّم بكُلّ المُسَاهَمات» (249). في 10 شتنبر استُأْنِفَ النّقاش. إنْ تحفّظاتِ بَعْضِ النّقابيين حول إعْطاءِ لجنة العَمَل دَوْرَ منظمة الاضراب لم تَنْمَح. فلجنة العمل هي التي كان عليها أنْ تُعْطِيَ التوجيه وتَتَكلّف بالمُهِمّة؛ لكنّها لم تقم بأيّ عَمَلٍ ملموس، صَرَّحَ بذلك رشيطا، سكرتير الفدرالية الاتّحادية للنسيج (250). لكن مونموسو كان أشَدَّ فَظَاظَةً : «إنَّ لجنة العَمَلِ عاجزةٌ سِيَاسَياً على تحديد حركة إضراب» (251). لقد أقَرَّ طوريز بأن لجنة العَمَل، في صيغتها الأكثر بساطة، ليست في مستوى تحمّل المسؤولية التي عُهِدَ بها لـ «أنّنا عاجزون عَنْ قَوْلٍ ما إذا كان في مُكْنَتِنا عَمَلُ شيءٍ ما. وإذا استمررنا، فإنه الافلاس التّام. لقد أسَّسْنَا لجنَةَ عمل تكتفي بعقد مؤتمرات عُمّالية وبإرسال مقالاتٍ الى لومانيتي. إنّها لَسُخريةٌ. وإنهُ إفلاس للحركة !» (252). ولم يكن تحامله خدّاعا، ولا كانت لهجته لهجة مرافعة، لكنها تقريباً لهجة اتّهامٍ. لم يكن وارداً التشكيك في صيغة لجنة العَمَل، ولكن في مقدرة المُشارِكين، ومقدرة الحزب والنّقابات على استعمالها. استطرد شاسيني «إن طوريز على حقّ. ماذا تريدون من رفاق لجنة العَمَل أن يفعلوا هم الّذين ليسوا سوى اثنين أو ثلاثة (...) إن أُولَى المَهَام للتّحضير للاضراب، هي إعطاء جهازٍ لِلَجْنةِ العَمَل» (253). لقد اعتبر مونموسو من جهة أن تنظيم الاضراب مَفْروضٌ على الحزب الشيوعي الفرنسي والـ س.ج.ت الوحدوية. إلّا أن قيادة الحزب لاتشاطره هذا الرّأي. لقد قال تران بأن «لدينا لجنة إضْراب مُشَكَّلَةٌ على نَحْوٍ مُسْبَق، إنّها لَجْنَةُ العَمَل»، (254). ووضح سيمار بالتأكيد على أن دور الحزب والنقابات يعتبر أساسيا، وأقَرَّ، في مَعْرِض حديثه، بأنّه «كان هناك ضعف داخل حزب بالنسبة لكل المُنَاضلين و(أنه) لم يُؤْخِذِ التّحضير للاضْراب العام لأربع وعشرين ساعة مأخذ الجِدّ» ــ لكنّ الفكرة التي لِبَعْضِهِم عن لجنة العمل فكرةٌ مَغْلوطةٌ : «لَقَدْ خُيِّلَ لكثيرٍ من الشّغالين بأنَّ لجنة العمل مُنَظَّمةٌ فوق الحزب وفوق الـ س.ج.ت الوحدوية أي مُنَظَّمة جَبْهةٍ وحيدةٍ، بينما هي اندماج الحزب الشيوعي والنقابة» (255). لَقَدْ أدْلَتْ سوزان جيرون بتصويبٍ : نعم، كانت لجنة العَمَلِ مُكَوَّنَةً سابقا من الحزب

249 نفسه.
250 نفسه، السلسلة 94 (محضر اللجنة المركزية لـ 10 شتنبر 1925)
251 نفسه
252 نفسه
253 نفسه
254 نفسه
255 نفسه

الشيوعي، والشّبيبات الشيوعية، والـ س.ج.ت الوحدوية، والجمعية الجمهورية لقدماء المُحاربين... لكن بَعْدَ مؤتمر المنطقة الباريسية، صارت «شيئاً أوْسع». فقد ألحقت بها عُمّالًا غير مُنَظّمين. سيكونُ إذَنْ إطْلاقُ شعار الاضراب من طرف التّنظيمات التّقْليدية رجوعا الى الوراء وذهابا بعكس الهدف المنشود (256). وقد اقترح مَارَانْ، الذي كان في الرّئاسة، بأنْ يُعْهَدَ بتنظيم الاضْراب الى «هيأةٍ صغيرةٍ» مُشَكّلةٍ داخل الهيأة التنفيذية للجنةِ العَمَل ومُكَوّنَةٍ من ثلاثة مسؤولين يمثّلون الحزب الشّيوعي، والـ س.ج.ت الوحدوية ولجنة العَمَل. هكذا تَمّ تعيين تران، ومونموسو وطوريز. لقد وضح سيمار بأن هذا لا يمنع الحزب والـ س.ج.ت الوحدوية، بأن يعملا الى جانبهم. إلّا أنّ مونموسو لم يقتنع كثيراً فيما يبدو. لذلك عاد يُكَرّر : «هل تعتبر أنّ على لجنة العمل أنْ تُعْطِيَ شعار الاضراب العام للجماهير ؟». فأجاب سيمار «أعْتَبِرُ، أنّ من المستحيل أن يتكفّل تَنْظيمٌ آخر بإطْلاق هذا الشعار. إنّ لجنةَ العَمَل، المُمَثِّلَةَ المُباشرةَ للمؤتمرات العُمّالية، هي التي يتعيّن عليها إطْلاقُه. أقول بأنّه في لحظة الانطلاق، لا ينبغي الاكتفاء بتقديم لجنة العمل ببساطة بل لجنة العمل باعتبارها تضم الحزب الشيوعي والـ س.ج.ت الوحدوية، الشّبيبات الشيوعية، الخ)» (257).

موقف النّقابات

يشهد قرارُ تَوْسيع دلالةِ إضرابِ الأربع وعشرين ساعة بالمُقاومات التي لقيتها الشّعارات الأوّلية للجنة العمل المركزية داخل الطبقة العاملة. لقد لاحظ مونموسو في 18 غشت 1925 أمام اللجنة المركزية للحزب الشيوعي بـ «أنّ الجماهير لا تزال مُقاومةً لفكرة الاضراب العام» (258). وكان المؤتمر الوطني لـ س.ج.ت الوحدوية، الذي انعقد بَعْدَ بِضْعَةِ أيامٍ من ذلك، مناسبة لتوضيح بَعْضِ هذه المُقاومات. لقد قبل المُشاركون بالاجماع قراراً مطولا «حول الكفاح ضِدّ الامبريالية والحَرْب»، انتهى بدَعْوةٍ إلى الدّفاع لَدَى كلّ التّنظيمات النّقابية على مبدأ إضراب من أربع وعشرين وساعة، «مُرْتبِطٍ بشكْلٍ حميمي بحملة التحريض ضِدّ حرْب المغرب، وبشعار التآخي ومقاطعة صناعات الأسلحة والذّخيرة والنّقل الحَرْبي» (259). ولم يتصدى لهذا الاجماع، إلّا ثلاثة امتناعات، لكنّ المُمْتنعين كانوا يمثّلون

256 نفسه.
257 نفسه.
258 نفسه، السلسلة 93 (محضر اللجنة المركزية لـ 18 غشت 1925).
259 المؤتمر الثالث لـ س.ج ت الوحدوية، باريس، 26 ـــ 31 غشت 1925، عرض المناقشات، ص ص 67 ـــ 68

فدراليات هامّة : فدراليات السّككين، والتّدريس، والمصالح العمومية، وقد رَفَضَ كلٌّ وَاحِدٍ منهم، بطريقته، توريط مُوكّليه. وأكّد رولو، على الخصوص للمؤتمر تضامن المُدَرِّسين أعضاء النّقابة مع المجهودات المبذولة من طرف الـ س.ج.ت الوحدوية في حملتها ضِدَّ حَرْب المغرب، لكن نَظَراً «لعقلية أغلب مُوظّفي التّعليم» فقد اعتبر أنّ من المستحيل أن يُبْدِيَ رأيه «حتى حول مبدأ إضراب الأربع وعشرين ساعة» (260). هناك ما هو أدْهَى من هذا. فباستثناء مونموسو، لم يأخذ أيّ زعيم نقابي الكلمة لكي يعلّق إيجابياً على شعار الاضراب العام. لقد لاحظ السكرتير العام لـ س.ج.ت الوحدوية هذا الأمر في فاتح شتنبر أمام الحزب : «سياسياً، يُعْتَبَرُ إضراب الأربع وعشرين ساعة فاشِلًا. لقد كان يمكن أن يُسْتَقبَلَ بالهُتاف. إلّا أنّه استُقْبِل بطريقة بادرة، إنَّهُ لَفَشَلٌ» (261). وفي 10 من نفس الشَّهْر، عاد للالحاح : «يمكننا أن نقول بأنَّ ثمّة مقاومةً في مجموع البلاد. وإذا كانت هناك مقاومة من الأوساط النّقابية، فلأن الجماهير لاتستجيب لندائنا». لقد ربط مونموسو هذه المُقاومة بالتراجع الذي طَبَعَ، في نَظَرِه، النشاط النّقابي منذ بداية السّنة، فقد «تُرْجِمَتِ الخيبة التي أثارها عَدَم تحقيق الوَحْدة بنوع من الفُتُور في بعض فئات نقاباتنا الاتّحادية». وأضاف بأنّه ينبغي أن تؤخذ المشاكل النوعية لكلّ حِرْفَة بعين الاعتبار. فمن الصّعب تصوُّرُ إضرابٍ لدى السّككين والبريديين، بحُكْمِ التأثير الذي تمارسه، الـ س.ج.ت على الخصوص؛ في حين أنَّ تأثير هذه الأخيرة على المنجمين قليلٌ. كما أن الشروط التي تُؤَمِّنُ الوزارة ضمنها وصايتها على الصّناعات الحربية لا تَسْمح لعُمّالها بالاضراب. على عكس ذلك، تبدو تعبئة العُمّال، في كلٍّ من قطاعي التّعدين والنّسيج، أمْراً ميسوراً (262).

لقد كان أعضاء الحزب، الّذين لم يكونوا يمارسون مسؤوليات نقابية، يبدون أكثر تفاؤلًا. لقد ألَحَّ طوريز على «الخطأ» الذي يرتكبه كثير من الشيوعيين بخصوص الـ س.ج.ت. فَبِذَرِيعةِ أنّها تَجْتَذِب مُدَرِّسين ومُوَظّفين «خصوصا في أوساط اليمين» يَتِمّ

260 نفسه، ص ص 69 ــ 80. لقد وضح مونموسو بأنه غير وارد «توريط الطبقة العمالية في عمل يبدو صعب الانجاز»، لكن الأمر يتعلق بـ «الثقة في التنظيمات المركزية» لكي تحدد، «بعد احتلاق السيكولوجيا الاضرابية»، الشروط التي «سيتم ضمنها تحديد كيفيات الاضراب العام». وبعد أن اطمأن كل من رولو، وبيرنو، المنتدب من طرف شغالي المصالح العمومية، انضما الى هذا المقرر أما بيرلو، ممثل السككين، فناقش بالخصوص شعار التآخي واحتفظ بامتناعه. نفسه، ص ص 70 ــ 75.

261 أرشيفات معهد موريس ــ طوريز، السلسلة 94، (محضر اللجنة المركزية لفاتح شتنبر 1925).

262 نفسه، محضر اللجنة المركزية لـ 10 شتنبر 1925).

الادِّعاء، خطأ، بأنه ليس لديها قاعدة بروليتارية جدّية [263]. لقد أكّد بأنه «ليس العُمّال هُم الذين يرفضون الكفاح ضِدَّ الحَرْب»، بَلْ «نَحْنُ نُعَوِّلُ على مُناضلين لا يريدون دفعـ (هم) الى إضرابٍ من أربع وعشرين ساعة، ولو كان مَحْدوداً». ولم يكن وارداً، دون ريب، تعبئة جميع العُمّال، «ولكن لابد من حَشْدٍ كبير حتى يمكن القول بأنه كانت هناك مُظاهرة». ولأجْل هذا، لا يتعلق الأمْر بِفَحْص إمكانيات كلِّ حِرْفة بل «ينبغي أن نقول لأنفسنا : ما هي المَراكز الكُبْرى التي بإمكاننا أن نجلها ؟ ماهي المراكز الصّناعية المُهِمَّة التي بإمكاننا أن نعمل فيها (...) عندما سنقوم بهذا، سنرى أين وَصَلْنا في حين أننا الآن لا نعرف أيّ شيء. نحن عاجزن عن قول ما إذا كان في مُكْنَتِنا فِعْلُ شَيءٍ ما.» [264]. وقد تدخّل سيمار في نَفس المَنْحَى قائلا «عَلَيْنا أن نشن إضراب الأربع وعشرين ساعة رفقة القِوَى النّقابية التي ستكون الى جانبنا، وألّا نَزْعُمَ بأنّنا سَنجلب الجماهير العُمّالية والفلاحية العريضة حَوْل مسألة مثل مسألة حَرْب المغرب. إنه أمرٌ في منتهى الصُّعُوبة. فَمِنَ البديهي أنَّ البروليتاريين مجتذبون أكثر الى حركة إضراب حول المَطالب الفورية مما لو كانت حول حرب المَغْرب.» والأساسي هو عَدَم تبديد القِوَى، هو الاهتمام بالمراكز الأَكْثَر مُؤاتاةً، وإغفال المواضع الثانوية. لقد اعتبرتْ سوزان جيرو، هي الأخرى، بأنّ مُونْمُوسو يُقَلِّلُ من إمكانيات النّجاح، وطالبتْ بأنْ تُضاعَفَ الاجتماعات في النّقابات والدّوائر الشيوعية وأن يَتِمَّ القيامُ بحملةٍ بين الجماهير غير المُنَظَّمة بالمعامل [265].

بَعْدَ أنْ قَرَّرَ الحِزْبُ إرْسال مندوبين الى الأقاليم للتّحضير للاضراب وتنظيمه، اجْتَمَعَتْ لجنةٌ مركزيةٌ مُوَسَّعةٌ في 7 أكتوبر للاستماع الى تقاريرهم. جميعهم ألَحُّوا على الطّابع المُتَأَخِّر لتدخّلاتهم وعلى المصاعب التي لاقوها. في منطقة الشمال، يعتقد راباطي في نتائج حسنة لدى العاملين في قطاع التّعْدين، رغم قرار بعض أرباب العمل القاضي بالتراجع عن التّخفيضات الأخيرة للأجور [266]. وفي المناجم استغلَّ الاصْلاحيون هذا القرار ضِدَّ

263 لم يصطدم أبدا مباشرة بموموسو، لكن كان تحليله على طرفي نقيض من تحليل السكرتير العام لـ س ح.ت الوحدوية : «إنني مستمر في الاعتقاد بأن تركيبة مؤتمر الـ س.ح.ت (كان قد انعقد قبل ذلك ببضعة أيام، من 26 الى 29 غشت)، ما عدا بعض النقابات، كانت بروليتارية حقة لا أريد أن أتوسع، لكنني أسوق مثال مستخدمي با ــ دو ــ كالي الذين كانوا 30 000 إنهم ليسوا أشخاصا فقدوا كل وعي طبقي» نفسه، (محضر اللجنة المركزية لفاتح شتنبر 1925).

264 نفسه، (محضر اللجنة المركزية لـ 10 شتنبر 1925)

265 «إنكم تهيؤننا لثلاثة أشهر من العمل !» صاح موموسو. نفسه.

266 صرح بأنه لدى وصوله «كان عدد الرفاق المناضلين وبشكل خاص النقابات تشاؤم كبير» نفسه، (محضر اللجنة المركزية لـ 7 أكتوبر 1925. إن المعلومات التي تتضمنها هذه الفقرة مستقاة من هذه الوثيقة)

الاضْراب؛ ومن جهةٍ أخرى، لاحظ كيرش بأنّ الدّعاية لم تشمل العُمّال البولونيين (267)؛ ومع ذلك ظَلَّ مُتفائِلًا. أمّا في النّسيج فقد اصطدم المُناضلون على العكس بمصاعِبَ جَمَّة. في وقت بدا الوضع سيئا في الشرق. ففي الألزاس، وَضَّح شارل، عمل القرار الذي اتّخذتْهُ الـ س.ج.ت الوحدوية بإضافة المَطْلب الاستقلالي الى شعارات الاضْراب، على التّقليل من الامكانيات : إنّه يُقَدِّرُ بأن الحركة لن تَشْمَلَ سوى ثلاثة أو أربعة آلاف عامل، وثلاثة أو أربعة آلاف منجمي. وفي اللّورين، حسب ستينجير، لاينبغي الاعتماد سوى على 10% من المُضْربين بين التّسعين ألْف عامِل. وفي منطقة ديجون، يبدو الوضع رديئاً : فإذا كان المنجميون مع الاضراب، فإن عُمّال المَصَانع هُمْ بالأُخرى ضِدّه. وفي ليون، عَلَّقَ هيركلي بِدَوْرِه، «لسنا بَعْدُ مُسْتَعِدِّين لارتقاب حركة جيّدة» : فلا يمكن الاعتماد سوى على 25% من عُمّال المَعَادن؛ وفيما يتعلق بالنقل المحلّي (الحافلات والتراموي)، ليس هناك من أمل سوى في إضراب نصف ساعة على الأكثر؛ أما النسيج فلن يتحرّك؛ وفي روان، لن تتوقف المَصَانع طويلًا، وفي ساوون إيي لوار، لا يمكن وَضْعُ الثقة سوى في مَنْجَمِيي مونسول ـــ مين. وفاسار يعتمد على 70% من مَنْجَميي (لوا) وعلى 30 الى 40% من عُمّال قطاع التّعدين؛ وهو يعتقد أيضاً بأنَّ صنّاع الأسْلحة بسان ـــ إيتيان سيُضْربون. لقد وَضَّحَ مونموسو بأن الوضعية في الوسط تبدو جيِّدةً، سواء في بورج (باستثناء دار الصّناعة) أو في المَوَاضِع القريبة من آليي، خاصّة تلك التي توجد بها مناجم. أمّا فابي وكريمي فقد اقتسما المنطقة المُتَوَسِّطية. لقد لاقيا هناك مقاومات كبيرة. ومع ذلك، يعتقد كريمي في إضراب التراموِاي بمرسيليا وكذا إضْراب عُمّال الغاز. وفي الـ فوكلوز، يتوقّعُ أن تكون الحركة عامّةً في أربعة أو خمسةِ تكتّلات. ويقول فابي بأن نصف عمال التعدين بلوكار سينضمون للحركة. وفي سيت، يأمل في تَعَطُّلِ ثلاثة آلاف من عُمّال أحْواض السُّفن. لقد بدا من المؤكّد أن الحركة ستكون مُهِمَّةً في المراكز المنجمية كما أنّ البَلْدَاتِ الزّراعية لـ (بيريني ـــ أوريانطال) بدتْ له مُهَيَّأة. وفي الأكِتين، يعتقد بوفيل بأن الاضْراب سيكون عامّاً بالـ بوكو، في حين أنه لن يشمل أكثر من أربعة آلاف عامل في بوردو. أما تُروبَار، العائد من منطقة باس ـــ سين، فقد شَهِدَ، على العكس، تَقَلُّباً لِصَالِحِ الاضراب؛ إنه يُعْلِنُ بأنَّ حركَةَ المُرور في ميناء روين ستتوقّفُ عَقِبَ تَعَطُّلِ عُمّال أحْواض السُّفن، وأنَّ الاتّحاديين والكونفدراليين، في إيلبوف، مُتَّفِقون على التوقّف عن العَمَل في معامل النسيج، وأن سبعمائة سككي، في سوطفيل، أقرّوا الاضراب. يبقى الهافر Le Havre، حيث لم يَنْضُجِ الوَضْعُ بَعْد. وأخيراً، فإنَّ راينّو يوكّدُ بأنَّ «عَمَلَ تحْضير المَنطقة

267 إن وسائل الدعاية كانت مطبوعة بالفرنسية وحدها.

الباريسية مُكْتَمِلٌ». ويُقَدِّر أنّ من الممكن الاعتماد على 50% من المُضْربين في قِطاع التَّعْدين. بيد أن التحرّك سيكونُ صَعْباً لَدَى الشغّالين البَلَديين الّذين استفادوا مُؤَخّراً من زيادة في الأجور، وسيكون مَحْدوداً جدّاً لدى المُسْتَخْدَمين (من 10 الى 15%). لكن الاحتمالات إيجابية في قطاع البِناء، وقد ذَكَر راينو بأنَّ مُسْتَخْدمي النَّقل العمومي مستعدون لِشَنّ إضرابٍ يَعْتَقِدُ أنه سيكون «ناجحاً كُلَّ النّجاح».

اختيار التّاريخ

هناك ثلاثة اعتبارات بدت حاسِمةً للشّيوعيين لتحديد تاريخ إضراب الأربع وعشرين ساعة هي المستوى الذي بَلَغَتْه تعبئة الجماهير العُمّالية، والشّروط التي كانت تَتِمُّ ضمنها العمليات العسكرية، وأخيراً ضرورة رَبْط الحركة بقرار الاضْراب الذي اتّخذه النَّقْل العُمومي للمنطقة الباريسية.

لقد صاح مونموسو أمام اللجنة المركزية للحزب الشيوعي المجتمعة في 18 غشت أن - «عَلَيْنا أن نتوصَّل الى تحقيق الاضراب العام في فاتح أكتوبر أو في تاريخ قريب منه وإلّا سنصير مثيرين للسُّخرية أمام الجماهير» (268). لكننا رأينا كَيْفَ أنَّهُ كان يَعْتَبر بأن العُمّال لم ينضجوا بَعْدُ لِتَحَرُّكٍ كهذا (269)، وفي 10 شتنبر صَرَّحَ بأنَّهُ من المُتَعَذِّر تَحْديدُ تاريخ ما (270). لقد آزره سيمار، بينما أكّدَ راكامون، مُتَذَرِّعاً بالعَمَل الذي يتطلّبه «تَحْضِيرُ الأُطُر» صرح «لن نكون على أهبة إلا في شَهْرِ دجنبر على الأقلّ» (271). عندئذ انفجر طوريز قائلا «لم أعد أفهم شيئا. (...) هل ينبغي للعمل الاعدادي أن يستمر ثلاثة أشهر ؟» (272). لكن للعمليات العسكرية مُقْتضياتها. لذا قدَّرَ شاسينيْ أنّ أفْضَلَ تاريخ هو 20 شتنبر، اليوم العاشِر للهجوم. ففي تلك اللّحْظة تكون التّبِعَات الدّامية للمعارك قد ظَهَرَتْ للرأي بوضوح أكبر. و أضاف قائلا إننا إذا تأخّرنا، سنجازِفُ بأن نَجِدَ أَنْفُسنا أمام انتصارٍ فَرَنْسي يُبَلْبِلُ الرَّأيَ العام ويقلبه ضِدّنا. إنّه إذَنْ مع التّاريخ الأقْرَبِ ما أمكن. أمّا تران فقد أظْهَرَ، مِنْ جهةٍ أخرى، بأنه بسبب مَوْسِمِ الأمْطار، فإن العمليات العسكرية قد تتوقف بَعْدَ 15 أكتوبر. لقد ألحت سوزان جيرو بأَنْ يَتِمَّ تحْديدُ تاريخ أقْصى لشَنِّ الاضراب، فانضمّ سيمار لهذا الاقتراح، وصوّتت اللجنة المركزية المجتمعة في 10 شتنبر بالاجماع على 15 أكتوبر كتاريخ أقْصى (273).

268 أرشيفات معهد موريس طوريز، السلسلة 93، (محضر اجتماع اللجنة المركزية لـ 18 غشت 1925).
269 لقد شكك كادو من جهته في إمكانية شن إضراب في 20 شتنبر أو حتى في فاتح أكتوبر. نفسه.
270 نفسه، السلسلة 94، (محضر اجتماع اللجنة المركزية لـ 10 شتنبر 1925).
271 نفسه.
272 نفسه.
273 نفسه.

في الأسابيع التي تَلَتْ، لَمْ تُخْبِرِ الدّعاية للاضراب بأيِّ تاريخ، بل اكتفت بترديد أن هذا الأخير سيتم تحْديده «في أَمَدٍ قريبٍ» (274) مِنْ طرف اللّجنة المركزية للعَمَل والتّنْظيمات النقابية (275). وحَسَبَ عِلْمِنَا، لم يعد النقاش إلى هذه المسألة، لاداخل الأجهزة القيادية للحزب، ولا داخل أجهزة الـ س.ج.ت الوحدوية، الى غاية اجتماع لجنة مركزية موسَّعةٍ للحزب الشيوعي في 7 أكتوبر. لم يكن حماس مونموسو في هذا اليوم، كبيرا جدّا، كما رأينا، لكن، وضح قائلا، «سيظلّ المشكل هو نفسه خلال ثمانية أو خمسة عشر يوما أو حتى خلال شهر، ولن يتغير الوضع ». ومع ذلك رَفَضَ تعيين تاريخ محدد (276). عندئذٍ تدخّل تران : «لكي لا يمتدَّ النقاش كثيرا، ألقي للمناقشات بفكرة إضراب عام ليوم الاثنين 12 أكتوبر». فاعترض راكامون بأنه من الصعب الاتصال بالعمال في يوم أحد، وأنه يرجو أن يُشنَّ الاضراب غداة يوم عَمَلٍ. أمّا كالفي فرأى بأنه من الأفضل في (الباس ـــ سين) وخصوصا في (الهافر) اختيار الأربعاء 14، لكن طوريز أظهر، ومن بعده كيرش، بأنه بالنسبة للمنجميين ينبغي قطعا اختيار الاثنين. لقد تلاشت تحفظات القادةالنقابيين، مونموسو، راكامون، ورابنو، عندما أكّد طوريز بأنّ الملصقات ستكون جاهزةً في الوقت المناسب. ثُمَّ، بالأخصِّ، لم يَعُدْ مُمْكناً إرْجاءُ التحرك أكثر، لأن نقابة النقل الحضري (مترو) قررت أن تُضرب ولم يعد في مُكْنَتِنَا إمْسَاكُ مُناضلي النّقابة أكثر من أسبوع (كان يوم أربعاء) : «وإلّا، قال طوريز، لن نَحْصل لا على إضراب الأربع وعشرين ساعة، ولا على إضراب نقابة النقل الحضري (مترو)» (277) لأنّه من الواضح جدا أن إضراب النقل يشكل عُنصراً هامّا في نجاح التحرك في المنطقة الباريسية. وبعد تدخلاتٍ مختلفة، أعلنت اللجنة المركزية الموسَّعة شن الاضراب الانذاري لأربع وعشرين ساعة يوم 12 أكتوبر. لقد اتُّخِذَ هذا القرار بالاجماع، ما عدا امتناع واحد، هو امتناع بوفيل (278).

274 إنها العبارة المستعملة في مذكرة للجنة المركزية للعمل، غير مؤرخة، لكن من المحتمل جدا أن تكون قد كتبت في أواخر شتنبر أو الأيام الأولى لأكتوبر AN F7 13092.

275 مع ذلك نسجل، حسب تقرير للشرطة، أن مونموسو قد يكون وضح أمام المؤتمر البين فدرالي لـ س.ج.ت الوحدوية، المجتمع في 17 شتنبر أن الاضراب سيشن في الأسبوع الأول لأكتوبر. نفسه، F7 12919، كما أن برثيز سكرتير لجنة العمل للمنطقة الليونية قد يكون صرح في 16 شتنبر، حسب والي الرون، بأنه كان ينبغي التفكير في أن يتم الاضراب في النصف الثاني من أكتوبر. نفسه. F7 13177 (الرون). بينما قد يكون شاسيني، مسؤول الشبيبات الشيوعية، أكد من جانبه، بمناسبة اجتماع انعقد بباريس، بالبيلميلوار، في 30 شتنبر، أنه بالرغم من أن التاريخ لم يحدد بعد، ينبغي الاستعداد لـ 15 أكتوبر. نفسه. F7 12919.

276 أرشيفات معهد موريس ـــ طوريز السلسلة 94، (محضر جلسة اللجنة المركزية الموسعة لـ 7 أكتوبر 1925).

277 نفسه.

278 إن هنري بوفيل سكرتير لفدرالية شمالي التغذية، وعضو هيأة تحرير لافي أوفريار. لقد سبق أن انتدب من طرف الحزب لتنظيم الاضراب في المنطقة الووردولية والتحضير له وهو أحد الموقعين على رسالة الـ 250 الى الأممية انظر أدناه

عشية الاضراب، بدا الشّيوعيون ومُناضلو الـ س.ج.ت الوحدوية منعزلين. فلا الحزب الاشتراكي، ولا الـ س.ج.ت. أجابا على اقتراحات لجنة العمل. أمّا لوبّوبل، لسان حال النّقابات الكونفدرالية، فقد لزمت الصّمت تقريبا حول التحريض لصالح الاضراب (279). وحدهم الفوضويون قرّروا، منذ وقتٍ طويل، الانضمام اليه، مُظْهرين وجهة نظرهم الخاصّة التي لم تخلُ من سخرية : «عجبا، عجبا ! فكرة الاضراب العامّ هذه، المُشنَّع عليها كثيراً، المُهانة كثيراً !» (280). ويوم الأحد 11 أكتوبر، أصْدَرَتْ لوليبرْتير عَدَداً خاصّا، يدعو بعناوين كبيرة الى الاضراب العامّ ويُوضح شعاراته الخاصّة : «ضِدَّ كتلة اليسارات، ضِدَّ عبد الكريم، ضِدَّ كلّ المُغامرين، ولكن من أجْل الحُرّية للجميع، من أجْلِ انعتاق الشغالين»، تعالوا لتهتفوا : «كفى من المجازر، كفى من الدَّم، لتَسْقُطِ الحَرْب !».

الحصيلة

عنونت لومانيتي في 13 أكتوبر 1925، على سبعة أعمدة بما يلي : «كارتيل اليسارات يتقل العُمَّال». لقد تميز يوم 12 بالفعل بأحداث خطيرة : ففي سُورين قُتِلَ عامل شيوعي يدعى آندري ساباتّيي؛ وفي سان ـــ دوني، أطلقت الشرطة النّار على المتظاهرين؛ كما أن جاك دوريو اعتُقِلَ على إثر صدام مُتَّهماً بضرب رجال الأمن وحُبِسَ في سجن لاسانتي. هذه الأحداث هي التي أحدثت ضَجَّةً في الجريدة الشيوعية. أماعن حجم الاضراب، فقد أبْدت الصّحيفة ارتياحاً في منتهى الاعتدال. ولم تعط لا في ذلك اليوم، ولا في الأيام التي أعقبته، التقدير الاجمالي لعدد المُضْرِبين. لقد أكّدت بأن التعطّل عن العمل في باريس وضواحيها كان أكثر من فاتح مايو السابق، وهذه إشارة بالغة الضّآلة. أما الصّحيفة النّاطقة بلسان الـ س.ج.ت الوحدوية، وهي الحياة العمالية التي ظَهَرَ عَدَدُها بعد ثلاثة أيام على الاضراب، فقد كانت هي الأخرى أكثر تحفّظاً. وفي 14 أكتوبر نُشِرَ بَلاغان. الأوّل صَدَرَ عن المنطقة

279 في 11 أكتوبر، نشرت لوبوبل مقالا عن «الاضراب الشيوعي» لكن الأمر تعلق فقط بالعمل الذي قام به المستخدمون الاتحاديون لنقابة النقل الحضري، وفي 12 أكتوبر اكتفى لسان حال الـ س.ج.ت بتسجيل : «سيحاول الشيوعيون هذا الصباح شن إضراب «عام» لأربع وعشرين ساعة. إن فشل التحرك في نقابة النقل الحضري يسمح بالشك في نجاح هذه المظاهرة».

280 لوليبرتير، 2 أكتوبر 1925. يبدو صاحب المقال قلقا لكون الاضراب انحصر في بعض المهن. وفي 9 أكتوبر، عند عرضها لاجتماع نظمته لجنة العمل في آمياد، أكدت لوليبرتير بأن كاشان وإ. جيرو تعرضا فيه لسخط الجمهور الحاضر وأن شاروف، الذي خالفهما، واجه الفوضويين الذين سيضربون بمناضلي النقابات الاتحادية للسككيين والبريد والميترو الذين سيعملون.

الباريسية للحزب الشيوعي؛ وقد امتدح الاضراب [281]. أما الثّاني، وهو من اللجنة المركزية للعمل، فقد توجّه «الى جميع الشّغّالين»، وشَجب القمع الذي طَبَعَ يوم 12، لكنه ظَلّ مُتَكَتِّماً حول حجم الاضراب [282].

هل يتوجّب إذن تصديق صحافةِ اليمين والصّحافةِ الحكومية الّلتين اعتبرتا بأن «الاضراب الشّيوعي» قد مني بالاخفاق ؟ لقد كتب محرر افتتاحيات جريدة لوفر بأنه «إذا كان هناك شيء في هذه القَضيّة يُشَرّف سياسة الكارتيل، فليس كون حكومة بانلوفي قد أَوْقَفَتْ الحركة الكبرى المُعْلن عنها، بل كون الحركة الكبرى المعلن عنها لم تحصل» [283]. أما صحيفة لوجورنال، فقد نشرت تصريحاً أَدْلى به، وزير الدّاخلية شراميك ليلة 12 : «إن انطباعي عن الاضراب هو أنه شكّل فَشلًا ذريعاً». غير أن أرشيفات الدّاخلية تكذّب بشكل واسع تصريح الوزير. فبالرغم من أن المعلومات المستقاة من ساحة بوفو صبيحة وفي بداية منتصف نهار 12 غير دقيقة ولا مكتملة، إلا أنها بعيدة فعلا عن الاستهانة بعدد المضربين.

في السّين، يمكن تلخيص تقديرات إدارة الشّرطة في اللائحة التّالية [284] :

القطاعات	عدد المضربين	عدد العاملين
1) المصالح العمومية وذات الصبغة العمومية		
☐ نقابة النقل الحضري	1961	16 254
☐ الطاكسيات	4483	8 004
☐ الشّغالون البلديون	100	9 000
☐ ليس ثمة مضربون بين السككيين والبريديين ومصالح الماء والغاز والكهرباء.		

281 «استحثتهم يوم الاثنين لنداء لجنتكم للعمل بحركة إضراب رائعة سيصل صداها حتى حال وسواحل الريف لكي يحث الجنود والملاحين الفرنسيين على إنهاء الحرب بتآخيهم مع الريفيين»، لوماليتي، 14 أكتوبر 1925.

282 نفسه

283 13 أكتوبر 1925 (حاك بيو)

284 .AN F7 12919

2) الصناعات المُختلفة :

القطاعات	عدد المضربين	عدد العاملين
☐ البناء	1 000	
☐ التّعدين		
. رونو	2425	28 750
سيتروين	2400	16 000
سالمسون	900	1918
هيسبانو — سويزا	730	2000
دولاج	123	2400
آخرون	601	8565
☐ مصافي البترول	1000	4000

فيما يتعلق بالاقليم، يمكن جَمْع المعلومات المُرْسلة من طرف الولاة كالتالي [285] :

☐ كان العمل طبيعياً في ثلاث وثلاثين مقاطعة [286]؛

☐ كان عدد المُضربين دون الخمسمائة في اثنتي عشرة مقاطعة [287]؛

☐ كان بين الخمسمائة وثلاثة آلاف في إحدى عشرة مقاطعة [288]؛

☐ فاق ثلاثة آلاف في ثلاث مقاطعات [289]؛

☐ وأخيراً فإن الاشارات المُرْسلة من أربع وعشرين مقاطعة كانت ذات طابع كيفي أو أُعْطيت بالنّسبة المائوية من تَعْداد الشّغالين. وفي مقاطعتين فقط وهما لوكار والرّون كان التعطّل مُهِمّاً نسبياً.

285 لم يتم إبلاغ أي خبر يتعلق بمقاطعات هوط — مارن، أورن — هوط — بيريني ودو — سيفر. نفسه.

286 من بينها لحد الآلب — ماريتيم — ايزرادين، دون، آندر، لامور، موربيهان، هو — راين، فار وفيينا.

287 من بينها آفيريون، كانطال، هوط — غارون، سين — إي — مارن وفوكلور.

288 أرياح — بو — دو — رون، كالفادو، جيروند، إيزير، لوار — آنفيريور، مين — إي — لوار، مورث — إي — موزيل، باس — بيريني، سين — إي — وار وسوم.

289 إيسن (3200)، الشمال (8.500)، لوار (000 28).

تستدعي هذه التقديرات بعض التّعليقات :

في السّين، من المضبوط أن أغلبية المصالح العمومية الكبرى لم تُضْرب (290). لكن يبدو لنا أن عدد المُضْربين في النّقل العمومي كان أهَمَّ بكثير. ففي النّقابة الاتّحادية للنقل الحضري حدها نجد إثنى عشر ألفاً وستمائة عَوْناً. وقد كانوا، كما أكّدنا على ذلك، مُحَفَّزين حدا للاضراب. لذا من الصّعب الاعتقاد بأن 15% من بينهم فقط هم الّذين اتبعوا تعليمات قادتهم (291). وفي الصناعة الخاصّة، يعتبر قطاعا التعدين والبناء أهم قطاعين مُسًّا أكثر بالاضراب : فاعتقالات المُضْربين التي تمَّتْ خلال ذلك اليوم تُؤكّد هذا (292). لكنّهما لم يكونا، مع مصافي البترول، الفروع المهنية الوحيدة التي همَّها الأمْرُ. لنسجِّل، قِطاع الكتاب، وقِطاعيْ الأثاث والجلْد في ضاحية سان — أنطْوان، وقطاع التغذية في الدّائرة التاسعة عشرة، وذلك لكي لانشير سوى الى قطاعات كان التحريض فيها محسوسا على الخصوص (293). ينبغي أيضاً أن نُدْخِلَ في الاعتبار كَوْن المعلومات المُقَدَّمة مِنْ طرف مفَوَّضية الشُّرطة لا تعني سوى «المُؤسَّسات الأكْثَرِ أهمية». ويبدو لنا في الأخير أنه من غير الممكن ألا يَكُونَ الاضراب الذي مَسَّ النَّقْل العُمُومي قَدْ أثَّر على تعدادات العمال والمُسْتَخْدَمين العاملين في قطاعات أخرى.

إنَّ أهمية حركة الاضْراب في الاقليم أكثر صعوبة في التّقدير. فإذا لم نأْخُذْ بعين الاعتبار سوى الاشارات المُعْطاة من طرف سلطات المُقاطعات، وقبلنا أرقامها حرفيا، وحاولنا تحديد كميّة المعلومات المُقَدَّمة بالنسبة المائوية أو بالترتيب الكيفي، نصل الى تقدير من مائةِ ألف مُضْرِب في خمسين مُقاطعةً. لكن ينبغي أنْ نُسَجِّل بأنه باستثناء (اللّوارْ) التي يعطي الوالي بصددها تقديراً إجمالياً من ثمانية وعشرين ألف مُضْرب، فإنّ كل الاشارات الأُخرى جزئية. هكذا لا يهمُّ الثّمانيةُ آلاف وخمسمائة مُضْرب الذين تم إحصاؤهم من طرف والي الشّمال سوى حَوْض أنيشْ المنجمي بمفرده (تسعة آلاف عامل !). بينما لم يُحْصِ والي

290 كانوا يعرفون، في كل الأحوال، بأنهم يستوجبون الطرد الفوري. أنظر تصريح شراميك الى جورنال، 13 أكتوبر 1925.

291 لقد ادعت لومانيتي أن 12000 عونا قد أضربوا. هذا الرقم مبالغ فيه وقد كذبه الى حد كبير النداء الى «غير المضربين» (لأن إضراب نقابة النقل الحضري استمر ما بعد 12 أكتوبر) الذي نشرته اليومية الشيوعية بعد بضعة أيام من ذلك (15 أكتوبر 1925) من جهة أخرى، وحسب الادارة، فإن عدد السيارات التي كانت متحركة في 12 أكتوبر هو 2015 مقاربا خدمة طبيعية لـ 2761. لكن لاينبغي أن ننجر الى هذا الرقم نظرا لتدخل العسكريين والمستخدمين الخارجيين على المؤسسة.

292 انظر أدناه

293 في 11 أكتوبر، عشية الاضراب، توقعت مذكرة لمفوضية الشرطة 2500 مضربا فقط في قطاعي الكتاب والتعدين، 9000 في الجلد والفراء و5000 في الأثاث AN F7 12919.

(الهوط ــ كارون) سوى تسعة مُضْربين في تولوز، ولزم الصمت عن باقي المُقاطعة. يمكننا مُضاعَفةُ الأمْثلة التي تَشْهَدُ بتنافر المعلومات المُرْسلة (294). فإذا قارَنّا المسألة من خِلالِ الفروع المهنية، نجد أنَّ إضْراب البناء غير واردٍ سوى في مقاطعتين اثنتين، الرّون 60% من العاملين وليسن 10%، أما في المناجم، فباستثناء مركز أنيشْ، المُشَارِ إليه آنِفاً، يكون الاضراب قد مَسَّ، حَسَبَ السُّلطات، «غالبية العُمّال» في لوكارّ وفي اللّوارْ، وأعداداً قليلةً في باقي المُقاطعات (295). بينما لا نتوفّر، بخصوص النّسيج، سوى على إشارتين مُقدَّمتين من طرف والي لارْييج الذي سَجَّلَ ستمائة مُضْرب في لافلاني، ووالي السين آنفيريور الذي قَدَّرَهُم بـ 11% من تعدادات المُسْتَخْدَمين في إيلبوف.

يقودنا تقدير العدد الاجمالي للمُضْربين، بالتّالي، الى تصحيح المُعطيات المستقاة مِنْ طرف وزارة الدّاخلية وتكملتها (296). ويبدو لنا أنّه، لكي نأْخُذَ بِعَيْنِ الاعتبار البَخْسَ الحاصل في التّقْدير البديهي لبعض احصاءات القطاعات المهنية المنسية، وكذا الاجحاف الذي مس في الاقليم إحصاء مناطق كاملة مصنَّعةٍ بشكلٍ قوي، ينبغي أن نضرب على الأقل في اثنين وعلى الأكثر في أربعة التّقديرات التي أتينا على ذكرها في السين وفي المقاطعات. هكذا نتوصَّلُ الى وَضْعِ عَدَدِ المُضْربين في السِّينْ بين خمسين ألف كعددٍ أدْنى ومائة ألف عامل كعددٍ أقصى. وفي الاقليم نَصِلُ الى تقدير مُتضَمَّنٍ بين مائتي ألْف وأربعمائة ألف مُضْرب. وبالتالي، فإنّ عَدَدَ المُضْربين يكونُ مُتَضمناً في المجموع بين مائتين وخمسين ألف وخمسمائة ألْف.

□ □ □

هذه الأرْقام بعيدة جِدّاً عن رقم تسعمائة ألف مُضْرِب الذي كان يَظْهَرُ، بشكلٍ شعائري، وخاصّةً منذ نهاية الحرب، في كتابات القادة الشيوعيين، عند إثارتهم لعمل الحزب

294 في سين ــ إي ــ كارون، أحصى الوالي 120 مضربا بمولان، 60 بمو و27 بپروفان. في فوكلوز، 150 بأفينيون، و200 بسولين. وفي إيرير، «حوالي ألف من المضربين من قرابة 000 100 عامل»؛ في مين ــ إي ــ لوار، 800 مضربا، ولكن في مؤسسة واحدة لآنجير؛ في جيروند، 1100 مضربا في الأوراش البحرية من 1700 عامل، «من جهة أخرى حوالي 3%؛ في مورث ــ إي ــ موزيل، «667 مضرب من 30000 عامل منجمي وتعديني».

295 400 في أفيرون، 444 في شامبانياك، في كانطال، منجمان في بيريني ــ أوريونطال، لكن لم تتم الاشارة الى أي مضرب من بين منجمي با ــ دو ــ كالي وساوون ــ إي ــ لوار

296 ينبغي أيضا أن نحتفظ في أذهاننا بالتقديرات التي قدمها في 7 أكتوبر مسؤولو الحزب الشيوعي حول درجة التحضير للاضراب.

الشيوعي الفرنسي ضِدّ حَرْب الرّيف (297). ينبعي أن نتوقّف لحظةً أمام هذا الاختلاف. وبالفعل، يعزو العديد من المؤرخين، ومن بينهم كثيرون لا يخفون موقفهم النّقدي إزاء الحركة الشّيوعية، تقدير التسعمائة ألف مُضْرِب هذا للحزب الشيوعي الفرنسي نفسه، **غداة 12 أكتوبر 1925**. بل إنّ بَعْضَهُمْ مُقتنعون بأنّهم قرأوه في لومانيتي (298). لكن ينبغي أن نكرر بأن اليومية الشيوعية لم تعلن لا في 13 أكتوبر، ولا في الأيّام التالية، رقْماً كهذا، سواء في عناوينها، أو في تعليقاتها. لقد تميّزت لهجة لسان حال الحزب الشيوعي، بعكس ذلك، بالغياب الكلي للنّزعة الانتصارية. وَحْدَهُما، ألبير ثْران، في 15 أكتوبر، ومورس طوريز، في مقال بالمراسلة الدولية، في 28 أكتوبر، تحدّثا عن «مئات الآلاف من المُضْربين» (299). حقّاً، لقد اتّهمَ المائتان وخمسون مُعارِضاً داخل الحزب، في رسالتهم المفتوحة للأممية (300)، المكتب السّياسي بـ «التّرويج في كل مكان بأنّ أكثر من مليون عامل اتّبعوا في 12 أكتوبر شعار لجنة العمل»، في حين كان الاضْراب في رأيهم، «فَشَلًا مُحْزِناً». ومع ذلك، لم يقم أيّ بلاغ للحزب أو للّجنة المركزية للعمل، كما رأينا، بالاشارة إلى تفوّق مُمَاثِل. لقد ابتهجت لجنة الحزب الشّيوعي للمنطقة الباريسية، المجتمعة في 14 أكتوبر، للنتيجة (301)، لكن بعبارات كانت

297 «إن الاضراب ضد حرب المغرب وسوريا، ضد ضرائب كايوكس، من أجل الزيادة العامة في الأجور، تم في 12 أكتوبر 1925. وقد شارك فيه 900000 عاملا إنه أول إضراب سياسي جماهيري منذ الحرب»، طوريز، ابن الشعب، الطبعة الثانية 1949، ص ص 53 ــ 54. «في 12 أكتوبر، أضرب 900000 شغال وتظاهروا»، **تاريخ الحزب الشيوعي الفرنسي**، المنشور تحت إشراف جاك دوكلو وفرانسوا بيوكس، 1964، ص 169. «إضراب عام تم في 12 أكتوبر بمشاركة حوالي 900000 شغال» ج دوكلو، **مذكرات**، 1968، الجزء الأول، ص 241.

298 أ. عياش : «في 12 أكتوبر 1925، وبنداء من لجنة العمل، قام 900000 عامل فرنسي بإضراب سياسي جماهيري لأربع وعشرين ساعة لكي يطلبوا وقف الحرب التي تشن على الشعب المغربي»، **المغرب**، 1956، ص 333. جان بروها ومارك بيولو : «في 1925، شاركت الـ س.ح.ت الوحدوية في اللجنة الوطنية للنضال ضد حرب المغرب (كذا) التي دعت الى الاضراب العام وفي 12 أكتوبر، توقف 000 900 عاملا عن العمل»، **مخطط لتاريخ الـ س.ح.ت**، 1966، ص ص 106 ــ 107. ن. لوكيبك : «أضرب 000 900 عامل حسب **لومانيتي**، بضعة آلاف حسب الصحافة الحكومية، في 12 أكتوبر» مقال مشار اليه، ص 52، ج. كريماديس : «000 000 1 من العمال حسب الحزب توقفوا عن العمل» (أعطى الكاتب كمرجع **لومانيتي** لـ 13 أكتوبر 1925)، **مشار اليه**، الجزء الأول، ص 123. وفي ندوة عبد الكريم سنة 1973، أثار إثنان من المشاركين هذا الاضراب : ر. شارفان : «توقف 000 900 عامل عن العمل في مجموع فرنسا، وبشكل خاص في بعض القطاعات . الحوض المنجمي للشمال، والساء» ور. كاليسو : «في 13 أكتوبر، أعلنت **لومانيتي** عن مليون من المضربين» **مشارع آنفا**، ص 228 و246

299 لقد شهر تران بـ «المخطط البورجوازي» الذي يستهدف تقديم الاضراب العام كإخفاق، **لومانيتي**، 15 أكتوبر 1925 **ومراسلة دولية**، رقم 104، 28 أكتوبر 1925 (السيد طوريز : «المظاهرة البروليتارية لـ 12 أكتوبر»)

300 انظر أدناه.

301 **أرشيفات معهد موريس ــ طوريز**، السلسلة 119، (محضر لجنة الحزب الشيوعي للمنطقة الباريسية، 14 أكتوبر 1925).

من الاعتدال بحيث أن بيانها، المُخصَّص لأعضاء الحزب، لم يتحدث عنها حتّى (302)
وخلال النّدوة الوطنية لأيام 19 — 21 أكتوبر، لَخَّص سيمار وجهة نظر الحزب الشّيوعي
الفرنسي : «إذا كان (الاضراب) لم يَشْمل الجماهير الواسعة، فقد حَقَّق تحرُّكاً قوياً ذا طابع
سياسيٍ واضح، بما أنه كان من أوّل الاضرابات الذي استَنْهَضَ العُمّال حَوْلَ مسألةٍ سياسيةٍ
ودَافَعَ عن لومانيتي ضِدَّ الاتّهام بكونها رفعت تقديرات عدد المُضْربين (303). أمّا في المؤتمر
الوطني لِليل في يونيو 1926، وَحْده دوريو عاد الى الاضْراب : «لقد أردنا اجتذابكم الى
إضْراب عام لأربعٍ وعشرين ساعة. ليس من عادتي أن أتَلَمَّظ بالكلمات. أعرف أن كثيرين
منكم ممن يهتفون بشعارات الحزب لم يخرجوا (304). لقد أحسنوا صُنْعاً أوْ بالأحْرى أساؤوا
كان عليكم أن تخرجوا. لكن ليس هذا وقت مؤاخذات» (305). بينما استعاد سيمار بدوره، في
كتاب **حربُ الريف**، الصّادر في نفس السَّنة، تعبير «مئات الآلاف» من المُضْربين (306)
ولابُدَّ من التّأكيد على موقف لومانتي في السنواتِ التي تَلَتْ. فنحن نعرف الأهمية التي
يكتسبها الاحتفال بالأعياد السنوية على الصّعيد السّياسي. لكن بعد حديث كاشان في 2
أكتوبر 1926 عن «الطبقة العاملة (التي استَجابتْ) لشعار لجنةِ العمل بقوة كبيرة وبأسٍ
شديد»، أخَذَتِ اليومية الشّيوعية تَنْزَعُ الى ألّا تحتفظ مِنْ هذا اليوم سوى بالموت التراجيدي
لأندري ساباتّيي (307).

من أين أتى، والحالة هذه رقم التسعمائة ألْف وحَتّى المليون مُضْرِب ؟ إنّ افتراضنا هو
أنّ هذا التّقْدير ظهر في أوساط الأُممية. ففي أواخر 1925، حاول أحدُ النّقابيين هو ف
بيلوك وهو مندوب الـ س.ج.ت الوحدوية لدى الأُممية النّقابية الحمراء، بموسكو أن يقوم
بحصيلة ليوم 12 أكتوبر. فقدَّر بخمسمائة وستّين ألفاً عدد الشغّالين الذين أضربوا في
القطاعات الأربعة التي مسَّتْها الحركةُ بشَكْلٍ أساسي : المناجم 200.000، التَّعْدِين

302 انظر نشرة **المنطقة الباريسية**، عدد 3 — أكتوبر — نوبر 1925، المعهد الفرنسي للتاريخ الاجتماعي (مجموعة ماري صندوق 208). لنسجل أيضا بأن **النشرة الاخبارية للحرب الشيوعي** ذكرت طوبلا في عددها الثاني لـ 15 شتنبر 1925 بأهمية إضراب الـ 24 ساعة، لكنها لم تقل عنه شيئا في عددها الثالث (15 أكتوبر 1925؛ أكان الوقت مبكرا حدا ؟) وفي عددها الرابع (5 دحنبر 1925؛ هل كان الوقت متأخرا حدا ؟) نفسه. (صندوق 218).

303 **أرشيفات معهد موريس — طوريز**، السلسلة 90، (تقرير سيمار عن الوضعية السياسية) و**دفاتر البلشفية**، فاتح نونبر 1925، ص ص2080 — 2082.

304 أي : لم يغادروا أماكن عملهم للمشاركة في الاضراب.

305 **المؤتمر الوطني الخامس للحزب الشيوعي الفرنسي**، ليل، 20 — 26 يونيو 1926، عرض مختزل، ص 48.

306 مشار اليه آنفا، ص ص 77 — 87.

307 بين 1926 و1936، تم إحياء هذا الحفل التذكاري أربع مرات : في 1927، في 1929، في 1930 وفي 1933.

150.000، صناعة النّسيج 110.000، والبناء 100.000 (308). وَدُون أن يُقدّم أيّ تفسير، استَطْرَد فجأة : «يمكننا تقدير عدد المشاركين، في مجموع فرنسا، في إضراب الأربع وعشرين ساعة هذا بحوالي مليون من الشغالين». هكذا استسلم لتقدير في منتهى الجرأة، قائم على نشاطات مهنية غير تلك التي تدخل في القطاعات الأربعة المذكورة أعلاه، نشاطات قيّدها بالجملة، دون أن يفسّر ذلك، على أنّها عَرَفَتْ حوالي أربعمائة ألْف مُضْرِب (309). وبعد بضعةِ أسابيع من ذلك، انتقل طوريز بدوره، أمام اللّجنة التّنفيذية للأممية مِنْ «بِضْع مئاتٍ من الآلاف»، إلى «حوالي مليون من المُضْرِبين» (310). مع زينوفييف، تجاوزت المبالغة حدودها. ألا يرجع الحكْمُ التالي الى رئيس اللجنة التنفيذية للأممية، الذي يبدو أنّ غياب الواقعية طبع كثيراً من تدخلاته : «في الوضعية الرّاهنة لفرنسا، لايمكن للحزب أن يكتفي في إضْراب إنذاري بمليون مضرب، بينما عدد البروليتاريا الفرنسية عشرة ملايين من الشغالين» (311). وفي 1931، أوْرد أندري فيرا في كتابه **تاريخ الحزب الشيوعي الفرنسي** ـــ لأول مرة في مطبوع فرنسي ـــ حصيلةً مُرَقَّمَةً للاضْراب، الذي «شارك فيه قرابة تسعمائة ألف عامل في مجموع البلاد»، واستعاد بين قَوْسَيْن التّقْديرات الجزئية لبيلوك 200.000 منجمي، و150.000 عامل في التّعدين، و100.000 عامل في البناء، و110.000 في النسيج، مُؤكّداً على هذا النّحو فَرَضيتنا (312). ومنذ ذلك الوقت، لم يبق أمام موريس طوريز، الذي صار سكرتيرا عامّاً للحزب، سوى أن يُصَادق نهائيا على هذا التقدير في سيرته الذّاتية.

308 **الأممية النقابية الحمراء**، دجنبر 1925، ص 1043. يقدم ف. بيلوك عناصر قليلة لتدعيم تقديره مع ذلك، ينبغي تسجيل أنه يقدر بأن حوالي ثلثي المنجمين أضربوا (40% في الشمال وبا ـــ دو ـــ كالي؛ 95% في كار، والمركز ولوار)، وهو تقدير يبدو لنا مبالغا فيه.

309 إن الاشارات الوحيدة التي يقدمها تهم النقل العمومي في باريس وفي الاقليم، وكذا توقف عمل مينائي سيت وروين، «بضعة آلاف من عمال المنتوجات الكيماوية» في ليون، «100% من المضربين في أوساط الترامبليين لبوردو»، و«نسبة عالية من المضربين» في دور صناعة طارب، بورج ورواد. **نفسه**

310 «النتائج، أيها الرفاق ؟ قرابة مليون من المضربين. وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن أهم الفدراليات، تلك التي كنا نمارس عليها تأثيرا كبيرا، مثل السككيين، والبريديين، والموظفين لم تشارك في الحركة، يمكن أن نقول على الأقل بأن حركة الاضراب لم تكن إخفاقا» **دفاتر البلشفية**، 15 أبريل 1926، ص 942 (دورة اللجنة التنفيذية الموسعة للأممية الشيوعية، جلسة 20 فبراير 1926). انظر أيضا **لومانيتي** لـ 31 مارس 1926.

311 **مراسلة دولية**، عدد 64، 25 مايو 1926، ص 706 (دورة فبراير ـــ مارس 1926 للجنة التنفيذية الموسعة، تقرير حول المسألة الفرنسية). إن كون الـ 250 قد حملوا، كما أشرنا الى ذلك، المكتب السياسي مسؤولية رقم المليون من المضربين لايفند بالضرورة فرضيتنا : فقد توجه الـ 250 للأممية، وهي التي توجوا إقناعها بصواب موقفهم وتنبيهها ضد التعليقات، التي أثارها الاضراب والتي اعتبروها مغالية.

312 مشار اليه سابقا، ص 148.

مِنْ غير المُجْدي تماما المغالاة في الأرقام لتقدير أهمية إضراب 12 أكتوبر 1925. فقد شكَّل أوّل مظاهرة سياسية جماهيرية مُنَظَّمة على الصّعيد الوطني منذ نهاية الحرْب. لقد أخذتِ الحركة على عاتقها، دون ريب مطالب اقتصادية واجتماعية عامة، وحتى فئوية، الى جانب الشّعارات المتعلّقة بحرب الرّيف، لكن لم يخطىء الأنصار ولا المعارضون حول مدلوله : لقدْ تَمَّ تنظيم الاضراب قَبْل كل شيء للرّدّ على أحداث المغرب. وكانت نية جميع المشاركين إظهار معارضتهم لحربٍ امبريالية، وبالنسبة لأغلبيتهم، إظهار تعاطفهم مع الشّعب الريفي. لقد ظل كثير من مناضي اليسار مَصْدُومين بذكرى عجز الحركة العُمّالية عن منع حرب 14. وفي 1912، بعد أن نشبت الحرب في البلْقان، تمكنت الس.ج.ت. من تنظيم إضراب إنذاري لِوضْعِ حَدٍّ «لحماقات أوربا العكسرية». وبعد عشرين شَهْراً من ذلك، انضمَّ سكرتيرها العامّ، ليون جوهو، الى الاتحاد المُقدَّس. لقد شكّلتْ حرْب الرّيف أوّل مناسبة لِتَقْدِير ابنّضالية العُمّالية، ومقْدُرة الجيل الجديد من النّقابيين على اجتذاب رفاقهم للتوقف عن العمل والنّزول الى الشارع للهُتاف بمعارضتهم للحرْب. وعُنْصُر الجدَّة، بالنسبة للعالم العُمّالي، هو أن هذا الاحتجاج، الذي طُلِبَ بذلك الشّكْل لم يستهدف الحرب فحسب، بل استهدف لأوّل مرة في تاريخه حرباً استعمارية.

لاينبغي أن ينسب عَدَدُ المُضْربين للتّعدادات الاجمالية لـ C.G.T.U. فهذه التّعدادات تصل الى خمسمائة ألْف، في حين قررت فدراليات مهمة، مثل السّككين، والبريديين، والتعليم العمومي، كما رأينا، ألّا تتبع الحركة. أما في القطاعات الأربعة الأكثر أهمية التي مَسَّها الاضراب وهي المناجم والتّعدين والنسيج والبنّاء، فلم يكن هناك حسب تقديرات الـ C.G.T.U، سوى مائة وخمسين الى مائة وخمسة وثمانية ألف عضو نقابي اتّحادي (313). فإذا سَلَّمْنا بأنهم قَدَّموا ثلاثة أرباع العُمّال المُضربين، نستنتج بأنَّ عَدَدَ المُضْربين، في هذه القطاعات وحدها، يساوي، على الأقل، عدد الأعضاء النّقابيين الاتّحاديين وعلى الأكثر الجماهير المُجْتَذَبة الى الاضراب والتي تمثّل ضِعْفَيْن ونصف من التّعدادات المُراقبة من طرف الـ C.G.T.U. واعتبارا للمغالاة المُحْتَملة للتّعدادات النّقابية التي كانت في أساس هذا الاحصاء، يبدو لنا أنَّ من المعقول القَبول بأنَّهُ من بين كل اثنيْن من المُضْربين مُنْضوِيّيْن في الـ C.G.T,U هناك مُضْرِب غير اتّحادي يمكن أن يكون إمّا مُنخرطاً في نقابة كونفدرالية أو مُسْتقلّة وإمَّا غَيْرَ نقابي.

313 إن رقم 150000 عضو نقابي أعطاه بيلوك، في المقال المشار اليه سابقا، دون أن يعطي تحليله، ووضح بيلوك نفسه في مقال آخر بأن النقابات الاتحادية كانت تضم في فاتح يناير 1926 000 40 مصوبا في المعادن، 000 35 إلى 40000 في باطن الأرض، 35000 الى 000 40 في النسيج و45000 في البناء. الأممية النقابية الحمراء، مايو 1926، ص ص 483 ـ 488. بالنسبة لموموسو، فإن النقابات الاتحادية كانت تضم 000 60 مصوبا في فبراير 1925 نفسه، أبريل 1925، ص ص 277 ـ 280.

مائتان وخمسون ألفاً الى خمسمائة ألف مُضرِب، ثُلُثهم من خارج صفوف الـ C.G.T.U : لم تكن هذه الحصيلة لتشكل إخفاقاً بتاتاً، اعتباراً للظروف، ولن يكون لها ما يعادلها إلى غاية 1934. فقد حد القمع الذي سَتُجلِي لاحِقاً ملامحه المختلفة، من التحريض لصالح الاضراب. وأبرز تهديد الطَّرد المُلَوَّح به تجاه الشّغالين الأجانب، وموقف الاشتراكيين وقادة النّقابات الكونفدرالية عزلة مناضلي الحزب الشيوعي الفرنسي والـ C.G.T.U. يمكننا أيضاً أن نتساءَل عما إذا لم تكن نضاليتهم قد قلَّتْ بسبب تضاعف النّزعات الاجتماعية التي تنتهي بفشل النّقابات العُمّالية. ومن جهة أخرى، حاول أرباب العمل تفكيك الحركة بقَبُولهم عشية 12 أكتوبر تحقيق المطالب الجزئية (314). كلّ هذه الأسباب حديرة بفحص عميق يتجاوز حقل دراستنا. فهي تترك مشكلًا أساسياً بدون مقاربة : مشكل العلاقات بين الحزب الشّيوعي والكونفدرالية العامّة الاتّحادية للشُّغْل C.G.T.U.

لم يكن إضراب 12 أكتوبر، بالفعل، سياسياً فحسب بحكم مَوْضوعه. لقد كان كذلك أيضاً بسبب شروط تحضيره. إننا لا نَتوفَّر على عناصِر تسمح بتقدير النّصيب الذي أخذته الأممية في هذه البادرة. لكن لايبدو لنا، مع ذلك، أنّ مِنَ الضّروري تفسير هذه الحركة بتدخّلها. ففي 1925، يبدو لنا بأنّ الاضراب قد نبع مِثْل باقي تظاهرات الحملة الشيوعية ضِدَّ حَرْب الرّيف. من المسؤولية المباشرة والفورية للحزب الشيوعي الفَرَنْسي. إن المسأَلة الحقيقية هي مسأَلة العلاقات بين الحِزْب والنّقابات. فداخل اللّجنة المركزية تأكّدتِ الرَّغبة في تنظيم هذا الاضراب. وقادة الحزب هم الذين أقنعوا تدريجيا مونموسو ورفاقه في C.G.T.U ليس بضرورته ـــ لأنهم كشيوعيين، كانوا مقتنعين بهذا بسهولة ـــ بل بإمكانية تنفيذه. لقد تجلّى الضّغط المُمَارَسُ على النّقابيين، كما رأينا، في التّحضير للاضراب، وفي تعيين مُنَشّطيه، واختيار تاريخه. وقادت المَرْكَزَة المفرطة التي نجمتْ عن هذا الى إغفال مُقاومات القاعدة العُمّالية في الاقليم على الخصوص. وبدت أسبقية السّياسي لكثير من المناضلين، بالرغم من موافقتهم عليها، قمينةً باستتباع تضحياتٍ حسيمة على صعيد التّنظيم النّقابي (315). بعد

314 في سان ـــ دونيان، باللِيموزان، منح أرباب صناعة القفافيز في 10 أكتوبر 1925 زيادات في الأجور من 10 الى 20%. A.D. هوط ـــ فيين، 184 I M (رسالة الى الوالي بتاريخ 13 أكتوبر 1925) لنذكر بأن الشغالين البلديين في المنطقة الباريسية استفادوا في نهاية صيف 1925 من زيادة في الأجور وفي الشمال تم رد الأجور التي كانت قد خفضت في قطاع التعدين الى مستواها السابق في الأيام التي سبقت الاضراب. خلاف ذلك، يبدو بأنه لم يتم الوفاء في المناجم، برد الأجور الى مستواها السابق في 20 شتنبر انظر أرشيفات معهد موريس طوريز، السلسلة 94، محضر اجتماعات اللجنة المركزية يومي 10 شتنبر و7 أكتوبر 1925.

315 في المؤتمر الوطني للحزب الشيوعي لفاتح دجنبر 1925، أخذ بوبار، من منطقة تورلحيل، بعض الرفاق من س ج ت ت الوحدوية عن «حمتهم»، إذ أنهم أعلنوا عشية الاضراب : «يمكن أن يحدث أن تكسر تنظيماتنا، لكننا سنقوم بقليل من الدعاية لاعادة وصل ماتكسر» نفسه، السلسلة 91، (محضر المؤتمر).

سنتين من ذلك، في مؤتمر C.G.T.U لـ 1927، أثار روسو، مندوب توركوان بمرارةٍ موقف أليس بريسي، وهي مندوبة كونفدرالية : «عندما أطْلعناها على حصيلة ثلاثمائة منضو مفقود، قالت لنا : حتّى لو أدّى الأمر الى ضياعكم كلكم كان عليكم مع ذلك أن تقوموا بالاضراب العام» (316). سيمحى هذا الجانب من التّاريخ العُمّالي، وبقدر ما سَيتخذ الحزب الشيوعي موقفا نَقْدِياً من يوم 12 أكتوبر، سيأسف لكونه (ذلك اليوم) لم يكن موضوع «تحضير قاعِدي كافٍ»، وهو العَيْبُ الذي نُسِبَ بكل مفارقةٍ الى استمرار التقاليد الفوضوية ــ النّقابية (317).

احتجاجُ اليَسَار غَيْرِ الشيوعي

لايعني فشل الجبهة الوحيدة أن اليسار غير الشيوعي، انضمَّ كامِلًا وبتصميمٍ في حرب الريف الى أنصار السياسة الحكومية أو أنه تراجع عن المقدّمة. فلم يكن الحزب الشيوعي هو مُحْتَكِرُ التحريض ضِدَّ العمليات العسكرية في المغرب. لقد كانت هناك احتجاجات سواءٌ داخل الأوساط التحرّرية والفوضوية أو وسط الفدراليات الاشتراكية والنقابات الكونفدرالية. إنها لم تكن تكتسي نفس أهمّية الاحتجاج الشيوعي؛ إذْ غالبا ما ظَلّتْ من صُنْعِ أقليّاتٍ؛ لكن سيكون إهمالها إنكارًا لأهمية التيار السِّلْمي وللقوة التي كانت لاتزال تحتفظ بها الايديولوجيا المعادية للاستعمار.

الفَوْضويُّون التحرّريون والفوضَويون

لقد ذَكَرْنا أعْلاه باللهجة السِّلمية التي طبعتِ المقالات التي خصصتها لوليبرتير للمغرب. وقد قام الاتّحاد الفَوْضوي، من جهته، بوَضْع وسائل للدّعاية تحت تصرّف مناضليه. فنشر مُلصَقاً كبيراً، كان عنوانه : لتسقطَ الحروب، وبَعْدَ أن شَهّر بالمرامي الامبريالية لفرنسا وإسبانيا في المغرب، حمل فيه على «السّاسَة» : على الاشتراكيين والرّاديكاليين والأحرار، الّذين «يدّعمون بتصويتهم وكلامِهِمْ عمليةِ اللّصوُصية هذه»؛ على الشيوعيين الذين «يُشَهِّرون بِصَخَبٍ بهذه العملية، ولكنهم يبعثون ببرقيات التّهاني للدكتاتور المغربي عبد الكريم». إنّ الفوضويين ضِدَّ كلِّ الحروب؛ ويطالبون للشعوب المُسْتَعْمَرة بحقّ تقرير مصيرها بنفسها، وهم «وحدهم، لهم الحقّ في أن يقولوا للفرنسيين، والاسبان والمغاربة : تمرّدوا ! ضَعُوا في كيسٍ واحِدٍ كلا من بانلوفي وكايّو وشْراميك، الخ. دو نسيان بريان وبريمو

316 المؤتمر الرابع لـ س.ج.ت الوحدوية، 19 ــ 24 شتنبر 1927، عرض المناقشات، ص 66.

317 لومانيتي، 25 دجنبر 1930 (س. دارنار : المذهب والتاريخ؛ 1925، المغرب وسوريا؛ اليوم، الهند الصينية).

دي ريفيرا وألفونسيو وعبد الكريم وكل ابطّمحيي الدّكتاتورين» (318). لقد امتنع الاتّحاد الفوضوي عن أي تهجم ضد الحزب الاشتراكي والحزب الشيوعي، في منشوريه المُعَنْونَيْن بـ **حرب المغرب اِستُأنفت من جديد والقَتَلةُ يستأنفون**، وأكّد بأنّهُ «ليس للبروليتاريا الفرنسية ماتصنعه في المغرب»، كما أطلق شعار «لامع مع عبد الكريم، ولا ضِدَّ عبد الكريم» (319). أمّا الشبيبة الفوضوية فقد نشرتْ، مِنْ جهتها، مُلصقاً عنوانه، **الفاشية تتجذّرُ في فرنسا، والدّمُ يُراق في المغرب** (320) وقررت القيام بِسَحْبٍ جديدٍ لـ **الاستسلام**، كُتيِّب إيرنست جيرو الشهير (321). كما أن العُصبْة الدّولية للثّائرين على كل حرب نشرتْ أيضاً مُلصقاً **الحرب في المغرب**، بَعْدَ أن نُدِّدَتْ فيه بالحماية، توجّهت لـ «عُمّال وعاملات فرنسا» : «عليكم أن تنصحوا أبناءكم بألا يُريقوا دمهم من أجل هؤلاء اللّصوص؛ فلا يمكنكم تشجيعهم على قَتْلِ إخوانهم في المغرب. وإذا أُعطي لهم أمْرُ إطلاق النّار، فإن عليهم التّفكير قبل أنْ يطيعوا هذا الأمر» (322). لقد تمَّ تشكيل لجنة عمل ثوري خلال شهر يونيو 1925، بمبادرةٍ من الفوضويين والنّقابيين التحرّرين للبناء للمنطقة الباريسية، فيما يبدو، (323). وقد ضَمّتْ تنظيمات مختلفة (324) تنوي إظهار معارضتها لحرب المغرب خارج أيِّ التزامٍ مع التّنظيمات ذات النّزوع الشيوعي. وقد أصدرت هذه اللّجنة منشوراً عنوانه : **قفوا أيها المنبوذون !** يدعو «قدماء المجزرة الكبيرة» الى عدم نسيان عهودهم بألّا يحملوا السّلاح «ضِدَّ المُسْتَغِلّين والمُضْطَهدين مثلكم» وعندما توجّهَ للنّساء ــ «إنَّ أزْواجكنّ وأبناءكنّ، وإخوتكُنّ هم الّذين يسقطون في المغرب بالآلاف بأمْرٍ من الصَّيارِفَةِ القَتَلة » ــ طلب منهن الاقتداء بـ «مُشْعِلاتِ النّار بالبترول» في الكومونة، ودعا الجنود الى رفض الذّهاب أو «الاستسلام أمام إخوانـ (هم) في البؤس». وختم النص «لنرد بالاضراب العام الثّوري على الحرب الرأسمالية» (325).

في المنطقة الباريسية، تُرْجِمَتْ حملة التّنظيمات التحرّرية باجتماعات ذات أهمية متفاوتة، بقيت جميعها مجهولة لدينا. وفي 20 مايو، جَمَعَ اللّقاء الّذي نُظّمَ بزنقة كرانج أو بيل

318 نص منشور في لولرتير، 4 يوليوز 1925. عثرنا على نسخة أصلية من هذا الملصق في الأرشيفات المقاطعية للهوط ـــ غارون، M 1136.

319 AN F7 13174 (السين) «لامع عبد الكريم ولا ضد» هو عنوان منشور أصدره الاتّحاد الفوضوي في 24000 نسخة (السحب الأول ؟) واستعيد نصه على شكل ملصقات عدها معلقة في بيلفيل في 6 يونيو 1925. نفسه.

320 نفسه، 21 مايو 1925.

321 أنظر أعلاه، الفصل الثالث. لقد كان السحب الجديد هو 10000 نسخة؛ وقد بيع الكتيب بـ 15 سنتيما. AN 13174 (السين).

322 نفسه (ملصق علق بباريس في 23 مايو 1925)

323 نفسه.)مذكرة 26 يونيو 1925).

324 الاتّحاد الفوضوي الفرنسي، الفدرالية المستقلة للبناء، النقابة الموحدة للبناء، النقابة المستقلة للحفارين، عصبة الهاربين من الجندية، مجموعة دور النشر الفوضوية، الشبيبات الفوضوية، الجماعات الثورية الايطالية والاسبانية.

325 AN F7 13175 و 13177.

من طرف الاتحاد الفوضوي ثمانمائة شخصا (326). كما عرف الاجتماع الذي كان مُرْتقبا في 27 يونيو من طرف لجنة العَمَل الثوري، رَغْم منع مفوضية الشرطة، نجاحاً كبيراً (327). وفي 10 غشت، تحدّثَ الفوضويون في الدّائرة الثانية عشرة أمام أربعين مُسْتمِعاً (328). بينما كان عدد المستمعين في 22 غشت ثلاثمائة، وقد أنصتوا تحت رعاية لجنة العمل الثّوري، الى لآبورط، ولوريال، وسباستيان فور؛ وقد حَذّر هذا الأخير الحضور من «خدعة» بعض شعارات الحزب الشيوعي الفرنسي (329). في الضّاحية، تمّ تسجيل اجتماعات بـ بيزون في 13 يونيو (40 شخصاً)، بـ سان ــ أوين في 11 يوليوز (150 شخصا)، وفي 16 بـ لوفالوا (30)، وفي 18 بـ أوبيرفِلْيي (100)، وفي 24 بـ بولونيْ (50)، وفي 23 غشت بـ أرجونتويْ (300). وقد دعت لجنة العمل الثوري الباريسيين الى مظاهرة احتجاج ضِدَّ حَرْب الرّيف أمام محطة سان ــ لازار، في 25 شتنبر على الساعة السادسة والنصف مساء (331). وحسب مفوضية الشّرطة، فإن حوالي مائة شخص فقط لبّوا هذا النّداء، لكن هذا الرّقم يبدو لنا مُجَافياً للواقع، إذا اعتبرنا أنّ أربعة وسبعين شخصاً قد اعْتُقِلوا وقتذاك (332).

في الاقليم، يبدو بأن مجموعتيْ لوار وفِنِستير كانتا من أنْشَطِ المجموعات الفوضوية في الكفاح ضِدَّ حَرْب المغرب. ففي هاتين المقاطعتين، تطوّرتْ دعايتهما بالاعتماد خصوصاً على نقابيين شُبّان في منتهى التصميم. لقد أظْهَرتْ جريدة هؤلاء، بسان إتيان، الشعب الرّيفي «فخوراً باستقلاله»، مكافحاً «ضِدَّ الدّخيل، ضِدَّ الغازي»، وشَهَّرَتْ ب «الوَطَنْجيين المَغْبِنِيين»، و«الحكومات القاتِلة» و«الجزّارين المُرَصَّعين بالنّجوم». كما طالبت بأن يتوقّف «التّقتيل»، مُرَجِّعةً لهجات كوسطاف هيرفي في 1908 : «... تُرى هل سيرفض السّككيون أخيراً نَقْلَ رفاقِهم (...) وهل ستعرف نساؤنا وأطفالنا باستلقائهم على قضبان السكة الحديدية منعهم من الذّهاب ؟ وهَلْ سَيُؤَمِّنُ البَحّارةُ دائما العبور في الموانىء ؟» (333). لقد كانت دار صناعة بريست مَسْرحاً لِنِزَاعِ نُفوذٍ بين المجموعات التّحررية والمجموعات

326 الخطباء : لوريال، باستيان، بوندو، لرموان، جوهيل، AN F7 13174 (السين) إن هذا التقدير لعدد الحضور، كما التقديرات اللاحقة، صادرة عن الشرطة.

327 حسب لولبرتير، 4 يوليوز 1925.

328 AN F7 13178 (السين).

329 نفسه.

330 AN F7 13174 (سين ــ إي ــ واز) و13178 (السين وسين ــ إي ــ واز).

331 لقد دعت طبعة خاصة لـ ليبرتير لعس اليوم بأحرف كبيرة الى هذه المظاهرة. بخلاف ذلك، حذرت اللجنة المركزية للعمل من مبادرة هذه «اللجنة المزعومة للعمل الثوري» لومانيتي، 25 شتنبر 1925.

332 APP Prov. 238. عن هذا القمع، انظر أدناه، الفصل السابع.

333 لوكري دي جون، الصحيفة الشهرية للشبيبات النقابية باللغة الفرنسية، التي كانت هيأة تحريرها وإدارتها بسان إيتيان، عدد 47، يونيو 1925، في AN F7 13174 (لوار).

الشّيوعية؛ بينما أظْهَر النّقابيون عن ميولات يساروية، ووزّعوا عن طيب خاطر لابطاي سانديكـليبيت (314) وعَلَّقوا مُلْصقاتٍ فوضوية (335). وفي مرسيليا، وزَّعَتْ إحدى المجموعات منشوراً (أصْلياً ؟) ــ «**ضد الحرب المغربية، ضِدَّ كلّ الحروب !**» «... لأيّ سببٍ يمضي أبناؤكم ؟ تكلّموا أيتها الأمهات، أيها الآباء، أيتها النّساء، هل ودعوكم عند ذهابهم مِنْ أجْلِ المَوْتِ في الأراضي المغْربية ؟ هَلْ ستُخْفون تخاذلاتِكُمْ من جديد خلف دموعكم !» (336). وفي تولوز اكتسى الاحتجاج الفَوْضوي شَكْلًا أكثر فعالية. لقد تجسَّدَ في أحدهم يُدعى تريشو، عمره خمس وأربعون سنة، وهو خرّاط على المعادن ويبدو بأنّه هو الذي كان في قلب النّشاطات التحررية (337). فقد تَدَخَّل في 6 يونيو 1925 في نهاية لقاءٍ شيوعي لكي يُوضّح بأنه هو الآخر مَعَ وحْدةِ العمل ضِدَّ حرْب المغرب، لكن بعكس شعارات الحزب الشيوعي، دعا الأمهات الى «تمزيق قرار تعبئة أبنائهن» (338). وأعاد الكرَّة في اليوم التّالي، خلال اجتماع نَظَّمَتْهُ إحْدى الجمعيات التي كان يُنَشِّطها، وهي «مجموعة الدّراسات الاجتماعية»، كما تحدّى رجالَ الأمن الحاضِرين في القاعة بأن يعتقلوه. لم يكن ذلك سوى تأجيلٍ للأمر؛ ففي فاتح شتنبر، عند نهاية لقاء شيوعي آخر حيث كان يوزّع مناشير فَوْضوية ــ «**الاستسلام ! لا تذهبوا !**» ــ ثُمَّ اعتقاله وحُكِمَ عليه بثمانية أشْهُرٍ سجنا (239). وفي الهافر، أظْهَرَ اجتماعٌ نظَّمه الاتحاد الفوضوي ضِدَّ حرب الرّيف اختلافات الرأي التي تفصِلُ التحرريين والشيوعيين (340). وفي كليرمون فيران، بدا شازوف في 29 مايو مندهشاً لكون الحزب الشيوعي يمنح دعمه لعبد الكريم الذي يعتبر «أكبر لئيم» على حد قوله. وبعد بضعة أسابيع من ذلك نادى في ليموج أمام مائتي شخْص، الى وحدة العمل، ودعا الطبقة العمالية الى رفض المشاركة في صنع ونقل الذّخيرة وعتاد الحرب (341). تُرى هل كانتْ تلك الكتابات التي رُؤِيَتْ حينئذٍ بأحرفٍ بارزة حمراء فوق العديد من مآثر المدينة : «إنّ دمك يسيل في المغرب، أيّها الشّعْب، تَمَرَّدْ !» من فعل الفوضويين أم من فعل الشيوعيين (342).

334 لقد تلقى سكرتير النقابة المستقلة لصناعة الأسلحة في نهاية يوليو 100 نسخة من لاباطاي ساندكالست

335 AN F7 13173 و13176 (مستير).

336 الأرشيفات المقاطعتية للوش ــ دو ــ رون، M 6 10803

337 إنه منشط الجماعة الفوضوية التي تعمل اسم «حرية وسعادة» وقد كتب الى لاديش التي وصفته برعيم في الوقت الذي لايتوفر فيه الفوضيون على زعماء. الأرشيفات المقاطعتية للهوط ــ غارون، M 969

338 في الموضع نفسه، M 1136

339 لقد دافعت عنه الأستاذة سبوراك لمحى من هيأة محاميي باريس، عضوة لجنة الدفاع الاجتماعي، نفسه

340 AN F7 13178 (سين ــ انفيريور).

341 الأرشيفات المقاطعتية للهوط ــ فيين، 4 M 316

342 AN F7 13178 (مذكرة 7 أكتوبر 1925) وA.D. هوط ــ فيين 1 M 169 (مذكرة 19 شتنبر 1925) و1 M 184.

الاشتراكيون والكونفدراليون

دعت الهيأة الادارية الدائمة، وهي جهاز قيادي للحزب الاشتراكي، في المُذَكّرة المتبنّاة في مايو 1925، فدراليات المقاطعات الى أن تُنَظِّمَ في مجموع البلاد مُظاهراتٍ ضِدَّ حَرْب الرّيف. لقد أعلنتْ تشبُّثها بمبدأ حقّ الشّعوب في تقرير مصيرها، لكنها رامتْ توجيه حَمْلَتِها خصوصا نحو وَقْفِ المعارك والمفاوضة مع عبد الكريم ـــ ينبغي «العمل على وَقْفٍ قريب لاراقة الدّماء» ـــ لكن لا يبدو مع ذلك أنَّ جهاز الحزب قد أقَرَّ تدابير عملية لتسهيل دعاية مناضليه. فلم توضع رَهْنَ إشارتهم لا مناشير ولا ملصقات، كما أن تنظيم جولات الاجتماعات من طرف الزّعماء الرئيسيين لم يَحْظَ بأي مجهودٍ خاص. وفي الواقع، تَمَّ تَدَخّل الحزب الاشتراكي على الصعيد المحلّي من خلال لجان فرع الحزب، ولجان عصبة حقوق الانسان، والمجالس البلدية وجمعيات المُقاطعات التي كان يتوفّر فيها على تمثيلٍ مُهِمٍّ، كما كان يستفيد من قاعدة جماهيرية واسعةٍ في النّقابات الكونفدرالية. لقد كان يتوفّرُ أيضاً على عَدَدٍ من الجرائد الجهوية والمحلية. ويسمح لنا اللجوء الى الأرشيفات، التي تُشَكِّلُ مَصْدَرَ معلوماتنا الرئيسي لِتَقْدير حملةِ الشيّوعيين وحملة الفوضويين، بتكوين فكرةٍ، إنْ لم يكُنْ عن التّحريض الاشتراكي في مجموعه، فعلى الأقلّ عن توجّهاته الرئيسية والتوترات التي كَشَفَ عنها داخل الحزب الاشتراكي.

لقد بدا عَدَدٌ من المُناضِلين أقَلَّ انْشِغَالًا بتحديد سياسةٍ مغربية مِنْهُمْ بانتقاد المواقف الشّيوعية. هذا هو شَأْن أولئك الذين تَبِعوا بكثافةٍ كلا من أدريان ماركي في بوردو (343) وروجي سالونغرو ولوبا في لِيل (344)، وفالْيير وبريسمان في ليموج (345). وسرعان ما كان يتم في هذه الأوساط قمع كُلِّ ذبذبةِ اعتراضٍ على المواقف المتبنّاة مِنْ طرف الأركان العامة السياسة أو النّقابية أو من طرف المجموعة البرلمانية الاشتراكية، (346). لكن في بيلفور، لَمْ تمنع

343 كانوا يشطون لجنة يقظة من أجل سلم سريع في المغرب جمعت حول الحزب الاشتراكي ممثلين عن الـ س.ج.ت واللاحنة المحلية لعصبة حقوق الانسان، لقد نددت هذه اللجنة، في ملصق علق في أوخر عشت 1925، بالصيغ «الديماغوجية» و«النصائح الخطيرة» الموجهة للجنود. وأدان بيانا تم التصويت عليه في نهاية لقاء وضع تحت رئاسة ماركي، وجمع حوالي ألف من الأشخاص، بـ «المزايدة الكلامية» للحزب الشيوعي AN F7 13176 (جيروند).

344 انظر لوريفيي دونور، 7 و12 يوليوز 1925.

345 انظر عرض مداولات المجلس العام للهوط ـــ فيين، 18، 19 و20 مايو 1925. ص ص 179 ـــ 205 ـــ 227 ـــ 228 ـــ 274 ـــ 276.

346 هكذا، بعد أن أدان جورج هاميز، سكرتير الشبيبات الاشتراكية لـ با ـــ دو ـــ كالي، في الأسبوعية الجهوية للحزب الاشتراكي «الموقف السلبي» لحزبه أمام حرب الريف، جلب لنفسه ردا مستاء من راوول إيفرار، نائب با ـــ دو ـــ كالي و... مدير الجريدة السياسي الذي سيسهر، منذ ذلك الوقت، على عدم تكرار حادث مماثل. ليكليرور دو با ـــ دو ـــ كالي، أسبوعية الفدرالية لاشتراكية لبا ـــ دو ـــ كالي، 14 و21 يونيو 1925.

المُعارضَةُ المتميّزةُ، التي أبداها الاشتراكيُون إزاء الأُطروحة الشيوعية، من أن يشهروا بالعمليات العسكرية الدّائرة في المغرب وبـ «محاولة وَضْع اليد بفظاظة على بلَدٍ ليس مِلْكاً لفرنسا» (347). وفي نانسي (348) كما في بايون (349)، لَمْ يَصْحَبْ تعبيرهم عن عدائهم للحرب أيُّ تهجُّمٍ ضِدَّ الحزب الشيوعي. وفي البوش ــ دي ــ رون، أكَّدَ الملتمس، المُعْتَمَدُ في 22 مايو من طرف المجلس العام باقتراح من المجموعة الاشتراكية، احترامه لـ «حق الشّعوب في تقرير مصيرها، مهما يكون الجنس الذي تنتمي اليه» (350). هل ينبغي اتّهام الأقلية الاشتراكية للمجلس البلدي لايكس ــ أون ــ بروفانس بالنُّزوع الى الثّورية أم أن نعزو فقط الى رعونة في التعبير تصريحها التالي القائل بأنه «ينبغي ترك المغرب للمغاربة، كما أنّنا نحن في وطننا» (351). وفي أواخر غشت، ذكَّرَ ليونْ بْلُوم، في مرسيليا، بموقف الحزب الاشتراكي. فقد قَدِمَ بطلبٍ من عصبة حقوق الانْسان ليلقي محاضرة حول «الحرب في المغرب» وأمام ستٍّ الى سبعمائة شخص، عَبَّرَ عَنْ يقينه بأنه، مهما تكن الوِجْهة التي تنوي الحكومة اتّباعها، «ينبغي كثيراً تحقيق السِّلْم وترْك الرّيف للرّيفيين». وقد امتنع عن مهاجمة الشّيوعيين الّذين حضرت مجموعة منهم للاستماع إليه (352).

قبل بضعة أيام من ذلك، كان قد انعقد المؤتمر الوطني للحزب الاشتراكي الذي أظْهَرَ، كما رأينا، تصلّباً أكيداً تُجاه السياسة المغربية للحكومة. ويبدو لنا أنّ من المستحيل تفسير ذلك دون أنْ نُدْخِلَ في اعتبارنا المُعارضة الصّريحة التي أبْدَتْها بعض الفروع، بل فدرالياتٌ بأكملها، لحرب الرّيف، والضّغوط المُمارسة على قيادة الحزب لِدَفعها الى قَطْع الصلة بالحكومة. فمنذ أواخر شهر مايو، كانت فدرالية السّين هي المكان المُفَضَّل للاعتراض : لقد صرح بعض المناضلين بـ «أنَّ سياسة الدّعْمِ لم يَعُدْ لها من مُوجِب، وعلى حزبنا أن يعود لمكانه كحزب معارضة» (353). أمّا على الصعيد المحلي، فيمكن تفسير

347 AN F7 13173 (بيلفور، 26 يونيو 1925).

348 AN F7 13177 (مورث ــ إي ــ موزيل، فاتح غشت 1925).

349 AN F7 13174(باس ــ بيريني، 9 يونيو 1925)

350 عرض مداولات المجلس العام للبوش ــ دو ــ رون، 1925، ص 528.

351 مقتطف من سجلات مداولات المجلس البلدي لايكس ــ أون ــ بروفانس، جلسة 29 مايو 1925، في الأرشيفات المقاطعية للبوش ــ دو ــ رون، M 6 10803.

352 AD بوش ــ دو ــ رون، M 6 10803 (رسالة المفوض المركزي الى والي بوش ــ دو ــ رون في 23 غشت 1925).

353 مقتطف من تقرير للشرطة في 26 مايو 1925. AN F7 13174 (السين). لقد تبنت الفدرالية الاشتراكية للسين بأغلبية كبيرة جدول أعمال زيرومسكي «الآسف لكون الحزب لم يحدد سياسته الاستعمارية الخاصة»، لوكوتيديان، 2 يوليوز 1925.

معارضةِ مُناضلين عديدين من الحزب الاشتراكي للقيادة للحرْب، دون ريب، بتأثير الدّعاية الشيوعية والتّنافسُ بين الحِزْبَيْن. لكن سيكون من الخطأ في رأينا، أنْ نُحَلِّل بمنهجيةِ سلوك الاشتراكيين كردّ فعلٍ دفاعي بسيط تجاه الحزب الشّيوعي (354). إنَّ عَدَداً منهم يجدون في تـريخهم أسبباً لمكافحةِ حرب المغرب وللامتناع عن اعتبار عبد الكريم بمثابةِ عدُوٍّ. هذا ما عبرت عنه بقوّةٍ جريدة «البلد النورماندي» *. فقد هبت هذه الجريدة، التي كان مُنَشِّطها ل. زوريتي، وهو أستاذٌ بكلية العلوم بكايين معروفا بنزعته السلمية، هَبَّتْ منذ شَهْرِ يونيو ضِدَّ «انبعاث حزب الاتّحاد المُقَدَّس»، وهذا ما جعلها تضع في نفس الرتبة كاشان ورونوديل. لقد تَحَدَّثَتْ «عن الملتمسات التي تصلنا من الفروع ضِدَّ المشروع المجنون للمغرب وتصويت المجموعة البرلمانية». وأضافت «لقد تم التصويت على ملتمسات مماثلة، في مجموع البلاد. فرغبة الحزب الاشتراكي واضِحة»، وميزت بين «أَنْصارِ الاشتراكية الحقّة» و«أولئك الذين يخونون كلّ تقاليدها» (355). لم يكن الأَمْرُ يتعلّق بموقِفٍ أمْلَتْهُ النّزعةُ السِّلْمِيةُ فحسب، كما تشهد بذلك خاتمة مقالٍ آخر : «مهما يكن رَأْيُ السَّيِّدَيْن هيريو وبانلوفي، فإن المغرب ليس هو فَرَنْسا، ولو كان بايرون لا يزال على قَيْدِ الحياة، لنازَعَتْهُ نَفْسُهُ دون ريب الى نَجْدَةِ الشّعوب المُضْطَهَدة الجديدة !» (356). في 12 يونيو، طالب الفرع الاشتراكي للهافر بالوقف الفوري للقتالِ والاعتراف بجمهورية الرّيف (357). وفي 17، رأى فرع لاروشيل أنَّ من الضروري التّأكيد بأنّ «الحروب الاستعمارية بوجه عام وحرب المغرب على الخُصُوص مُثارة

354 لاينكر طبعا رد الفعل الدفاعي هذا في بعض المقاطعات أو البلدان. وإذا كان لابد من تصديق المفوض الخاص، فستكون هذه هي حالة مرسيليا. ففي مجال تعليقه على إعلان لقاء ينظمه الحزب الاشتراكي ضد حرب الريف، كتب يقول : «حتى الآن كان الشيوعيون بمفردهم يقومون بالدعاية العمومية ضد حرب المغرب. (..) فبدأ الاشتراكيون الموحدون لمرسيليا يقومون بها بدورهم إن هدفهم ربما هو تلافي ذهاب الجناح اليساري لحزبهم بسرعة الى الشيوعية»، تقرير المفوض الخاص لمرسيليا في 28 شتنبر 1925. AD بوش ـ دو ـ رون، M 6 10803.

355 بايي نورمان، 20 يونيو 1925 Le Pays normand &

356 نفسه إن المقال من توقيع أ. ناربي (لاينبغي خلطه مع المناضل الشيوعي هنري ناربي). لقد استمع هذا العدد من بايي نورمان وبالأخص مقال ناربي تقريرا موجها من طرف المفوض المركزي لكايين الى قاضي الجمهورية. AN F7 13173، (كالفادو). ونحن نجهل ما آل اليه أمره. ينبغي أن نسجل بأن زوريتي اقترح، في المؤتمر الفدرالي لكالفادو، مذكرة تدين أيضا السياسة المغربية للحكومة وموقف الحزب الشيوعي، لأن الجلاء عن المغرب الذي ينضح به هذا الأخير «لن ينتج عنه سوى وضع البروليتاريين المغاربة تحت النير الأكثر شدة لكبار القياد دون تحريرهم» لوبايي نورمان، 8 غشت 1925.

357 AN F7 13174 (سين ـ آنفريور). تستشهد لومانيتي من جهتها بهذه المذكرة كما بتلك التي صدرت عن الفروع الاشتراكية لتيل (دروم)، ليوارك (آرديش) وللموط ـ سان ـ مارتان (إيزير) وهي تسير في نفس الاتجاه، 16 يونيو 1925.

من طرف المصالح الرّأسمالية الدّولية. إنّه آسِفٌ لكون مَوْقِف حكومةِ بانلوفي بهذا الصَّدَد مُمَاثِلا لموقف الحكومات البورجوازية التي سبقته» (358). أمّا لوكري دو بوبل، وهي صحيفة اشتراكية ببريست، كانت قد شهَّرتْ بالمسؤوليات الفرنسية وبسياسة ليوطي ـــ بانلوفي، فانشغَلَتْ بردود فِعْل العالم الاسلامي أمام وضعية الرّيفيين، المُرْغَمين «على كفاحٍ يائِسٍ من أجْل استقلالهم» (359). وفي غشت، قبل بضعة أيام من انعقاد المؤتمر الوطني، عَبَّرت فروع عديدة من الفُوج عن اهتمامها بأن يتوقّف كلُّ دَعْمٍ لبانلوفي وطالبت بِعَمَلٍ فعّال ضِدَّ الحرب (360).

كان جميع نقابيي الـ س.ج.ت. من جهتهم أبْعَدَ ما يكونون عن مُشاطرة المواقف المُعْتَدِلة المتبنّاة من طرف قيادتهم. وهنا أيضاً لا ينبغي أن نَعْزُوَ حركات الاعتراض على حرب الريف التي تم تسجيلها في الأوساط الكوفدرالية الى مجرَّدِ رَدٍّ فعلٍ دفاعي ضِدَّ الـ س.ج.ت الوحدوية (361). ففي الـ (إزير)، استعاد الاتّحاد الاقليمي منذ 26 مايو، صيغة ما قبل 1914 : «لا ملّيم ولا رجلَ للمغرب» (362). وفي ديكازفيل، أنْهى سكرتير الاتّحاد الاقليمي للبوي ـــ دو ـــ دوم، الذي قدِم ليلقي عرضاً حول وضعية المنجميين، تدخله بإثارة المشكل المغربي : «ماالذي يُؤَاخذ الرّيفيون عليه ؟ كونهم يدافعون عن ممتلكاتهم ؟ ...» (363). أما الاتّحاد الاقليمي للأُورْن، فطالب بمفاوضةٍ مباشرة مع عبد الكريم (364). في حين نشر الاتحاد المحلي ببريست، في النصف الثاني من يونيو، ملصقا يشهر ب «حرْب النهب» ويطلب من الحكومة «السحب الفوري للجنود من الريف والاعتراف بمبدأ حق الشعوب في حكم نفسها بنفسها» (365). وعبَّر المُدَرِّسُون اللّايكيون لِفنسْتير بدورهم عن تأييدهـم لـ «الانسحاب

358 AN F7 13173 (شارونت ـــ آنفيريور). قبل بضعة أيام، كان الفرع الروشولي لعصبة حقوق الانسان قد تبنى جدول أعمال يحتج بقوة ضد كل الحروب «وبشكل خاص تلك التي تشن في المغرب» ويطالب بـ «إجراء مفاوضات متتالية مع الخصم» نفسه.

359 لوي ديوبل، 11 يوليوز 1925. لقد أعلن المؤتمر الفدرالي للفستير أنه ضد التصويت على الاعتمادات العسكرية للمغرب. نفسه، 15 غشت 1925.

360 خاصة تلك التي في سان ـــ ديني، وتلك التي في ميركور وليفول ـــ لو ـــ غران، انظر لوطرافايور فوزجيان، 15 غشت 1925، عدد مرسل من طرف والي فوزج الى وزير الداخلية، AN F7 13178.

361 بالنسبة لوالي الرون، فإن التحريض الملاحظ في أوساط الـ س.ج.ت. يبدو متأصلا على الخصوص في «رغبة قادة التنظيمات العمالية الاصلاحية في الرد، بموقف أكثر نشاطا، على اتهامات الاعتدالية في المسألة المغربية الموجهة لهم من طرف الفدرالية الشيوعية للرون» AN F7 13177 (الرون ـــ رسالة الى وزير الداخلية في 16 يوليوز 1925).

362 لاديبش دوفينواز، 26 مايو 1925، في AN F7 13173 (إيزير).

363 الأرشيفات المقاطعتية لأفيرون، 4 M 11

364 لوبابي نورمان، 20 يونيو 1925.

365 AN F7 13173 (فنستير).

الفوري للقوات الفرنسية من الرّيف» (366). أمّا مدرّسو الهوط ــ فيين فذكّروا بأنّه «مِنْ غَيْرِ المُحْتَمَلِ في جمهورية كجمهوريتنا، أن يقاد الشعب إلى حيث لا يريد قطعا الذهاب إليه وأن يُرْغَمَ على تحمل ويلات الحرب من طرف قلة من الأشخاص يرومون أن يجعلوا الأمّة مُتَضَامِنَةً مَعَ طُمُوحِهِم أو مع مصالحهم» (367). بينما «ألحّ» قرار اعْتُمِدَ بدانْكِيرْك في 17 يوليوز من طرف النّقابات الكونفدرالية في أعقاب اجتماع ضِدَّ حرْب المغرب «على الـ س.ج.ت أنْ تحتفظ بموقف يستجيب لمشاعر الجماهير العُمّالية. أيْ أن تُوصِيَ بِشِدَّةٍ بكلّ حملات الاحتجاج الضرورية وأن تنظمها بنفسها عند الاقتضاء» (368).

□ □ □

تميز الدُّخول بِحَدثين : الهجوم الفرنسي ــ الاسباني على الرّيفيين، الذي شُنَّ في بداية شتنبر، والتحريض الشيوعي لصالح إضراب الأربع وعشرين ساعة. لقدْ استتبع الحدثُ الأول تهجّماً عنيفاً لِأقَلّيي الحزب الاشتراكي الملتفين حَوْل ليتانسيلْ : «مَنْ تُراه يشلّ حركة الحزب ؟ (...) لم يعد هناك سوى بول بونكور وليون بلوم في الحزب اللّذين يقولان ويكتبان، إن لم يكونا يعتقدان بأننا نخوض في الرّيف حَرْب دفاع» (369). وفي الاقليم، بدا الاشتراكيون عُموماً مُتّزِنيين كثيراً تجاه الاضراب الذي كان يُحَضّرُ له الشيوعيون، لكن في الشّمال، حيث كانت دعاية الحزب الشيوعي نشيطة على الخصوص، سعى لوبا الى تفكيكها : «إننا، نحن الاشتراكيين، نقول للشّغالين : احتجّوا ضِدَّ الحرب، احْتجّوا ضِدَّ كُلِّ الحرُوب، اهتفوا عاليا برغبتكم في السّلْم، لكن ليس ضروريا أن توقِفوا العَمَل لأربع وعشرين ساعة، أي أنكُمْ ستخسرون أُجْرة يوْمٍ، إن هناك وسائل أخرى ونحن نطبقها كل يوم : الاجتماع، الجريدة، المذكّرة، التّظاهرات العمومية **التي سننظّمها قريباً** (370)، هذه هي الوسائل الحقّة التي تسمح للطبقة العاملة بالتّعريف برغبتها في السّلْم» أما الوسائل المُسْتَعْمَلة مِنْ طرف الشيوعيين «فهي وسائل حربٍ نشجبها بكلّ ما أوتينا من قوّة» (371). أما في الهوط ــ فيينْ فقد

366 AN F7 13176 (فنستير).
367 لوبوبلير دوسونتر، 19 يوليوز 1925، في AN F7 13178 (هوط ــ فيين).
368 AN F7 13177 (الشمال).
369 ليتانسيل، 4 شتنبر 1925.
370 نشدد عن قصد على هذه العبارة الكاشفة عن نقصان الدعاية الاشتراكية ضد حرب الريف في الشمال إن لم نقل انعدامها.
371 عرض مداولات المجلس العام للشمال، جلسة 7 أكتوبر 1925، ص ص 425 ــ 426.

آخذت الأغلبيةُ الاشتراكيةُ للمجلس العام الحكومةَ على كونها لم تَضَعْ حدّاً للحرْب وطلبتْ منها أن «تُرْسِلَ للزّعماء الرّيفيين (وليس الى عبد الكريم) بالشروط القمينة بإقامة وِفاق دائم خارج أي روحٍ للغزو وأيّ مشروع للهيمنة» (372). لقد اتَّهَمَ فالّبير الحزبَ الشيوعي بكونه يعتبر النّزاعات الاستعمارية بمثابة اتساعٍ لصراع الطبقات، في حين تظل الحَرْبُ أيّا كانت بالنّسبة للاشتراكيين، «شيئاً فَظيعاً». فغير وارد النُّصْحُ بالتّآخي أمام «مُتَعَصِّبين يقتلون ويشوّهون بطريقة شنعية الأَسْرى التُّعساء الذين يقعون بين أيديهم» (373)، بخلاف ذلك، إذا كان راينو، نائب الفار، مُعَاديا هو الآخر للتّآخي وللجلاء عن المغْرب، فإنّه يؤكّد «اتفاق (ــه) مع الحزب الشيوعي» لتحقيق السِّلْم مع عبد الكريم والاعتراف بجمهورية الرّيف (374). لقد ركزت البلدية الاشتراكية لبريستْ انتقاداتها على الحكومة والتعاون العسكري الذي أقامته مع الحُكومة «اللّاديمقراطية والدكتاتورية» لبريمو ذي ريفيرا، وطلبتْ بأنْ «تُقدِّم مُنْذُ الآن اقتراحات سِلْمٍ مقْبولة ومشرِّفَةٍ للزّعيم الرّيفي» (375). ومَعَ تمديد العمليات العسكرية تضاعفت التصريحات التي كانت تروم تبرئة الحزب الاشتراكي، وتجريم الرّاديكاليين (376)، وانتقاد شروط السِّلْم المفروضَةِ على عبد الكريم (377).

□ □ □

هل ينبغي أنْ ننسب لبعض العناصر الاشتراكية تَجَدُّدَ التحريض الذي لُوحِظَ في بداية 1926 في بعض فروع عصبة حقوق الانسان ضِدَّ السّياسة المغربية للحكومة ؟ ألَا يُعْزَى ذلك، بشكلٍ أعَمّ، الى تقليدٍ جمهوريٍ باقٍ، خصوصاً في الاقليم، لا تتلاءم نزعتهُ الليبرالية ونزْعته السّلمية قطْعاً مع التعرّض للشُّبهات المُلَازمة لِوَلَعِ السُّلْطة وللبحث الدّائم عن تحالفاتٍ جديدة للحفاظ عليها. لقد طالب عُصبويو ليون وشالون ــ سور ــ مارن

372 عرض مداولات المجلس العام للهوط ــ فيين، جلسة 28 شتنبر 1925، ص ص 256 ــ 258.

373 نفسه، جلسة فاتح أكتوبر 1925، ص ص 408 ــ 409.

374 اجتماع منظم من طرف الحزب الاشتراكي بكان في 17 أكتوبر 1925، AN F7 13175 (آلب ــ ماريتيم).

375 رجاء تبنته بلدية بريست في 22 شتنبر 1925 وأرسل من طرف والي فستير في 30 شتنبر AN مجموعة بانلوي، 313 AP 186.

376 أنظر تدخلات لويز سومونو بلاووث، في 16 يناير 1926 ــ ريشار بكاب، في 4 مارس ــ يوزي وبول فور ســان ــ حان ــ دانحيلي، في 6 مارس ــ أنطونيلي سيرجيراك، في 21 مارس. AN F7 13081.

377 انظر خاصة موقف اشتراكي الشمال (عرض مداولات المجلس العام، 6 مايو 1926، ص ص 278 ــ 280) والهوط ــ فيين (مذكرة 16 مايو 1926 في A.D. هوط ــ فيين I M 167).

بسِلْمٍ سَرِيعٍ وذكَّروا بِوَعْدِ الاستقلال الذّاتي الذي أُعْطِيَ للرّيفيين [378]. وعبروا في باريس، بالدائرة الثامنة عشرة، وفي شارونطون ــ سان ــ موريس كما في أمبواز، عن تأسّفاتهم الشّديدة لكون اقتراحات عبد الكريم للسّلْم لم تُؤْخَذْ بعين الاعتبار [379]. وفي أفالون، ذهبوا الى حَدِّ المُطالبة، في 20 أبريل أيضاً، باستقلال الرّيف [380]. وفي نِيمْ أخيراً، أثار انقطاع مفاوضات وجدة تأثّراً شديداً. لقد عَبَّرَ الفرع المحلي عن سُخْطِهِ بسبب شروط السّلْم «المفروضة على الرّيفيين» والتي «لا تساوي فقط استسلاماً لا مشروطاً في الواقع، ولم تتناقض فقط، في المبدأ، مع مبادىء حقوق الانسان» بل «صِيغَتْ وتَمَّ التمسّك بها عَبْر انتهاكٍ فظيعٍ لِكُلِّ التزامات الحكومة الفرنسية وبالأخصّ لبرنامج السِّلْم الذي تَمَّ عَرْضُهُ بِنيمْ، في الخريف الماضي، مِنْ طرف الوزير بانلوفي. وقد شهر عصبويو نيم في هذا الظرف بـ «الموقف الذيلي للصّحافة، حتى الدّيمقراطية منها» ودعوا اللجنة المركزية «الى عدم الاكتفاء من الآن فصاعداً بتحذيرات غير مُجْدية» [381].

خـاتـمـة

نزعة سلمية، معاداةٌ للنّزْعةِ العسكرية أم تضامُنٌ مع الشّعب الرّيفي ؟

أية دلالة ينبغي مَنْحُها للتحريض الذي طُوِّرَ ضِدَّ حرب الرّيف ؟ ماهي حوافز الحشود التي كانت تتجمّع في اللقاءات وتُصَوِّتُ على بيانات مُسْتَنْكِرَةٍ للسياسة الحكوميةِ وشاجِبَةٍ للعمليات العسكرية ؟ هل ينبغي ألّا نرى فيها سوى احتجاجٍ ضِدَّ الحربِ، احتجاج لايتضمن أي تضامن مع الشعب الريفي ؟

بالنسبة لأوساط اليسار غير الشيوعي، يبدو الجواب للوهلة الأولى سَهْلًا. فأولئك الّذين ثاروا ضد الحرب، وهم اشتراكيون وتحرّريون، مناضِلُون في عُصْبَة حقوق الانسان، أعطوا

378 دفاتر حقوق الانسان، 10 فراير 1926، ص 69 (احتماع عمومي انعقد بليون في 30 دحنبر 1925) ونفسه، 25 فراير 1926، ص 93 (قرار فرع شالون ــ سور ــ مارن تم تبنيه في 16 يناير 1926).

379 نفسه، 10 مارس 1926، ص 118؛ 10 أبريل 1926، ص 165؛ 30 أبريل 1926، ص 213.

380 نفسه، 30 أبريل، 213.

381 نفسه، 25 يونيو 1926، ص 305.

لتظاهراتهم مَدْلولًا سِلْمِياً أساساً، مَدْعوماً بالحذر، وبالنسبة للبعض بالنفور الذي كانوا يشعرون به تجاه العسكريين. لقد أظهر لنا تحليلنا، بالفعل، بأنّ مُشْكِلَ شرعية تمرّد عبدالكريم كان مطروحاً من طرف بَعْضهم، ليس فحسب بمناسبة انعقاد المؤتمرات أو اجتماعات الأجهزة القيادية، بل أيضاً على مستوى التّجمّعات المحلية، وفروع العُصبة، والجمعيات البلدية.وفي جرائد الاقليم. لقد كان حق الشعوب في تقرير مصيرها مقولةً لم يتمّ التّعْتيم عليها تماماً من طرف التّقدمات الأكيدة للفكرة الاسْتِعْمَارية. لكن حَتّى إذا كان فوضويو الهافر أو الليموزان، واشتراكيو الكالفادو أو الطارن، ونقابيو البوي ـــ دو ـــ دوم أو فِنِسْتير، قد اعترفوا للرّيفيين بحق الاستقْلال، فإنّهم رَفَضوا أن يروا في عبد الكريم رمزاً لاراداتهم في الانعتاق.

من جانب الشيّوعيين، يبدو الجواب أكثر تعقيداً. لقد تَحَقّقنا مِنْ أنّ الحملة ضِدّ الحرب كان لها بالنسبة لقيادة الحزب الشيوعي، محتوًى مُعادٍ للامبريالية، وأنها كانت تمنح حيّزاً كبيراً لكفاح الرّيفيين، من أجل استقلالهم تحت حماية عبد الكريم. ولم يكن هذا التوجه مَوْضِع سؤالٍ من طرف القاعدة، لكن تَمّ تأويله تبعاً للضرورات والانشغالات الخاصّة لكلّ فئةٍ من المناضلين. فبالنسبة للشبيبات الشيوعية، كان الكفاح ضِدّ الحَرْب، قبل كلّ شيء، مناسبةً لتطوير تحريض عنيفٍ معادٍ للنزعة العسكرية. وبالنسبة للنساء وقدماء المحاربين، كان الجانب السِّلْمي هو الذي يهيمن ولا يَدَعُ سوى حيّز صغيرٍ للاعتبارات حول حق الرّيفيين في الاستقْلال. أمّا بالنّسبة لمناضلي الـ س.ج.ت الوحدوية فكانت الحملة تدخل في إطار كفاحهم ضِدّ السياسة الاقتصادية والاجتماعية للكارتيل. فقد كان يتم تقديم هذه الأخيرة على أنّها تُضَحّي بمصالح العمال لصالح المجموعات المالية والصناعية. وقد جاءت عمليات الرّيف. المُطالبة بالرّجال والمال، لتدلل في نفس الوقت على هذه الأطروحة. لقد نبع تضامن البروليتاريا الفرنسية مع الرّيفيين في التّحليل الأوّل من مصلحتهم المشتركة في وقْفِ الحرْب، لأنّ هذه الأخيرة ليست قَدَراً. إنّها مقْصودةٌ من طرف الامبريالية التي تستغلّ الشّغّالين الفرنْسيين وتَسْعَى لاخْضاع الرّيفيين. فلدى الجميع إذن نفس العدو، لقد دَفَعَ تطوير هذه الفكرة بالبروليتاريين الى المُطالبة بالجلاء عن المغرب واستقلال الرّيف، لأنّ هذيْن معا هما شرطا سلمٍ حقيقي، ولأنهما قمينان بتكريس هزيمة الامبريالية. وقد بدا تضامن البروليتاريا الفرنسية مع الرّيفيين وقتذاك ثمرةً لتفكير سياسي، وتَعْميقا للوعي الطبقي. فبهذا تجاوزت ردود الفعل المستلهمة من طرف النزعة السلمية أو معاداة النزعة العسكرية دون أن تُناقِضها وذلك بضمّها إليها. لكن لم يكن عليها التوقّف عند ذلك؛ بل كان لابُدّ من ترجمة القناعات الى أفعال : وذلك برفض الشغالين المشاركة في صُنْع العتاد الحربي ونقله نَحْو المغرب، ورفض

الجنود قتال «إخوان» هم. لقد كان شعار التآخي نقطة انتهاء ذلك النداء الى التّضامن. وتَطَلَّبَ تنفيذه نوعاً من الرّوح البطولية. فلم يتعلق الأمْر بالتآخي، مع زارعي كروم غير مُسَلَّحين كما في 1907 أو كما في الرور مع ألمان سِلْميين. فقد كانت الحَرْبُ دائرة بكل معنى الكلمة، وكان الجنود الشّبان مدعوين للتّآخي مع مقاتلين. من هنا الانتقادات العنيفة التي ظَهَرَتْ في أوساط اليسار غير الشيوعي، ألّا تُعْتَبَرُ تلك الدّعاية لا مسؤولةً، و«إجراميةً» حتّى ؟ (382) لقد تأتّى للقادة الشيوعيين بأن يَرُدوا بأنَّ المُجرمين هم أولئك الّذين يُجَنِّدون للقتل، وأنَّ المُشْكِل ليس في مبدأ التّآخي، بل في طُرُقِه. سنرى لاحِقاً إن كان قد تمَّ الانصات لهذا الشعار. ولنحاول في الوقت الرّاهن، فَهْمَ كيفية انعكاسه وتأويله من طرف المُناضلين المكلّفين بتفسيره للجماهير.

لنستمع الى شيوعي شاب، وهو ميكانيكي سابقاً يفسر التآخي بأنه «ليس معناه الفِرار للانتقال بالأسلحة والمتاع الى جانب الرّيفيين. فهذا لن يعني شيئاً ولن يُجْدِيَ شيئاً (كذا). بالتّآخي نعني، نحن الشيوعيين، بأنْ لَيْسَ لِأَحَدٍ من أبنائكم أو إخوتكم أو أقاربكم الذين يُرسَلون للقتال في المغرب عَدُوٌّ شخصي في صفوف أنصار عبد الكريم. وعليه، فلماذا محاربة هؤلاء، الّذين لم يأتوا في حقّنا بأي شيء. إننا لا نروم لهم شيئاً (كذا). إنهم أحرار ولهذا نمدّ لهم أيدينا» (383). وإذا كان ذلك واضحاً جدّاً على مستوى النّوايا، فإنه لم يكن جليّاً تماماً على الصّعيد العملي، فهل تعلّق الأمْرُ بتوصيةٍ لرفض الطّاعة ؟ وضِمْن أية ظروفٍ بالضّبط ؟ لقد قال شيوعي شاب آخر بأنه لاينبغي انتظار لحظة القتال لِرَفْضِ الطّاعة لـ «أن التّآخي لا يعني الذّهاب للشّدِ على أيدي الرّيفيين (384)، بلِ العكس، إنّه مَنْع الحرب من أن تَسْتَمِرّ. وهذا الأمْر مُوَجَّهٌ خصوصاً للعُمّال لكي يمنعوا كُلَّ ترحيلٍ للجنود والعتاد الخ، لكنّنا ننصح

382 بالنسبة للاشتراكي فالير، يعتبر التآخي مستحيلا، في مواجهة «متعصبين يعدبون الأسرى التعساء الذين يقعون في أيديهم ويشوهونهم بطريقة محزية»، مناقشات المجلس العام للهوط ــ فيين، فاتح أكتوبر 1925، ص 408 أنظر أيضا سيكست ــ كوباد في لافاك أوفرير إي بايزان، 29 غشت 1925، إ حاد في ليرنوفيل 18 يوليوز 1925، لولبرتير، 12 يونيو 1925. حتى النائب الاشتراكي لامار، رايبو، الذي يصوت غالبا مع الشيوعيين، أكد بأن التآخي لايمكن أن يقود أولئك الذين يمارسونه سوى الى عمود الاعدام، بينما يبقى الذين يصححون به مطمئنين في منازلهم. AN F7 14175 (آلب ــ ماريتيم . اجتماع 17 أكتوبر 1925 بكان).

383 محاضرة ألقيت بأوربيا، في 13 أبريل 1926 في موضوع · «لماذا تعادي الشبيبات الشيوعية النزعة العسكرية» AN F7 1341 (رسالة من والي آرديش الى وزير الداخلية في 16 أبريل 1926)

384 عند دفاعه أمام محكمة حج بار ــ لو ــ دوك، في 19 أكتوبر 1925، عن شيوعيين متهمين بتحريض الجنود على العصيان، كان الأستاذ ساروت، معاون الأستاذ بيرثون، قد صرح : «التآخي مع الريفيين معه، كما كان سابقا المحاربون يشدون، بين معركتين، على أيدي بعضهم بصدق (...) إن هذا التآخي يعني : تفاهموا مع الخصوم لوقف الحرب، ومن المحتمل أنه ستكون لنا، في مستقبل قريب، إمكانية وقف الحرب من طرف أولئك الذين يقومون بها»، AN F7 13177 (مور)

الجنود أيضاً، بألّا يُطيعوا رؤساءهم في بعض الظروف» (385). لقد حاول جنِسْتي، وهو مسؤول شيوعي عن المنطقة التّولوزية، توضيح هذه الظّروف بقوله «أعني بالتّآخي، رفض إطلاق النّار، ورفضُ الزّحْف، وفي البحر، رفضُ الذّهاب بِتَعْطيل مُولّد البُخار. باختصار، كل فِعْلٍ من شأنه المُساهمة في إيقاف الحرب» (386). وبمناسبة جولةٍ للدّعاية في بروطانيْ، سعى مندوبٌ للقيادة الوطنية للشبيبات الشيوعية الى تبديد الطّابع الدرامتيكي للوضع موضحا «أن التّآخي لا يعني أنّه عندما يلتقي الجنود الفرنسيون والمغاربة ويأخذون في إطلاق النّار على بَعْضهم، يكون على البَعْض (كذا) أن يشرعوا في الرّقْص وسط القِتال». وضَرَبَ المِثال بفصيلةٍ مِنْ مُراقبي المناطيد مكّنها رفْضُها للطاعة مِنْ أن تظَلّ مُحتجزةً في بوردو، بَعْدَ أن خَشِيَ الرّؤساء من أن يتكرّر هذا العِصْيان في المغرب، ثم خَتَم : «لو أن كلّ الجنود كانوا فعلوا مِثلها، لكانت حرب المغرب قد وَضَعَتْ•أوزارها. أيُّ جندي في المغرب مات لهذا السّبب ؟ (387). وبالنّسبة لأندري مارْتي وشارل تيون وبصفة عامة بالنّسبة للجناح الشيوعي للبحّارة والقُدماء الّذين حُكِمَ عليهم لِتَمَرُّدهم، ينبغي التزام الواقعية : «عَمَلِياً، لا يمكن لسَرِيَّةٍ أو فيلقٍ أن يُؤاخِيَ بإلقاء السّلاح و فَتْح الأحْضان لخصومه (...) فنحن الذين تمرسنا بتجربتنا، نرى أنّ هذا الفعل غير ممكن التّحقيق، ما عدا في حالاتٍ خاصّةٍ جِدّاً.». وأضافا : «التّآخي، معناه التمرّد، أي الاعتقال الفوري والعَزْل عن الضّباط وجواسيسهم. (...) والتّآخي ليس هو التّخلي عن الأسلحة، بل الحفاظ عليها لاستعمالها من أجل حماية حقّ التّآخي، ورفض الطّاعة وَرَفْض القتال» (388). هكذا أعْطيا للتّآخي محتوى قريبا من ذلك الذي كان بعض فوضويي ما قبل الحرب الكبرى يُعطونهُ له. حتى قاموس تلك الفترة الذي اسْتُعيدَ من طرف خطيبٍ من الـ س.ج.ت الوحدوية C.G.T.U دعا الجنود الى «الاستسلام، وإذا أمِرُوا بإطلاق النّار على الشّغالين الريفيين (أنْ) يدوروا اعلى أعقابهم و(أنْ) يطلقوا النار على الذين أمروهم» (389). وفي الواقع يقود تحديد الشروط الملموسة للتآخي مع الريفيين الى تحديد وَضْعٍ

385 خطاب القي من طرف الشاب دوكلير بـ ديباد، في 24 أبريل 1926، **AN F7 13104** (كوط ـــ دو ـــ نور)

386 **AN F7 13104** (هوط ـــ غارون : تقرير المفوض الخاص لتولوز أرسل من طرف وزير الداخلية الى وزير الحربية تحت رقم 3355، في 18 أبريل 1926).

387 **AN F7 13182** (عرض الاجتماعات التي قام بها جورج طوماس، مندوب الشبيبات الشيوعية لباريس، بيود ـــ لابي ـــ كاميي، هيلكوا ودوارنونيي في أبريل 1926)

388 نص موقع من طرف كوسطاف شامبال، محكوم بعشر سنوات سجنا، ليون هوري، سبع سنوات، أندري مارتي، عشرين سنة من الأشغال الشاقة، روجي رولان، عشر سنوات سجنا، شارل تيون، ثماني سنوات من الأشغال العمومية، ب. موتيرو، عشر سنوات سجنا، ووالي، عشرين سنة. لومانيتي، 13 فبراير 1926، (ص 4).

389 خطاب ألقي في اجتماع عمومي بتوربو، في 5 يونيو 1925، **AN F7 13174** (ساوون ـــ إي ـــ لوار).

ثوري، ويَدْفَعُ الى تقدير علاقات القوّة داخل البلاد. لقد سمح الاضراب العام الذي قرره الحزب الشّيوعي ضِدَّ حرْب الريف بقياس درجة نضالية الطبقة العمالية ومقدرتها على فَهْم متطلبات التّآخي (390).

□ □ □

في الأخير، لم تلتقط رغبة البروليتاريا الفرنسية في تأكيد تضامنها مع الرّيفيين، إلّا من طرف أقليّة. ومن غير الممكن إغفال هذه الأخيرة. يبقى أن نتساءل عن التّبعات العملية لهذا التحريض : على العمليات العسكرية، وعلى المُنَاضِلين ضحايا القمع كما على النّقاش الدّائم داخل الحزب الشيوعي والمتعلق بسياسته المغربية.

390 «سيسمح الاضراب العام بالتآخي وسيفرض السلم» ٠ شرح لرسم لكرانحون، لافي أوفريير، 9 أكتوبر 1925.

الفصل السّابع

اليسار الفرنسي وحرب الريف (تابع)
تبعات الحملة الشيوعية

الأثرُ على العمليات العسكرية

استهدف التحريض الشيوعي بسعيه الى خلق حركة تضامن لصالح عبد الكريم في أوساط الجماهير، التأثير على سياسة الحكومة، وفي التحليل الأخير، تعديل مجرى العمليات العسكرية لصالح الريفيين. هل ظل تدخل الحزب الشيوعي الفرنسي محصوراً في إطار الدّعاية ؟ هل امتدَّ الى تحريض أعاق إرسال العتاد والوحدات العسكرية الى المغرب ؟ والى أيّ حدٍّ يمكن الحديث عن مساعدة فعلية قَدَّمَها الشيوعيون لعبد الكريم ؟ تبدو الوقائع هيا مدتبطة بتاريخ الأسطوري بشكلٍ وثيق. وتفسر الصعوبة التي لاقتها الطبقة السياسية حينئذ في الفصل بينهما، الى حدٍّ ما، بردود فعلها تجاه عبد الكريم وبصفة عامة تجاه الحركات الوطنية لافريقيا الشّمالية. ولم ينج اليسار الفرنسي من هذا الاضطراب.

□ □ □

التحريض في الثكنات ولدى البحارة

لم تكن الدّعاية الشيوعية في اتجاه الوحدات العسكرية مفاجئة للحكومة. ففي نهاية 1924، انشغل وزير الدّاخلية بالتكوين المحتمل لبعض الخلايا داخل الجيش والبحرية وذكّرَ وُلاة المقاطعات بأن عليهم، التنسيق مع السّلطات العسكرية، وذلك للحفاظ على اليقظة القصوى تجاه التصرّفات المعادية للنزعة العسكرية (1). وقد دأبت صحافة اليمين، على التّشهير

مذكرة 11 دحنبر 1924 (عير مرقمة)، موقعة من طرف شوتون. لقد عثرنا على نسخة منها في A.D حيروند 1 M 404.

دوريا بالتحريض الشّيوعي في مختلف الوحدات الميتروبوليتانية، وكانت عمليات الرّيف مُنَاسَبَةً لها لكي تُضاعف الاتهامات. وغالبا ما كانت هذه الأخيرة مبالغا فيها، حسب التقارير الصّادرة عن الوُلاة (2)، وحتى المُختلَقَة (3). لقد تمّت الاشارة، في الواقع، الى مجهودٍ كبيرٍ للدّعاية في عدد من الحاميات الميتروبوليتانية (4). لكن لم تفض هذه الدّعاية فيما يبدو الى تحريض ذي بال مُوَجَّهٍ أساساً ضِدَّ حرب المغرب. إننا نتوفر على قائمة كرونولوجية لـ «العقوبات المتخذة ضد العسكريين الذين استسلموا لأفعالٍ إثارةٍ تحثُّ على العصيان أو على الدّعاية الشيوعية» بين يناير 1924 ومايو 1927 (5). وبشكل ملموس لم تتعد القرارات الصّادرة بين مايو 1925 ومايو 1926، وهي الفترة التي كانت فيها كثافة الحملة ضِدَّ حرب الرّيف في ذِرْوتها لا في العدد ولا في الجسامة، تِلْكَ التي اتُخِذَتْ قبل الهجوم أو بَعْدَ استسلام عبد الكريم. فقد كان التحريض الذي أثارته عمليات المغرب ينخرط، في الواقع، في فترةٍ واسعةٍ من معاداة النزعة العسكرية، دَشَّنتها الحَمْلَةُ ضِدَّ احتلال الرُّور واستمرت، بعد 1926، بالحملة ضِدَّ التدخّل في الصّين وضِدَّ العُدْوان الذي كانت تُحَضِّرُ له الامبريالية، حسب الحزب الشيوعي الفرنسي، ضِدَّ الاتحاد السوفياتي. وتستند العقوبات المُتَّخذة من طرف السُّلطات العسكرية على ثلاثة أنواع من الجنح حيازة أو توزيع مناشير أو جرائد شيوعية وحضور اجتماعٍ شيوعي ودِعَاية معادية للنزعة العسكرية. وتتراوح العقوبات من خمسة عشر يوما الى شَهْريْن سجنا، بينما كان يُحكم على جنود جيش الرّاين، لنفس الأفعال، بِمُدَدٍ تصل حتَّى الى عشر سنواتٍ سجناً. إذ لم يكن للتحريض داخل الوحدات العاملة خارج الحُدود

2 انظر AN F7 13174 (موز ـــ رسالة في 6 يونيو 1925). توضح مذكرة للحة المركزية لشهر ماي 1926 «قواتنا داخل الثكنات» بأن الحزب الشيوعي يتوفر على 75 خلية و70 «ارتباطا» (شيوعي واحد) في الحاميات الميتروبوليتانية. أرشيفات معهد موريس ـــ طوريز ـــ السلسلة 177.

3 A.D للهوط ـــ فيين، 1 M 169 (الحزب الشيوعي، 1924 ـــ 1925).

4 لوحظ حضور المناشير والجرائد الشيوعية وكذا إلصاق الاعلانات الصغيرة سنة 1925.

- □ من 16 مايو الى 15 يونيو : في 18 حامية، من بينها ثلاث مرات في حامية بوردو؛
- □ من 16 يونيو الى 15 يوليوز : في 27 حامية، من بينها مرتين في ست حاميات (أراس ـــ كالي، كليرمون، فيران، مولمو، ريين وسون)؛
- □ من 16 يوليوز الى 15 غشت : في 8 حاميات
- □ من 16 غشت الى 15 شتنبر : في 12 حامية.
- □ من 16 شتنبر إلى 15 أكتوبر : في 8 حاميات.

حسب عروض الولاة ومفوضي الشرطة AN F7 13173 الى 13178.

5 إن هذا الكشف، المؤرخ في 24 مايو 1927، ملحق برسالة لوزير الحربية الى وزير الداخلية؛ وهو لايهم القوات المتمركزة في شمال افريقيا. AN F7 13099.

نفس الدّلالة. إن الصّحافة الشيوعية نفسها لا تُخْطىء في الأمر. فنادرة هي الحوادث التي أشارت اليها وكانت ذات علاقةٍ بحرب المغرب (6).

أما مقاربة «تمردات» بحارة الكوربي والستراسبورغ والبروفانس، التي وقعت في الأيام الأولى من صيف 1925، فإنها تتطلب تبصرا ودقة كبيرين في التحليل. لقد كانت لهذه التمردات، قبل كل شيء، دلالة معادية للنزعة العسكرية الكلاسكية، وقد عَرَضَتْها لومانيتي بدقّة : لقد كان الاحتجاج على النّوعية الرّديئة للطّعام ومَوْقِف الضباط يفسّران سلوك البّحارة (7). وتعتبر حالة الستراسبورغ خاصة : فبعد أن أرْست في مَرْسى طنجة تلقّت الأمر بالتحرك للذّهاب من أجل قَصْفِ المواقع الرّيفية في آجدير، فاعترض البّحارة على ذلك (8). ولا يسمح غياب مصادر للخبر بتقييمٍ كاملٍ لهذه الوقائع التي صرّح وزير البحرية بأنها «حالات معزولة»، و«مبالغ فيها بشكلٍ إرادي» (9). وسوف تعطيها دعاية الحزب الشيوعي حجما مشوشا. لكن كيف لم يسارع شيوعيون علموا بأن تمرد البوطمكين له أيضا أصل غذائي، ويشعرون بتقارب كبير مع ثائري البحر الأسود، الى تعظيم حركة البحّارة ؟ (10).

إرسال التعزيزات الى المغرب

رغم شعار الحزب الشيوعي، المردد بشكل علني في مناسبات عدة، والمتعلق بضرورة مقاطعة صنع ونقل العتاد الحربي الموجه للمغرب (11)، لم يتم تسجيل من طرف السلطات

6 «في 21 مايو، ذهب 600 مجند من الفيالق 31 و41 من ثكنة روبي الى المغرب. وقد عرف السفر بعض الحوادث. فعند كل توقف للقطار، كان المجندون ينشدون الأممية وعند إقلاعه من جديد يصيحون : «لتسقط حرب المغرب ! عاش الريفيون !»، لومانيتي، 27 مايو 1925 (ص 02 إنه لذ ودلالة كون تاريخ الحزب الشيوعي الفرنسي، المنشور من طرف الحزب في 1964 يستشهد من جديد بهذا المثال الوحيد (ص 164). وفي مقال أندري فيرا («برعتا البلشفية المعادية للروح العسكرية، القوة الوحيدة للسلم»، المنشور في المجلة الشهرية لاجوليس كومنيست، عدد 1، يوليوز 1927، في AN F7 13183) يؤكد هذا الأخير بأن فيالق عديدة تظاهر ت؛ لكننا لم نعثر على شيء في الأرشيفات المقاطعية للكار.

7 لومانيتي، 4 يوليوز 1925 (د رونو)

8 نفسه، 10 يوليوز 1925.

9 نفسه، 14 يوليوز 1925.

10 إن كامي فيحي بالأخص هو الذي أعطى، في عروض لومانيتي التي خصصها لمحاكمة الملاحين، بعدا سياسيا للتمردات : انظر 24، 26 و28 غشت، فاتح و3 شتنبر 1925. انظر أيضا مقالات لافان كارد المتميزة حرفيا عن لومانيتي؛ 16 — 31 يوليوز و1 — 15 شتنبر 1925، ومقالات لاكازيرن، 20 يوليوز و5 شتنبر 1925.

11 إنه ليس الوحيد. فـلولبرتير، دون أن تتلفظ بكلمة «تخريب» تعتبر المشاركة في صنع الأسلحة والذخيرة بمثابة «غدر» : «لاينبغي لأي عامل جدير بهذا الاسم أن يتواطأ، بعمل يومي، في الجريمة المغربية»، 23 مايو 1925 (م ثورو).

المدنية أو العسكرية لأي عمل مقاطعة. لقد رجت السلطة المركزية الولاة بأن يطلبوا شخصيا من مديري جرائد مقاطعاتهم أن يعدلوا عن نشر البيانات المتعلقة بالوحدات والعتاد الموجه للمغرب «باسم المصلحة الوطنية» (12). كما دعي المفوضون الاستثنائيون لدى المراكز السككية الكبرى الى مراقبة العناصر المشبوهة، وخاصة السككيين الشيوعيين الذين يمكن أن يسعوا الى تأخير إرسال العتاد بجعله يأخذ وجهة أخرى (13). ومع ذلك، لم يسجل أي حادث.

لقد كان ترحيل الجنود باتّجاه المغرب يشغل بال الحكومة. وقد أقَضَّ حقّاً مَضْجع بعض مفوضي الشرطة. ها هو مُفَوّض بوردو يبعث بتقرير هذياني الى الأمن العام حول التكتيك الذي نسبه في ذلك الظّرف للحزب الشيوعي. ويتضمن هذا التكتيك، كما أكد ذلك أربع مراحل : 1. عملية توزيع مناشير واسعة؛ 2. ولأن الحزب الشيوعي يتوقع عرقلة قوى الأمن، سيأمر المناضلين الذين سيُعْتقلون بأن يَنْقادُوا دون مقاومة الى المركز؛ 3. حينئذ ستقع مظاهرة أمام المُفَوَّضية، أو البلدية أو المحكمة، لكن ستكون مجرد مناورةٍ للالـهاء، 4. في نفس الوقت، سيهاجم مناضلون آخرون مركز الشرطة حيث سَيُحْتَجَزُ المناضلون المعتلقون ! (14). وفي الواقع، باستثناء حالتَيْن قام خلالهما بعض البحارة القدماء بتوبيخ العسكريين داعين إياهم الى عصيان ضُبّاطهم (15)، فإنّ التّرحيلات العديدة التي تمّت من بوردو لم يعقها أيّ حادث (16). وقد أقرّ بهذا المُفوّض الاستثنائي والوالي (17). وبالرّغم من أنّ

12 مذكرة الأمن العام في 13 مايو 1925. **AN F7 13413**.

13 لقد ذكرت إدارة الأمن العام الأساليب الممكن استعمالها . تغيير الكتابات، تبديل اليافطات، ربط العربات بقطارات أخرى تسير في خطوط مغايرة. نفسه، (مذكرة 18 يوليوز 1925).

14 **AN F7 13176** (جيروند، تقرير، المفوض المركزي لبوردو عن التكتيك المقرر من طرف الحزب الشيوعي في حالة ذهاب الجنود، 2 يوليوز 1925).

15 في إحدى الحالتين، طلب الملاح المحبوس، الذي اعتبره الوالي مناضلا شيوعيا، أن يتلقى زيارات سكرتيري للنقابة الكونفدرالية للمسجلين البحريين «اللذان ناضلا دائما ضد النقابة الثورية للملاحين»، **A.D** جيروند **1 M 404**.

16 ذكرت السلطات المحلية الترحيلات التالية مشيرة إليها باعتبارها تمت دون حوادث : في 1925، 16 يونيو؛ 2،7،9،11 و18 يوليوز؛ 10، 18، 20 و22 غشت؛ 2، 5، 15، 17، 24 و30 شتنبر؛ 8 أكتوبر؛ 20 و30 نونبر؛ 11 دجنبر؛ في 1926، فاتح و2 و11 مارس، 11 و21 أبريل؛ و20 مايو. كما تمت الاشارة أيضا في ترحيلات الجنود العائدين من المغرب، دون أن تنجم عنها مظاهرات، 21 دجنبر 1925 و15 و24 مارس 1926. **AN F7 13173 و13176 و13413**.

17 «إن ترحيلات الجنود والذخيرة صوب المغرب قد تمت حتى الآن دون حادث، ولم يتم القيام بأية محاولة للدعاية إزاء الجنود، ولا لعرقلة ترحيلات العتاد والذخيرة» **A.D** جيروند **I M 363-2** (تقرير 4 شتنبر 1925). نفس الاشارة في تقرير 4 نونبر 1925.

المعلومات المتعلقة بمحطّات التّرحيل الأخرى أقلّ اكتمالًا، فلا يبدو أنه وقعت مظاهرات فعلية بسبب نقل الجنود والعتاد الذي تم من الهافر، ولوريون، وروشفور، ومرسيليا [18] أو وهران [19].

شبكات الدّعاية الشيوعية نحو المغرب

كانت الدّعاية الشيوعية باتّجاه المغرب شبه منعدمة قبل 1925. ففي سنة 1924 وضحت التقارير الشّهرية للحماية [20] التي تُلِحُّ على ضرورة حماية البلاد من «العدوى الخارجية» بأن تلك الدعاية توشك على التغلغل داخل الامبراطورية الشريفية عَبْرَ قنوات الجرائد التونسية [21] أو الجزائرية [22]. وفقط ابتداء من الشّهور الأولى لسنة 1925، نعثر على أثَرِ إرسال مناشير من طرف الحزب الشيوعي الفرنسي [23]. وقد وجهت هذه المناشير سواء إلى مغاربة [24]، أو الى عسكريين فرنسيين مُرابطين في الحماية [25]. إن النّصِ الوحيد لهذه الفترة الذي عثرنا عليه، وهو ذو استلهام معادي للنزعة العسكرية وسِلمِي في غاية الكلاسيكية، ينتهي على هذا النّحو : «لن تزحفوا ضدّ عبد الكريم والرّيفيين الذين يدافعون

18 لاحظ روك، مسؤول المنطقة المتوسطية، أمام اللجنة المركزية للحرب ضعف ردود فعل السكان : «في مرسيليا، يوجد الجنود على بعد عدة كيلومترات من المدينة، ورغم العمل الدؤوب جدا الذي يقوم به الرفاق في الجهاز، فإنه يحدث أن يذهبوا الى المغرب دون أن يكونوا قد تعرضوا للتأثير يلزم أن تفهموا أيضا وضعية جندي أثرنا فيه قبل أن يذهب، وقمنا إزاءه بدعاية جيدة، والذي لايجد، في لحظة الرحيل أية مظاهرة من جانب المدنيين، على الرصيف، بجانبه، أرشيفات معهد موريس ــ طوريز، السلسلة 142، محضر اللجنة المركزية الموسعة أيام 6 ــ 8 أبريل 1926

20 التي يلاحظ ج. كريماديلس بصددها بذكاء بأنه مادامت قد كانت «خصوصية وسرية»، فإنه لم يكن لديها أي سبب يجعلها تخفي وجودا شيوعيا محتملا في المغرب لو أن هذا الوجود تم كشفه»، مشار اليه سابقا، الجزء الأول.

21 تقارير شهرية للحماية، فبراير 1924.

22 «إن لوطري دينيون، الجريدة الشيوعية للجزائر العاصمة، الممنوعة أحيانا في المغرب، لها قراء حتى في بلاد بني مطير، بين الموظفين الأهالي الشباب» نفسه، مايو 1924.

23 لقد عثر ج. كريماديلس على أثر ثلاث سلاسل لارسال المناشير في مارس وأبريل 1925، مشار اليه سابقا، ص ص 204 ــ 205.

24 هذه المناشير وجهها ليوطي الى باريس في 2 أبريل 1925، فأخبر بها رئيس الحكومة التي يزاول مهام وزير الشؤون الخارجية فورا الداخلية. AN F7 13171. لقد عثر كريماديلس على نفس المناشير موجهة الى بعض الفرنسيين في فاس ومكناس وكذا الى بعض المغاربة في جرسيف وسطات، مشار اليه آنفا، ص. 205

25 SHA MAROC FES AI 530 3715 ‎(4 الة الأمن العام للرباط، رقم 2290 في 26 فبراير 1925)

عن استقلالهم وحقهم في تقرير مصيرهم (معاهدة فرساي). إن عُمّال وفلّاحي فرنسا يعملون من أجل عودتكم الى البلاد وهم ضِدٌّ كلّ الحروب» (26). لقد كانت الشّروط التي انتقلت ضمنها هذه المناشير نحو المغرب موضوع تحريات، سواء في باريس أو في الموانىء المتوسّطية، وخاصة في مرسيليا، وقد اعتبر أَحَدهُم، يُسَمّى جان ــ بابتيست سالومي، ويُدْعى جان ــ «عين موسكو» حسب الشرطة ــ هو الذي يُنظّم نقل مُعِدَّات الدّعاية الشيوعية نحو إفريقيا الشمالية وسوريا (27) بواسطةِ بحّارة شيوعيين أو متعاطفين (28).

كانت السّلطات إذن في حالة استنفار. وكانت العلاقات المباشرة التي رغب الشيوعيون في إقامتها مع المغاربة مُرَاقَبَة على نحوٍ مُشَدّد (29). لقد قَرّرَ الحزب إرْسال لجنة للتحرّي وجَعَلَ المؤتمرَ العُمّالي للمنطقة الباريسية يحتفي بالاقتراح. وكان على هذه اللجنة أن تؤكّد للسّكان المغاربة تعاطف عمّال وفلّاحي فرنسا ورغبتهم في العمل من أجل سِلْمٍ فوري مع الرّيفيين. لكن البعثة التي كان يقودها دوريو (30) واجهت صعوبات في الابحار على ظهر

26 مرسل بواسطة الرسالة المشار اليها.

27 **A.D** ــ بوش ــ دو ــ رون، **M 6 10802** (رسالة 7 نونبر 1925 من المفوض الخاص لمرسيليا الى مدير الأمن العام). إنه سيعوض برنار كرانسبيرغ، المسمى جاك. ويبدو أن هذا الأخير كان منتدبا من طرف الأممية الثالثة، حسب كريماديلس، الذي يستند الى بطاقة معلومات للمصالح المختصة، مشار اليه سابقا، الجزء الأول، ص 112.

28 لم يتم تقديم أي مثال من طرف شرطة مرسيليا يدعم هذه التأكيدات، إن لم تكن قضية باناطوني. فهذا الأخير، الذي كان نوتيا على ظهر تارودانت، اعتقل بوهران في 3 دجنبر 1925، حاملا لطرود كانت قد سلمت له في مرسيليا وتتضمن 219 «إعلانا» مظروفا لعبد الكريم كان عليه أن يسلمها الى تاجر بوهران. ولم يفض التحري الذي تم القيام به الى أية نتيجة : فالمسمى باناطوني، الذي يتمتع «بسمعة طيبة على جميع المستويات»، لم يسبق له أن تورط أبدا في أية حركات سياسية أو نقابية. **A.D.** بوش ــ دو ــ رون، **10802 M 6** (إنابة قضائية لقاضي تحقيق وهران بتاريخ 14 دجنبر 1925 ومراسلة رقم 4107 و4116 لمفوض شرطة مرسيليا في 30 دجنبر 1925). يبدو لنا بديهيا أن شبكات تضم ملاحين قد استعملت من طرف الحزب الشيوعي. لذلك، لايمكننا أن نمنح الثقة لكل معلومات المصالح المختصة التي لم تستند، في معظمها، الى أية واقعة واضحة.

29 أرسل الأمن العام الى والي بوش ــ دو ــ رون نسخة من رسالة موجهة الى شيوعي من روين من طرف جان كويف، أمين صندوق النقابة الاتحادية للمسجلين البحريين لهذه المدينة. فقد أراد هذا الأخير، الذي كان يوجد بطريقة عابرة في مرسيليا، الابحار على ظهر سفينة كانت تنقل الجنود الى المغرب : «هناك ما يمكن فعله، كتب يقول، فقط ينبغي الانتباه، فالشرطة كثيرة حتى على ظهر الباخرة». **الأرشيفات المقاطعية، بوش ــ دو ــ رون، M 6 10802** رسالة رقم 5288 في 27 يونيو 1925.). ويبدو أنه بلغ قصده، لأنه يذكر، في مارس 1926، خلال لقاء نظم ببوردو، بسفر قام به من مرسيليا الى المغرب، على ظهر سفينة كانت تنقل 1500 جنديا. لقد أكد بأن بعض الجنود أنشدوا الأممية بصحب كبير بحضور جنرالين و150 ضابطا وأن هؤلاء لم يتمكنوا من منع هذه المظاهرة. **AN F7 13104** (جيروند)، محضر الاجتماع العمومي في 27 مارس 1926).

30 في الأصل، كان على المهمة أن تضم سبعة أشخاص، أي برلمانيا واحدا (شيوعيا)، وامرأة (شيوعية) وشيوعيا شابا، واشتراكيا، وعضوين من س.ج.ت الوحدوية، عضوا واحدا من الـ س.ج.ت. ولم يتمكن الاشتراكي وأحد «الاتحاديين» الاثنين من الذهاب، كما عرضت لومانيتي في 4 أكتوبر 1925، دون أن تعطي مع ذلك التركيبة المضبوطة للجنة. إنما

باخرة متوجّهة الى المغرب، وكان عليها أن تُغَيِّر، خلال مَرّتين، خطَّ سَيرِهَا قبل أن تتوجّه الى وهران. وهناك، صار عليها أن تكتفي بالبقاء في التّراب الجزائري. هذا ما أفهمها إياه رجال البوليس الذين تعقّبوها انطلاقا من مرسيليا. وقبل ذلك ببضعة أسابيع، كان دَرَكُ تلمسان قد اعتقل بيير فرناند، عضو هيأة تحرير لومانيتي، في اللحظَةِ التي كان يَعْبُر فيها الحدود المغربية رفقة فرنسيٍّ آخر وريفييْن (31).

المساعدة الشيوعية لعبد الكريم

لقد روينا بتفصيل، من جهة أخرى، الاعتقال المتبوع بالطّرد من المغرب الذي تعرض له بعض المناضلين المشبوهين بكونهم شاركوا في دعاية شيوعية لصالح عبد الكريم داخل الحماية. هل ينبغي المُضيّ أبعد من هذا ؟ هل يجب علينا أن نعتبر بإنه بالرَّغم من غياب تنظيمٍ قَوِيٍّ منغرسٍ في إفريقيا الشّمالية له نقط اتّصال في المغرب (32) بَذَلَ الشيوعيون الفرنسيون مُسَاعَدَةً مباشرة للرّيفيين، سواءٌ بمدّهم بأسلحةٍ وَ جَعْلِ مُدَرّبين عسكريين تحت تصرّفهم، أو بإثارة حركات تآخي في جبهة المُحاربين ؟ للاجابة عن هذه الأسئلة، وخاصَّةً السؤال الأوّل، نتوفر على ثلاثة مصادر للمعلومات ذات قيمة غير مُتساوية : مُذكّرات المصالح المُخْتَصَّة، تَصْريحات القادة السياسيين الفرنسيين، والتقارير المُنْجزة من طرف العسكريين المُرابطين في المغرب.

نعرف هذه الأخيرة بواسطة برقيات المفوض الخاص لمرسيليا : وتضم دوريو، هنري ماربي، فيلكس لودرو من س.ح.ت، ألبير جوريف، أنطوان دويرا ولوسيان ماران. AN F7 13090 (برقية 29 غشت 1925) 13175 (بوش — دو — رون، برقية 30 غشت 1925).

31 بيار فيران، من مواليد الجزائر في 1898، سككي سيدي بلعباس، وهو مناضل شيوعي ونقابي. بعد أن طرد في 1924، تم ضمه الى هيأة تحرير لومانيتي. وقد ربط علاقة مع أحدهم يدعى حيرما، وهو رجل أعمال له نزاعات في المغرب مع شركات زراعية تدعمها الاقامة وأتى يطلب من لومانيتي أن تقوم بحملة لصالحه! لقد اقترح عليه حيرما أن يشركه في شؤونه؛ فقبل فيران من حيث المبدأ وطلب عطلة من جريدته للذهاب الى الجزائر. وهناك التقى من جديد في فاتح يونيو 1925 حيرما الذي كان، قبل ذلك، قد وكل من طرف مجموعة مالية لكي يحصل من عبد الكريم على تنازلات منجمية. وقد اعتقلا بمغنية، رفقة اثنين من الريفيين كانا عائدين الى البلاد بعد أن اشتغلا كحصادين في المنطقة الوهرانية. حسب محضر استنطاق فيران من طرف الشرطة القضائية لتلمسان، بتاريخ 13 يونيو 1925. AN F7 13188.

32 «في مكنتنا أن نجعل نهاية حرب الريف لصالحنا، أكد دوريو أمام اللجنة المركزية للحزب الشيوعي، لو في إمكاننا أن نوسع عملنا في شمال افريقيا حيث كان سيكون لدينا قيادة وحيدة لمجموع المنطقة (...) فثلاث قيادات (تونس، الجزائر، وهران) ليست في صالحنا تماما». أرشيفات معهد موريس — طوريز — السلسلة 94، (محضر اجتماع اللجنة المركزية لـ 19 شتنبر 1925).

وجهة نظر المصالح المُختصّة والتصريحات الحكومية

لقد جَهِدَت المصالح المُختصّة لتأكيد أطروحة مساعدةٍ أجنبية قويّة للرّيفيين. وفيما يتعلق بالتدخل الشيوعي اتهمت الأممية مثلما اتهمت الحزب الفرنسي. لقد دأبتْ دوريا على نشر وثائق صادرة عن الكومنترن. هكذا تدعو رسالةٌ بعث بها السكرتير العام للّجنة التّنفيذية للأممية الشيوعية الى رئيس الفرع المناهض للاستعمار في 3 يناير 1925 هذا الأخير الى التفكير في إنشاء فرع خاص يكون عليه «دَعْمُ الحركة الوطنية في المَغْرِبَيْن معاً» (33). وفي تقرير لزينوفييف نوقش في 31 يناير، يبدو أن هذا الأخير قد اعتبر الّلحْظة مواتية للعمل في المغرب : «إن عبد الكريمبسرعة فلا يزوجها ولي آخر ولا القاضي إلا لعارض، لأن أباها بمنزلة الحاضر في البلد انقطع خبره فلا يزوج القاضي بنته إلا بعد إثباب سبب ال، وستؤدي هذه الهزيمة الى تغييرات داخلية في اسبانيا، منها سقوط الحكومة والنظام الملكي. وسيخلو الجو حينوذ لموسكو لتركز عملها ضد فرنسا. فَبِدَعْمِنا، أضاف زينوفييف على ما يبدو، سيخلُقُ عبد الكريم بإعلانه الحرب تعقيدات خطيرة لفرنسا. إنه أَحَدُ المُؤَهَّلين المُهِمِّين الذي نتوفّر عليه ضِدَّ هذا البلد وسنبستعمله» (34). وفي 12 مايو، يبدو أن رئيس الأممية قد كَتَبَ أيْضاً : «إن وكالة الفرع العسكري للّجنة التنفيذية مُزَوّدة بأعوان أكفاء ومُعِدَّاتٍ دعايةٍ للتّأثير الفعّال (كذا) على القبائل المتمرّدة. لقد دَخَلْنا في اتّصال مع القيادة العليا للمتمرّدين وعملنا في الجبهة في منتهى التنظيم» (35) إن مِصداقية هذه الوثائق مشكوكٌ فيها، هذا أقَلّ ما يمكن أن يُقال (36)، لكنها مُبلّغةٌ على سبيل «السرّ»، وانتشارها مُنَظَّمٌ بِحرْصٍ كبير، سواءٌ بين

33 AN SOM Aff.polit.2415 (مذكرة حول الدعاية الثورية التي تهم بلدان ما وراء البحار، 30 أبريل 1925).

34 نفسه.

35 AN F7 13413-1، مذكرة الأمن العام لـ 15 يونيو 1925، تقدم «ترجمة وثيقة موقعة من طرف زينوفييف»، إن هذه الوثيقة التي مرجعها «اللجنة التنفيذية للأممية الثالثة، الفرع الاسلامي، موسكو ـــ الكرملين، 12 مايو 1925، رقم 7816/426» موجهة «الى المكتب المركزي الأجنبي للفرع الاسلامي ببرلين مع نسخ الى فرع المدربين بباريس والى الرفيق دورياك بقسطنطينة».

36 إن الوثيقتين الأوليين ليومي 3 و31 يناير 1925 مقتطفتان في الواقع من تقارير أو تصريحات منسوبة الى زينوفييف وتوجد في ثنايا مذكرة للمصالح المختصة تم إعدادها خاصة استنادا الى معلومات مرسلة من طرف «مصلحة الاستعلامات لقوة أجنبية»؛ ويتعلق الأمر احتمالا بمصلحة الاستعلامات الاسبانية. بخلاف ذلك، تم تبليغ نص رسالة 12 مايو 1925 من طرف المصالح، لكنه استتبع هامشا خطيا من ديوان مدير الأمن العام الذي وضح : «تبدو (مشددة عليه في النص) هذه الوثيقة مضبوطة، لكننا لايمكن أن نؤكد بعد صحتها : سيتم إجراء أبحاث بهذا الصدد». في العمق، تجعلنا فقرتان من هذه الرسالة نفكر في خدعة. فزينوفييف يطلب من مراسليه إقامة «صلة مع صحافة المهاجرين البيض لاثارة حملة دفاع عن الجنود والضباط الروس الذين يهلكون بالآلاف في الميادين المغربية». من جهة أخرى ينصحهم بأن يتصرفوا «بحذر، جاعلين الفوضويين وصحافتهم». في المقدمة.

هيآت تحرير بعض الجرائد أو في الأوساط البرلمانية (37)، ولم يتردّدْ بانلوفي في قراءتها من أعلى منصّة المجلس (38). لقد ورّطتِ المصالحُ المختصّة الحزب الشيوعي الفرنسي مُباشرةً في تنفيذ المُساعدة المبذولة لعبد الكريم. ويختلف اختيار المركز حيث خُزنت المُعِدّات المُوَجَّهة للزّعيم الرّيفي حسب المُخْبِرين. لقد تمت الاشارة في الغالب الى مرسيليا (39) ولكن أيضا الى نيس وكورسيكا (40) أو حَتّى تولوز (41). غير أنّ نَوْعَ المساعدة بالضّبط لم يُوضّحْ دائما. هل تعلّق الأمر بإرسال أسلحةٍ أو حتى مقاتلين للقبائل المتمرّدة كما تؤكّد ذلك لاليبرتي ؟ لقد أجاب والي الـ بوش ـــ دو ـــ رون، عندما سُئِل من طرف وزير الدّاخلية بأنّ المعلومات المُعْطاة من طرف هذه الجريدة هي إمّا مغلوطة أو مستحيلة المُراجعة (42).

في الواقع، كانت الاتّهاماتُ الأكثرُ وُضوحاً والمتعلقة بالتّدخّل الأجنبي في الرّيف، تستهدف الأنجليز والألمان، أساساً. فقد اتّهمت المصالح المختصّة الأوائل على الخصوص بتسليم الأسلحة لعبد الكريم (43)، واتُّهمتْ ألمانيا بإرسال عددٍ مُذْهِلٍ من المُدَرّبين العسكريين (44). كما أن تواطؤ الشيوعيين مع الألمان والأتراك كان موضوعا لبعْضِ المُذكّرات (45). فالرّيف كوميتي، وهو جهازٌ يُسيرِه بريطانيون، يتضمّن بين أعضائه، حَسَبَ تلك المذكّرات، عناصر

37 مذكرة الأمن العام لـ 15 يونيو 1925، المشار اليها سابقا.

38 لقد قرأ رئيس المجلس نص التصريحات المنسوبة الى زينوفييف في 31 يناير 1925، والتي أشرنا اليه أعلاه. ولم يضف اليها ولم ينقص منها كلمة واحدة، دون أن يقول طبعا بأن الأمر يتعلق بوثيقة للمصالح المختصة. **مناقشات المجلس**، جلسة 23 يونيو 1925، **الجريدة الرسمية**، ص ص 2759 ـــ 2762. وبعد أن أكد دوريو بأن الأمر تعلق بوثيقة مزورة (نفسه، ص 2765) أكد بانلوفي بإن النص الذي قرا مقتطف من عرض جلسات اللجنة التنفيذية للأممية الشيوعية، دون أن يعطي مرجعه (نفسه، ص 2780). خلال ذلك، صرح رونوديل : «أود أن أسلم بأن منها (الوثائق) ما يمكن التشكيك في صحته. إنني أشير الى خطاب زينوفييف، بالرغم من أننا إذا استفتينا المصادر، فإنه لن يصعب علينا العثور على نصوص لزينوفييف ولقادة آخرين للأممية الثالثة تتضمن التعليمات التي أشرت اليها بالضبط وهي مشابهة بالخصوص لتعليمات هذه الوثيقة التي سميتموها مزورة»، (نفسه، 2778).

39 **A.D** بوش ـــ دو ـــ رون، **M 6 10803** (رسالة وزير الداخلية لـ 4 أبريل 1925) **AN F7 13413-1** (مذكرتا 6 يونيو و23 أكتوبر 1925).

40 **AN F7 13413-1** (مذكرتا 21 مايو و9 يوليوز 1925).

41 يفضل استعماله من أجل العمل في المغرب الاسباني **مذكرة حول الدعاية الثورية التي تهم بلدان ما وراء البحار** لـ 30 1925، المشار اليها سابقا.

42 **AN F7 13413-2** (رسالة رقم 421 في 13 فبراير 1926).

43 عن النشاطات المنسوبة الى كوردون كانيغ، غاردينز و **Riff Commitee**، أنظر الأرشيفات العسكرية (مثلا **SHA VM E 24**) وكذا أرشيفات الشرطة (مثلا **AN F7 13413** و**APP BA 1678**)

44 أنظر **SHA VM E 24** (رسائل ومذكرات مختلفة)

45 **AN F7 13413**.

شيوعية (46). حتى أن دوريو نفسه، اعتبر الأمْرَ من جهته واقِعاً وهَنَّأ نفسه أمام اللجنة المركزية على هذا التّعاونِ بين «رفاقٍ شيوعيين، ورأسماليين»، لكن دون أن يكون قوله مُقْنِعاً جدّاً (47).

وأمام اللّجان البرلمانية، اتُّهِمَ مسؤولو السياسة الفرنسية أيضاً المساعدات الأجنبية التي يستفيد منها الريفيون، لكن بطريقةٍ أكثر اتّزاناً، ولم يكن أمامهم أنْ يصدقوا حرفيا كل معلومات المصالح المُخْتَصَّة التي أتينا على ذِكْرها. ومع ذلك، كيف كان بإمكانهم ألا يتأثروا بتواترها ؟ فقبل الهجوم، اقتصر هيريو على الاشارة بأن عبد الكريم «مدعومٌ بتعزيزات بالمال أو السّلاح، آتية في جانبٍ منها من انجلترا وفي الجانب الآخر من تركيا. لقد تلقينا، في هذه الأيام، ختم قائلًا، معلوماتٍ في منتهى الدِّقّة» (48). بَعْدَ أشْهُرٍ من ذلك، كان بانلوفي أقل رزانة في وصفه لبطانة الزّعيم الرّيفي : «عصابة من أولئك الذين سميتهم باللاأجورين : ضباط الجيوش الألْمانية، والرّوسية والتركية، ووطنيين مِصْريين. إنّنا نجد هنا مُمثلين عَنْ كلّ الطمّوحات، كل الاستياءات، وبالأخصّ كلّ المغامرات» (49). أمّا بريان، فبدا عندما سئل بدوره منشغلًا قبل كل شيء بالحفاظ على العلاقات الفرنسية التُّركية، والفرنسية الألْمانية. وقد كَذَّب وجود علاقات بين عبد الكريم وحكومة أنقرة. فليس هناك، وضّحَ قائلًا، سِوى ضابِطيْن وضابط صَف مَطْرُودين من تركيا يقاتِلون لدى الرّيفيين. إن العناصر الأجنبية الرئيسية من أصْلٍ ألْماني : وهم فارّون من الفيلق الأجنبي الاسباني. لكن الحديث عن تدخُّلٍ ما لألمانيا في الرّيف غير صحيح (50). هكذا امتنع القادة الفرنسيون عن اتّهام التّدخّل السُّوفياتي مع أنّه كان في إمكانهم ذلك. لقد توخّوا التّمييز بيْن تشجيعات الدّعاية الشّيوعية

46 يبدو أن الريف كوميتي كان يضم بين أعضائه آرثرفيد، كانيغام وغراهام. ويعتبر كريماديلس الأول عضوا للحزب الشيوعي، والآخرين متعاطفين، مشار اليه، الجزء الأول ص 213، هامش 1؛ أنظر أيضا AN F7 13413-1 (رسالة الشؤون الخارجية الى الداخلية رقم 600 لـ 26 غشت 1925).

47 «لقد حصل عبد الكريم على مساعدة حد فعالة من طرف الدول التي تشارك بطريقتها في الحرب، أقصد س طرف انجلترا. فكل السياسة الانجليزية منصبة على اللعب مع فرنسا والريف الذي دخل اليه رفاقنا الشيوعيون، ودخل إليه الرأسماليون، فتم استعمال هذه اللحنة لفرض مساعدة لعبد الكريم. إن عبد الكريم لم يفقد كل صلة بالعالم الخارجي ويمكنني القول بأن الحصار الذي تم حلقه حول الريف لم يكن له الأثر الكلي الذي كان مرتقبا من الجانب الفرنسي والجانب الاسباني»، أرشيفات معهد موريس ـــ طوريز، السلسلة 142، (محضر اللجنة المركزية الموسعة لـ 6 — 8 أبريل 1926).

48 مجلس النواب، لجنة المالية، جلسة 17 أكتوبر 1924. لم يضف هيريو شيئا آخر. لنسجل بأنه كان قد تلقى، قبل بضعة أيام، في الكي دورساي الذي كان يتحمل مسؤوليته، إبلاغا من الاقامة العامة للرباط عن «التصرفات الانجليزية في المغرب»، مؤكدا على أن الهدف المقصود من طرف انجلترا هو «إبعاد فرنسا من مضيق جبل طارق بأي ثمن»، SHA VM E 24 (رسالة أوربان بلان، رقم 1916 في 10 أكتوبر 1924).

49 مجلس النواب، لجنة الشؤون الخارجية، جلسة 17 يونيو 1925.

50 نفسه، جلسة فاتح يوليوز 1925.

والمُساعدات الفعلية التي أمكن للرّيفيين أن يستفيدوا منها. فَبَعْدَ تصريح بريان الذي أتينا على ذكره، وَضَّحَ وزير الشؤون الخارجية رأيه أمام مجلس الشّيوخ : إنّه لا يمكنه أن يَعْتَبِر مقالات الصُّحف الشيوعية مُوَرِّطَةً للحكومة السوفياتية، وعندما قاطعه أحد أعضاء المجلس : «والمال الّذي يُرْسِل ؟»، أجاب بريان : «أنْ يَتِمَّ تأكيدُ احتيالِ شيءٍ، وأنْ يعمد وزيرٌ للشّؤون الخارجية، من ديوانه، إلى ذِكْر أمْرٍ واقع شيءٌ آخر» (51). أمّا البعثة البرلمانية التي أرْسِلَتْ الى المغرب مِنْ طرف لجنة الجيش بالمجلس فكانَتْ أكثر حَذَراً. لقد امتنعتْ في تقريرها عن القيام بأدنى إشارةٍ للمساعدات الأجنبية التي أمكن لعبد الكريم أن يتلقاها (52).

شهادة العسكريين

لا شيء مما أتينا على ذكره، يبدو مُقْنِعاً على نَحْوٍ قَطعي. إنه ليبدو لنا مُحْتَمَلاً، لحد الآن، أن تكون الحملة الشيوعية قد اقتصرت على الدّعاية ولم تُفْضِ الى مُساعَدَةٍ عسكرية حقيقية لعبد الكريم. لكن لا يمكن أن نُنَحِّيَ كلّياً فرضية إرْسال الأسلحة والذّخيرة والمتطوعين. وهذا معناه أنّ تنْظيماً سرّياً دقيقاً قد تغلّب على المُراقَبات العسكرية والبوليسية. يبقى إذن أنْ نَفْحَصَ المُشْكِل منْ شِقِّهِ الرّيفي وأن نسائل العسكريين العاملين بالمغرب عن الحضور الشيّوعي لدى عبد الكريم. لقد كان عَدَدٌ مِنْهُم مُقْتَنعين، دون ريب، بهذا الحُضُور، وعبّروا عن ذلك بأفعالهم وأقوالهم. لكن لم يتعلّق الأمر في أغلب الحالات سوى برَأْيٍ لم يُدَعِّمْه أيّ حَدَثٍ جليّ. بخلاف ذلك، لا يمكننا أن نُنَحِّيَ شهادة بعض ضباط الشؤون الأهلية، الذين مارسوا قيادتهم في منطقتيْ فاس وتازة. لقد كانوا يتوفّرون، بالفعل، على وسائل استخبارات قريبة بعضِ الشّيء من عبد الكريم. فبطلبٍ كي دؤسائه، أعَدَّ القبطان دوكريز، في بداية 1926، تقريراً عن تنْظيم الزّعيم الريفي. إنَّهُ لا يشير فيه لأي دعمٍ شيوعي أو روسي، أو هو دَعْمٌ ذو طبيعة مالية، وحتى بهذا الخصوص، يُقِرُّ بأنّ الأمْرَ يتعلق بإشاعة. وعلى الصّعيد العسكري، يسجل بأن الأسلحة تردُ من الغنائم، ومن ضمنها مدفعية الميدان (53). ولا يقدم رفاقه، القبطان جاكو، والمُلاَزِمَان الأوّلان دوسينيْ وسُولاَرْ، رؤساء مختلف مكاتب دائرة تازة الشّمالية، والملازم أوّل مور والضّابط المُتَرْجِم كوجي من دائرة كرسيف، من جانبهم،

51 مناقشات مجلس الشيوخ، جلسة 2 يوليوز 1925، الجريدة الرسمية، ص ص 1260 — 1272.

52 لقد حرر التقرير، العبر المؤرخ، ولكن الذي تم في أوائل يوليوز دون ريب من طرف النائب المعتدل كي دومونحو. SHA VM RIF 10.

53 SHA MAROC AI FES 530 3711 (تقرير القبطان دوكريز، رئيس مصلحة استعلامات باب المروج، في 19 فبراير 1926).

أيّ توضيح إضافي (54). وقد أجْملَ العقيد هِيُو القول بخصوص المعلومات المتعلقة بمساعدات المتطوّعين الأجانب : «لقد جرى الحديث كثيراً عن الأجانب الذين يستعملهم عبد الكريم. من وجهة النظر العسكرية، لايبدو أنّ هؤلاء قد تميّزوا إلا كمدافعين، وهتّافين، ورسّامي طرق. إننا لانعرف أحداً منهم تسلّم نوعاً من القيادة ، ولو شرفية، حتّى كليمس الشهير نفسه (كذا)، الرقيب الفارّ من فيلقنا. وقد استخدم كليمس على الخصوص لخلق نَوى تنظيم دفاعي ثمَّ إنشاؤها في جبهتنا» (55).

بعد استسلام عبد الكريم، أجاب الجنرالُ دوكان، قائد قوات المغرب، وزيرَ الحربية الذي سأله عن الأجانب «الذين أقاموا في الرّيف» (56). لقد مَيّزَ سَبْعَ فئات : 1. الفارّون من الفيلق الأجنبي الفرنسي، وأحْصى مِنْهم اثنين وثلاثين، أغلبهم ألمان، وقد لَعِبوا دوراً صغيراً جدّاً، باستثناء الرّقيبين : أوهم وكليمس، «الوحيدَيْن الّلذَيْن كانا محلّ ثقة عبد الكريم»؛ 2. الفارّون من الفيلق الأجنبي الاسباني، وعددهم ثلاثة (57)؛ 3. سبعة فارّين من جنسية فرنسية، من بينهم المدعو بلاسيد جوكس من الفيلق الثالث للمدفعية، الذي «حصل في الرّيف على دورٍ من المرتبةِ الثانية، بالأخص لدى القايد حدّو، تحت إسم عبد العياشي الاسلامي؛ 4. أربعة مدنيين فرنسيين، يُعْتَبَرُ إثنان منهم، لاكسوتي وَ كوتور، بمثابة «داعيتَيْن شيوعيّيْن»؛ 5. جنود أوْ مدنيون أجانب، مِن بينهم زيلتكينس، وهو مُقَدَّمٌ من جيش ليتونيا، وقد اعْتُقِلَ من طرف الاسبان عندما حاول أنْ يتوغّلِ في الرّيف (58)، وفانسون شيان، مراسل الدّايلي إكسبريس، والرّوداني، وهو شيوعي إسباني طُرِدَ من إسبانيا بَعْدَ إقامة النظام الجديد وهودجوس كلاين، طبيب مِنْ أصْلٍ نرويجي، وهو الذي يمكن أن يكون قد زَوَّدَ الرّيفيين

54 في الموضع نفسه.

55 نفسه. تقرير موجه من طرف العقيد هويو، قائد منطقة تازة، الى الجرال القائد الأعلى للقوات المغربية، بواسطة رقم 1042/RT في 5 مارس 1926. ينبعي أن نسجل بأنه في 1941، أعد القبطان بريمار، الذي كان يعمل بمفساي تقريرا عن «الأحداث السياسية والعسكرية لـ 1925 ـــ 1926 في منطقة وسط ورغة»، خاصة بالاستناد الى أرشيفات الدائرة، ونحن لانجد فيه أية إشارة الى مساهمة أجنبية، شيوعية أو غيرها، مباشرة أو غير مباشرة، في مشروع عبد الكريم، نفسه. AI FES 522 371.

56 SHA MAROC CSTM المكتب الثاني 033 620. إن طلب الوزير وجه تحت رقم 6918/SR في 19 يوليوز 1926، وتقرير دوغان تحت رقم 3370/2 في 9 أكتوبر 1926.

57 يوضح التقرير أن هناك بالتأكيد هاربين آخرين تمكنوا من الدخول الى بلدهم الأصلي عبر طنجة. إن كريماديلس يحصي، استنادا الى التقارير التي أعدتها الحماية، 37 هاربا من الفرقة الأجنبية الفرنسية، تم استردادهم بتاريخ 28 أكتوبر 1924 و9 تم تسليمهم من طرف الاسبان الى الفرنسيين في 1925، مشار اليه سابقا، الجزء الأول.

58 عمل ضد القوات السوفياتية في 1919. انظر لافريك فرانسيز، دجنبر 1925، ص ص 653 ـــ 654.

بالأدوية (59)؛ 6. فارّان جزائريان أوْ مغربيان (60)؛ 7. «عُملاء مسلمون»، يُشارُ الى حضورهم في الرّيف من باب الاحتمال، لكن لم يحصل ثبوته (61). وقَدْ خَتَم الجنرال دوكان قائلًا : «إنّه لَمِمَّا يَلْفِتُ النَّظَر أنْ نلاحظ إلى أيّ حَدٍّ امتنع الدُّعاة المُسْلِمون، أنصار الجامعة الاسلامية، أو شيوعيو مصر، وتونس، والجزائر أو تركيا، بوجه عام، عن المجيء الى الرّيف واكتفوا بإرسال وُعُودٍ كاذبة وإعاناتٍ ماليةٍ تظَلُّ أهمّيتها مشكوكاً فيها. لقد دُعم عبد الكريم بكلّ تأكيد وبفعالية أكبر من طرف الدُّعاة والصّحافة الأوْربية مِنْهُ من طرف إخوانه المُسْلِمين.».

التآخي بالأفعال

كانت مشاركة الشيوعيين المدنيين في مشروع عبد الكريم، كما تُسْتَخْلَصُ من هذه التّقارير إذن محدودةً جدّاً. لِنُضِفْ بأنّهُ لو كان في أرشيفات عبد الكريم، التي احْتُجِزَتْ بعد استسلام الزعيم الرّيفي، أقَلّ شيء يمكن مِنْ تجريمهم، لَمَا تورّعَتِ السُّلُطات الفرنسيةِ عن استغلاله. يبقى أن نتساءل عن نصيب الدّعاية الشيوعية في انتقال العسكريين الى صُفُوف عبد الكريم. إنّنا نستعمل هذا التّعْبير عن قَصْدٍ، إذْ أننا نعلم أن الحزب الشيوعي الفرنسي كان يُلِحُّ على كونه ضِدَّ مجرد الفرار من الجيش ويوصي بتآخي الجنود. لقد أكّد بانلوفي في يونيو 1925، أمام المجلس، بأن لا عِلْمَ لَدَيْه سوى بواقعة عِصْيانٍ واحدة : ففي مركزٍ مطَوَّقٍ، قَتَلَ الجنود الأهالي ضابط صفّهم الفرنسي وقيّدوا ضابط الصّف الجزائري، وسلّموا أنفسهم للريفيين (62). نشر بيار سيلور بعد سنة من ذلك، في دفاتر البلشفية قائمةً أكثر مدعاةً للاندهاش حول التآخي. فهو يؤكّد بأن ثلاث كتائب انضمّتْ بأسلحتها وأمتعتها الى الريفيين، منها كتيبتان تنتميان للفيلق الأجنبي والكتيبة الثالثة للفوج 61 من القناصة المغاربة (63)، وبعد ذلك اقْتَدَتْ بها فصيلةٌ من القناصة الجزائريين وهذا أضاف قائلًا، دون إحصاء

59 تليه أسماء عدد من الأشخاص، المعروفين جيدا لدى المصالح المختصة، منهم انجليز (سارل، ماندي، عارديز، كانيع، ولانمل) وإيطاليين (موريا، مالموسي، وماكري).

60 هذا الرقم، المزيل بغرابة، هو بعيد جدا عن الاحتمال، لكن التقرير يوضح بأن هناك «كثيرا من المشبوهين».

61 من بينهم مغربيان : الحاج بوعرة بن عبد السلام، الذي أقام بتونس، والحاج الجيلالي، من أصل ريفي، استقر في القاهرة، وأحد المصريين، حسن مطري، وهو صحفي، لاجيء بسويسرا.

62 كان المركز يضم حوالي عشرين جنديا أهليا واثنين من المدفعيين الفرنسيين، وقد قتل هذان الأخيران بنيران الريفيين مناقشات المجلس، 23 يونيو 1925، الجريدة الرسمية، ص 2760.

63 هذا الأخير، المكون من ستمائة رجلا، سلم نفسه للريفيين حسب سيلور بعد أن قتل ضباطه.

التمّردات التي وقعت في العديد من المراكز حيث سُجِّل رَفْضُ بعض الجنود للقتال وتقييدهم لضباطهم. لقد تمت حركات التّآخي هذه التي همَّتْ بِضْعَ مئاتٍ من الأشخاص، حسب المؤلف، في أغلبها، قبلٍ شهر غشت 1925 (64). أيّةَ ثِقَةٍ يمكن وضعها في هذه الأقوال ؟ لِنُسَجِّلْ في البداية، بأنَّ لِمَقَالٍ سيلور جانباً سِجَالِياً : لقد تَعَلَّقَ الأَمْرُ بالرَّدِّ على سان ــ جاك الذي انتقد شعارات الحزب وبالبرهنة على أن التآخي نجح جيداً. أو لم يغال في برهنته ؟ هذا ما بدا أن أغلب القادة يعتقدونه، لأنه لم يتم العثور، بعد ذلك، على أية إشارة لحركة بالأهمية التي وَصَفَ، في مختلف مُراسلات العَمَلِ المُعادي للنّزعة العسكرية والمعادي للاستعمار الذي خاضهُ الحزب (65). أكثر من ذلك، عندما قدَّم دوريو أمام اللجنة المركزية المعلومات التي أمكنه استقاؤها خلال سفره في الجزائر، بدا منشغلا على الخصوص بالمصاعب التي تعترض تطبيق شعار التّآخي، وهذا بالرَّغم من كون الجنود ضِدَّ الحزْب : «لَقَدْ ملُّوها». لِنوردْ هنا نص محضر اللجنة المركزية : «لاندري إذا كان الرّيفيون أمام الضباط الفرنسيون هم الذين خربوا كل الدعاية التي قمنا بها لصالح التّآخي. لَقَدْ عُرِضَتْ (كذا) أمام المُقاتلين جثث الجنود الفرنسيين القَتْلى، ببطون مَبْقُورةٍ، ومصارين مندلقة، يمكننا القول أن هذا أفضل سلاح للدّعاية الفرنسية ضِدَّ شعارنا : التّآخي. إنّه وضْعٌ ينبغي أخذه بعين الاعتبار.». رغم ذلك، خَتَم دوريو قائلاً، «سَجَّلنا بَعْض حالات التّآخي» (66). بعض الحالات وليس كتائب بأكملها. وفي أبريل 1926، أكَّد نائب سان ــ دوني بأنّه من الضروري مُواصلة «ترويج شعار التّآخي، لأنَّ وَضْعَ الجنود أسوأ بكثير من السَّنَةِ الماضية. ولأنَّ هذا الشعار قد تغلغل»، لكنّه لم يُدْلِ بأيّ مثالٍ يُدَعِّمُ تأكيده؛ بل اكتفى بالادْلاء بتقديرات أحَدِ مُراسليه الجزائريين حوْل عقلية الجنود (67). بَعْدَ شَهْرَيْن مِنْ ذلك، أقر ضمنيا أمام المُؤْتمر الوطني للحزب، بأنَّ حالات التّآخي كانت استثنائية (68). وتؤكد استجوابات الفارين المعتقلين في المعسكر الريفي التي أمكننا فحصها هذا الاستنتاج : فهي لم تكشف عن أيّ حافِزٍ ذي طابع سياسي، أو

64 دفاتر البلشفية، 15 غشت 1926، ص ص 1660 ــ 1662.

65 يبدو لنا الكتيب الصغير المنشور من طرف فدرالية الشبيبات الشيوعية في 1927 : إليك أيها الجند إليكم أيها الشغالون ! (AN F7 13183) والمخصص بأكلمه للدعاية المعادية للنزعة العسكرية ذو دلالة كبيرة. لقد امتدح التآخي، كـ «سلاح حقيقي للنضال الثوري» وأورد الأمثلة في بضعة أسطر : كومونة باريس، الجنود الروس في 1917، ملاحو البحر الأسود، وفي 1923 هناك الجنود الفرنسيون الذين كانوا يحتلون الرور والذين تآخوا مع العمال الألمان. وليست هناك أدنى إشارة لحرب الريف.

66 أرشيفات معهد موريس ــ طوريز، السلسلة 94، (محضر اللجنة المركزية لـ 29 شتنبر 1925).

67 نفسه، السلسلة 142، (محضر اللجنة المركزية الموسعة لأيام 6ــ 8 أبريل 1926).

68 المؤتمر الوطني الخامس للحزب الشيوعي الفرنسي، ليل، 20 ــ 26 يونيو 1926، عرض، ص ص 200 ــ 201.

على الأقل مِنْ هذا الطّراز (69). فضْلًا عن ذلك، يبدو لنا أنَّ مما له دلالة أنَّ الحزب الشيوعي، المنتبه للمُحاكمات السياسية، لم يستوقفه من المحكومين العسكريين، خارج ثائري الكوربي، سوى جوكس، وتيسران وبالأخص كليمس. مع أنّنا لم نقتنع مُطْلَقاً بِكَوْنِ الرّقيب الفيلقي الألماني الشهير، يمثل نموذجا جيدا لسياسة التآخي وذلك رَغْمَ الرّغبة العميقة للحزب الشيوعي في الدّفاع عنه (70).

في الختام، نعتبرُ أن التّآخي كان ظاهِرةً لَمْ تُمكِنْ ملاحظتها في الجبهة الرّيفية سوى في عدد قليل من الحالات، وهمت على الأكثر بعض المراكز التي كانت تضم في المجموع بضع عشرات من الرجال (71). أما التصريحات المعاكسة لهذا الواقع والتي أدلي بها زينوفييف أمام مجلس الأممية، فمردها لطابع المغالاة الأحق بهذا القائد الشيوعي (72). ومن الممكن أن تكون الدّعاية الشيوعية قد أثّرتْ، بلا مِراء، في سلوك الجنود في المغرب بمضاعفتها لحالات العصيان. هذا ما يُستَنْتَجُ مِنْ تَصْرِيح لبارتو، وزير العدل، الذي عاد للأحداث بعْدَ سنةٍ من استسلام عبد الكريم، بمناسبة نِقاش تَمَّ تَنْظيمه مِنْ طرف المجلس حَوْل التّحريض الشيوعي، خصوصاً في الجيش. لقد استشهد بإحصاء وضعه وزير الحربية ارتفع فيه عدد العسكريين المحكومين «لمخالفتهم النظام»، بين فاتح يناير 1925 و31 يوليوز 1926، أي خلال الفترة المُطابِقَة بشكلٍ ملموس للعمليات ضِدَّ الريف، الى رقم 1371. ويبدو أنَّ هذا الرّقم يَهُمُّ خصوصاً جنود المغرب (73). وإذا قارناه بالاشارات التي سبق أن أعطيناها، والمتعلقة بالعقوبات المتّخذة

69 SHA VM RIF 3 و4.

70 كمحند في 1912 في الفرقة الأجنبية الفرنسية، شارك في عمليات «إخماد العنف»، ثم فر في 1920، والتحأ الى بني ورايين، وجعل نفسه في خدمة عبد الكريم في 1923، أي في فترة لم يكن فيها بين الزعيم الريفي والقوات الفرنسية أي نزاع. لاشيء في قصة هذا المغامر يسمح بافتراض أنه تصرف عن قناعة سياسية. انظر **لافريك فرانسيز**، يونيو 1926، ص ص 305 ـــ 308، التي استندت الى شهادة فانسون شيان، وهو صحفي أمريكي أقام في الريف.

71 نلاحظ بأن بعض الصحفيين، المتعقبين لهذا النوع من الأخبار والمستعدين لتضخيم أصغر حادث، لم يذكروا أية حالة للتآخي، انظر ح. لادري دولاشاريير، **حلم عبد الكريم**، باريس 1925، ولنفس الكاتب، **الشيوعية وافريقيا الشمالية**، 1929. ويشير روبير ـــ رايبو الى «نسق كامل للدعاية حيث تصل الروح الانهزامية الى حد الخيانة»، **الدعاية الشيوعية في افريقيا الشمالية**، باريس، 1926، ص 22، لكنه لم يعط أي توضيح ولا نجد أية إضافة في المقالات الاخبارية التي خصصتها **لافريك فرانسيز** للعمليات العسكرية ولا في مقالات أوجست تيبي عن **«إخوة» ساحل الريف** (دجنبر 1925 ـــ يونيو 1926).

72 إنه يورد، أقوال «شخصية في منتهى الكفاءة ومأذونة في العالم السياسي توجد بباريس» آخذا إياها لحسابه، وحسب هذه الشخصية «أحد الفرار الجماعي أحجاما لم يسبق أن لوحظت أبدا (التشديد في النص) في أية حرب حتى الآن. بل لقد كانت هناك حالات انتقلت فيها معروات بأكملها الى الخصم»، دورة اللجنة التنفيذية الموسعة الجلسة الثانية لـ 20 فبراير 1926، مراسلة دولية، 9 مارس 1926، ص 274.

73 AN F7 13099.

ضِدَّ العسكريين داخل البلاد، يبدو لنا مرتفعاً بشكل خاص. ومع ذلك، سيكون من باب التّعسف إقامة ربطٍ خاصّ بين التحريض المقموع على هذا النّحْو والحملة الشّيوعية. وبإمكاننا على الأكثر القبول بتأكيد بانلوفي الذي يرى بأنه «من غير المشكوكِ فيه أنّ (هذه الحملة) قد أثّرت على المخالفات الخطيرة للنظام وللواجب العسكري» (74)، مع ملاحظته أنه في غياب وثائق أكثر وضوحاً (75)، لا شيء يسمح بقياس هذا التّأثير.

□ □ □

في بداية 1927، عندما استقبلت عصبة حقوق الانسان ستيك، سأله الاشتراكي كرومباش إن كانت تُوجَدُ «براهين قطعية على التّدخّل الشيوعي في الرّيف». فاكتفى المُقيم العام في المغرب، وكأنه جوزيف بردوم جديد *، بالاجابة : «لم ألاحِظ شخصياً أي تدخّل شيوعي في الرّيف. لكنني أعرف بأنّ الشيوعيين استغلّوا أحداث الرّيف» (76). وبَعْدَ عَشْرِ سنواتٍ من ذلك، عندما تحدَّث روبير مونطانْي الى مُوظّفين للسّلطة عَامِلَيْنَ في إفريقيا الشمالية، أجْمَلَ القَوْلَ حول المساعدات الأجنبية التي يمكن أن يكون عبد الكريم قد استفاد منها. لقد اعتبر التّدخّلات الأنجليزية والألمانية جديرةً بالاهمال، ولم يعتقد أنّ مِنَ المُجْدِي الاشارة حتّى للعَوْن الذي أمْكَنَ تقديمه من طرف السوفيات أو منْ طرف منظّماتٍ شيوعية. وختَمَ مُدِيرُ مركز الدراسات العليا الادارية الاسلامية قائِلًا : «لَقَدْ قِيلَ كثيراً بأنَّ عبد الكريم سُوعِدَ مِنَ الخارج. إنّها واحدةٌ من غراباتنا المعتادة أن نُفَسِّرَ بأسباب خارجيةٍ ما عَجْزَنا عن تفسيره بأسباب داخلية» (77).

القمع

«إن الشيوعيين يطعنون جنودنا من الخلف. ماذا تنتظر الحكومة لكي تتصرّف بقوّةٍ في باريس، معقل الدّعاية الاجرامية ؟»، هكذا كتبت لافيكتوار، جريدة كوسطاف هيرفي،

74 مناقشات المجلس، 10 يونيو 1927، الجريدة الرسمية، ص 1834.

75 يجمع الاحصاء الذي يذكره الوزير العقوبات الخفيفة والأحكام القاسية. وعبارة «حرق النظام» نفسها ملتبسة • فبحصر المعنى، تبدو قاصرة على مغادرات المنصب أو على حركات تآخي التي تعتبر خيانة حسب القانون العسكري. وحده تفحص أرشيفات المحاكم العسكرية، إذا سمح به يوما ما، كفيل باستجلاء المسألة.

* شخصية اخترعت من طرف الرسام الكاريكاتوري هنري مونيي وذلك لتمثيل البرجوازي الصغير الضيق الأفق والمعجب بنفسه

76 دفاتر حقوق الانسان، 10 مارس 1927، ص ص 107 — 109.

77 القضية الريفية وعبد الكريم، محاضرة غير منشورة ألقيت في 28 مايو 1937، CHEAM رقم 167 مكرر.

الساري السابق، المتهجّم، قبل خمسة عشرة سنة، على «الأوباش الفرنسيّين» في المغرب والذي انضم الى النزعة المُحافِظة الأكثر تَزَمُّتاً (78). ولم تكن صحافة اليمين وحدها التي نادت الحكومة الى إنزال العقاب القاسي بالشّيوعيين. لقد كانت تصريحات بانلوفي في مجلس النواب تُقاطَعُ باستمرار من طرف نُواب يُطالبون بإلقاء القبض على كلّ قادة الحزب (79). بينما صَوّتَ مجلس الشّيوخ، بالاجماع تقريبا، على جدول أعمالٍ يطالب بردع «الاثارات المُوَجَّهة ضدَّ الجيش وضِدَّ الوطن والكفيلة بتعريض حياة جنودنا للخطر» (80).

أشكال القمع

لم تنتظر الحكومة هذه الملتمسات للشروع في عَمَلٍ قمعي. لقد نبّهتْ مذكرة أولى بـ 20 مايو 1925 السُّلطات، بشكلٍ خاص، الى ترصد تعليق ملصقات ضِدَّ حَرْب المغرب من طرف الشّبيبات الشّيوعية. هذه المُلْصَقات ينبغي تمزيقها، كما ينبغي اعتقال مُلْصقيها والمتواطئين معهم وتسليمهم الى النيابة (81). وبعد بضعة أيّامٍ من ذلك، دعا نَصٌّ ذو صيغة عامة الوُلاة الى «القَمع الفوري لِكُلّ المُبَادَرات الجُنْحية التي يمكن أن تقوم بها مُنَظَّمات متطرّفة تسعى الى إثارة أعْمال عُنْف أو الى تحريض العسكريين على العصيان وذلك بسبب عملياتنا العسكرية في المغرب» (82). لقد طبقت في الجملة هذه التوجيهات بصرامة. غير أنّها

78 3 يونيو 1925، نفسه، 15 مايو 1925 («الحملة الشنيعة تتملق جنودنا»). انظر أيضا لوماتان، 15 مايو 1925 («الاقرار بالخيانة الشيوعية»)، لوكولوا، 18 مايو («خيانة عظمى»)، لاليبرتي، 3 يونيو (كاميي آيمار : «ألقوا بهم في السجن !»).

79 انظر خاصة جلسة 23 يونيو 1925، الجريدة الرسمية، ص 2759. قبل بضعة أيام، وأمام لجنة الشؤون الخارجية المجتمعة لكي تستمع الى بانلوفي، أكد نوبلكس ــ لافون (اليسار الراديكالي) : «إن القتلة الحقيقيين لجنودنا ليسوا الريفيين بقدر ماهم الشيوعيون الفرنسيون الذين ورعوا، في ميناءي الذهاب (كذا)، مناشير تستهدف تسميم معنوية رجالنا...». وقد قال إدوار سوليي (الكتلة الوطنية)، مزايدا : «يمكننا أن نعود الى حد المطبعيين والى حد المؤلفين». أما فرانكلان بويون (راديكالي ــ اشتراكي)، وهو رئيس اللجنة، فختم قائلا : «نعم الى حد مؤلفي بعض البرقيات» مجلس النواب، لجنة الشؤون الخارجية، 17 يونيو 1925. بعد بضعة أيام من ذلك، قام رونوديل، الذي لم يقل شيئا في اللجنة مثل زملائه الاشتراكيين أمام المجلس بالتعبير عن معارضته للمتابعات القضائية، مناقشات، 23 يونيو 1925، الجريدة الرسمية، ص 2779.

80 مناقشات المجلس، 3 يوليوز 1925، الجريدة الرسمية، ص 1258.

81 .APP BA 1676

82 نفسه، (مذكرة 24 مايو 1925) توصح المذكرة الأولى بأن على المتابعات أن تتم طبقا للقانون حول الصحافة لـ 29 يوليوز 1881 ولقانون 1894 الهادف الى ردع المناورات الفوضوية. أما المذكرة الثانية فلم ترجع إلا الى القانون حول الصحافة. لنذكر بأن وزير الداخلية هو السناتور شراميك، المنتمي لليسار الراديكالي. إنه هو الذي أهين من طرف الصحافة الشيوعية والتحررية، لكن يبدو لنا أن السيد الحقيقي لساحة بونو هو جان شياي، فهذا الأخير، الذي كان

تركتْ مع ذلك للسُّلُطات الادارية والقضائية هامِش تأويل يسْمَحُ بإدخال الأمْزجة الفردية والعوارِض المحلية.

سلم الأمن العام لنيابة السِّين في 24 يوليوز 1925، تقريرا حول «الحملة الشيوعية ضِدَّ عمليات المغرب». وقد استنتج بأنَّ الوقائع «تُقَدِّمُ على ما يبدو أساساً كافياً للقيام بمحاكمة» لكن «سيكون من حقِّنا ان ننتظر من الاجراءات القضائية التي يمكن القيام بها في مقرات المنظمات ومساكن المناضلين الرئيسيين وهي عناصر من شأنها تبرير عقاب قاسي من طرف السّلطة القضائية المختصة». وتبعاً لذلك أُرْفِقَتْ بالتَّقرير لائحة بالعناوين حيث يمكن لتلك الاجراءات أن تتم (83). ومنذ شهر مايو صَدَرَ الأمْر بالقيام بعِدَّة عمليات تفتيش (84). وقد اتّخذت هذه الأخيرة طابعاً مُنَظَّما ابتداءً من شهر يونيو، وشملت مناضلي الحزب الشيوعي أو مقراته كما شملت التنظيمات النقابية. فمن مائة وثلاثة وأربعين تفتيشاً تَمَّ إحصاؤها في يونيو ويوليوز داخل البلاد، بَدَا أن ثمانية وستّين على الأقل غير مُجْدية (85). أمَّا عمليات التفتيش الأخرى فسمحت بحَجْز مُراسلاتٍ، وكرّاساتٍ ووسائل دعاية. كما تمَّ حجز مناشير وملصقات في مكاتب البريد وفي المحطات. وفي حالة تعذّر حجزها، كانت السُّلُطات تعمد الى إتْلافها، لكنَّ تمزيقها لم يكن دائما مُنَظَّماً؛ فكان يتوقف على الوسائل المتوفّرة (86) ولكن أيضاً على التَّقْدير الشَّخْصي لمُفوض الأمْن (87). لقد أظْهَر حَجْزُ الصُّحُف، أكثر من أي إجراء آخر، الطابع التقديري لتدخلات السلطة. فكان يحدث أن تكون الجرائد المحجوزة مجرد

مديرا للأمن العام، تم تعيينه بالاضافة الى ذلك من طرف شراميك كاتبا عاما للوزارة. وقد هنأت لورادِيكال الوزير لكونه رقى هذا «الجمهوري» المخلص والشجاع» (7 أكتوبر 1925).

83 .AN F7 13171

84 مثلا في مونتوبان، وروبي وحنفور. لقد تم في 21 مايو حجز أربعين ألف منشور تدعو الجنود الى التآخي خلال حملة تفتيش لدى دوعان، المطبعي البابيسي المعتاد للحزب الشيوعي. لكن تم إخراج مائة وعشرين ألف أخرى من بنايات مجاورة في الليلة التالية من طرف حوالي عشرة شبان شيوعيين حملوها تحت ملابسهم، رغم حراسة الشرطة. AN F7 13173 و 13174 إن كل التفاصيل الواردة في هذه الفقرة، ما عدا إذا أبدينا إشارة مغايرة، مصدرها الصناديق 13173 الى 13178 ؛ 13104 الى 13105 التي تضم، مرتبة حسب المقاطعات، تقارير الشرطة المتعلقة بالدعاية الشيوعية ضد حرب المغرب

85 هذه الأرقام، المستقاة من مصدر بوليسي، هي أقل بالتأكيد من الواقع، لأن الكشف الاجمالي الذي أخذت عنه موسوم بالتباسات عديدة، إذا حاسباها بالمعطيات التي تم تجميعها حسب المقاطعات.

86 في تقرير لدرك بوكو، في 15 غشت 1925 «لقد مزقنا الاعلانات الصغيرة بالمئات، لكن لايزال منها إذ ألصق منها الكثير».

87 في تروي، آخر مايو، وفي ليموج، يوليوز 1925، اشتكى الوالمان من كون الشرطة لم تطلعهما على تعليق الملصقات الشيوعية ضد حرب المغرب .وفي سان ــ كونتان. لاحظ المفوض أن الملصقات المعلقة في 22 شتنبر كانت «منشورة بشكل قانوني».

أوراق مُستَنْسَخَةٍ مِنْ طرف خلايا شيُوعية للمعامل تكون بمثابة مناشير، لكن الأمْرَ تعلَّق في الغالب بجرائد مرخَّصٍ لها قانونياً، ومن أصل محلي [88] أو صادرة من باريس [89].

لقد قلنا أعلاه بأنَّ حرْب الرّيف أفسحت المجال لابداع أغاني شَعْبِيةٍ كانت بَعْضُها ذات استلهامٍ سِلْمي. وقد حرصت قوى الأمن، من شرطةٍ ودرك، على الخصوص، على منع ذيوعها. ففي 14 يوليوز 1925، عَمَدَ كيشار، مدير الأمن البلدي لباريس، الى إعطاء تعليماته : «هناك مغنون متنقلون، مرخص لهم أم لا، قد يغنون في مكان عمومي أغنية ضِدَّ حرب المغرب، فتحروا بِدِقَّةٍ وامنعوا. مارسوا مُتابعات قضائية، إذا اقتضى الأمر وأرسلوا لائحة المُغَنّين الى الشّرطة البلدية قَصْدَ التشطيب على لائحة الرُّخَص.» [90]. بَعْدَ بِضْعَةِ أيامٍ من ذلك، اعتقلتِ الشرطة بـ آنيار، مُغَنِّيينْ مُتَنَقِّلَيْن، كلاهما مكفوفيْن، كانا يُغنيّان : «في المغرب». وفي مَطْعَمٍ بزنقة لورك، تَمَّ تحْريرُ مَحْضَرٍ لفنان مقهى ـــ مَغْنّي كان قد ردد قصيدة مونتيوس «الى ضحايا المغرب» التي أبدعها قبْل الحرب الكبرى، وذلك لكونه ردّد «أقوالًا من شأنها تحريض الجنود على العصيان» [91]. لقد وقعت حوادث في الأمكنة العمومية بمناسبة بيع نصوص هذه الأغاني وتَمَّ اعتقال مُغَنّيين مُتَنَقِّلين في 8 غشت بيسان ـــ دوني، وفي 11 و12 غشت بباريس [92]. ومع ذلك، كان هناك بديوان مُفَوَّض الشُّرطة تردد في المتابعة القضائية لِكون الأسس القانونية واهية. إلا أن وزير الداخلية أمر بتشديد المراقبة [93]، فَطغتِ النّزعة القمعية. كتب الوالي الى مدير الأمن البلدي «بِحُكْمِ الظروف الرّاهنة، كَتَبَ الوالي الى مدير الأمن البلدي، يبدو من المُناسِب مَنْع الغناء في المكان العام لكل أغنيةٍ تومىء

88 إن لوكومنيست دونور ـــ أويست (عدد 5 يونيو 1925)، التي كانت إدارتها وهيأة تحريرها بروبى، حيث لم يكن توزيعها يلاقي صعوبة ما، تعرضت لتوقيف هذا التوزيع على بعد 50 كلم، في إيفرو، من طرف مفوض شرطة هذه المدينة. كما تم في 15 يوليوز بمحطة توركوان حجز عدد من أعداد لونشيني، لسان حال الفدرالية الشيوعية للشمال، والتي كانت تظهر دون عوائق في ليل.

89 تم حجز مائة نسخة من لاكازيط في 11 يونيو 1925 ببريد بواتيي، وألف نسخة من لالاح دوجان لكواد بمحطة ريمست في 5 يوليوز. أما لافان ـــ كارد فقد تم حجزها مند وصولها، في 9 يوليوز، بأوترو، قرب بولوني، وفي 15 يوليوز بتوركوان، وفي فاتح يوليوز تم بالمحطة حجز ألف نسخة من لاناطاي سانديكالست، كانت موجهة الى سكرتير النقابة المستقلة لبريست، وهو مناضل فوضوي، بينما تم في 10 يوليوز بليون، حجز جرائد فوضوية (غير مشار إلى أسمائها)

90 .APP BA 1676

91 نفسه

92 نفسه.

93 رسالة 20 غشت 1925. نفسه.

الى أحداث المغرب. هكذا ينبغي مَنْع أغنية «تحت الشمس المغربية» وكذا أغنية «في المغرب» التي سبق أن كانتْ موضع منع سابق» (94).

لقد خضعت الاجتماعات العمومية لمراقبةٍ خاصّة. فقد ضَغَطَ الوُلاة على العُمد لكي يعمل هؤلاء على منعها. ولم يكن ضروريا أحياناً أن يكون ذلك الضغط قويا، لأن السُّلطة البلدية كانت تسبق رغبات الولاية (95). فكان بعض العمد يلجأون للتسويف وربح الوقت؛ إذْ كانوا يرفضون مَنْح المقرات البلدية لمُنَظِّمي الاجتماع، ولكن يقبلون بتنظيم التّظاهرة في الهواء الطَّلْق (96). يحدث حينئذٍ أن يتدخَّل الوالي مباشرة لِمَنْع الاجتماع (97). فيمضي الى حَدِّ أنْ يَسْحَبَ مِنَ العُمْدة سلطاته الأمنية (98). أمَّا مُفوَّضو الشرطة الذين كان عليهم حضور الاجتماعات المرَخَّص لها والتبليغ بكلِّ مخالفةٍ يرتكبها الخطباء، فكانت ردود فعلهم متنوعةً. لقد كان بعضهم يؤكد على الطابع المعتدل للتدخلات أو يعتبرون أن حضورهم يفسر ذلك الاعتدال (99). وكان البعضُ يُبْدي وساوس قانونية كانت تمنعهم من تحرير المحاضر (100). بينما بدا آخرون، بخلاف ذلك، في منتهى القمع (101).

يمكن لمَوْقِف القضاء أن يستحقَّ دراسةً خاصَّةً وإن كانت هذه الدراسة صعبة بسبب الشروط الراهنة للوصول الى الأرشيفات. وتظهر المعلومات التي يُمكن استقاؤها من الوثائق المتوفرة بأنْ السلطات القضائية أعلنت أحيانا وجهات نظر تسير في اتجاهٍ مختلِفٍ جدّاً للاتجاه الذي كانت ترجوه الحكومة أو مُمَثِّلوها. هكذا، دَعَتْ تنظيماتٌ نقابيةٌ مختلفةٌ،

94 مذكرة في شتنبر (لم يتم توضيح اليوم). نفسه.

95 في أواخر يونيو 1925، أغلق عمدة فالونس بورصة الشغل بالمفتاح لمنع انعقاد الاجتماع المنظم من طرف لجنة العمل المحلية. وفي الشرق، اشتكى الشيوعيون من كون البلديات، خاصة بلديات كتلة اليسارات، أعاقت حملة للقاءات التي كان ينظمونها. «إما بالامتناع عن تسليم قاعات العمدية، أو بالضغط على أصحاب القاعة»، تقرير معنوي للجنة الجهوية للحزب الشيوعي للشرق مرسل من طرف المفوض الخاص لنانسي، في 9 يونيو 1926. AN F7 13105 (مورث — إي — موزيل)

96 هكذا كان الأمر في فيمي (أفيرون)، في 3 يونيه 1925 — أيام 5، 17 و19 يوليوز في لوس — أون — غوهيل (با — دو — كالي)، مون — لاي (منستير) وسان — بريوك — في ليبي — أون — ماروا (مور)، في 7 أكتوبر.

97 في 16 غشت 1925، تم منع الاجتماع المقرر في عانة سان — جيرمان من طرف الوالي.

98 إنها حالة العمدة الاشتراكي لأوباح والعمدة الشيوعي لآلي

99 أنظر عروض مفوضي شرطة آلبي، في 7 يونيو 1925، روبي في 9 يونيو، ميتز في 14 يونيو، بيربيكو في 16 يونيو، فالونسيان في 25 يوليو.

100 «بالرغم من أن الخطيب وجه للجنود تحريضا على العصيان (كذا) فإنني لم أر أنه ينبغي تحرير محضر ضده نظرا لغياب عنصر الجنحة · فلم يكن هناك جنود في القاعة» (مفوض شرطة ديبان، في 24 أبريل 1926).

101 أنظر عروض مفوضي شرطة تولوز في 20 يونيو 1925 (.A.D هوط — غارون M 1136)، فواكس يومي 26 و30 يونيه، ودانكيرك في 15 غشت 1925.

اتحادية وكونفدرالية، في بريست الى لقاء مشترك ضِدَّ حرْب المغرب في 27 يونيو 1925. فعَمَدَ والي فنستيرْ، وقد سخط لكون العمدة لم يعرف أو لم يُرِدْ منع هذا الاجتماع، الى رفع المناشير المعلنة عن التظاهرة الى نائب الجمهورية. وقد ردَّ عليه القاضي بأنه في غياب تحريضات واضحة على العصيان أو الخيانة، فإن المُتَابعة غير ممكنة. فتمّ اللقاء أمام ألف وخمسمائة شخص. لقد أبْدى الوالي، الذي أرْسل محضر هذا الاجتماع الى النيابة، سُخْطَهُ مرَّةً أخْرى لكون نائب الجمهورية لم يعثر على أساس اتهامٍ في الأقوال التي صَدَرَتْ عن المُدَرِّس كورنيك : مع أنَّ هذا الأخير مُتَطرِّف معروف جدّاً، كما أكّد الوالي في تقريره لوزير الدّاخلية.

وتفسر نفسية مُمَثِّلي النّظام، بجانب العوارض المحلّية، كون خلافاتٍ من هذا النوع قد أمْكَنَ حُدوثُها. إنها إن لم تعق القمع، فهي تدخل بعض الحرج على ممارسته. لكنَّ الأمر كان مخالفاً كما يتضح من قرارِ محكمة نِيمْ المُعْلن في 3 يوليوز 1925.

لقد حكم على أحدهم يُدْعَى بالّ مِنْ طرف محكمة الجنح بأفينيون بثلاثةِ أشهُرٍ سِجْناً و100 فرنك غرامة، لتحريضه لبعض العسكريين على العِصْيان : إذ اعترفَ، بالفعل، بأنَّهُ عَلَّقَ ملصقات منشورة من طرف اللجنة المركزية للعمل تدعو الجنود الى التآخي مع الرّيفيين وتمتدح استقلال الشعوب المُسْتَعْمَرة. وقد استأنف المعني بالأمر هذا الحكم. ووضّحت محكمة نِيمْ في قرارها بأن الجُنْحة المُقَرَّرة في قانونيْ 1881 و1894 لا يمكن أن تُسْنَدَ الى محاكم الجنح، إلّا عندما يكون هدفها فعلاً دعائيا فوضويا، ثُمَّ أضافت «لا يبدو أبداً أنَّ التحريض الذي يتعلّق به الأمر (...) كان يستهدف دعاية فوضوية. (...) ومن جهة أخرى، لا نعثر في نَصِّ المُلْصَقِ المُجَرِّمِ على أيّ تجلٍ لمذهبٍ أو لرأي فوضوي بشكل خاص، لأنّه لا يمكننا طَبْعاً أن ننعَتَ بهذه الطريقة الرَّأي المبثوث فيه حولِ حقِّ الشعوب المُسْتَعْمرة في الاستقلال ولا الانتقادات الموجهة الى العملِ العسكري لفرنسا في المغرب مهما تكن حدة صياغتها». وأخيرا، ختمت المحكمة «لا يَتَضَمَّنُ هذا النص أيّ نِداء الى العنف ضِدَّ الأشْخاص أو ضِدَّ المُمْتلكات، بما أنه يدعو الجنود ليس الى تصويب أسلحتهم ضِدَّ رؤسائهم، بل فقط الى التآخي مع الريفيين». وتبعاً لذلك، ألْغي قضاء الاستئناف الدَّعْوى ومتَّعَ المُتَّهم بالسَّراح الفوري [102]. لقد كانت القضية بالغة الأهمية. فيكفي أن يصير قرارُ محكمة نيم مرجعاً قضائيا لكي تنهار كل الأسس القانونية للقمْع. لذلك بادر وزير العدل ستيك بالرَّد، فأمر نائب الجمهورية بأنْ يَطْعَنَ بالنَّقْض [103]، وبموازاة ذلك، طلب إجراء

102 لقد وجه والي كار نسخة من هذا القرار الى وزير الداخلية في 6 يوليوز 1925، AN F7 13176 (كار).

103 لقد أخبر به المجلس عقب سؤال ليرثون، مناقشات المجلس، 10 يوليوز 1925، الجريدة الرسمية، ص 3345.

تحقيق حَوْل قُضاة محكمة الاستيناف، فأخبره المفوض الاستثنائي بأن هؤلاء معروفون على نَحْوٍ شريف وأنَّ موقفهم السّياسي «في غاية الاستقامة» (104). ومع ذلك نَقَضَ مجلس القضاء الأعْلى قرار 3 يوليوز 1925، وأحال القضية على محكمة الاستيناف بمونبولييي التي أكّدَتْ حُكْم محكمة أفينيون. وعاد كل شيء الى مجراه الأول.

حصيلة القمع

هَلْ يُمكن وَضْعُ حصيلةٍ للقمع ؟ لقد بلغ عدد الاعتقالات، حَسَبَ وثيقةٍ أعَدَّها الأمْن العام في 12 نونبر 1925، 327 في فرنسا و24 في الجزائر. فداخل البِلاد، تم أكْثرُ من نِصْفِ هذه الاعتقالات في ثماني مقاطعات : السّين 63، وهي في أعلى القائمة بنسبةٍ كبيرة، ثم نجد لاندر — إي — لوار 25، الشّمال 18، لوار — أنفيريو 16، لاجيروند 14، الهوط — كارون 13، البوش — دو — رون 12، وَلْوَارْ 11. ويظهر التحليل للمناطق بأن وسط البلاد (الماسيف سنترال والبيي دولا لوار) في المُقدّمة، بـ 75 اعتقالاً، متجاوزا المنطقة الباريسية نفسها 67. ثم يأتي بعد ذلك، بأرقامٍ دُنْيا بحوالي النّصْف، الجنوب الغربي، الشّمال، والشّرق. ثم الجنوب الشرقي ومنطقة الرّون — ألب، حيث تراوَح عَدَدُ الاعتقالات بين 15 و25؛ وأخيراً الغَرْب الذي لا يتمثّل سوى بأقلّ من عشرة. ومن ضمنِ 351 شَخْصاً المُعْتَقِلين، تعرض 157 منهم لأحكامٍ بَلَغَتْ في مجموعها ما يناهِز سَبْعين سنةً سِجْناً (105). ومع ذلك، لا يُعْتَبَرُ هذا الجَدْوَلُ شامِلًا : إذ لم يكن في إمكانه أن يُدْخِلَ في اعتباره بشكلٍ كامل القَمْع الذي مورس بمناسبة إضراب 12 أكتوبر. فنحن نعرف بالضّبط بأنّه بين 4 و11 أكتوبر، تمّ 50 اعتقالا بسبب توزيع مناشير أو إلصاقها (106). وفي يوم 12 أكتوبر وحده تم 167 اعتقالاً، أغلبها بسبب «إعاقة حُرِّية العمل»، وبعضها بسبب «إهانة رجال الأمن» (107). وتظهر هذه الحصيلة فيما يخصّ بعض المُقاطعات أرقاماً أعْلى من تلك الواردة في الجَدْول العام لـ 12 نونبر (108). وعليه، إذا استندنا للاحصاءات البوليسية، يبدو لنا أنَّ الرَّقْمَ الاجْمالي

104 لنسجل بأنه باستثناء واحد منهم عمره ثماني وأربعون سنة، كان جميع قضاة المحكمة يتجاوزون الستين (مذكرة 3 غشت 1925).

105 .AN F7 13171

106 منهم ستة عشر في السين وثلاثة عشر في الشمال. AN F7 12919.

107 كانت نسبة الاعتقالات التي تمت في المنطقة الباريسية هذه المرة ساحقة : خمسمائة في السين، وعشرون في السين — إي — وار. نفسه.

108 هكذا، أخطر كشف 12 نونبر بثلاثة وستين اعتقالات في السين وثمانية عشر في الشمال، بينما كانت هذه الأرقام في الأسبوع الثاني من أكتوبر وحده وعلى التوالي، مائة وواحد وعشرون وواحد وعشرون

للاعتقالات التي تمّتْ في 1925، على إثر التّحْريض الّذي طُوِّرَ ضِدَّ حَرْب المغرب، يمكن أن يصل الى 500، مع هامِشٍ للخطأ من صنف 10%. أمّا فيما يتعلق بالمحاكات فإنّ رقم 157 المُشَارَ اليه أعلاه مُنْسجمٌ تقريباً مع الاشارات التي قَدَّمتها لومانيتي (109). لقد كان ينبغي تَكْمِلَتُه بالمحاكات التي جرتْ بَعْد 12 نونبر 1925، ونعرف أنَّ البَعْضَ مِنْهَا لم يُنْطَق فيها إلّا خلال 1926.

إنْ كَانَ قَدْ تَعَذَّرَ وجود حصيلةٍ كمّية شاملة ودقيقة، فإن في باستطاعتنا تقديم بَعْض التَّوْضيحات حَوْل الأشْخاص المُعْتَقَلين. وبادىء ذي بدء، ينبغي رفع الالتباس : إذا كان أَغْلَبُهُمْ شيوعيين — وقد افْتُرِضوا كذلك على الخصوص لأنهم اعْتُقِلوا بسبب توزيعهم لمناشير أو تعليقهم لِمُلْصَقاتٍ منشورةٍ من طرف الحزب الشيوعي — فإنّ التَّعْميم من شأنه أن يكون تعسُّفياً. لقد تمّ اعتقال عَدَدٍ من المُناضلين الفوضويين في غشت بالشّمال (110) وبمنطقة سان — إتيان (111). وشملتهم أحْكامٌ من ستّة أشْهُرٍ إلى أربع سنواتٍ سجناً من طرف محاكم باريس، وأورليانس، وريمس، وتولوز (112). أمّا المعلومات التي نتوفّر عليها بشأن المناضلين المُعْتَقَلين أثناء مُظاهرة 25 شتنبر 1925 بمحطة سان — لازارْ وبشأن أولئك الذين سَيُعْتَقَلون بَعْدَ بضعة أيام من ذلك بمناسبة إضراب 12 أكتوبر فتسمح بتوضيح بَعْضِ مميّزاتهم (113). فمن بين 74 شخصا معتقلين في 25 شتنبر، هناك ثلاث نِساء؛ وهناك سَبْعُ نساء من بين 105 من الأشخاص في 12 أكتوبر بباريس. وكانت نسبة الأجانب 10% في الحالة الأولى، و20% في الثّانية؛ ولكن بينما كان 19 مُضْرِباً أجنبياً من 20 تمَّ اعتقالهم إيطاليين، تَوَزَّع الفوضويون الثمانية على هذا النحو : 4 إيطاليين، إنجليزيان، بلجيكي واحد وبولوني واحد، لقد كان المتظاهرون الفوضويون أكثر شباباً نسبياً مِنْ مُضْرِبي 12 أكتوبر : 82% كانت لهم أقلّ من ثلاثين سنة ضِدَّ 68%؛ إلّا أنَّ الّذين لم يكونوا يتجاوزون العشرين كانوا أكثر عدداً نسبيا يوم الأضراب.

109 حسب اليومية الشيوعية، كان عدد المحكومين اثنين وتسعين في 4 شتنبر 1925 ومائة وثلاثة عشر في فاتح أكتوبر.

110 هوش — موران — فيليول، بيبي، ميشيل، لولرتير، 21 غشت 1925.

111 يامار، ريجيس، موريل. نفسه.

112 لقد تم الحكم على فودلان، ودانديل، ولولانديي بستة أشهر سجنا بباريس، وكذا على لاكروا وشازوف بأورليان، أما تريشو فثمانية أشهر بتولوز، ولوريست بأربع سنوات بريمس، نفسه والأرشيفات المقاطعية للهوط — غارون، 969 M.

113 إنه لمغر ربما أن نواجه بين نموذج «شيوعي» ونموذج «فوضوي» بتعلة أنه في 12 أكتوبر، كان الحزب الشيوعي، قبل كل شيء، هو الذي نادى الى الاضراب. لكننا لانعتقد بأن ظروف اعتقالات 12 أكتوبر تسمح بمواجهة تبسيطية على هذا النوع، إن طموحنا ينحصر في أن نعرف على نحو أفضل المتظاهرين الذين اعتقلوا لكونهم تظاهروا ضد حرب الريف.

لقد جمعنا في اللائحة إزاءه المعلومات المُقدّمة عن مِهن الأشخاص المُعْتقَلِين، سواء في الاقليم بين مايو ونونبر 1925، أو في باريس (المُظَاهرة الفوضوية ليوم 25 شتنبر، وكذا يوم 12 أكتوبر 1925). لنلاحظ أوّلاً بأن الاعتقالات مَسَّتْ خُصوصاً المسؤولين السّياسيين والنّقابيين الذين لم تتم الاشارة الى أيّة مهنةٍ خاصّةٍ بهم (هل كانوا كلّهم مُداومين ؟). مَعَ مراعاة هذا التّحفظ، نلاحظ تفاوتاً اجتماعياً أكبر بين الأشْخاص المُعْتَقَلين في الاقْليم. فنِسبَةُ العُمّال مُرْتَفِعةٌ بالكادِ هنا، بينما تشكّلُ الثُلُثيْن في باريس. وهناك قِطاعان، هما البناء والتّعدين، قدّما نصف التعدادات العمالية في المقاطعات، وقد كان وزنهما النسبي أكبر أهمية في باريس. وتفسر ظروف اعتقالات 12 أكتوبر العَدَدَ المُرْتَفِعَ نِسبْياً لأعوانِ النَّقْل : لقد تعلق الأمر بمستخْدَمي نقابة النقل الحضري وبسائقي سيارات (شاحنات وسيارات تسليم البضائع دون ريب)، وهم عناصر مُهِمّة في الاضراب. ومن بَيْن الحِرَفِيين المُعْتَقِلين في الاقليم، نُسَجِّلُ الى جانب النّجارين ونَجّاري الأثاث، الموجودين أيضاً في باريس، إسكافيين وخيّاطين وحلاّقين. أمّا بخصوص المُسْتَخْدَمين فالتوضيحات زهيدة، باستثناء هذا التَّوْضيح : من بَيْن الفوضويين المعتقلين في باريس نجد أربعة محاسبين من بينهم امرأة. بينما سُجِّلَتْ اعتقالاتٌ قليلة بين السككين (خمسة في الاقْليم، واثنان في باريس) والمُدَرِّسين (إثنان في الاقْليم). أما الصّحفيون المُعْتَقَلُون (خمسة في الاقْليم، وصحفي واحد خلال المُظاهرة الفوضوية لسان — لازار)، وكذا مُديرو المطابع (إثنان في الاقْليم، وواحِدٌ في باريس)، وعُمّال المطابع (أربعة في الاقْليم، وثلاثة في باريس [114])، ومُتَعَهِّدو المُلْصَقات (ستة في الاقلِيم، لكن هل كانوا كلهم مُتَعَهِّدِين عُمُوميين ؟) هذه الاعتقالات توضح لنا في الأخير بأنّ القَمْعَ توجه على الخصوص الى الدعايةِ المكتوبةِ.

114 تم إحصاؤهم من بين العمال.

مهن الأشخاص المعتقلين
بمناسبة المظاهرات ضد حرب المغرب

	الاقليم				باريس	
	اعتقالات تمت بين ماي ونونبر 1925		مظاهرة فوضوية في 25 شتنبر 1925 بسان ــ لازار		يوم 12 أكتوبر 1925	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%
☐ العمال	93	54	45	66	69	69
البناء	(23)		(16)		(26)	
	(23)		(12)		(24)	
☐ أعوان النقل	9	5	4	6	20	20
سككيون	(5)		(2)		–	
مستخدمو الترام و النقل الحضري	(2)		(1)		(7)	
سائقون	(2)		(1)		(13)	
☐ الحرّفيون	14	8	6	9	5	5
☐ المستخدمون	10	6	5	7	2	2
☐ المسؤولون السياسيون والنقابيون	12	7	1	2	2	2
☐ آخرون	35	20	7	10	1	1
المجموع	**173**	**100**	**68**	**100**	**99**	**100**
للتذكير : مجموعة الأشخاص الذين لم توضّح مهنهم :	104		6		6	

الاحتجاجات ضِدَّ القَمْع

لم تكن أقلية الحزب الاشتراكي المجتمعة حول موريس موران وحدها التي احتجت ضِدَّ القَمْع (115). فَقَدْ ثارتْ عُصبَةُ حقوق الانسان ضِدَّ تطبيق القوانين المتعلقة بالمناورات

115 أنظر خاصة ليتانسيل لـ 24 و31 أكتوبر 1925.

الفوضوية على الشيوعيين بخصوص تحريض العسكريين على العصيان (116). كما احْتَجَّ ليون جُوهُو على بانلوفي الذي «ترك قضائهُ وَرِجَالَ أمْنِهِ يُعاكسون دون أدْنى سبب مُنَظَّماتٍ نقابية ومناضلين. وأحيا تقليد حملات تفتيش بورصات الشّغل» (117). أمّا جوليان فورغ، سكرتير النّقابات الكنفدرالية الهوط ـــ كارون، فاحتجّ على المُحاكمات التي مَسّتْ «رفاقاً عُمّالاً شيوعيين وتحرُّريين كانت (لهم) الشّجاعة لكي يعبروا عن وجهة نظرهم حَوْلَ حَرْبَيْ المغرب وسوريا بوجه خاص، وحول الحرب بوجه عام» (118). وقد أدان فرع ليل للحزب الاشتراكي سياسة القمع التي «بقدرما هي مخالفة للقانون ، بقدر ما هي مثيرة للسُّخْرية وغير مُجْدية» (119). أمّا المجلس البلدي لسان ـــ إتيان، برئاسة السناتور الرّاديكالي لوي سُولْيي، فاحتجّ على حملات التّفتيش التي أُجْرِيت دون عِلْمِه في بورصة الشّغل (120). بينما أكّدَ الشيوعي الحُرّ بيتروس فور بأن «تقارير مزورّة من طرف الشرطة» هي أساس القمع (121). لكن ما يلفت الانتباه، هو احتجاج النائب الاشتراكي لاباتو أمام المجلس. فقد سخط هذا البرلماني لكون رجال الدّرَكِ قَدِموا، على إثر اجتماع شيوعي عمومي انعقد بضيعة أولون الصغيرة (الهبوط ـــ كارون)، التي هو عُمْدَتها، لكي يُفَتشوا في دار عُمْدِيته. إنّه يعلم جيداً بأن ذلك تَمّ لأن لسكرتيره في دار العمدية تعاطفات شيوعية ـــ «ذلك شأنه، ولا يعنيني» ـــ لكن ليس هُنَاك ما يمكن مؤاخذته به (122)، ولا يمكن لهذا بالأخصّ أنْ يُبَرِّرَ تصرّف السُّلُطات. لقد تَوَجَّهَ لِوَزير العدل، الرّاديكالي ستيك، أما مجلس النواب فإنه استمع في صمتٍ لتعابير

116 AN مجموعة بانلوفي 313 AP 190 (رسالة 26 أكتوبر 1925 الى رئيس المجلس) لنسجل بأنه لم يتم نشر هذه الرسالة من طرف **دفاتر حقوق الانسان** وأن مكتب العصبة لم يلح بعد بضعة أشهر لاحقا، قال فكتور باش مقرا : «من الأكيد أننا كنا سنرفع احتجاجا أكثر حدة ضد حرب المغرب وضد تطبيق القوانين العادرة لو لم يكن زميلنا وصديقنا السيد بانلوفي رئيسا للمجلس أو وزيرا للحربية» **دفاتر حقوق الانسان**، 30 أبريل 1926، ص ص 206 ـــ 208 (جلسة اللجنة المركزية لفاتح أبريل 1926).

117 لوبوبل، 18 نونبر 1925.

118 .A.D للهوط ـــ غارون، M 968 (لقاء س.ج.ت لـ 16 يناير 1926).

119 لوريفيي دونور، 7 يوليوز 1925

120 AN مجموعة بانلوفي، 313 AP 186. على إثر اعتقال كيير، وكيل طرافايور سافوايار، بسبب تحريضه للعسكريين على العصيان، وقع المستشارون البلديون الراديكاليون الاشتراكيون والاشتراكيون، في 3 نونبر 1925، على عريضة تحتج على تطبيق قانون 28 يوليوز 1894 في قمع المناورات الفوضوية. نفسه

121 AN F7 13176.

122 تتعلق الأمر بمارسيل بورداج، الذي كان جده قد أصيب بجروح خطيرة في 1870 وقتل أبوه في 14 ـــ 18. إن له إذن أسبابا وجيهة للنضال ضد الحرب. هذا وإذا كان قد تم العثور لديه على حوالي خمسة عشر منشورا وحوالي عشرة ملصقات، والكل في مظروف بقول لاباتو موضحا فإنه لم يقم بأي توزيع أو إلصاق لهذه الوسائل. مع ذلك، فقد حكم عليه بثمانية أشهر سجنا لتحريضه العسكريين على العصيان. انظر **الأرشيفات المقاطعية للهوط ـــ غارون**، M 1136 (تقرير الدالي في 8 يوليوز 1926).

بلبلته : «لقد أتيتَ لِتُفَتِّشَ عندي !...» وإذا بلاباتو يقلق لاتساع التحقيقات البوليسية : «زِدْ على هذا أنَّ الأمر لا يحدث عندي فقط، إنَّ هذا يحدث في مجموع فرنسا»، وخَتَمَ قائلاً : «ضَعُوا حدّاً في أقرب وقتٍ ممكن لهذه الازعاجات التي لا إسْم لها. لا تتحدُّوا بهذا الشّكْل جمهور الشّغالين، إنكم بذلك تجازفون بأن تثيروا في بوادينا الهادئة أشكال سخطٍ كبيرة ومشروعة» (123).

وعلى الصعيد المحلّي كان القمع، بالفعل، مناسبةً لمظاهرات جديدة. ففي فِنستير، نظّمت النقابة الاتّحادية للتّدريس، بمفردها أوْ مَعَ الحِزْب الشّيوعي سلسلةً من الاجتماعات للاحتجاج ضِدَّ الحُكْمِ بأربعةِ أشْهُرٍ سِجْناً في حقّ كاوناش، وهو مُعَلِّمٌ بلينون، لكونه قدَّم ملصقاتٍ ومناشير ضِدَّ حَرْب المغرب. وفي الشّير، احتجّتْ لجنة العَمَل المحلّية بشدّة ضِدَّ الحُكْم على أليكسوندر ــ كيو، سكرتير المنطقة الشيوعية للمركز، ثلاثة أشْهُرٍ سِجْناً نافذاً لكونه سَلَّمَ رِزْمَةَ مُلْصقات الى مُعَلِّق ملصقات. لقد رفعت الأمرَ الى السّلطات والمُنْتخبين المحلّيين، ودَعتْ الى المظاهرة. وفي 7 فبراير 1926، سَارَ حوالي ألْف شَخْصٍ ببورج، وعقدوا لقاءً على كثب من السِّجْن. لقد انضَمَّ الاتّحاد المُقاطعتي للس.ج.ت الاصلاحية ــ التي لم يتوقف الحزب الشيوعي عن انتقاد موقفها خلال تلك الفترة ــ الى لجنة العمل وطالب بإطلاق سراح كيو. وفي نانسي، تَمَّ تعليق مُلصقاتٍ جديدة من طرف لجنةِ العمل المحلية تحتجّ ضِدَّ الحُكْمِ بشهريْن سِجْناً في حق جان أليكسندر، مدير المطبعة العُمّالية، لكونه أصْدَرَ مناشير ضِدَّ حَرْب الرّيف. وفي تروِيْ، كان خروج مارسيل كوني، سكرتير الـ س.ج.ت الوحدوية لِلُوبْ، من السجن، بَعْدَ اعتقاله غداة إضراب 12 أكتوبر، مناسبةً لتجمّعٍ مُهِمّ. وفي نانت، انعقد يوم 26 فبراير 1926، لقاءٌ بهدف الاحتجاج ضِدَّ النّظام المَفْرُوض على السُّجينيْن فورِسْتيي وتوربان، المحكوم عليهما بسبب عملهما ضِدَّ حَرْب المغرب. كما أن المجلس البلدي لسان ــ جونيان، المجتمع خارج الجلسة «احتج بِحِدَّةٍ ضِدَّ اتهام اثنيْن من أعضائه طبقاً لقوانين نُعِتَتْ بأنّها أثيمة مِنْ طرف جميع جمهوريي اليسار، ومن بينهم الرّئيس الحالي للحكومة» (124). وكان موقف جماعة سان ــ بيار ــ دي ــ كور، بالآندر ــ إي ــ لوار ــ باعثا على العِبْرة بشكل خاص.

123 مناقشات المجلس، 10 يوليوز 1925، الجريدة الرسمية، ص ص 3343 ــ 3344. سيدافع لاباتو طويلا في 1926، أمام المجلس العام للهوط ــ غارون، عن رجاء «يهدف الى الحصول على إطلاق سراح المحكوم عليهم الذين احتجوا ضد الحرب» ــ «هناك أحكام تشدف الذين يتلقونها» ــ لكنه لم يتبع من طرف زملائه الاشتراكيين والراديكاليين. المجلس العام للهوط ــ غارون، جلستا 27 شتنبر و5 أكتوبر 1926، ص ص 13 ــ 14 ؛ 429 ــ 439.

124 A.D هوط ــ فيين، 184 M 1.

لقد نصح، على ما يبدو، روبيسبيار هينو، العُمْدة الشيوعي لسان ـــ بيار ـــ دي ـــ كور [125] بتآخي القوات الفرنسية والرّيفيين أثناء تجَمّع عُمُومي نُظِّمَ بآنجير يوم 19 يونيو 1925. وإذ توبع بسبب تحريضه للجنود على العصيان، تَمَّ اعتقاله في 30 يونيو. وفي اليوم التّالي، عُقِدَ تَجَمع احتجاجي أمام دار العُمْدِية ضَمَّ حوالي أَلْفَ شَخْص؛ أعقبه زَحْفُ ستمائة منهم على تور. وفي 25 يوليوز، توجَّهَ سِكَكِيُّون مِنْ تور وسان ـــ بيار، بالزَّهرة الحمراء في عروتهم، الى آنجير ليحضروا الجَلْسة الجنحية حيث كان على هينو أن يَمْثُل. لقد تَجَمْهَر خمسمائة متظاهر، حسب الشرطة، وخمسة آلاف حَسَبَ مُراسِل لومانيتي [126]، أمام المحكمة قَبْل أن يتوجّهوا الى بورصة الشغل حيث تَمَّ ارتجال لِقاءٍ وبعد ذلك تظاهروا أمام السجن. وقد حُكِمَ على هينوا بستّة أشْهرٍ نافذة سِجْناً. قبل ذلك بأيام، كان والي آندر ـــ إي ـــ لوار قد بَلَّغَهُ بأنه ينوي توقيفه عن مهامه كعُمْدَة. فهو يؤاخِذه ليس فقط على أقواله ـــ التي تُبَرِّر اتهامه ـــ بل أيضا «لكونه وضع وشاحه البلدي أوَّلًا لكي يمثل أمام النّيابة وبعد ذلك عند اقتياده لسجن آنجير». لقد قام هينو بتوصيل نُسْخَةٍ من هذه الرسالة [127] الى المجلس البَلَدي، ورَدَّ عليها في رسالة مفتوحة نشرتها لومانيتي. إنّه لَمْ يُنْكِرْ شيئاً من الأقوال المنسوبة اليهْ، باستثناء جملة : «تآخُوا معهم» التي قيل بأن المفوّض سمعها، والتي اعتبرها اختلاقاً مَحْضاً، ثم خَتَم قائلًا : «لدى رجال الدرك وفي السجن وفي غرفة القاضي وأمام المحكمة، وسواء كنتُ موقوفاً أم لا، فإنني، عُمْدة سان ـــ بيار ـــ دي ـــ كور بإرادة الشعب وسأبقى كذلك، ووشاحي يمثّل البروليتاريا المُضْطهدَة في شَخْصِي، لتسقطْ الحَرْب الامبريالية والمالية للمغرب.» [128]. ومِنْ جهته، قام المجلس البلدي بالاحتجاج ونُظِّمَتْ مُظَاهراتٌ جديدة. لقد تحتم على الوالي أنْ يتراجع. وعند خروجه من السجن، سيسترد هينو مقعده كعُمْدَة. وخلال ذلك، كانت قد تمت محاكمة عشرة مناضلين آخرين. إنَّ واحداً منهم، يدعى جيرار، وهو صديق هينو، كان مُزَارِعاً من الوادي المنخفض للشّير، ويملك حوالي عشرة هكتارات حيث كان يتعهَّد زراعة مُتعدّدة ويقوم بتربية بعض المواشي. وقد أثار اعتقاله حركة تضامُن بين الجيران؛ فوقعوا على عرائضَ لاطْلاق سراحه وساعدوا عائلته في

125 هذه المدينة الصغيرة، التي نمت حول شبكة سككية هامة قرب تور، كان يقطنها 6617 نسمة في إحصاء 1926.
126 لومانيتي، 27 يوليوز 1925
127 إن رسالة الوالي مؤرخة في 11 يوليوز 1925. وقد أعيد نشر نصها في سجل المداولات للمجلس في 20 غشت.
128 لومانيتي، 21 يوليوز 1925.

أشغال الضّيْعة. لكن لن يتمكّن احتجاجهم مع ذلك، من تلافي البيع الجبرى للملكية بعد بضعة سنوات لتسديد الغرامة التي كان جيرار محكوماً بتأديتها (129).

الانتقادات والانتقادات الذاتية

لم تكن المواقف المُتّخذة من طرف الحزب الشيوعي تجاه حرب الرّيف تُنْتَقَدُ فقط تُهَاجَمُ بقُوَّةٍ، خارج الحزب. فداخل التّنظيم الشيّوعي، كانت انتقادات مختلفة تعبّر عن نَفْسِها بنوْعٍ من الحرية، طوال الحمْلة، وكانت صحف الحزب توردها. لقد كانت تصدر عن مجموعاتٍ كانت تعترض أيضا على جوانب أُخرى من سياسة الحزب الشيوعي، إلى حدِّ أن بعضهم بَدَوْا مجتمعين في معارضةٍ حقيقيةٍ، منعوتةٍ ب «اليمينية» من طرف الحزب الذي كان يرى في مَطْرُودي 1924، سوفارين من جهة، وموناط وروسمر من جهةٍ أخرى، مُرْشِدِي تلك الحركة. وبارتباطٍ مع هذا الرِّفض أو بدونه، دَفَعَ نقاشٌ أُثير داخل الأجهزة القيادية القيادةَ لأن تراجع، في نهاية 1924، بعض النّقاط في الحملة، ولتقوم، تبعاً للغةِ المتداولة، بنَقْدٍ ذاتي ستؤكّده بإسهابٍ أكبر في بحر السنة اللاحقة، بطلبٍ من الأممية. لقد كانت الانتقادات والانتقادات الذّاتية تدُور حوْل نُقْطَتَين أساسيتين.

- ☐ الدّلالة المُعطاة لحرب الرّيف وللدَّعْمِ المبذول لعبد الكريم؛
- ☐ صلاحية الشّعارات التي أطلقها الحزب وقضية تحقيق جبهة موحدة.

المعارضة داخل الحزب الشيوعي

لقد انتُقِد بشدة الدَّعْمُ الذي قَدَّمه الحزب الشيوعي لعبد الكريم، كما رأينا، من طرف الاشتراكيين والتّحرّرين الفوضويين الّذين كانوا، في غالبيتهم العُظمى، يعتبرون الزَّعيم الرّيفي إقطاعياً. وقد انتهى عددٌ من المعارضين داخل الحزب الى نفس الاستنتاج مع تموقعهم في وجهة نظر ثورية، كما يلحّون على ذلك. هكذا عبَّر بَاز، وماهوي ومارسيل روي، عن اتّفاقِهم مَعَ دَعْمِ التمرّد الرّيفي، لأن الأمر يتعلّقُ بـ «حركةٍ فلاحية تطالب باستقلال الرّيف وتُعلن إرادتها في القتال للحصول عليه». لَكِنهم، يقولون مُوضّحين «لا يَعْني دَعم الحركة الوطنية الثّورية الانْقياد لعبد الكريم». إن الحزب مخطىء لكونه لم يقم «بأدْنى تحفّظٍ على العقلية الاقْطاعية والدّينية التي تحرك الزّعيم الرّيفي»، ولم يُفَسّرْ للجماهير بأنْ تحْرير الرّيفيين لا يمرّ

129 أنظر لومانيتي، 3 يناير 1930 بعد خمسين سنة لاحقا، أثار فيرجيل جيرار، ابن المناضل الصديق ديبو أماما نتيجة هذه الحلقة من القمع : «إن حياتي كلها تغيرت بسببها، قال لنا، علماً أنه لم يكن في إمكاني متابعة دراستي».

فقط عبر قتالهم ضِدَّ الفرنسيين والاسبان، وإنّما أيضاً عبر عمل تربية وتنظيم لطبقةٍ فلاحيةٍ مُسْتغَلَّةٍ بشكلٍ واسع «ضمن الروح الثورية» (130). لقد ذَهَبَ سان ــ جاك، وهو مناضل منحدر من جزر الانتي، وعضو المجلس المركزي الاستعماري، أبْعَدَ من هذا. فَبَعْدَ أن ذَكَّرَ بأنه ليس لكلِّ الحركات الوطنية، بالضرورة، محتوًى تقدّمياً، وآخَذَ بِدَوْره الدَّعْمَ اللامشروط الممنوح من طرف الحزب الشّيوعي الى عبد الكريم، لم يتردَّدْ في أن يعتبر ظروف استسلام هذا الأخير خيانةً حقيقيةً إزاء المقاتلين الرّيفيين (131).

لقد انتقدت المُعَارِضَة أيضا صلاحية الشعارات الشيوعية التي تساند الجلاء العسكري عن المغرب والتّآخي. فقد لاحظ باز وأصدقاؤه بأن دور شعار ما يتمثل في جمع الجماهير العريضة حول الحزب بهدف العمل. إلّا أنَّ شعار الجلاء ليس قابلا لأن يُفْهَم : «إن ما ينجم عنه إذن هو إبعاد الحزب عن الجماهير» (132). أمّا شعار التّآخي، فيُظْهِرُ بأنَّ قيادة الحزب تعْتَبِرُ الحَرْب كـ «ظارِهة مُجَرَّدة يمكن أن تُسْتَعْمل ضِدَّها وسائل كفاحٍ صالحةٍ لكل شيء». لقد كان التّآخي مُوافِقا لظروف كفاح بحّارة البحر الأسْود، في 1919، وكذا لظروف احتلال الرّورْ في 1923، لأنه يفترض «نوعاً من التعادل في درجة التّطور الاقتصادي للشعوب المتحاربة، وبالتّالي نوعاً من التّكافؤ في النّضج السّياسي للجنود الحاضرين. إنه يفترض أيضاً، من هذه الجهة كما من تلك، وجود تنظيم ثوري قادرٍ على ترويج الشّعار». إلّا أنه، يلاحظ أصحاب الأطروحة، «لا يكون الأمْرُ على هذا النحو عندما يتواجد عُمّالٌ وفلّاحون من بَلَدٍ دأسمالي امبريالي وفلاحون يسعون بقيادة زعيمٍ إقْطاعي الى تحقيق الاستقلال الوطني» وختموا قائلين : «ما كان ينبغي إطلاق شعار التّآخي بخصوص حرب المغرب» (١٣٦). لقد كان لِلُوريو موقف مختلف. فهو لا يعترض على الشّعارات إلّا بقدْر ما يزعُمُ الحزب أنها شرط الجبهة الوحيدة. وقد ألح على المميزات التي ينبغي توفرها في هذا التكتيك : «إن الجبهة الموحدة ليست تَصَنُّعاً أو فَخّاً. فإذا كان الحزب يقترحها، فإنما يفعل ذلك بشرف وصِدْق. (...) وهدفه هو أنْ يَجْمع كل قوى البروليتاريا في تحالفاتٍ مؤقتة، من أجْلِ أهدافٍ محدودة». إلّا أنَّ الجلاء العسكري عن المغرب، مثل الجلاء عن الجزائر وعن كل المُسْتَعْمرات، يفترض «امتلاك السُّلْطة عبر الثورة»، «ودكتاتورية البروليتاريا». فهذا الشّعار لا يمكن أن يكون إلّا «شيوعيا بشَكْلٍ نَوْعي». لذا فان اقتراحه على الاشتراكيين، المعروفين لـ

130 لومانيتي، 17 أكتوبر 1925 (ص. 4 «أطروحة» 30 شتنبر)آ

131 أنظر دفاتر البلشفية، 30 يونيو 1926، ص ص 1421 ــ 1423 و31 يوليوز 1926، ص ص 1606 ــ 1608

132 أطروحة، لـ 30 شتنبر المشار اليها سابقا.

133 في الموضع نفسه

«خصومٍ للثّورة»، «فِعْلٌ عبثي» و«خطأ سياسي». لقد «دأب» خُصُوم الحزب «على إظْهَار أنّ القَصْدَ الأساسي للشيوعيين ليس إيقاف مَذْبحة المغرب بِقَدْرِ ما هُوَ النيل من الحزب الاشتراكي» (134).

لقد حظيت المُعارَضَةَ داخل الحِزْب، غداة إضراب 12 أكتوبر، بمساندات جديدة. فقد وقّع مائتان وخمسون مُناضِلًا على رسالةٍ مُوَجَّهةٍ للأُممية استعادت على الخصوص بعض الانتقادات التي وُجِّهَتْ لحملة الحزب (135). وأضافوا بأنّ المؤتمرات العُمّالية والفلاحية لم تكن سوى «خُدْعَةٍ لا غير»، وَوَصفوا إضراب 12 أكتوبر بأنه كان «إِخْفاقاً مُخْزِناً». لِنُوَضّحَ أصْلَ هؤلاء الـ «250». إنّ 60% منهم من المنطقة الباريسية، و20% من السّين — آنفيريور، و8% من الرّون، و6% من الشّمال (136). وعلى الصعيد المِهَنِي، فإنّ شغّالي البناء والمَعَادِن، هم الّذين يُقَدِّمون أكْبَرَ حِصَّةٍ من المُعْتَرِضين، ثُمَّ تَعْقُبهم السكك الحديدية، والمنتوجات الكيماوية، والتّغذية. لقد كان عَدَدٌ من المُوَقّعين يشغلون مسؤوليات سياسية — فنجدُ بينهم عشرة نُواب، وثلاثة مُنْتَخَبِين محلّين — ونقابية، لكن لا يوجد أيّ عُضْوٍ من الشّبيبات الشيوعية بهذه الصِّفة ومِنْ جِهَةٍ أخرى، كانت جريدة الثورة البروليتارية، التي يُنَشّطُها كُلٌّ مِنْ روسمر وموناط، تتلقّى بطيب خاطر انتقادات المُعارضين. وقد عدل روجي هيريوس عن شِعار التّآخي الذي رأى فيه انبعاثاً للهيرفية «بما كان فيها من عبث وفظاظة» (137). أمّا موناط، فقد اتهِّم من جانبه الحزب الشيوعي بكونه «خَرَّب» الحملة ضِدَّ حرْب الرّيف (139).

134 رسالة 26 مايو 1925 الى اللجنة المركزية، **دفاتر البلشفية**، فاتح غشت 1925، ص ص 1619 — 1620، (التشديد في النص). خارج الحزب، تبنى سوفارين نفس موقف لوريو فهو، مثله مثل هذا الأخير مع مبدأ الجلاء عن المغرب، وهو ما تعترض عليه قيادة الحزب الشيوعي، لكنه ينكر لهذا الشعار قدرته على تعبئة الجماهير؛ إنه «يصلح فقط لمقاومة الفوضى في صفوف العمال». **النشرة الشيوعية**، 30 أكتوبر 1925، ص 3.

135 إن رسالة الـ 250 مؤرخة في 25 أكتوبر 1925، وكوتيي، وهو سككي، ونائب السين — آنفيريور، هو الذي حررها (أنظر **المؤتمر الوطني الخامس للحزب الشيوعي الفرنسي**، ليل، 20 — 26 يونيو 1926، ص 236). حسب سيمار، تم إبلاغ الرسالة للحزب في دجنبر، مع الطلب بأن تنشر في ظرف ثماني وأربعين ساعة «كإنذار نهائي» (نفسه، ص 272). وأمام رفض الحزب، نشرت المعارضة رسالتها على شكل منشور من أربع صفحات، في 14 يناير 1926 (AN F7 13090) بعد بضعة أيام من ذلك، أعيد نشر النص من طرف **دفاتر البلشفية** (عدد مؤرخ في 15 يناير 1926).

136 هذا التوزيع بعيد طبعا عن ذاك الذي قدمته إحصائيات الحرب في 1925، أي 25% للمنطقة الباريسية، 8،61% للسين — آنفيريو، 8،2% للرون، 10% للشمال.

137 **لاريفوليسيون بروليتاريان**، مارس 1926، ص 23

138 **نفسه**.

139 **نفسه** فبراير 1926، ص. 5؛ أنظر أيضا أكتوبر 1925، ص. 30.

لقد سَعَتْ قيادة الحزب الشيوعي الى الرَّدِّ على هذه الانتقادات. فمنذ أواسط صيف 1925، في فترة كانت تَنتظِرُ فيها مِنَ المؤتمرات العُمَّالية والفلاحية أن تُوليَ أهمية كبيرة لحملتها ضِدَّ حرب الرّيف. عَدَلَت عن المسألة الرّئيسية، مسألة الجبهة الموحدة، التي توجد بصددها في خلاف مع المعارضة. مهملة «الخلافات الثانوية والمسائل المتعلقة بالتفاصيل» فقد كانت المعارضة تودُّ اقتراح وحدة العمل على الاشتراكيين على أساس شِعارٍ واحد هو شعار السلم. إلا أن اللجنة المركزية صرحت بأنه حتى مع افتراض أن الحكومة الفرنسية يمكن أن تُصَمِّمَ عليه، فإن السِّلْم وإن كان سينجم عنه انخفاض عدد الضحايا والتّخفيف من زيادة الضرائب. فهو لن يكفيَ لتحسين وضعية البروليتاريا بشكل واقعي لأن التّحسّن الجوهري مُسْتحيلٌ في ظل النظام الرأسمالي. فمطلب الجلاء العسكري عن المغرب، مثل مطلب إقامة المراقبة العمالية في فرنسا، يصطدمان بالحُكْم البورجوازي. إنهما يقودان، بالفعل، الى الثورة، لكنَّ الجماهير تَفْهَمُ بأنَّ تَغَيُّرَ وَضْعِيتها متوقّف على الكفاح من أجل هذين المَطْلَبَيْن : «يستحيل على البروليتاريا الفَرَنْسية أنْ تنتصر على بورجوازيتها الكبيرة والامبريالية دون التّحالُفِ مع المُضْطهدِين المُسْتَعْمَرين الذين يريدون الكفاح من أجل تحرّرهم الشامل.» (140). بخلاف ذلك، من البديهي أن الزعماء الاصْلاحيين لا يريدون السَّيْر في هذا الطريق. إن تكتيك الجبهة الموحدة يَتطَلّب تعبئة الجماهير للكفاح وعَزْلَها عن الزّعماء الذين، بارتباطهم مع البورجوازية، لا يريدون القتال. «نَعَمْ» ثمَّةَ فخٌّ داخل الجبهة الموحدة، لكنه ليس الفَخّ البئيس الذي ينصبه الشيوعيون للزّعماء الاشتراكيين. لكنه الفخّ الذي ينصبه التّاريخ للقادة وللأحزاب التي لايمكنها الكفاح مع البروليتاريا بحكم ارتباطها مع البورجوازية» (141). فالجبهة الموحدة إذن ليست اتفاقاً مع الحزب الاشتراكي لأهداف محددة في إطار الدّولة الرّأسمالية، إنها ليست كارتيلًا جديداً يُرْغِمُ كل طَرَفٍ على اعتبار متطلبات الآخر، وعلى النّقْص مِنْ أهدافه الخاصّة. فالمتطلبات مُوَجَّهَةٌ هُنَا عَبْر كفاح ثوري يُعْتَبَرُ الحزب الشيوعي وَحْدَه مُهَيَّأً لقيادته. لقد عبرتِ المؤتمرات العُمَّالية عن رغبة المشاركين في السير في هذا الطريق؛ ولا تعتبر لجنة العمل التي تَحدَّرَتْ منها «تحالفاً بين الأحْزَاب، بل قيادة عليا للتّعبئة الثورية تحرّكها الرّو ح الشيوعية» (142).

إنه لفي منتهى الوضوح أنْ يُبَرِّر الحزب الشيوعي شعاراته، بتموقعه في منظورٍ ثوري. لكن يَبْقَى الالتباس قائما : هَلْ يعني إرْغَام الحكومة الفرنسية على الجلاء عن المغرب،

140 دفاتر البلشفية، مارس عشت 1925، ص. 1569.

141 نفسه، ص. 1570.

142 نفسه.

اضعاف الامبريالية فقط أمْ أنّ الحزب الشيوعي يعتقد بأنّ الأمْرَ يتعلّق بضربة فاصِلَة ؟ إنّه السُّؤَال الذي طَرَحَتْهُ المعارضة، في نفس الوقت، على اللّجنة المركزية : هل يفكر الحزب في تحويل حرب الرّيف الى حَرْبٍ أهلية للاستيلاء على الحُكْم ؟ (143)، لقد اعْتَبَرَ سيمار بأنْ طَرْحَ السؤال بهذا الشّكل هو من باب الاستفزاز. وكان لابد مِن انتظار بِضعةِ أشهرٍ لكي يُقِرَّ، تحت ضغوط الأمية، بأن قيادة الحزب أبدت حَوْل هذه النُّقطة تَوَجّهاً «يَسَارَوِياً» هو الذي سمح، في الواقع، بتأويل مماثل.

«تصحيح» القيادة

مع ذلك، فمنذ خريف 1925، تخلى قادة الحزْب الشّيوعي جزئيا عن تصلّبهم. ليس لكونهم عَدَلوا عن إداناتهم لتوجّهات «اليمين»، بالعكس. لكن بينما ظلّت الهُوَّة تنحفر بين المعارَضة وقيادة الحزب، بدتْ هذه الأخيرةُ متأثّرةً ببعض الانتقادات. مثلاً، انتقاد كونها قد بَالَغَتْ بشكلٍ كبيرٍ في تعدادات العُمّال المُمَثّلين في المؤتمرات. لقد أقَرّ سيمار، في النّدْوة الوطنية لأكتوبر، بأن «الأرْقام المُتَّهَمة كانت مرتفعة بالتّأكيد»، أمّا فيما يتعلّق بمُضْربِي 12 أكتوبر، فقد أنكر تضْخيم عَدَدِهِمْ وأكّدَ بأنّ القيادة اكتفتْ بنشر الأرْقام المُبلّغَةِ إليها من طرف تنظيمات القاعدة (144). لم يكن أمر مراجعة تكتيك الحزب واردا، ولكن تمّ الشّروع في تطوّرٍ. أوَ لم يُحَدِّدْ سيمار الجَبْهة الموحدة بعبارات جديدة، وذلك بحديثه عن «وِفَاقٍ ليس على برنامج ينكر الصّراع الطبقي، ولكن على شعارات مقبولة من طرف العُمّال الاشتراكيين» (145). وستعمق ندوة فاتح دجنبر تبعات هذا الموقف (146). لقد ذَكّرَ الحزبُ الشيوعي بأنّ شعارَيْ التّآخي والجلاء عن المغرب مطابقان لعقيدته، وأنه لايمكن أن يتخلّى عنهما. لكنه أكّد بأنّ الأمْرَ لا يتعلّقُ فَقَطْ بإطلاق شعارات صحيحة، بل بتحديد طريقة ترويجها وجمع الجماهير حولها. وقد أظهرت التجْرِبةَ بأنّ الجلاء والتّآخي كانا شِعَارَيْن «مُتَقَدِّمَيْن جدّاً» على الجماهير، وأنه بالتّالي كان من الخطأ فَرْض قبولهما كشرطٍ للجبهة الموحدة. هذه الأخيرة،

143 رسالة 9 غشت 1925، الموجهة من طرف المعارضة الى اللجنة المركزية والملحقة بمحضر اجتماع 18 غشت (مساء)، أرشيفات معهد موريس — طوريز — السلسلة 93

144 نفسه، السلسلة 90 (محضر المنتدى الوطني لأيام 18 — 21 أكتوبر 1925 بايفري).

145 نفسه.

146 نفسه، السلسلة 91 (محضر المنتدى الوطني لفاتح دجنبر 1925. انظر أيضا لومانيتي، 4 دجنبر 1925 (مقال تران)، 5 دجنبر (مقال سيمار) وبالأخص 6 دجنبر (رسالة مفتوحة الى مناضلي الحزب، موقعة من طرف المنتدى الوطني الاستثنائي واللجنة المركزية).

سغى أنْ تكون، من الآن فصاعداً، مقترحةً على الأساس الوحيد لـ «السِّلْم الفوري» في المغرب.

في الشّهور الأولى من 1926 ضاعَفَ الحِزْبُ من نَقْدِه الذاتي. ففي نَشْرَةٍ داخلية ألَحَّ على ضرورة تحقيق الجبهة الموحدة دون صدم الجماهير. فلانتزاعهم من تأثير الزّعماء الاصْلاحيين، لا ينبغي الاكتفاء بشتم هؤلاء، لأنّ «العُمّال الذين انتخبوا هؤلاء الزّعماء والذين لاتزال لديهم الثقة فيهم، لن يُنْصتوا إلينا». ومن جهة أخرى، ينبغي «أن نُدْخِل في الاعتبار واقع كون الجماهير لَيْسَتْ بَعْدُ شيوعية، وأنها لن تنصت إلينا إذا اقترحنا عليها الجبهة الموحدة على أساس برنامجنا الثوري الكامل». ومعنى هذا أنّ على الجبهة الموحدة أن تقوم على شعارات «أكثر تواضُعاً» : وشعار السِّلْم الفوري يبدو الأكثر مواءمةً لهذا الوضع (147). على الحزب إذن أن يُنْتِجَ خطابَيْن في آن واحد : فعليه أن يستمر في الدّفاع عن مُحاجَّةٍ ثورية، شيوعية بحصر المعنى، تتضَمَّن شعارَيِ التّآخي والجلاء عن المغرب. لكن عند توجّهه للاشتراكيين، وبوجهٍ عام لليسار غير الشيوعي، عليه أن يدعوه لتشكيل جبهة موحدة من أجل عمل مشترك مُنْحَصِرٍ في مطلب السِّلْم. إذا كان هذا النّقد الذاتي قد تَمَّ فَهْمُه في مجموع المناطق (148). فإننا نسجّل رَدّ فعل المسؤول عن الفدرالية المتوسّطية الذي اشتكى من كون الحِزْب قد سقط بعد ندوة دجنبر، وبِتَعِلّة تصحيح الخط «في المفعول العكسي : لقد صار لنا شعار السِّلْم الفوري؛ وهذا جيد للجماهير. لكننا لم نعد نرى شعاري التّآخي والجلاء (...) لقد سمعت في بعض اللقاءات الحديث عن السِّلْم الفوري لكنني لم أسمعه أبداً عن الجلاء. وقد أحسسنا، في الغالب، عند عَرْضِ هذه الشعارات، بَعَدَمِ فَهْمٍ كلّي بين أعضاء الحزب. إنها مُلاحَظاتٌ مُكَدِّرة» (149). لِنُسَجِّل أخيراً بأن هذا التّطور الجديد رافقته نظرة أكثر وضوحاً لنشاط الفدراليات في كفاحها ضِدَّ حرْب الريف. لقد أعطى التّشهير من

147 نشرة أخبار الحزب الشيوعي، عدد 6، 25 فبراير 1926، ص 119. مشدد عليه في النص **AN F7 13104**.

148 يشهد بذلك تقرير راوول كالاس في 25 مايو 1926 للمنتدى الجهوي للفدرالية لانكلوسياك لـ 18 يونيو : «إذا كانت الشعارات مثل : الجلاء العسكري عن المغرب، التآخي، تتقدم كثيرا على الجماهير، فإن الجماهير لاتفهمها ولا تحقق الجبهة الموحدة معا. وإذا كنا نريد أن تقبل هذه الجماهير حلولنا الثورية، فينبغي أن نناضل معا. إن اختيار شعارات متفرقة معناه جعل الجبهة الموحدة مستحيلة. فالشعار هو ذلك الذي يمكن من جمع الطبقة العمالية حوله. ويبدو جيدا أن الشعار الصحيح في لحظة حرب المغرب كان هو : السلم الفوري في سوريا وفي المغرب». **AN F7 13105** (بربي ــ أوريوبطال).

149 تدخل روك، مسؤول المنطقة المتوسطية، أمام اللجنة المركزية الموسعة لأيام 6 ــ 8 أبريل 1926. أرشيفات معهد ــ موريس طوريز، السلسلة 142.

طرف المعارضة نتائجه المنتظرة. وقد امتنعت قيادة الحِزْب عن ترديد صَدَى التّصريحات الموسومة بارتياح كبير.

النّقاش أمام الأممية وأمام مؤتمر الحزب

لقد اعتبرت المُعارضة بأن «تصحيح» ممارسة الجبهة الموحدة الذي أُعْلِنَ عنه من طرف ندوة فاتح دجنبر، بمثابة «ارتدادة» لقيادة الحزب، لتبنّي وجهة النّظر التي كان لوريو وأصدقاؤه يدافعون عنها حتى ذلك الوقت. «لاشيء أكثر خطأً من هذا»، رَدَّ تُران (151)، وسعت قيادة الحزب الشيوعي، بمؤازرةِ الأُمَمية، للبرهنة على أنّ ثمة «هُوَّةً» تفصلها عن «اليمين». وبالفعل، فقد اجتمعت اللجنة التنفيذية المُوَسَّعَة للأممية في أواخر فبراير 1926، وخَصَّصَتْ جانباً من جلساتها لمناقشة سياسة الحزب الشيوعي الفرنسي أمام حَرْب الرّيف. لقد تم اجتماع الأمميةِ هذا في فترة هيمنتْ عليها الصّراعات على السُّلْطة داخل الحزب الشيوعي للاتحاد السوفياتي. فقد انتهى المؤتمر الرابع عشر لهذا الحزب، المنعقد في ديسمبر 1925 بهزيمة «المُعَارضة الجديدة» التي كان يقودها كلٌّ من زينوفيف وكامنيف، والتي أدينت لكونها تلتقي على المستوى العقائدي مع الحركة التروتسكية. وطبعا يدخل فحص اللجنة التنفيذية لسياسة الحزب الفرنسي وللمواقف المُعَبَّر عنها من طرف الـ «250» الذين حَكَّمُوا الأممية في هذا السياق. إنّنا نترك لمؤرخي الأُمَمِية هَمَّ توضيح العلاقات المُعَقَّدة التي كانت قائمة حينئذٍ بين الأممية الشيوعية والحِزْب الفرنسي. وسنكتفي، من جانبنا، بسلسلتيْن من الملاحظات : تتعلق الأولى بالخط السياسي الذي ينهجه الحزب الشيوعي الفرنسي و«المعارضة» بخصوص حرْب الرّيف. فلا تعتبر اللجنة التنفيذية من الضروري القيام بتحليل حقيقي للوضع المغربي ولتبعات التّمرد الرّيفي في إفريقيا الشّمالية وفي فرنسا. لقد اكتفت بتصريح مبدئي ــ «عندما تثور قبائلُ مقاتِلَةٌ ضِدَّ امبريالية الميتروبولات وتخوض حَرْباً من أجل استقلالها، فإن علينا أن نقاتل ليس زعمائها، المشربين رُبَّما ببعض التّعصبات، بل الامبريالية التي تَسْعَى لاستعبادها» (152) ــ وبتحية «الحَمْلَة الرّائعة والشُّجاعة للحزب ولـ س.ج.ت

150 هكذا تميز التقرير المعوي المقدم الى مؤتمر المنطقة الليونية لـ 24 يناير 1926 بارتياح خاص وفريد «إننا واعون بأنه كان لنا، أمام الحملة المغربية، موقف حزب شيوعي حقيقي. (.) ونحن نعتقد بأنه نادرا ما تم القيام بحملة تمثل هذه المواطنة» AN F7 13105 (الرون) لقد رفضت لومانيتي في 7 فبراير إعادة نشر هذه التصريحات وقلصت بصرامة من الأرقام التي قدمتها الفدرالية لتوضيح حملتها. هكذا ذكرت أنه تم توزيع ثلاثة آلاف منشور بدل ثلاثين ألف، وخمسة آلاف إعلان صغير بدل ستين ألفا، وأكثر من خمسين اجتماعا، بدل ستين

151 جواب على «الرسالة المفتوحة» لفاتح دجنبر 1925. دفاتر البلشفية، 21 يناير 1926، ص ص 230 — 234

152 تقرير اللجنة التنفيذية للأممية الشيوعية عن المسألة الفرنسية مراسلة دولية، 25 مايو 1926، ص. 709.

الوحدوية ضِدَّ حَرْبَيْ المغرب وسوريا» (153). وأكَّدَتْ أطروحات قيادتها المناهضة لليمين، لكن لبث رئيس اللجنة التنفيذية في تدخّلاته، كما في تقريره حَوْل المسألة الفرنسية، في مَوْقِف سجالي. لقد نُسِبَ التشهير بـ «العبد الكريمية» إلى «عقلية بورجوازية صغيرة»؛ وهو يلتقي بتصوّر الامبريالية. كما أن الاعتراضات التي صاغَتْها المعارضة ضِدَّ شعارات الحزب تَمَّتْ إدَانَتُها بطريقة إجمالية. لقد قَصَدَ سيمار الى القول بأنّ محاجة بار حول التآخي ـ التي انتقدها بقسوة ـ هي مُحاجَّةُ اليمين بأجمعه (154). لقد أورد زينوفيف انتقاد الـ «250» حول الجلاء عن المَغْرِب مُتْبِعاً إياه بالجُمْلِةِ التّالية : «لِمَ لا الجلاء عن نيس، عن سافو وعن كورسيكا ؟» الواردة في نص «المُعَارِضَة» بعد حوالي مائة سَطْرٍ، والتي تستند إلى الشّعار «الطّائش تماماً للجلاء عَنْ الألزاس واللّورين»، وهذا ما سمح لرئيس الأُمَمِية بأَنْ يؤكّد بأن الأمر يتعلقُ ب «خطابٍ اشتراكي ـ وطني» (155). ولم يتمّ التّذْكير بانتقاد لوريو المُتَعَلّق بالجبهة الموحدة إلا للتّنديد بتصريحه الذي يرى بأنه «لا يمكن تحقيق الجبهة الموحدة فوق رؤوس الزّعماء». لقد كان هذا موقفاً انتهازيا على نحوٍ نموذجي (156).

لقد أُثِير أيضاً خطر انْحِرَافٍ يَسَاري مِنْ طرف الأُممية. سيكون مَغْلوطاً أَنْ نَرَى هنا رَأياً مُعَاكِساً لادانتها لـ «اليمين». فقد احتلت هذه الادانة حيّزاً كبيراً في النّقاشات، وتَمّ إعلانها بقوّةٍ، في حين أن «الأخطاء اليسارية المُتَطَرِّفة» تَمَّتْ مُعالجتها بإيجاز وبتسامُحٍ كبير. لقد قامت قيادة الحزب الفرنسي، منذ أواخر 1925 بِتَبينِ أَخْطائِها اليساريّة، لكنْ كان ذلك بمناسبة مُراجعة تكتيك الجبهة الموحدة. وحتى هنا أَظْهَرَتْ بأَنّ الأَمْرَ كان يتعلق بخطيئة شباب، يمكن تَفَهُّمُهَا جيّداً في فترة كان الحزب يتقاتل فيها بمفرده ضِدَّ الحرب. ويظهر استمرار تران في مهاجمة «اليمين» جيدا، بأنه لم يكن وارداً أن يُوضَعَ في نفس المستوى الخطأُ اليساروي والخطأ الانتهازي. لقد مَضَتِ الأُمَمِيةُ أَبْعَدَ من هذا القَدْرِ الذي أَكَّدَتْ فيه بأنّ «الأخطاء اليسارية المتطرفة» ناجمةٌ عن تقديرٍ مُبَالَغٍ فيه للوضْعِ الثّوري : «ونزوع تران الى تحويل الحرب الاستعمارية الى حَرْبٍ أهلية وهو تحويل في رأيه قريب الحدوث نسبيا، يعتبر في تلك الظروف المُحَدَّدَة خطأً سياسياً فادِحاً». لكنّ اللّجنة التّنفيذية نَسَبَتْ هذا الخطأَ الى

153 نفسه، ص 706.

154 «هكذا يبدو بار وأصدقاءه في اليمين موضوعيا ضد انهزام الامبريالية «المتحضرة» من طرف الشعوب «المتخلفة» التي لن يتمكن الجنود من التآخي معها .» مراسلة دولية، 10 مارس 1926، ص 279. انظر أيضا تقرير اللجنة التنفيذية المشار اليه سابقا، نفسه، ص 709.

155 مراسلة دولية، 9 مارس 1926، ص 275. لقد وجهت الملاحظة الى زينوفييف؛ على أية حال، فإن تقرير اللجنة التنفيذية أعاد الاستشهاد الى سياقه. تقرير مشار اليه، ص 709.

156 نفسه، ص. 711.

«النّقص في تجربة الحزب في الصّراع الطبقي»، وهي مستعدة لِغُفْرانه، لأنّه «سَبَّبَ ضَرَراً يَسيراً نسبيا للحزب»، بالرّغم من أنّهُ كان من نتيجته عَزْلُهُ عن «بَعْضِ الشرائح العُمّالية والبورجوازية الصغيرة» (157).

تتعلق الملاحظة الثانية بالمشاكل التي يطرحها سَيْرُ الحزب. وهي مسألة تتجاوز كثيرا حَقْل دراستنا، لكن ينبغي أن نتحدّث عنها قليلًا، لأنها تضيء المصاعب الموجودة في إعداد وتطبيق حملة الحزب الشيوعي الفرنسي ضِدَّ حَرْب الرّيف. فبالنسبة للمعارضة، يكمن سبب الأخطاء السّياسية التي شَهَّرَتْ بها في «ازدراء القادة لرأي الحزب». إِذْ لم تناقش أية جمعة، وأيّ مؤتمر أو أيّ مجلس وطني كيفيات الكفاح ضِدَّ حَرْب الرّيف وأهدافه. وهذا بسبب «نزعةٍ بيروقراطية صارخة وسُلطوية وطائفية» (158) متجسّدة في «مكتبٍ سياسي مُطْلَقِ السُّلْطة» عرف كي يُنْشِيُء «جهازا» تحت إرادته على الصعيد الجهوي والمَحَلّي، (159). هذا هو ما يُفَسِّرُ إخفاق الحزب في أن «يعثر على مَنْفَذٍ للجماهير» (160). لقد رَدَّ الحزبُ مُؤَكِّداً بأنّ «اليمين يثور ضِدَّ النّظام الشيوعي الحقيقي» (161). فاليمين ليس خطيراً فحسب بآرائه، أَلَحَّ سيمار، «ولكن بالأخصّ بعمل التّجزئة والتّحْريض الخارجي الذي يواظب عليه بارتباطٍ مع العناصر المطرودة من الـ **النشرة الشيوعية** لسوفارين و **الثورة البروليتارية** لموناط وروسمر» (162). لقد شجعت اللّجنة التنفيذية للأممية الاشتراكية الحزب الفَرَنْسِي على العَمَلِ «بقوّة» ضِدَّ اليمين، لكنها لفتت انتباهه الى واقع أن «هذا اليمين ليس منسجما بتاتا». وإذا كانت قد أدانت مجموعة سوفارين دون لبس فَقَدْ سَلَّمَتْ بكون تأثير مجموعة لوريو ــ باز ــ دونوا من جهة ومجموعة الثورة البروليتارية من جِهَةٍ أُخرى، يُفَسَّرُ بسبب الانحرافات اليساروية للحزب وغياب الدّيمقراطية الدّاخلية، وهي أَخْطاء يُعْتَبَرُ الحزب الشيوعي الفرنسي مَدْعُواً لتصْحيحها (163).

157 **تقرير عن المسألة الفرنسية**، مشار إليه سابقا، ص 705.
158 رسالة 30 دلس، 1925، ملحقة بمحضر اجتماع اللجنة المركزية لـ 29 يوليوز 1925 **أرشيفات معهد موريس طورير، السلسلة 93**
159 جواب على «الرسالة المفتوحة» المشار اليه سابقا.
160 **نفسه.**
161 **دفاتر البلشفية**، 21 ساـ 1926، ص 230.
162 **مراسلة دولية**، 10 مارس 1926، ص 279 («مخاطر يمين الحزب الفرنسي واستفزازاته»).
163 **تقرير عن المسألة الفرنسية**، مشار اليه سابقا، ص 711.

بَعْدَ أربعة أشْهُرٍ على دَوْرَة اللجنة التّنفيذية، انعقد المؤتمر الوطني للحزب الشيوعي الفَرَنْسي بِلِيلْ. في غضون ذلك، كان عبد الكريم قد سَلَّمَ نَفْسَه للقوات الفرنسية، بينما واصلت قيادة الحزب عملها في إعادة التّنظيم، خَاصَّةً بمضاعَفَةِ خلايا الاستقطاب. وبالنسبة للمناضلين، أثارت حملة الحزب ضِدَّ حَرْب الرّيف سؤالَيْن : ماذا كان مفعولها وأية دروس يمكن استخلاصها منها على صعيد العَمَلِ المناهِض للاستعمار ؟ هل قوّى هذا الكفاحُ الحِزْب الشيوعي وأية تبعاتٍ ستنجم عن ذلك على صعيد سيره ؟

1. لقد اعتبر أندري مارتي التحريضَ الذي طوره الحزب الشيوعي غير كافٍ (164). بينما اكْتَفَى شقيقُهُ ميشيل بالتّأسف لكون ذلك التحريض قَدْ خَفَّ إبّان هجوم ربيع 1926 (165). أما دوريو فاعتبر أن فعالية الدّعاية كانت محْدودةً لِعَامِلَيْن : من جِهَةٍ غيابُ انغراسٍ شيوعي داخل الحماية قابِلٍ لأنْ يتصدّى لعمل الادارة لدى الأهالي المغاربة وأَنْ يُسَهِّلَ تفكك الجيش الفَرَنسي (166)؛ ومن جهة أخرى، عَدَمُ كفاية «العمل المناهِض للنّزعة العسكرية» التي لم تسمح بخلق الشروط الضرورية لتنفيذ تعليمات التّآخي. هذا وقد توقّفَ نائب سان ـــ دوني عند الجانب الايجابي لهذه الحملة : «لَقَدْ طَرَحَتْ مُشْكِلَ الحَرْب أمام الجماهير العُمّالية» (167). وقد ألح علي، وهو العضو الافريقي الشّمالي الوحيد الذي تحدّث حول المسألة، على إرادة انعتاق الشعوب المُسْتَعْمَرة التي لا يشكِّل التمرّد الرّيفي سوى مضطرا لها. لقد اعْتَبَر أنّ على الحِزْب أنْ يُسَاعِدَ الحركات الوطنية بقدر ما يكونُ توجُّه هده الأخيرة في صالح الجماهير. وهذا يَسْتَتْبِعُ مَجْهُوداً من جانب الشيوعيين لِدِرَاسة «الشّروط الخاصّة بِكُلّ مجموعةٍ من السُّكان» (168)، وانتباهاً أكبر لمطالب الجماهير الفِلاحية، وتكوين أُطُر قادرةٍ على النّضال داخل المُسْتعمرات.

164 المؤتمر الوطني الخامس للحزب الشيوعي الفرنسي، ليل، 20 ـــ 26 يونيو 1926، عرض مختزل، ص ص 155 ـــ 156.

165 نفسه، ص. 120.

166 بعد أن حرد لكون الحزب لم يكن يتوفر على «ارتباط سياسي منظم مع الشعب الذي كنا نؤازره» وذلك «لأسباب مالية وتقنية كان من الصعب التغلب عليها» («أسباب» لم يوضحها نائب سان ـــ دوني ولم تثر فضول أي أحد من المؤتمرين (أنظر أعلاه، الفصل الرابع)، أضاف دوريو بأن هذا الارتباط كان سيمكن من «إنجاز عمل تفكيك خطير داخل الجيش الفرنسي، بواسطة الريفيين أنفسهم» ومن التوغل «في كل القبائل المغربية لمنعها من مساعدة الادارة الفرنسية، كما فعلت ذلك، حتى في الريف». نفسه، ص ص 201 ـــ 202.

167 نفسه، ص 203.

168 نفسه، ص ص 551 ـــ 552. من المهم أن نلاحظ أن علي يستعيد هنا فكرة عبر عنها بقوة ش. أندري جوليان منذ 1921، أنظر النشرة الشيوعية، 7 يوليوز 1921، ص. 469.

2. هل خَرَج الحِزْبُ أكثر قُوّةً من الحملةِ التي خاضَها ضِدَّ حَرْبِ الرّيف ؟ إنّه، حسب بيار سيمار، قد ضاعَفَ نفوذه، دون أنْ يَسْتَفِيدَ مع ذلك مباشرةً من هذا الوضع (169). فليس فَحَسْب لَمْ «يَنْهَشِ اليَسَار الاشتراكي» بما فيه الكفاية، بل سَجَّل أيضاً انخفاضاً في عدد أعضاءه تعداداته يُناقِض الزّيادة التي يستفيد منها الحزب الاشتراكي (170). لقد نَسب سكرتيرُ الحزب الشيوعي المسؤولية مِنْ جهةٍ «لِلْعناصِر الفزعة» التي غادَرَتِ الحِزْب، ومن جهةٍ أخرى لِلْمتاعِبِ التي نجمتْ عن إعادة التَّنْظيم. وإذ لاحظ كثيرٌ من المندوبين أنَّ شعار التّآخي أبْعَدَ عن الحزب الشيوعي بَعْضَ المُناضلين، عَبَّر علي، المنشغل بالوضع الجزائري (171) عن ابتهاجه لهذه «التَّنْقِية» (172). لكن داخل البلاد، لم يَرَ لاموران، ولازونو، اللذان يُبْدِيان مع ذلك استقلالاً كبيراً في الرّأي، بأن انخفاض عدد الأعضاء راجع للسياسة المغربية لِلْحِزب. لقد كان أكثر انشغالاً بالاضطرابات التي نتجب عن تعدد خلايا المؤسسات وبالأساليب السُّلْطوية للقيادة ولمسؤولي الفدراليات. وعَبَّر سيمار عن يقينه بأنّ الحزب الشّيوعي سيتقَوّى بمواصلة إعادةِ تنظيمه وبالسَّعْي لأن يكون دائماً قريبا من الجماهير. وعليه أن يطوّر تكتيكه للجبهة الموحدة التي تبرّرها أهمية القاعدة العُمّالية التي يتوفّر عليها الحِزْب الاشتراكي والـ س.ج.ت. جبهة موحدة مُتخلّصةً من أخطائها اليسارويّة، والتي على محتواها «البروليتاري» أساساً أنْ يُنَحّيَ الانحرافات الانتهازية التي يمكن أن تقود الحزب الشيوعي الى الانقياد ل «الغرق داخل تنظيمات البورجوازية الصغيرة والكتلة الشهيرة لليسارات» (173).

يتطلب هذا التوجُّه حِزْباً مُنَظَّماً على نَحْوٍ أفْضل، ولا يَحْتَمِلُ، أن يكون بداخله، من الآن فصاعِداً، معارضة دائمة للقيادة. لقد عَلِمَ المُؤْتمرون بأنَّ هذا «التَّقوّي» للحزب تُرجم بإبعاد كل من سوزان جيرو وتران من المكتب السياسي، طِبْقاً للرّجاء الذي عَبَّرَتْ عنه الأممية. لكنّ موران، وهو معارض معتدل، اندهش لكون الضَّرْبة أصابتهما وحدهما، في حين دافع كوثيي، مُمَثِّلا «اليمين»، عن حرية تعبير «الاتجاهات» داخل الحزب. لقد أظْهَرَ بأنّ

169 نفسه، ص ص 12 — 13. يعطي طوريز، الذي لايريد أن يقال بأن تأثير الحزب قد قل بين الجماهير، كمثال انتخاب المندوبين المحميين في حوض نا — دو — كالي نفسه، ص. 129.

170 يتكلم سيمار عن خمسة وخمسين ألف عضو (نفسه، ص. 273) وهو ما يعني انخفاضا قدره عشرة آلاف عضو بالمقارنة مع بداية 1925 (انظر AN F7 13096). إنه يوضح بأن أكبر الخسائر كانت «في فئة الطبقات المتوسطة» (نفسه، ص 12) لكن بما أن هذه الفئة لاتمثل حسب تقديره سوى 5% من أعضاء الحزب، فإنه يسعى أن نستنتج بأنها غادرت الحزب الشيوعي بأكملها تقريبا.

171 وضح سيمار بأن فدرالية الجزائر فقدت ثلاثة أرباع منخرطيها... نفسه.

172 نفسه، ص 549.

173 نفسه، ص ص. 16 — 20.

الأُممية الشيوعية استصوبت الانتقادات التي وجّهتها المُعَارَضَةُ ضِدَّ تصوّر الجبهة الموحدة التي طوّرها الحزب الشيوعي في 1925. أمّا هومبيردو، وهو مُمَثِّل آخر لـ «اليمين»، فقد اعتبر نَقْدَ القيادة الذّاتي غير كافٍ وصرح بغياب الديمقراطية داخِلَ الحِزْب. لقد آزره رونو جان، أحد المُناضلين الأكثر احتراماً مِنْ طرف المُؤْتَمَر، الذي أكّد بأن الشعارات ضِدَّ حَرْب الرّيف لَمْ تُناقَشْ من طرفِ اللجنة المَرْكَزِية، وأنَّ نَدْوَةَ دجنبر حول «التصحيح» استُدْعِيَتْ على عَجَل، وأن أخطاء الحِزْب ناجمةٌ عن مَرْكَزِيته المُفْرطة (174).

تشهد هذه التدخّلات بالحرّية الكبيرة للمؤتمر. لكنَّ تحذير سيمار كان صَرِيحاً، فالانتقادات والاقتراحات مُمْكِنَةُ الطَّرْح داخل الحزب. ولا يمكن من الآن فصاعداً أنْ يَتِمَّ التّعْبيرُ عنها باستعمال منابر غير شيوعية أو بنَشْرِ بياناتٍ مثل رسالة الـ 250. وغير واردٍ أكثر قَبُول تَنْظيم اتجاهات داخل الحزب. لقد طَلَبَ دوريو، في معرض حديثه عن المعارضة أمام اللجنة المركزية لـ 18 غشت 1925، «القيام بتبادل وِجْهَاتِ النَّظَر لِتَعْرِفَ بأية لَهْجَةٍ سنُعامِلُ هؤلاء الناس» (175). حينئذٍ أبْدَى سيمَارْ اعتراضه على إجراءات الطَّرْد التي كان يطالب بها نائب سان ـــ دوني. وإذا كان صحيحاً أن كثيراً من المُناضلين كانوا يعيشون، سَنَةَ 1925، وَسْواسِ الطَّرْد، فإنه يبدو بأنّ هذا الأخير لم يهمّ في الواقع، سوى عَدَدٍ قليل مِنْهُم خلال الحملة ضد حرب الريف. لقد طرد كل من مَهْوِي وروجي هيربوس، في يناير 1926؛ في حين أنَّ المُنَاضِلَيْن الرّوينيّين : روان وإنجلر وجيرمين كوجون طُرِدا في أوائل 1927، وكوثيي في أبريل 1929. فبطريقة تدريجية إذن فقط ستعمل القيادة الجديدة للحزب الشيوعي الفرنسي على فَرْض نظام أكثر صرامة، ولو كان بثمن انفصال مُناضلين مُخْلصين (176). لقد شَكَّلَتْ حَمْلةُ الحِزْب ضِدَّ حَرْب المغرب، ونجاحاته كما مصاعبه وإخفاقاته مَرْحلةً مهمَّةً في طريق «بَلْشَفَتِه». لعلّها دون ريب، الدّلالة التي أعطتها كلٌّ من الأممية الشّيوعية وقيادة الحزب الشيوعي الفرنسي لتعيين طوريز، رئيس اللجنة المركزية للعمل، على رأس دائرة التنظيم للحزب.

174 نفسه، ص ص 110 ـــ 112.

175 أرشيفات معهد موريس طوريز، السلسلة 93، محضر اجتماع اللجنة المركزية لـ 18 غشت 1925

176 ستتبنى س.ج.ت الوحدوية موقفاً مماثلاً، كما تشهد بذلك حالة شاملاك، وسيستمر هذا الأخير، الذي طرد من الحزب الشيوعي في شتنبر 1924 في النضال داخل س.ج.ت الوحدوية، حيث كان فيها ضمن الأقلية؛ وفي مؤتمر بوردو لـ 1927، اقتنع بإثارة حملة المنظمة النقابية ضد حرب الريف. لقد اتهم القيادة الكونفدرالية على الخصوص بكونها ارتكبت خطأً فادحاً، في تلك الفترة، بمطابقتها بين حملة استعمارية وحرب بين أمم امبريالية، وبكونها منعت عمال لـ س.ج.ت الوحدوية، بدفاعها عن شعار التآخي، من أن ينضموا إلى حركة الاحتجاج (انظر المؤتمر الرابع لـ س ج ت الوحدوية، بوردو، 19 ـــ 24 شتنبر 1927، ص ص 39 ـــ 42) لقد انتقد حينئذ بشدة، لكنه سيظل داخل الـ G.T.U) إلى غاية 1931

خـاتـمـة

أمام تمرد عبد الكريم، ردّت عائلات اليسار الفرنسي بشكلٍ متنوّع.

لقد كانت خشية اليسارين الليبرالي والرّاديكالي كبيرةً. فقد اعتقدا جدّيا بأنّ عبد الكريم يهدّد الاقامة الفرنسية في إفريقيا الشمالية. وتوغلت الحكومات المنحدرة من انتصار كتلة اليسارات، تدريجياً في طريق حربٍ شاملة ضدّ الرّيفيين رغم أنها لم تكن لها المسؤولية البدئية في العمليات، ولم يكتف كل من بانلوفي وبريان، خلافا لما أشيع، بإرسال التّعزيزات التي طلبها ليوطي، بل آثرا الأساليب الهجومية المُنادى بها من طرف بيتان، وتفاوضا مع اللّجنة الاسبانية الحاكمة من أجل تنسيق للعمليات سمح بإخضاع القبائل المتمردة والحصول على استسلام الزّعيم الرّيفي. هكذا أعفاهما انتصار الأسلحة، رغم احتجاجات البعض، من الوفاء بالوعود المعطاة للريفيين والمتعلقة بإقرار وضع خاص بالريف ليس هو وضع الحماية. ثم هناك سبب آخر للارتياح : لقد مكّنتهما حرب الرّيف من التخلّص من ليوطي ووَضْع الحماية تحت سلطة شخص مدني. ولأن واحداً من مقربيهما، وهو ستيك، هو الذي خلف أول مقيم عام، فإن الراديكاليين رغبوا في أن يسلك المغرب طريقا جديدا. وقد اعتقدوا أن انشغال العسكريين بإخضاع مراكز التمرد سيؤدي الى إضعاف نفوذ الجيش في الميدان السياسي داخل الحماية وسيشرع بإسناد المسؤوليات العليا، للسلطات المدنية، وكان على هذا التطور أن يسهل في رأيهما تنمية الاستعمار ومضاعفة حركة الأعمال وتقوية الروابط الاقتصادية مع الميتروبول. وبشكل متوازي، كان ينبغي أن يتوفّر لفرنسيي المغرب مزيدٌ من الحرية على نَحْوٍ بشكلٍ أفْضل وإحاطة المقيم بآرائهم وتمكينه من أن يمارس تجاه الأهالي سياسة حَزْمٍ نيِّر.

أما موقف اليسار الاشتراكي فقد كان مُعقّداً. لقد كان غالبية أعضائه في البدء حسّاسين تجاه نوعٍ من الوطنية : فعندما تُهَاجَمُ فرنسا، سواء كان ذلك على ضفاف الرّاين أو على ضفاف ورغة، يُسارع الجميع الى الدّفاع عنها، دون اهتمام بالباقي. لقد كانت حماية الجمهورية في المغرب واقعا لم يحن الوقت بعد للتراجع عنه، إذ أنّ الأهالي سيخسرون أكثر مِمّا سيربحون بذهاب فرنسا. ولا يمكن مُساومة الحكومة حول سُبُل ضمان سلامتها. لكنّ الاشتراكيين كانوا حسّاسين أيضاً تجاه كأصوات أخرى : أصوات النزعة السِّلْمية، وإلى حَدٍّ ما أصوات معاداة النزعة الاستعمارية. فمنذ الاشتباكات الأولى، طالبوا بفتح المفاوضات مع عبد الكريم، وبالنّسبة للعديد منهم كانت ويلات الحرب تتغلب على الدّلالة التي تمنحها الأطراف المتنازعة لمعركتها. لقد رفض بعضهم التّصويت على الاعتمادات العسكرية ثم انضمّ

إليهم،أغلب المنتخبين الاشتراكيين وبعد ذلك لحق بهم جميعهم وذلك تحت ضغط القاعدة. واتُّخِذَتْ مبادرات مختلفة سواءٌ في الأوساط التحررية والفوضوية أو في أوساط الحزب الاشتراكي للاحتجاج ضِدَّ الحرب، وعديدة هي الفدراليات الاشتراكية التي طالبتْ بقطيعة نهائية مع الحكومة والعودة الى المُعارضة. ومهما تكن المَظان التي غذَّوْها تجاه عبد الكريم، الذي رَفضوا أن يروا فيه ديمقراطيا يدافع عن استقلال شعبه، فإن غالبية الاشتراكيين — ومعهم عدَدٌ من مناضلي عصبة حقوق الانسان — قد تأثّروا بعزيمة الرّيفيين في القتال من أجل حرّياتهم. لقد كانوا مُؤيّدين للحكم الذّاتي وحتّى لاستقلال الرّيف، الذي كانوا يرونه ملائما لصيانة الحماية. لكن الانتصار الفرنسي — الاسباني بدَّدَ هذه الأحلام. فقد أظهر بقوّة النّظام الاستعماري الفرنسي الذي لم يكن مستعدّاً لأيّ تنازل، وقوّى معسكر أولئك الذين كانت لهم ثقة عمياء في الرسالة الحضارية لفرنسا في المغرب بحيث لم يعيّنوا لها أيَّ حَدٍّ، وأجلوا انعتاق السكان الأهالي الى وقت غير مسمى.

وفي اليسار المتطرّف، رأى الحزب الشيّوعي في حرب الرّيف تأكيداً لتحليلاته وأطروحاته التي دافع عنها منذ إنشائه من طرف الأممية الثالثة. فمن جهةٍ، استهدفت الامبرياليتان الاسبانية والفرنسية بسط هيمنتهما على أرض لم تكن حتّى ذلك الوقت خاضعة، بحيث تتمكنان من الاستحواذ على ثرواتها المعدنية. ومن جهة أخرى، لم يكن الرّيفيون بقيادة عبد الكريم يدافعون عن استقلالهم فحسب، بل كانوا يعبّرون عن رغبة الشعب المغربي قاطبة في الانعتاق من النّير الاستعماري. ومن مصلحة البروليتاريا الفرنسية، التي هي ضحيةٌ لنفس الامبريالية، أن تتضامن مع كفاح القبائل المتمرّدة. وكل أولئك الذين لا يشاطرون هذا التحليل وهذا الاستنتاج، وخاصة زعماء التّنظيمات الاصلاحية، يُشَنَّعُون كمتواطئين مع الامبريالية. على هذه الأسس، أطْلَق الحزب الشيوعي حَمْلَةً ليس فقط في سبيل السّلام الفوري، ولكن من أجل الجلاء عن المغرب، وَدَعَا الى تآخي المُقاتلين. لقد ظَلّت هذه الحملة نموذجية في تاريخ الحزب الشيوعي الفرنسي، مهما تكن الانتقادات التي عبَّر عنها كثير من القادة الشيوعيين أنفسهم، نموذجية بإرادتها في استنهاض الرّأي ضِدَّ حَرْب استعمارية، وبمجهودها التّنظيمي، واتّساع المظاهرات والتحمعات العمومية التي تَمَّ تَعَهُّدُها في البلاد والتي وجدت سندها أساساً في الشّبيبات الشيوعية وفي النّقابات التّابعة لـ س.ج.ت الوحدوية. ونموذجية أيضاً بتفاني مناضليه ضحايا القمع المُمَارس من طرف السّلطات العمومية. لكن نتائج هذه الحملة لم تكن في مستوى آمال القادة. فباستثناء حالات قليلة، أخْفَقَ نداؤهم الى تأسيس جبهة موحدة، بحُكْمِ حَذَر الاشتراكيين، ولكن أيضاً بحُكْمِ تَعَصُّب القيادة الشيوعية التي لم تتصوّرْ وحدة العَمَل إلّا على شكْل انخراط غير مشروطٍ في شعاراتها. وسوف تقر بخطئها

وتُصَحِّحُ من موقفها، لكن بعد فوات الأوان. هدا لم يجدْ الاضراب الذي نظّمه الحزب الشيوعي في 12 أكتوبر 1925 ضد حرب الريف سوى صدًى محدود خارج الأوساط التي تسودها الـ س.ج.ت الوحدوية ولم يتوصّل الى أن يحرك بصعوبة سوى بضع مئات آلاف من الشغّالين. ويبدو فشل الحملة واضحاً أيضاً إذا اعتبرنا بأنّه لم يكن لها، رغم الاشاعات الّتي روجت، أيّ تأثير على توجّه الجنود وسير العمليات العسكرية، وأن تعليمابت التّآخي على الخُصُوص لم تُتَّبع. وأخيراً، إذا كان الحزب نفسه قد خرج من هذه التّجربة أفضَل «نشاطاً» فإن أ. مارتي قد كتب «أن المغرب، سينشِّط الحزب» (177) ـــ فإن ذلك كان بثمن انفصال عددٍ من المناضلين المختلفين مع سياسته أو الذين لم يقبلوا بإلزامات انضباط حزبي غَدَا منذ ذلك الوقت فصاعداً وطيداً.

177 دفاتر البلشفية، فاتح يوليوز 1925، ص. 1395.

الفصل الثامن

اليسار الفرنسي وعمليات إخماد الفتن

(1926 — 1934)

من 27 مايو 1926، يوم استسلام عبد الكريم، الى 16 مارس 1934، وهو التاريخ الذي ألقت فيه آخر قبيلة متمردة الأسلحة، لم تتوقف الحرب، عمليا، في المغرب. وإذا كان اليمين قد رأى بأن العمل المباشر ضد «المنشقين» المغاربة لم يكن مقوداً بما يكفي من الحزم، فإن اليسار كان منقسما على نحو عميق. أمّا الرّاديكاليون والجمهوريون الاشتراكيون، فبمنحهم الدّعم والمُشاركة للحكومات الناتجة عن تصفية الكارتيل، كانت لهم مسؤولية بارزة في قيادة العمليات العسكرية التي سعوا الى التّقليل من أهميتها بتقديمها على أنها مجرد عمليات استتباب الأمن [1]. وشجب إن الشيوعيون والاشتراكيون، الذين سيلتحق بهم لوقت قصير الرّاديكاليون الشبان، المرامي الامبريالية والحرب الحقيقية التي تخفيها أسطورة إخماد الفتن. ما جدْوى براهينهم ؟ كيف تُفسَّر تقويةُ التيار الاستعماري وسط اليسار المعتدل ؟ وأخيراً، كيف ردّ الرأي العام على الحملة التي طورّها الحزب الشيوعي أساسا ضد حرب المغرب ؟ هذه هي الأسئلة التي يدعونا إنهاء الغزو والمقاومة المغربية الى طرحها.

اليسار الفرنسي أمام المقاومة المغربية

لم تستأثر العمليات العسكرية بين 1926 و1934 بانتباه الطبقة السياسية والرأي العام بنفس الدرجة التي استأثرت به خلال حرب الريف. فـ «الفترات الحرجة» هي تلك التي

1 لاينبغي لعدم الاستقرار الوزاري (عشرون حكومة في الفترة التي تهمنا) أن يخفي استقرار نسبيا في المصالح الوزارية التي كانت تتوقف عليها الحماية على المغرب وسير العمليات العسكرية. فبين مايو 1926 ومارس 1934، أي في أقل من ثماني سنوات، تم شغل الشؤون الخارجية أساسا من طرف بريان (خمس سنوات وثمانية أشهر)، بول — بونكور (ثلاثة عشر شهرا)، وهيريو (ستة أشهر) والحربية من طرف بانلوفي (ثلاث سنوات وأربعة أشهر)، ماجينو (سنتان)، دالاديي (خمسة عشر شهرا) وبول — بونكور (ستة أشهر).

فرضتها الأنباء المتعلقة بالصعوبات التي اعترضت تقدم القوات الفرنسية واستجوابات الحكومة التي أثارتها. هكذا ستبرز في مايو — يونيو 1929 بشكل خاص قضية آيت يعقوب، والعمليات التي شنت في جبل صاغ، خلال النصف الأول من 1933 .

قضية آيت يعقوب

بين 1926 و1928، شهر الحزب الشّيوعي وحده، والى حَدٍّ ضئيل، الحزب الاشتراكي، بمواصلة العمليات العسكرية. بالنسبة للحزب الشيوعي، اعتبرت حرب الرّيف مُسْتَمِرّة، رغم استسلام عبد الكريم (2). وفي الواقع، لقد توزَّعَت المعارك الأخيرة التي خاضتها القوات الفرنسية في هذه المنطقة في مجرى النّصف الأول من 1927؛ مُنْذ ذلك الوقت، لم تَعُدْ هناك، رَسْمياً عمليات عسكرية، في جبال الأطلس، وفي تافيلالت، وهي آخر مواقع التمرد، بل تَوَغّل سِلْمي. ويوضح باللوفي، وزير الحربية، الأمر أمام المجلس في 28 يونيو 1928 : يرتكز عمل القوات الفرنسية «قبل كلّ شيء على شَقّ الممرات والطُّرُق وجَعْلِها تمُرّ بالضّبط، وقَدْر الامكان، قرب المُرْتفعات. ومن جهة أخرى، وحتّى نحافظ بشكل أفضل على هؤلاء السُّكّان الذين لا يطلبون سوى حمايتنا، نقوم ببعض العمليات البسيطة ولكنها مهمة من الوجهة التكتيكية العسكرية لأن هذه المرتفعات التي نقوم باحتلالها تصلح لأن تكون معقلاً لعمل دفاعي» (3).

لقد أقَرّ بيْرتون بأن تقدّم القوات الفرنسية، تم في بعض المناطق دون إراقة دماء «لقد تمّتْ تفرقَةُ السُّكان ورشوتهم» بحيث تُمَّ احتلال سوس على هذا النحو. «لكن بموازاةِ هذا التوغّل السِّلْمي، كان هناك استعمال للقوة» : لقد شُنّتْ عمليات حقيقة في الأطلس المتوسّط وفي تادلة، وذَكَرَ الخطيبُ الشّيوعي «قَصْفًا مُفاجئاً» تعرّضت له منطقة بني ملّال، ولأنه «وقع في يوم سوق، فقد تَسبَّبَ في حالة ذُعْر وسط السُّكّان» (4). ونبهت المجموعة الاشتراكية، من جهتها، من طرف آل لونكي الذين تلقّوا رسالةً من إيف فارج تروي بتفصيل نفس الحدث الذي ينسبه الى استفزاز للعكسريين سَهّلَهُ غياب ستيك المُؤَقت، راجياً منهم عمل ما في وسعهم ل «إيقاف كل هذا، بإحداث أكبر ضَجّةٍ ممكنةٍ، لأن انفعالَ الأهالي

2 لاكازيرن، 25 يوليوز 1926، 10 أبريل 1927.

3 مناقشات المجلس، 28 يونيو 1928، الجريدة الرسمية، ص. 2101.

4 نفسه، ص. 2100 (إن بيرتون يستشهد لتدعيم أقواله بـ لافيجي ماروكان لـ 15 فبراير 1928). انظر أيضا جوبير : «الحرب تستأنف في المغرب»، دفاتر البلشفية، يونيو 1928، ص ص 517 — 524 ولومانيتي لـ 8 يوليوز 1928 التي نشرت نداء للحرب والشبيبات الشيوعية يشهر بالعمليات المرتقبة ضد الأطلس المتوسط وتافيلالت «التي اقتصر سكانها على منع الدخول على العراة».

كبيرٌ في الدّار البيضاء» (5). أمَّا رونوديل، فبعد أن عبَّر عن موافقته على الأعمال التي لها كهدفٍ وحيد معاقبة «النّهّابين» شَجَب باسم الحزب العمليات الجارية «المُسَمَّاة مناورات والتي لها طابع عمليات عسكرية»، هذه العمليات التي بوشر فيها، على كل حال، دون علم البَرْلمان (6).

انفجرت في يونيو 1929، قضية آيت يعقوب. فأثناء «عملية استطلاع» في أحد أودية الأطلس الكبير، فُوجِىَء طابور فرنسي يقوده المُقَدَّم إيمانويل من طرف المُتمردين فَقُتِلَ غالبية أفراده (7). لقد كان التأثّر كبيراً؛ وعاد المغرب ليتصدّر «الصّفحة الأولى» من الجرائد؛ بينما طالب الشيوعيون، والاشتراكيون والرّاديكاليون باستجواب الحكومة. وكان بانلوفي وبريان لا يزالان مسؤولين عن السياسة المغربية باعتبارهما وزيرين للحربية والشؤون الخارجية؛ لكنهما كانا ينتميان تلك المرة لحكومة بوانكاري التي انسحب منها الرّاديكاليون مُلْتَحِقين بالاشتراكيين في المُعارضة. مع ذلك، ولأنّ كليهما جمهوريان اشتراكيان فقد ظَلَّا، بالنسبة لعدد كبير من البرلمانيين، ودون شك في نَظَر قسْم من الرَّأي العام، رَجُلَيْ يسار، وخاصَّةً بِحُكمِ سياستها الخارجية «السِّلْمية». إن هذا لا يعمل سوى على إبْرَاز أكثر للنّقاش الدّائر في الصّحافة كما في البرلمان، وهو الأول من نوعه حول القضية المغربية منذ 1926.

لقد حاكمت تشكيلات اليسار الثلاث العمليات العسكرية الفرنسية وأجمعت على شجب طابعها الهجومي. بخلاف ذلك، اختلفت أحكامها حول التمرد المغربي وخاصة حول الحلول التي توصل للخروج نهائيا من «وكر الزنابير المغربي» (8). فأما بانلوفي الذي واصل التأكيد على أن الحكومة متمسكة بالتوغل السلمي — «بكل الوسائل التي عليها أن تخدم هذا التوغل : الطريق، السكة الحديدية، التجارة، التعاون الاقتصادي وأيضا الطبيب» — فإنه يعلن أنه «لم يأمر أبدا، ولم ينصح أبدا، ولم يقبل أبدا بعمليات غزو أو بمغامرات تحت أية ذريعة» (9)، ارتأى اليسار مجابهة الحكومة بلغة الوقائع أي الاحتجاج ضد الطابع الهجومي الفظ، وحتى «الاجرامي» للأعمال الممارسة من طرف الجنود الفرنسيين. لقد صرح كاشان بأن الأمر يتعلق بـ «حملة عسكرية كبيرة وبوسائل جبارة» (10)، في حين أكد نوبيل، وهو

5 وأنهى إيف فارج كلامه قائلا : «تصرفوا بسرعة، لأن المجازر ستستمر»، رسالة في 14 فبراير 1928 أبلغ بها ر.ح. لونكي المؤلف.

6 مناقشات المجلس، 28 يونيو 1928، الجريدة الرسمية، ص. 2096.

7 تقدر الخسائر — من قتلى ومفقودين — حوالي مائة رجل وقد هلك المقدم إيمانويل في التوغل

8 طلت العبارة تستعمل، في سنة 1929 هذه، من طرف لوبوبلير (13، 14، 23 يونيو).

9 مناقشات المجلس، 14 يونيو 1929، الجريدة الرسمية، ص. 2069 انظر كذلك 25 يونيو، الجريدة الرسمية، ص. 2192.

10 نفسه، 14 يونيو 1929، الجريدة الرسمية، ص. 2067.

اشتراكي، بأنه من غير الممكن أن يكون المقدم إيمانويل قد توغل بمثل ذلك العمق في المنطقة المتمردة دون علم القيادة [11]. أما دالاديي فقد تقدم بتدخل قوي وضع فيه المجلس أمام مسؤولياته : «إذا لم تضع حدا لهذه السياسة، فإنها تجازف بجر نفسها وجر البلاد الى سلسلة من المغامرات الدموية» [12]. لقد شهر اليسار بـ «فريق حرب» [13]. وادعى الاشتراكيون، رفقة بعض الراديكاليين، وجوده في المغرب، خاصة في الأوساط العسكرية [14]. كما ورطوا رفقة الشيوعيين مسؤولية بانلوفي [15] التي سعى كثير من الراديكاليين، هذه المرة، الى فصلها عن مسؤوليات الأركان العامة [16]. وأخيرا، فإنهم جميعهم يؤكدون على «المؤازرات الخاصة» التي يلقاها فريق الحرب هذا في الصحافة الميتروبوليتانية. لكن المسؤولية البدئية للعمليات تقع على عاتق أوساط رجال الأعمال. فإذا كان الشيوعيون والاشتراكيون يتهمون الرأسمالية الاستعمارية بإلهام السياسة العدوانية للحكومة [17] فإن الراديكاليين لم يريدوا أن يبقوا منسحبين، كما يشهد بذلك، على الخصوص، تدخل دلاديي [18] وبالأخص مقال مهم لفرانسوا دوتيسان [19].

ماذا يمثل التمرد المغربي بالنسبة للحكومة ؟ أية صورة كونتها عنه أحزاب اليسار ؟ حسب الأطروحة الرسمية، التي عبر عنها بريان، «لاتزال في المغرب قبائل عديدة غير خاضعة وينبغي أن نقول بلا مراء بأن الحوادث لاتزال كثيرة الوقوع. فثمة عصابات غير منتظمة تنقض على إحدى المناطق، وتختطف السكان، وتطالب بالفديات، وتنهب وتضرم النيران...»

11 نفسه، ص. 2068.

12 نفسه.

13 العبارة لدالاديي، نفسه، 21 يونيو 1929، الجلسة الثانية، الجريدة الرسمية، ص 2142.

14 نفسه، 14 يونيو 1929، الجريدة الرسمية، ص. 2068 (نوبل)، 21 يونيو 1929، ص ص 2138 و2140؛ لوبوبلير، 15 يونيو 1929، لوفر، 13 و22 يونيو 1929؛ لاريبوبليك، 15 و17 يونيو 1929؛ ليرنوفيل، 25 يونيو 1929

15 أنظر لوبوبلير، 13، 18، 26 و27 يونيو 1929.

16 خلاف لاريبوبليك، جريدة الكفاح الجديدة لدالاديي، المضادة كثيرا لبانلوفي (أنظر خاصة 26 و29 يونيو 1929)، اهتمت كل من لوفر وليرنوفيل قبل كل شيء بطمأنة الرأي العام حول أهمية معارك المغرب.

17 أنظر مناقشات المجلس، 21 يونيو 1929، الجريدة الرسمية، ص. 2136 (كاشان)، لوبوبلير، 15، 18 و22 يونيو 1929.

18 انظر مناقشات المجلس، 14 يونيو 1929، الجريدة الرسمية، ص. 2068

19 لقد أجاب فرانسوا دوتيسان جريدة لوتون : «عندما يحكى لنا بأن التجمعات المالية والاقتصادية لم تسع في أية لحظة الى ممارسة الضغط على السلطات العمومية والى إرضاء رغباتها النفعية، فإنه يتم إنكار ما هو بديهي. فكل الشركات التي لها مصلحة في بناء القطار العابر للصحراء، وكل الشركات الكبرى المهتمة بشبكة الملاحة الجوية فوق القارة الافريقية، وكل شركات التنقيب تتمنى بحرارة أن يخلو لها المجال وأن تتمكن من العمل على كيفيتها في البلدان التي لم يتم بعد تطويعها من طرف قواتنا. يتعلق الأمر بأن نرى إذا كنا سنبذل أرواحا عديدة ونلقي أيضا بمئات الملايين في هذا المشروع من أجل إرضائها الفوري.» إذا كانت الحكومة لم تشهر بـ «مناورات هذه التجمعات الاقتصادية بهدف الغزو الكامل للمغرب (فلأنه) يوجد في أغلبيتها نفسها مندوبو هذه الاتحادات القوية ونواب متعاطفون معهم في العمق». لاريبوبليك، 27 يونيو 1929.

(20). هكذا تبدو الفكرة التي قدمتها الحكومة عن التمرد ــ مع أنها تلافت في 1929 أن تتحدث عن الموضوع بإسهاب ــ قريبة جدا من تلك التي عبر عنها ممثلوا مجموعتي الوسط واليمين اللتين تساندان سياستها وتعتبران الثائرين بمثابة قطاع طرق يستأهلون عمليات أمنية. أما أحزاب اليسار فقد اتفقت، من جهتها، على اعتبار التمرد ظاهرة ذات طابع سياسي، لم تتمكن الحكومة من تقدير أهميتها وهي ظاهرة تعبر بكل بساطة عن معارضة فئة من السكان المغاربة لتقدم الجنود الفرنسيين (21). ويمضي الشيوعيون أبعد من هذا بتبريرهم لهذه المقاومة وامتداحهم لها. فهذه القبائل كما يقول مارسيل كاشان مصرحا، «ترفض الخضوع للنير، أولا لأن لها شعورا حادا بالاستقلال. لكنها تعرف أيضا بأن الأراضي الجماعية التي هي في حوزتها حاليا، سيستحوذ عليها الغازي غدا، لأنه بحكم كونها جماعية، فإنه يعتبرها دون مالك» (22).

بالنسبة للحلول المقترحة بقيت الاختلافات التي لوحظت إبان حرب الريف قائمة. بل استفحلت أكثر. فيضع دالاديي السياسة المغربية لحكومة المقيم لوسيان سان في الطرف المعارض «للعمل الرائع الذي أنجزه ستيك في المغرب» (23). وما يقدره في العمل الذي قام به المقيم العام السابق، هو رزانته، وحذره، اللذان لم يعرف خلفه ولا العسكريون المتحلقون حوله، الاحتفاظ بهما. في العمق، يبدو دالاديي، دون أن يقول ذلك بوضوح، مؤيدا لأسلوب «الخطوات الصغرى» الذي نصح به بانلوفي. هذاالأسلوب الذي لم يجد أي تجلٍّ في العمليات الجارية. وقد دعا الحكومة باسم فريقه «الى تطبيق سياسة إخماد الفتن، سياسة تكون منهجية، صبورة ومتسامحة، هي وحدها القادرة على أن توفر في نفس الوقت أمن المعمرين والأهالي» (24). أما الاشتراكيون فكانوا يودون لو يتم إحلال «أساليب سلمية حقا، أي أساليب تفاوض» (25) محل كل العمليات التي يتم القيام بها، ولو يتم الشروع في أشغال ذات نفع عام قمينة بأن تحسن مآل السكان (26). وبالنسبة للشيوعيين، لايمكن التكلم عن إخماد الفتن : وفي هذا الصدد قال كاشان مؤكدا : «إن توغلكم ليس سلميا ولا يمكن أن يكون أبدا كذلك. فلا يتم التوغل سلميا في بلد يريد سكانه أن يظلوا أحرارا ومستقلين». فـ «التوغل السلمي المزعوم»، الذي يمتدحه اليوم كل من الاشتراكيين والراديكاليين و«الحملة العسكرية الكبرى» المرجوة من طرف اليمين، يعتبران معا «شكلين لعمل نفس الامبريالية».

20 مناقشات المجلس، 25 يونيو 1920، الجلسة الثالثة، الجريدة الرسمية، ص. 2216

21 «كان على كل توغل في المغرب أن يثير مقاومة سكان المنطقة المحاصرة بقواتنا»، لوبوبلير، 13 يونيو 1929.

22 مناقشات المجلس، 21 يونيو 1929، الجريدة الرسمية، ص ص 2135 ــ 2136.

23 نفسه، ص. 2141.

24 نفسه، 25 يونيو 1929، الجريدة الرسمية، ص. 2221.

25 لوبوبلير، 14 يونيو 1929.

26 مناقشات المجلس، 21 يونيو 1929، الجريدة الرسمية، ص. 2140 (ريفيير).

ثمة حل واحد : الجلاء واستقلال المغرب (27). وإن الاشتراكيين، المعارضين صراحة لهذا الموقف، يؤكدون بأن سياستهم وحدها «مطابقة لفكر جوريس» (28). وكما وضح ذلك ريفيير أمام المجلس، هناك في المغرب حاليا «نوع من الأمر الواقع. فليس جميع مواطنينا ـــ وهم عديدون هناك ـــ مجوعون ومصاصو دماء. لقد بذل كثيرون منهم مجهودا جديرا بالاحترام الخاص، وقد رأيت بعض المعمرين الذين يستحقون عطفنا. لذلك، لايمكن القبول بهذه العبارة التبسيطية جدا التي تم ترديدها : الجلاء اللامشروط». ثم أضاف الخطيب الاشتراكي : «يمكنني أن أؤكد أيضا، باسم كثير من الأهالي الذين استفسرناهم، بأنهم يعتبرون أنفسهم أسعد من السابق» (29).

في الواقع، لم يكن الشيوعيون أنصار مبدأ كل شيء أو لاشيء. فإن كانت صيغة الجلاء عن المغرب تترجم فكرهم على نحو عميق، إلا أنها لم تكن مطابقة للوضع، وكانوا يعرفون هذا جيدا حتى أن كاشان اكتفى في نهاية خطابه، بالمطالبة بإنهاء «الهجوم والترحيل السريع للقوات الفرنسية والجزائرية» (30). ولم يترددوا في ضم أصواتهم للراديكاليين والاشتراكيين حول ملتمس قدمه الاشتراكيون ينص على القيام بتحقيق حول أحداث المغرب ثم حول ملتمس قدمه دلاديي يعبر عن الرغبة في تلافي تكرار أحداث مؤسفة بذلك الشكل» (أحداث آيت يعقوب)، و«يدعو الحكومة الى أن تطبق في المغرب سياسة إخماد فتن منهجية، صبورة ومتسامحة، هي وحدها القادرة على أن توفر في نفس الوقت أمن المعمرين والأهالي وتسمح بتطور البلاد في الهدوء والسلم» (31).

لقد اتّحد اليسار، إذن في 1929 لكي يفرض السياسة المغربية لبريان وبانلوفي، لكن هذا اللقاء الاستثنائي كان خاليا من أي وهم : فالأحزاب مختلفة حول الموقف الذي ينبغي اتخاذه أمام التمرد المغربي، وسيعمل تواصل العمليات العسكرية في السنوات اللاحقة على إبراز هذه الاختلافات لدرجة أنه سيشكل أحد المواضيع الرئيسية للمجابهة بين أحزاب اليسار الثلاثة.

27 نفسه، الجريدة الرسمية، ص 2137.

28 إنه عنوان كبير لـلبوبلير (25 يونيو 1929)

29 مناقشات المجلس، 21 يونيو 1929، الجلسة الثانية، الجريدة الرسمية، ص 2139.

30 نفسه، ص 2137.

31 نفسه، 25 يونيو 1929، الجريدة الرسمية، ص. 2231.

مسؤوليات راديكالية، تصلب الشيوعيين، انقسامات اشتراكية

رغم المقاومة وإراقة الدماء التي طبعت سنة 1929، استمر تقدم القوات الفرنسية في اتجاه تافيلالت وتادلة، بطريقة منهجية، ولن يتم إخضاع معظم المقاومة المغربية، المتجمعة في جزء من الأطلس الكبير، إلا سنة 1933، في أعقاب عمليات تمثلت على الخصوص في المعارك التي دارت في جبل صاغرو، في حين ستستمر الجيوب الأخيرة لـ «متمردين» الذين تحركوا الى الجنوب الغربي، بين الأطلس الصغير والمحيط الأطلسي، في القتال حتى ربيع 1934. لقد بدا اليسار منقسما أكثر من أي وقت مضى. وكان الراديكاليون قد انضموا الى معسكر اليمين المتطرف. وفي الجهة المعاكسة، شدد الشيوعيون موقفهم، وحكموا بقسوة على الاشتراكيين، مصنفينهم من بين الأنصار العلنيين أو المتلتمين للحرب المغربية. وفي الواقع، ترددت الحزب الاشتراكي بحكم انقسامه في اتخاذ موقف قوي، رغم ضغط أقلية كانت وجهات نظرها قريبة من وجهات نظر الشيوعيين.

منذ مغادرة طارديو للسلطة، في 1932، صار الراديكاليون في الحكومة. فلم يعد واردا بالنسبة لهم السماح بالاعتراض على العمليات العسكرية الجارية في المغرب؛ زد على هذا أنه كان لهذه الأخيرة طابع دفاعي بحصر المعنى، وقد استعاد دلاديي حرفيا تقريبا توضيحات بانلوفي وبريان، التي كان يعتبرها، قبل أربع سنوات غير مقبولة : «لايتعلق الأمر في المغرب مطلقا بحرب حقيقية... إن (عددا من القبائل) مكونة، لن أقول من لصوص، ولكن من رجال متمردين على نفوذنا، يلوذون بالجبال ومن هناك يقومون من حين لآخر بغارات، بأعمال نهب ضد القبائل التي قبلت الحماية الفرنسية أو حتى طلبتها (...) وفي هذه الحالة، عندما يكون علينا أن ندافع عن القبائل الصديقة، نجد أنفسنا مرغمين على التدخل» (32).

لقد استحسنت الصحافة الراديكالية هذا الاجراء دون تردد، سواء تعلق الأمر بـ لاريبوبليك * لاميل روش، بلوفر * لجان بيو (33) الذي سيصير مع ذلك عضوا للجنة رعاية الوطنيين المغاربة الشبان، أو بليرنوفيل * التي أضفت لهجة حربية خاصة على سردها لعمليات «إخماد الفتن» التي تشن بتعزيزات كبيرة من المدفعية ضد جبليين لائذين بالمغاور (34). لكن هناك تحفظ مع ذلك، ففي صفحة خاصة من لاريبوبليك، كانت تخصص وتتذاك للمغرب

32. نفسه، 30 يونيو 1933، الجريدة الرسمية، ص. 3273.

* La République

* l'Oeuvre

33. فاتح غشت 1933.

* L'Ere nouvelle

34. ليرنوفال، 21 غشت 1933.

مرة كل شهر (35)، هاجم أحدهم يدعى أ. نيلو بقسوة مصلحة الشؤون الأهلية ناعتا إياها بأنها «جهاز محمد للفتن (...) لايمكن أن تكون له سوى وظيفة حربية لكي يتوصل الى إخضاع المنشقين» (36). بينما ابتهج مارازاني، رئيس الفدرالية الراديكالية للمغرب، لكون الانشقاق «قد تكسرت شوكته تقريبا» بفضل المقيم العام سان الذي عرف كيف «يحقن دماء جنودنا بقدر ما سمحت له بذلك المبادرات المتهورة أحيانا لأركان عامة متعطشة للنصر والمجد»، تساءل بيلو في عمود مجاور : «منذ 1928، ينبغي إحصاء الخسائر الفرنسية في التخوم الصحراوية بالمئات. ترى هل يتطلب إخضاع مئات من العائلات المنشقة خسائر من هذا القبيل ؟» (37). لقد مثل هذا الصوت الناشز الخلافات التي ستنتج فيما بعد في صفوف الراديكاليين عن نمو «السياسة الأهلية» وبروز حركة الشبان المغاربة. لكن في الوقت الراهن لم يكن له داخل الحزب أي صدى.

لقد لاحظ الشيوعيون أن العمليات العسكرية لاتزال متواصلة بنفس وقعها الدموي وأنها لم تقطع دابر المقاومة لدى «الشعب المغربي» (38). وقد صرح غابريل بيري من منصفة المجلس «إن الجبليين الذين تشن عليهم الحرب يريدون العيش أحرارا» وأضاف قائلا : «إنني أكرر، باسم حزبي، بأننا نجد هذه الارادة في منتهى الشرعية، وأننا لانعتقد بوجود أدنى مصلحة مشتركة بين شغالي فرنسا والمستفيدين من المغامرة المغربية التي نشهر بها هنا» (39) فإلى جانب تأكيد الشغالين الفرنسيين على تعاطفهم وتضامنهم مع أولئك الذين يكافحون للحفاظ على أرضهم وحريتهم، يكون عليهم أن يظهروا إرادتهم في توجيه ضربة قوية للامبريالية (40). إذ في نية هذه الأخيرة التعجيل بالغزو النهائي للمغرب، ليس فحسب لكي تحسن مواقعها الاقتصادية، بل لأن السيطرة الكلية على الأرض المغربية تشكل عنصرا هاما من ترتيبات الحرب الأوربية الجديدة التي تهيئها (41). وبقيام الشيوعيين الفرنسيين بتعبئة الشغالين

35 إن تحريرها تسهر عليه الفدرالية الراديكالية الاشتراكية للحماية.

36 **لاريبوبليك**، 2 يوليوز 1933.

37 **نفسه**، 5 غشت 1933، أنظر كذلك، لنفس الاسم، «سيلزم وصل ما انقطع»، 2 شتنبر 1933.

38 أنظر **لومانيتي**، 14 أكتوبر 1930، 11 يونيو 1931، 18 يناير 1932، 14 غشت 1933.

39 **مناقشات المجلس**، 30 يونيو 1933، **الجريدة الرسمية**، ص 3272.

40 أنظر **لومانيتي**، 25 فبراير 1933، 19 يناير 1934.

41 «إن النقل السريع للسلع، ولكن قبل كل شيء لجنود افريقيا السوداء نحو الساحل المتوسطي ضرورة أولية بالنسبة لفرنسا في حالة حرب امبريالية في أوربا. إلا أن هذا النقل لايمكن أن يتم بالسرعة والأمن الضروريين إلا إذا غدت سيطرة الامبريالية الفرنسية على الجنوب المغربي كاملة، سواء تعلق الأمر بالنقل الجوي أو بالنقل السيار أو بالنقل بواسطة السكك الحديدية» **دفاتر البلشفية**، فاتح غشت 1933 (ه. كاوتين، «الحرب في المغرب» ص ص 1312 ــ 1320). وكان أوتافيو (باريس) أقل استلهاما عندما تحدث في **المراسلة الدولية** (2 دجنبر 1933، ص ص 1212 ــ 1213) عن تزويد المغرب للمتيروبول بالبترول والفحم فإنتاجهما كان منذئذ منعدما تقريبا.

من أجل الجلاء و«الاستقلال الفوري» سيعملون على إضعاف امبرياليتهم الخاصة «التي ستنقصها القوة لمقاومة كفاح شغالي الميتروبول»، وسيكون «الشعب المغربي كحليف في كفاحه (هم) المناهض للامبريالية» (42).

لقد ترجم تصلب الحزب الشيوعي من خلال موقفه تجاه الاشتراكيين والراديكاليين. فهو يؤكد على مسؤولية حكومات «اليسارات» في حرب المغرب. فهي برأيه تواصل «عمل» ليوطي : «كل البورجوازية الفرنسية متضامنة، عندما يتعلق الأمر بالقتل والتقتيل» (43). لكن الانتقادات القاسية يخص بها الحزب الاشتراكي. إنه يذكرو مرارا بـ «موقفه الاستعماري» (44)، ويؤاخذه على كونه «متواطئا» في الحرب. لقد تطورت الانتقادات ابتداء من صيف 1933 وستستمر حتى أبريل 1934. فقد تحدثت لومانيتي عن «نفاق الزعماء الاشتراكيين» الذين يشفقون على الضحايا ومعلنين عن رجائهم في نهاية المعارك، في حين يدعمون حكومة دلاديي المصممة على مواصلة العمليات مهما يكن الثمن (45). ففي شتنبر 1933 تبنى المجلس الاداري الدائم للحزب الاشتراكي بيانا يتهم الحكومة بتوريط فرنسا في «حرب حقيقية» مرغوب فيها من طرف العسكريين ورجال المال، وذلك دون موافقة البرلمان : «إن الصحافة الرأسمالية الكبرى تخفي ببراعة الطابع الحقيقي (للعمليات العسكرية)، مكتفية بتحقير الأهالي التعساء الذين يدافعون عن مساكنهم». «ويعلن الحزب الاشتراكي في هذا البيان عن احتجاجه الساخط ضد هاته العمليات العسكرية الاجرامية الخرقاء»، وسيطرح السؤال من منصة البرلمان بمجرد الشروع في السنة التشريعية الجديدة (46). يتعلق الأمر هنا بالنسبة لأندري فيرا، المكلف بالقضايا الاستعمارية لدى الحزب الشيوعي، بـ «بيان مخادع» توقف فيه فقط عند كونه يهاجم الأركان العامة لكي يبرىء مسؤولية دلاديي : «كيف يتأتى الكفاح ضد الحرب عندما يكون همنا الأول هو التغطية على الحكومة المحرضة على الحرب بالاتفاق معها» (47) ؟ وفي أوائل 1934، آخذ الشيوعيون الاشتراكيين مرة أخرى بـ «تجاهل»

42 دفاتر البلشفية، مقال مشار اليه.

43 لومانيتي، 11 يوليوز 1933. لقد تم تقديم سارو وبول ــ بونكور من طرف اليومية الشيوعية كـ «جلادين للشعب المغربي» 25 فبراير 1933. انظر كذلك 8 غشت، 27 و39 شتنبر 1933.

44 نفسه، 14 أكتوبر 1930، 9 غشت 1933 (الصفحة 4 مخصصة بأكملها، تحت إشراف أندري فيرا، لاظهار «الأحزاب الاشتراكية في نجدة الاستعمار») ــ 20 نونبر 1933 (ضد الحزب الاشتراكي للمغرب «المتشبع بالماسونية (و) الذي يشارك في جهاز الاضطهاد الامبريالي مباشرة») 29 نونبر 1933 («الحزب الاشتراكي من أجل الاضطهاد الاستعماري»).

45 14 يوليوز 1933.

46 لوبوبلير، 7 شتنبر 1933، مغرب، شتنبر 1933، ص 24.

47 لومانيتي، 8 شتنبر 1933.

الحرب، ذاهبين، أحيانا، الى حد اتهامهم بأنهم لم يتكلموا عنها أبدا : «لم تكتشف الجريدة الناطقة باسم الحزب الاشتراكي حرب المغرب إلا البارحة أي في فاتح أبريل 1934» (48).

يظهر فحص موقف الحزب الاشتراكي بأن التأكيدات الشيوعية ثابتة في جزء منها، ومبالغ فيها، بل مغلوطة، في جانب آخر.

1) لنذكر بأنه ظهرت في فترة الثلاثينات تيارات عديدة للرأي داخل الحزب الاشتراكي بخصوص السياسة الاستعمارية (49). ونلاحظ تقدما للأطروحات الاندماجية، دون أن يكون في إمكاننا مع ذلك تصنيف جميع أنصارها ضمن المواقف «الاستعمارية» التي يقف عندها بعض قادة الفدرالية الجزائرية (50). ويعتبر كل من جان لونكي وزيرومسكي مثلا، أكثر تحبيذا من فيلسيان شالاي أو مارسو بيفير لتوجيه البلدان المستعمرة نحو قانون استقلال داخلي، وحتى نحو نظام استقلال على المدى القريب جدا. ومهما تكن الاختلافات المذهبية التي تفرق بين القادة الاشتراكيين فكلهم يجمعون على إدانة أطروحة الجلاء عن الأراضي المستعمرة وخاصة منها المغرب. ولم تأت سنوات الثلاثينات بالنسبة لهذه النقطة بأي جديد.

2) فيما يتعلق بسير العمليات العسكرية في المغرب، نلاحظ في مقام أول أن الحزب الاشتراكي عبر عن شجبه لتلك العمليات تحت حكومتي لافال وطارديو بتعابير معتدلة نسبيا (51). ثم أبرزت انتخابات 1932 التي جاءت بأغلبية يسارية الى المجلس، وأدت الى وصول الراديكاليين للحكم، انقسام الاشتراكيين بين مناصرين للمشاركة في المسؤوليات الوزارية ومعارضين لها. لقد تلافت أغلبية الحزب المضي بعيدا في انتقاد الحكومات الراديكالية. لكن ها أنّ شابا ومناضلا متحمسا، هو روبير ـــ جان لونكي، الذي قرر بأن يخصص جزءا هاما من نشاطه لمشاكل المغرب الكبير، لم يتبنى نفس التحفظ (52). لقد تمكن من التعبير في لوبوبلير بقوة لاتختلف في شيء عن قوة الشيوعيين، عن شهادته حول التوغل السلمي : فهذا الأخير، كتب قائلا، «يتم بطلقات المدافع والرشاشات وبمعونة قصف جوي فظيع. إن قرى بأكملها تباد بنسائها وأطفالها (...) وتمنى قواتنا بخسائر عديدة (...) فهذه الحرب ترضي أثرياءنا المعمرين الذين يأملون في مساحات جديدة من الأراضي المشتراة من مغاربة تعساء

48 نفسه، 2 أبريل 1934

49 نحيل على تحليل مانويلا سميدي «الاشتراكيون الفرنسيون والمشكل الاستعماري بين الحربين»، المجلة الفرنسية للعلم السياسي، المجلد 18، عدد 6، دجنبر 1968، ص ص 1115 ـــ 1154.

50 مثل سيانفاريني، أنظر بشكل خاص مقاله : «الاشتراكية والاستعمار» في لاڤي سوسيالست، عدد 113، 13 أكتوبر 1928، ص ص 12 ـــ 14.

51 أنظر لوبوبلير، 17 يناير، 28 أبريل و10 مايو 1932.

52 عن ر.ج لونكي (ابن جان لونكي) وصلاته بالمغرب والوطنيين المغاربة، أنظر الجزء الثالث.

ومطرودين بأبخس الأثمان» (53). وفي أبريل 1933، عاد من سفر جديد الى المغرب وحمل لحزبه معلومات عن «المعارك الدامية» التي ترتبت عن غزو جبل صاغرو (54). وفي المجلة التي كان يديرها، وهي «مغرب» *، دعا المغاربة الشبان بالكتابة فيها، فوصف أحدهم «المتمردين» بأنهم «مضايقون في حريتهم ومرغمون على العيش في حيز محدود حيث يقعون تحت طغيان زعيم أجنبي» (55). لقد جعل ر.ج.لونكي، وبعض أصدقائه وهم دانيال كيران، موريس وماكدالين باز، الجريدة اليومية الاشتراكية، تشهر بشدة، خلال الصيف، بالعمليات التي تشن في الأطلس الكبير (56). كما استعمل **مغرب** لكي يضغط على الحكومة : «لقد نفذ صبرنا (...) يلزمنا إفهام حكومة «اليسار» بأننا نريد : 1) أن نعرف بالتتالي وبشكل دقيق ما يحدث في المنطقة العسكرية. 2) أن يتم الكبح الفوري للعسكريين وإيقاف هذه الحرب التي لاتدور إلا لهدف واحد : تمكين مجموعات مالية قوية، مثل شنايدر ودوكروز، من المناجم، وتمكينها أيضا من بيع عتادها الحربي لقواتنا بثمن باهظ. (...) ونطالب بأن ترسل لجنة برلمانية متمتعة بكل السلطات، فورا، إلى المنطقة العسكرية، مهما يكن رأي السيد دلاديي الذي اعتقد أن عليه أن يرفض مؤخرا الترخيص لبرلمانيين بالذهاب للتحقيق في المنطقة العسكرية، وهو ما يحملنا على الاعتقاد في خطورة الوقائع التي يرام كتمها بأي ثمن (...) لقد طلبنا ولازلنا نطلب من الحكومة بأن تعمل على ايقاف هذه الحرب !» (57).

3) كانت المجموعة البرلمانية الاشتراكية أبعد ما تكون عن مشاطرة وجهة النظر هذه. ففي 30 يونيو 1933، أفسحت حرب المغرب المجال لنقاش أمام المجلس (58)، فلم تنتدب

53 لوبوبلير، 22 غشت 1932.

54 أنظر مغرب، شتنبر 1933، ص. 1

* Maghreb

55 «إن السعادة التي يراد حملها اليكم ليست في النهاية سوى السعادة الحمراء : فالقرى والتجمعات البدوية مخربة، وقبائل بأكملها مدمرة، وآلاف العائلات التي كانت تتكون منها، عدت مفلسفة ومرغمة على البؤس» بعد أن صعقت بالقوة الجوية والقوة الأرضية مغرب، أبريل 1933، ص ص 34 — 36 (قدور، «إخماد الفتن»).

56 لوبوبلير، «كفى من الدم المراق في المغرب !» 13 يوليوز 1933؛ «الدم لايزال يسيل في المغرب» 14 يوليوز؛ «عشرة قتلى آخرون وإثنان وعشرون جريحا في المغرب ! (...) ونعرف أي موت يوحه «القذرون» للذين يأتون لغزو وطنهم !»، 8 غشت؛ «إن «التوغل السلمي» يبدو بكل واقعه الكريه»، 9 غشت. إنه ليس «شيئا آخر سوى مشروع لصوصية كبيرة لفائدة الرأسمالية الاستعمارية ومناسبة لبعض ذوي الرتب العسكرية لكي يربحوا شارات ونياشين بدم الجنود الفرنسيين والأهالي التعساء. (...). إن صمت الحكومة ذو دلالة وسنرغمهما على الخروج من هذا الصمت سواء أرادت ذلك أم لم ترده»، 11 غشت.

57 مغرب، شتنبر 1933، ص. 2.

58 بمبادرة من كيزنو الراديكالي، وغابرييل بيري، الشيوعي، اللذين طالبا باستفسار الحكومة. فمنذ 1929، لم تثر العمليات العسكرية في المغرب أي نقاش برلماني وأمام لجنة الشؤون الخارجية للمجلس، المجتمعة لسماع عرض لكيربو، الذي كان حديث العودة من المغرب، (أنظر أدناه)، امتدح فييو سياسة التوغل السلمي «التي تسمح لنا باحتلا-

المجموعة الاشتراكية أيا من أعضائها للمنصة، لدرجة أن الحزب الشيوعي وحده اتهم السياسة المغربية للحكومة (59). وعند الدخول البرلماني رفضت استفسار الحكومة كما طالبت بذلك اللجنة الادارية للحزب الاشتراكي، وبالرغم من تذكير جان لونكي بذلك (60). إن الحزب الشيوعي لم يكن يأبه تماما لاقامة فروق بين القادة الاشتراكيين : «آه ! نعرف هذا جيدا. إنه خطأ المجموعة البرلمانية، هيا إذن ! الحزب الاشتراكي كله مدان» (61)). وإذا بلومانيتي تقوم بمقارنات في منتهى الاعتباط، متهمة مغرب بالاتفاق مع الحكومة (62) ولونكي ورونوديل بكونهما يعارضان التخلي عن العمليات العسكرية (63).

4) تبقى نقطة هامة. خلال الشهور الأولى من سنة 1934، كان التباين صارخا بين تعاقب المقالات المخصصة لحرب المغرب من طرف الصحافة الشيوعية (64) وصمت الاشتراكيين. لقد تابع الحزب الشيوعي حملته حتى أواخر شهر أبريل. إلا أن آخر القبائل المنشقة ألقت السلاح في 16 مارس. لقد نبهت لومانيتي قراءها : ينبغي الاحتراز من التصريحات الرسمية؛ فالحرب لم تضع أوزارها بعد، بل هي ممتدة إلى وادي الذهب وموريطانيا؛ لنغادر المغرب (65). لقد ضمنت هذا الموقف تقديرا مغاليا لمقدرة مقاومة المغاربة أمام الوسائل العسكرية الهائلة المستعملة لاخضاعهم (66) ألا ينبغي أن نأخذ بعين الاعتبار أيضا الضغط، القوي على الخصوص في تلك الأشهر الأولى من 1934، الذي كان يمارسه الحزب الشيوعي

مجموع المغرب، دون إراقة الدم وبأن نحصل في الوقت نفسه على ثقة وإعزاز القبائل الأكثر احتراما». فرد عليه جان لونكي بأن «التوغل لم يكن دائما سلميا» وأورد أقوال الجنرال توكيس : «يلزم إفهام هؤلاء الناس تفوق فرنسا بطلقات المدفع» مجلس النواب، لجنة الشؤون الخارجية، محضر جلسة 16 نونبر 1932.

59 أنظر أعلاه. استهدف استفسار كيرنو في الواقع دعم سياسة الحكومة.

60 لوبوبلير، فاتح نونبر 1933.

61 لومانيتي، 14 يوليوز 1933 (مشدد عليه في النص).

62 نفسه، 23 يونيو 1933 (في تحقي لبروانير : «في المغرب»)؛ عن ليووانير ومغرب، أنظر الجزء الثالث.

63 نفسه، 9 غشت 1933 (ص 4، «السياسة الاشتراكية ـــ الامبريالية في افريقيا الشمالية»).

64 تم استرعاء انتباه قراء لومانيتي الى حرب المغرب بمعدل اثني عشرة مرة في شهر يناير، سبع مرات في فبراير، ست عشرة مرة في مارس وخمس عشرة مرة في أبريل وذلك بأشكال مختلفة (مقالات، تعليقات صحفية، صور).

65 شعار ردد أيضا في 16 أبريل.

66 في 7 مارس 1934، أكدت لومانيتي بأن هناك «تمردات تندلع خلف طوابير الغزاة الامبرياليين (...) وأن الكفاح يمتد الآن من تافيلالت الى الأطلسي».

على الاشتراكيين لحملهم على قطع العلاقة براديكاليي الحكومة (67)، والتوجه نحو وحدة عمل كانت الجماهير تفرضها تدريجيا على الأركان العامة للحزبين (68).

يبدو جيدا بالنسبة للاشتراكيين أن كل شيء انتهى منذ أمد طويل. فبالنسبة لروبير ـ جان لونكي، الذي لاتعتبر معاداته للنزعة الاستعمارية محل شبهة، ليس بالامكان قلب موازين القوى داخل المغرب. وهو يعتبر، من جهة أخرى، أن معركة المغاربة انتقلت منذ الظهير البربري الصادر في 1930، الى الصعيد السياسي (69). ولم يكن أغلب الاشتراكيين يرون الى البعيد. ترى هل يفسر رفضهم لتشديد مهاجمتهم لسياسة الحكومة باعتبارات التكتك العام فقط ؟ يبدو لنا أن رفضهم ذاك كان يعبر عن موافقتهم العميقة على القضاء على التمرد. لقد كانوا ينفرون في مجموعهم دون ريب من استعمال القوة؛ لكن يبدو أنهم كانوا مدفوعين بقوة الى الاعتقاد بأن الشيوعيين ويسار حزبهم يبالغون حول أهمية العمليات العسكرية الجارية. وقد عمل الصمت الذي لزمته الفدرالية الاشتراكية للمغرب، في هذا الشأن، على طمأنتهم، ألا يعتبر رفاقهم بالمغرب أول المقتنعين بأن مقاومة الثائرين لم يعد لها أي دلالة سياسية وأن من مصلحة هؤلاء إلقاء السلاح والسماح لفرنسا بمتابعة عملها الحضاري ؟ أو لم يحمل إميل فاندرفيلد نفسه، الذي عاد مخلوب اللب من سفر الى المغرب، ضمانة الاشتراكية الدولية للحماية (70) ؟ إن تطور موقف عصبة حقوق الانسان إزاء «إخماد فتن» المغرب ينير الفرضية التي نصوغها هنا حول انزلاق الأغلبية الاشتراكية نحو مواقف أكثر تفهما لأهداف الاستعمار بالمغرب.

67 كان الحزب الشيوعي وقتذاك يدمج كلا من الراديكاليين والاشتراكيين الأحرار في «السطافيسقراطيين»؛ وكاد الضغط على الحزب الاشتراكي يستعمل نعمق هذا العصر السحالي : «بتواطؤ الحزب الاشتراكي، شنت حكومة سطافيسكي الحرب على مائتي ألف مغربي (...) إن قبائل الجنوب المغربي تقاتل بسلاحها النظام الشنيع الممثل باستحقاق من طرف فضيحة‌ل سطافيسكي» لومانيتي، 10 فبراير 1934. «متى سيجيب رئيس الحكومة ووزير الحربية، ووزير الشؤون الخارجية في حكومة سطافيسكي عن أسئلتنا المحددة حول تقتيل مغاربة الجنوب ؟» نفسه، 12 يناير 1934.

68 «لسجتذب العمال الاشتراكيين، الذين لايقوم حزبهم بشيء ضد الهجوم الراهن، لكي يكافحوا معنا» لومانيتي 27 فبراير 1934. «لسجتذب العمال الاشتراكيين لكي يكافحوا معنا. جبهة موحدة بروليتارية ضد الحرب من أجل الجلاء عن المغرب» نفسه، 11 مارس 1934. إن على العمال أن يحققوا «الجبهة الموحدة للعمل داخل لجان نضال ضد الفاشية والحرب» نفسه، 12 مارس 1934.

69 أنظر الجزء الثالث.

70 في مقالين ظهرا في لاديبش التولوزية، أنظر الجزء الثالث.

تطور عصبة حقوق الانسان

لقد انصرمت الفترة التي كانت العصبة، مهزوزة بعمق بحرب الريف، تستفسر فيها الحكومة بقوة وتطالب للريفيين بحق إدارة أنفسهم بحرية. والرد الذي خصت به، في أوائل 1930، اقتراح شارل جيد، الرامي الى إطلاق سراح عبد الكريم — «(هذا) الرجل الذي حكم عليه بدون مقاضاة والذي كان ينبغي أن يعامل في الأكثر كأسير حرب» (71) — ذو دلالة في هذا الصدد. فقد أكد كيرنو، السكرتير العام، في تقريره «لايمكن أن نقول بأنه كانت هناك حرب؛ كان هناك تمرد أو انشقاق، وهو ما كان يسمح لنا بإعدام عبد الكريم عند أسره بدون قيد أو شرط. ثم لابد من التفكير في المصير الذي كان سيلقاه على يد السلطان، لو كان هذا الأخير هو القاضي الوحيد. وإذن فإن عبد الكريم محظوظ جدا في نهاية الأمر لكونه لم يتعرض سوى للنفي، وكل ما يمكن للعصبة أن تطلبه، «هو أن يكون هذا النفي لطيفا وإنسانيا قدر الامكان» (72).

منذ ذلك الوقت، لم يعد واردا بالنسبة للعصبة أن تحتج على مبدإ العمليات العسكرية. لكن ذلك لم يمر دون مصاعب، خصوصا مع فلسيان شالاي، نصير الاحتجاج على العمليات العسكرية الجارية (73)، وفي نونبر 1932 عند عودته من سفر الى المغرب، عبّر كيرنو أمام العصبويين عن الاعجاب الذي يحس به تجاه «العمل الخارق» الذي أنجز من طرف ضباط الشؤون الأهلية لدى القبائل. لقد قام بتقديم لوحة مثالية؛ ثمة طرقات بنيت، وأسواق فتحت، ومراكز تمريض أعدت. لقد سهّل التركيب الديمقراطي للبربر عملية إخماد الفتن : فـ «ما إن تتشكل أغلبية قوية لصالح الخضوع، فإن الأقلية تقبل أو تهاجر الى قبيلة مجاورة تظل متمردة، فيصير في مكنة الجيش أن يتقدم دون مخاطر». لاتزال هناك دون ريب بعض مناطق الانشقاق ويمثّل إخضاعها بعض الصعوبات؛ إذن هناك «يلوذ المحكوم عليهم، والفارون، أو المتعصبون للاستقلال؛ لكن التقدمات سريعة بصفة عامة» (74).

مع ذلك، كشف النقاش الذي أعقب عرض كيرنو، عن ارتباك العصبويين، ففكتور باش يشك «بأن المنشقين يسلمون أنفسهم لنا عن اقتناع غميق بالمزايا التي نحملها إليهم. لكن هل حادثهم السيد كيرنو ؟ هل يعرف ما يدور في سرائرهم ؟ فهم لايمكن أن ينظروا الى الفرنسيين إلا كغزاة، ومن حقهم أن يعترضوا بكل الوسائل على نظام لم يختاروه» (75).

71 دفاتر حقوق الانسان، 10 يناير 1930، ص 15 (عرض حلسة المكتب لـ 5 دحنبر 1929).
72 نفسه، 10 مايو 1930، ص 302 (عرض حلسة المكتب لـ 20 مارس). مشدد عليه في النص.
73 أنظر نفسه، 10 دحمبر 1932، ص 738.
74 الدفاتر، 20 فبراير 1933، ص ص 117 — 119 (محضر حلسة اللجنة المركزية لـ 17 نونبر 1932).
75 نفسه.

أما إميل كان، المقتنع بمبدأ التوغل السلمي، فبدا منشغلا مع ذلك بمعرفة ما إذا تم استعمال الرشوة، وهو مايجعل الخضوعات، في رأيه، قصيرة الأمد. بينما ارتأى لابيري، من جانبه، أن يعارض معاملات ضباط الشؤون الأهلية بأساليب أولئك «الذين يقدمون من فرنسا لوقت وجيز مصممين على الاستفادة من عبورهم للمغرب لربح الشارات» (76). وبالنسبة لبارتيلمي، «أن يكون التوغل سلميا أم عنيفا، فإن الأمر يتعلق في كل الأحوال بغزو» (77). وطلب من العصبة ألا تقيم تمييزا بين الأسلوبيين وأن تعترض على كل غزو جديد؛ إذ يكفي، في الأكثر، الحفاظ على المواقع المكتسبة. لكن كيرنو رجل سياسة براغماتي، تتغلب لديه الفعالية ــ ينبغي فهم الفعالية بمعنى تقوية الحضور الفرنسي ــ على مسائل المبدأ والأخلاق (78). فدافع عن فحوى تقريره مؤكدا بأنه سأل الأهالي؛ فقد سعى لكي يعرف أسباب خضوعهم، فأجاب البعض بحذر : «هذه إرادة الله». وقال البعض له : «إن للفرنسيين مدافع ورشاشات»، وأخيرا صرح آخرون : «لكي أحصل على السلم واستمتع في سلم بثمار عملي». إن هناك دون ريب فئتين من العسكريين في المغرب «لكن الفئة المسموعة أكثر فأكثر والتي يجب الانصات لها على الخصوص هي فئة ضباط الشؤون الأهلية الذين يعرفون البلاد، واللغة، والعادات ورجال البلاد، والذين يبذلون الجهود للاقناع، لا للقتال». ألا ينبغي حماية الفرنسيين المستقرين هناك، وكذا «الأهالي الهادئين»، من «النهابين» ؟ أما بالنسبة للرشوة، فهذا صحيح : «إذ يتم إعطاء هدايا صغيرة وبعض المؤن للأهالي الوافدين الى الأسواق، كما يتم منح امتيازات لأهم للزعماء»؛ فقد كان من عادة ليوطي أن يقول، كما ذكر كيرنو بذلك بأن ذلك يكلف أرخص كثيرا من طلقات المدفع (79). وإذا بالقرار الذي تم تبنيه من طرف العصبة يشهد بأن اليقظة القلقة للعصبويين قد تراجعت أخيرا أمام ضرورة طمأنة النفس وطمأنة الرأي بإعطائها شهادة رضى للعمل الفرنسي في المغرب : فاللجنة المركزية تعتبر «بأن أساليب التوغل السلمي عبر الطريق، عبر السوق، عبر الطبيب، قد أعطت نتائج مرضية وأن هذا التوغل السلمي ينبغي أن يحل في كل الأحوال والأمكنة، محل التوغل بالأسلحة» (80).

في مارس 1933، بعد أن أعلنت الصحافة نبأ هجوم قامت به القوات الفرنسية في المغرب، اعتبر الرئيس فكتور باش بـ «أنه من غير المقبول أن تشن عملية عسكرية من هذا

76 نفسه.

77 نفسه.

78 «هل كان الذهاب الى المغرب خطأ أم صوابا ؟ إنه مسموح طبعا بطرح السؤال. لكننا فيه» نفسه.

79 نفسه.

80 نفسه، 20 دجنبر 1932، ص. 756.

القبيل دون أن يكون ذلك في علم البرلمان والبلاد» (81). ودعا العصبة لأن تطلب توضيحات من وزير الحربية. وبموازاة ذلك، تم استفسار فدرالية المغرب؛ وبعد أن ذكرت هذه الأخيرة عددا كبيرا من القتلى والجرحى، «احتج» المكتب «مرة أخرى على أساليب التوغل العسكري التي تبقى المغرب في حالة حرب» (82). لكن احتجاجها لم يستمر، فبعد أن واجه وزير الحربية بالصمت الاجراءات التي قامت بها العصبة، صبرت هذه الأخيرة شهورا طويلة، ثم اعترت، في الأخير، أنه ليس في مستطاعها «التدخل بشكل مجدي على (أساس) معلومات الصحافة التي ليس في مقدرتها ضمان صحتها» (83).

قيمة حجج اليسار حول أساليب «إخماد الفتن»

هل نتوفر على معلومات تسمح بتقدير قيمة الحجج التي أدلى بها اليسار حول «التوغل السلمي» في المغرب ؟ يمكننا، على الأقل، أن نسعى لاضاءة النقاشات التي تمحورت حول الأساليب المستعملة لاخضاع المغرب. كما يمكن مقارنة التصريحات الرسمية ببعض الملفات التي من المحتمل أن الطبقة السياسية كانت قد اطلعت عليها، على الأقل جزئيا. حول هذين الجانبين المرتبطين بشكل وثيق، وهما مسؤولية العمليات العسكرية والدلالة المعطاة لـ «الانشقاق» ولـ «إخماد الفتن»، تقدم أرشيفات بانلوفي، بالفعل، توضيحات هامة (84).

1) أولا، إنها تؤكد صحة الأطروحة التي دافع عنها ممثلو اليسار والمتعلقة بالطابع الهجومي للعمليات المشنونة في 1929. فقد انخرطت هذه الأخيرة فعلا في مخطط تم إنضاجه والتحضير له طويلا من طرف الأركان ـــ العامة :

☐ في مذكرة بتاريخ 7 مارس، يعتبر الماريشال فرانشي ديسبيري، المفتش العام لافريقيا الشمالية، أن من الضروري، من جهة، احتلال هضبة وادي العبيد، في تدلة، ومن جهة أخرى احتلال تافيلالت، «مكان الأسلحة الطبيعي للجيوش التي تأتي لتقلق مواصلاتنا مع الجنوب المغربي ومع التراب الجزائري لعين الصفرة»؛ وهذه العملية الأخيرة «ناضجة»، وقد وضح مراحلها (85)؛

81 نفسه، 10 أبريل 1933، ص 236.
82 نفسه، 25 ـــ 30 مايو 1933، ص. 359.
83 نفسه، 30 مارس 1934، ص 229.
84 AN مجموعة بانلوفي 313 AP 207.
85 نفسه، «وضعية المغرب في بداية 1929. عمليات عسكرية مرتقبة»، (نسخة أصلية من البحث).

☐ في 14 مارس، طلب المقيم العام لوسيان سان موافقة الشؤون الخارجية على العمليات التي كان يرغب في القيام بها، يتعلق الأمر حسب قوله، بـ «توطئات صغيرة» ينوي تنفيذها في أراضي الجنوب، وتستهدف من جهة، احتلال بلاد آيت حديدو في زيز الأعلى، وفي وادي آيت يعقوب، ومن جهة أخرى احتلال الجرف والفزنة، غرب أرفود. وتبدو له هذه العمليات «مطابقة كليا لروح التعليمات التي تلقاها من الحكومة» وهي، كما قال موضحا، «لاتورطنا في شيء في مسألة تافيلالت التي لايمكن النظر فيها حاليا» (86).

☐ لقد استشارت الشؤون الخارجية وزارة الحربية، وفي 22 مارس، علق فرانشي ديسبيري، في مذكرة لبيتان، نائب رئيس المجلس الأعلى للحربية، على اقتراحات المقيم العام. لقد لاحظ بأنه من العمليتين المرتقبتين، تجازف الأولى، وهي عملية آيت حديدو، بأن تكون مكلفة من أجل نتيجة هزيلة. أما بالنسبة للعملية التي تستهدف الجرف والفزنة، ذكر بأنها «تدخل في البرنامج الذي عرضه عليه : **إنها تبدأ محاصرة تافيلالت**» (87).

أجاب وزير الحربية في 6 أبريل 1929 بأنه لايتعرض على البرنامج المقدم، فأعطت الشؤون الخارجية موافقتها للمقيم العام (88).

هكذا، فمن جهة، أعطى وزير الحربية موافقة على عمليات عسكرية في الجنوب المغربي يعرف طابعها الهجومي، وبعد خمسة عشر يوما ذكر وزير الشؤون الخارجية المقيم العام بأن السياسة العسكرية للحماية ينبغي أن تظل دفاعية بحصر المعنى (89). وطبعا، هذا التوجيه الأخير هو الذي أورده بريان أمام المجلس. على الصعيد المحلي، ذكر المقيم العام السلطة العسكرية بأنه قد صدرت «تعليمات من الحكومة تمنع أعمال القوة المنفذة بوسائل ثقيلة و(أنه) لن يتم النظر هذه السنة سوى في توطئات ذات طابع سلمي بشكل واضح، تطلبها قبائل راجية حمايتها، وتنفذ بتعاون وثيق وصادق معها» (90). تظهر الممارسة بأن مختلف درجات القيادة كان لها تأويل مطاطي لهذه التعليمات. لكن في هذه الحالة الخاصة نسجل بأن احتلال الجرف والفزنة تم في 8 أبريل؛ وهذا معناه أن البرنامج الذي أوصى به فرانشي ديسبيري وصادق عليه المقيم العام والشؤون الخارجية والذي يتضمن أيضا «محاصرة تافيلالت»، قد دخل حيز التنفيذ قبل التعليمـ ازقامية.

86 نفسه، رسالة رقم 189/CMC في 14 مارس 1929. التشديد منا.

87 نفسه، التشديد منا.

88 نفسه، برقية رقم 640 في 9 أبريل 1929.

89 برقية 23 مارس 1929، المشار إليها آنفا.

90 SHA MAROC CSTM 22002 (رسالة رقم 262/CMC بتاريخ فاتح مايو 1929 من المقيم العام الى الجنرال القائد الأعلى لقوات المغرب).

وحول ظروف اشتباك آيت يعقوب نفسها، تورد المراسلة الموجهة من الرباط الى باريس بشكل صريح مسؤولية الجنرال فرايدنبرغ، المتهم من طرف اليسار، والمدافع عنه من طرف وزيره (91).

2) من جهة أخرى، توضح التقارير المعدة من طرف الأركان العامة الطابـع الوهـمـي لـ «التوغل السلمـي» الذي يتباهى به وزيـر الحربيـة. فبشكل مترابط، تعيـد هـذه التقاريـر لـ «المنشقين» صفة «محاربين» التي ثابر كل من بانلوفي وبريان على نفيها. لقد كتب فرانشي ديسبيري في تقرير بتاريخ 20 يونيو 1929 : «إن المغرب لايزال بعيد الخضوع؛ ويتطلب إخماد الفتنة استعمال القوة، (...) فالاقناع لايعرف سبيلا الى سكان محاربين بالجبل مثل سكان المغرب إلا إذا قهروا أولا بالقوة» (92). بعد بضعة أيام من ذلك، توجه بيتان للوزير بقوله : «إن القضية المؤسفة لآيت يعقوب تضع الأصبع على وهم ومخاطر ما اصطلح على تسميته بـ «التوغل السلمي» (...) هذه العبارة (...) لاتخدع سوى الناس غير المجربين. فعلى كل عسكري واع بمسؤولياته، في بلد حديث الاحتلال، أن يكون دائما في حالة قتال في أفضل الظروف، وإلا فإن التوغل المسمى سلميا يقود دوما الى نكبة. واستنتاجي، سواء قبل أم رفض، هو أن الجبهة الجنوبية للمغرب هي حاليا جبهة قتال. (...) وأمامنا يوجد عدو.» (93). بعد أربع سنوات من ذلك، لاحظ الجنرال ثيفيني بأن القوة وحدها يمكن أن تقطع الدابر : «كما منشقي تازكزاوت في 1932، وصاغرو في 1933، فإن منشقي الأطلس الكبير سيمتنعون أولا عن المفاوضات، ولن يقع استسلامهم احتمالا إلا بقوة الضرورة، وذلك بعد بضعة ردود فعل قوية نكسرها بسهولة بأسلحتنا الأوتوماتيكية، ومدافعنا المركزة في المواقع المختارة، وطيراننا المداوم على الارتباط بجنودنا، وأمام استحالة تكسير الأزمة التي ستشتد عليهم، سيعمد المتمردون، منهكين بالجوع والعطش، ومبادين بالنار، وبعد أن يكونوا قد أنقذوا الشرف، إلى الاستسلام أخيرا. حينئذ سنجردهم من أسلحتهم ونكون بذلك قد أخمدنا فتنة الجبل بأكمله.» (94).

تعكس هذه الأحكام لزعماء الجيش الفرنسي رأي الجيش التقليدي. هل يجب أن نعارضها، كما قصد كيرنو الى ذلك، بوجهة نظر ضباط الشؤون الأهلية، الاختصاصيين في

91 أنظر AN 207 AP 313 (رسالة رقم 312/CMC في 13 يوبيو 1929)

92 AN 207 ap 313 (تقرير رقم 5/5 المجلس الأعلى للحرب حول «إخماد الفتن في المغرب»).

93 نفسه، رسالة رقم 1579/S في 24 يونيو 1929 (مشدد عليه في النص)

94 لافرانس ملتير، 29 يوليوز 1933. «في الأطلس المتوسط، ذكر الجنرال كيوم، لم تأت أية قبيلة إلينا بحركة عفوية. ولم تستسلم أية واحدة دون أن تقاتل، ودون أن تستنفد بعضها وسائل مقاومتها عن آخرها». البربر المغاربة واخماد فتن الأطلس المتوسط (1912 — 1933) باريس، 1946، ص 73.

التهدئة ؟ لندع الكلام لهؤلاء : ولنبدأ بموريس لوكلاي (95)، الذي عندما دعي في 1928 لالقاء محاضرة في هذا الموضوع أمام رفاقه الشبان، وضع الأشياء في نصابها : إن «التوغل السلمي» «عبارة حقيقية بصورة مطلقة، لأن مشاريعنا سلمية في غاياتها. فأن تضطروا عند تنفيذها الى ممارسة القوة وأن تدوي من أجلها طلقات البنادق، فإن هذا لايغير شيئا من المعنى العميق للعمل نفسه، ولا من الكلمات التي تشير اليه» (96). أما القبطان سعيد كنون فينصح ببعض التقنيات للتهدئة يعتبرها مهيأة على الخصوص للطبع البربري : «إن الوسيلة الوحيدة للتعجيل بالخضوع (...) هو أن يكون في مراكزنا خيالة عديدون جسورون وقادرون على اختطاف القطعان ومنع المراعي وحقول الحرث، أي باختصار، تفقير الدواوير الثائرة ثم منحهم عذر الفقر، الذي بدونه لايمكنهم الاستسلام بدون تلطيخ شرفهم» (98).

في أطروحة دكتوراه في القانون دوفع عنها في 1934، وصف بيار فاليري، قبطان الشؤون الأهلية، بدقة متناهية، مختلف أساليب التهدئة (99). إنه يميز على الخصوص العمل السياسي الذي يستهدف جلب تعاطف الزعماء أو إذا تعذر ذلك إثارة بعضهم على البعض الآخر، والعمل الاقتصادي؛ ويكتسي هذا الأخير شكلين متعارضين : شكلا سلطويا حيث يرافق الضغط العسكري تدابير الحصار، و«شكل اجتذاب» يتضاءل معه العمل العسكري. لكن فاليري يعتبر أن الحصول على خضوع القبائل دون اللجوء الى القوات النظامية يشكل «للأسف الحالة الاستثنائية. ففي أغلب الأوقات، يكون على العمل العسكري أن يمد يد العون للعمل السياسي» (100). وإذ يشير الى خطاب كيرنو، في مجلس النواب، الذي طالب فيه بتعميم أساليب «التوغل السلمي» يؤكد الضابط الطابع الخيالي لهذا الرجاء، إذ أن القبائل غير مستعدة مطلقا لقبول الهيمنة الفرنسية (101).

95 ضابط استخبارات من طراز آخر وأحد ملهمي السياسة البربرية لليوطي وهو مؤلف روايات وقصص قصيرة وحكايات مغربية.

96 عن التوغل، محاضرة ألقيت في الطور الاعدادي لمصلحة الشؤون الأهلية، في 3 أبريل 1928، الدار البيضاء، 1928، ص 6 (مشدد عليه في النص)

97 قبايلي من الجزائر، تطوع في يناير 1902، وصار ملازما في أكتوبر 1912 ومنذ 1910 قضى كل مأموريته تقريبا في البادية بالمغرب. ألف على الخصوص، الجبل البربري (الرباط، 1933) الذي ظهر في يناير 1929 في استعلامات استعمارية.

98 الجبل البربري، مشار اليه، ص 328 (مشدد عليه في النص).

99 الغزاة والمغزوون في المغرب؛ مساهمة في الدارسة السوسيولوجية الاتصال الشعوب، باريس، 1934.

100 مشار اليه سابقا، ص ص 102 — 103.

101 نفسه، ص. 83.

لايعلل مسئولوا السياسة المغربية أنفسهم إذن بأي وهم حول واقع «التوغل السلمي». فالخشية من البرلمان ومن الرأي العام هي التي تفسر، حسب الجنرال كيوم، «سياسة جمود» السلطات المدنية والعسكرية وذلك مباشرة بعد حرب الريف، (102) كما تفسر ابتداء من 1928، الاخفاء المنظم للطابع الحقيقي للعمليات العسكرية المشنونة ضد المنشقين (103).

تقوية التيار الاستعماري

من المحتمل أن الطبقة السياسية لم تكن غافلة عن الدعاية الحكومية وأنها كانت تخبر بوقائع إخماد الفتن، كما تم التذكير بها بفضل شهادات ضباط الشؤون الأهلية. كيف نفسر، في هذه الحالة، التفهم المفصح عنه أكثر فأكثر من طرف قطاع من اليسار الفرنسي تجاه العمليات العسكرية التي كان يراقبها بعين يقظة حتى قضية آيت يعقوب ؟ هل يفسر الاهتمام الطارىء الممنوح للمسائل ذات الطبيعة الاقتصادية من جهة، وذات الطبيعة الاستراتيجية من جهة أخرى، هذا التطور ؟

ثقل المصالح الاقتصادية

لاينفصل تاريخ غزو المغرب عن المشاريع الكبرى الموضوعة من طرف مجموعات اقتصادية قوية لكي تضمن لنفسها السيطرة على الثروات الحقيقية أو المفترضة للامبراطورية الغنية. هل ينبغي الذهاب أبعد من هذا وإقامة علاقة سببية واضحة بين مشاريع الأبناك والشركات الكبرى والعمليات العسكرية التي شنتها القوات الفرنسية للحماية ؟ وهل يتوجب علينا، من جهة أخرى، أن ننسب تقوية التيار الاستعماري إلى تواطؤ بين هذه المجموعات الاقتصادية وبعض القادة السياسيين لليسار ؟

عن النقطة الأولى، ادعى مجموع اليسار الشيوعي والاشتراكي، الذي انضم اليه اليسار الراديكالي لوقت قصير، كما رأينا، أن الهجمات التي شنت خصوصا في الأطلس الكبير، وتافيلالت، وتادلة، وصاغرو، كانت مبررة بالرغبة في الاستئثار بالثروات المعدنية، والمصادر المائية، والأراضي الصالحة للاستعمار. لقد قدم هذه الاتهامات بشكل عام، وعندما كان يعطيها شكلا دقيقا، على نحو استثنائي لم يكن يرفقها بأي عنصر إثبات. لقد كان الأمر

102 مشار اليه آنفا، ص 86.
103 نفسه، ص ص 250 — 251

بالنسبة للكثيرين بديهيا دون شك. لذا لايسع المؤرخ المتشدد أكثر، ولكن المحروم من تصريحات القادة السياسيين والعسكريين ومن أرشيفات الأبناك والشركات الكبرى وهذا هو الأسوأ ـــ أن يقدم اليوم سوى توجيهات عامة تبقى بحاجة الى البحث.

الأبحاث المنجمية

على الصعيد المنجمي، ينبغي أن نسجل بأن النظام القابل للتطبيق في المناطق الحساسة لم يكن يعوق التنقيب عن المناجم. لقد أرفق منذ 1923، المنع المبدئي للأبحاث المنجمية في هذه المناطق، (104) برخص خاصة للتنقيب المؤقت : فمنحت ترخيصات من طرف قائد المنطقة المعني للمعتمدين من طرف مصلحة مناجم الحماية؛ ولا ينبغي إغفال العلاقات التي تكونت في ظل هذه القوانين، داخل المناطق المنازع فيها من طرف القبائل المتمردة وذلك بين المنقبين، الذين يمثلون الشركات المنجمية الكبرى، والضباط المكلفين بقيادة عمليات إخماد الفتن. فهذه العلاقات تغذي وعي الشؤون الأهلية بضرورة امتداد النشاط العسكري الى نشاط ذي طابع اقتصادي.

لقد تم إنشاء الشركات المنجمية للأبحاث والاستغلال في حالات كثيرة قبل سنوات عديدة من إخماد الفتن في الأراضي المعنية :

☐ **منجم الحديد لخنيفرة.** في 1925، تمكنت مصلحة مناجم الحماية، بوسائلها الخاصة، من أن تستكشف، في قلب منطقة متمردة، منجما هاما للحديد، قرب خنيفرة. وفي مايو 1926، طلب اتحاد مكون من عدد من الشركات المنجمية والمعدنية الفرنسية أن يسند اليه هذا المنجم. في غشت 1927، انخرط بنك باريس والبيّي با والشركة العامة للمغرب في هذا الاتحاد الذي سيأخذ عما قريب اسم **نقابة المناجم والصناعات بالمغرب**. وبينما كان المنجم المطموع فيه لايزال في منطقة خطيرة (105)، سعت السلطات العمومية بواسطة مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية (106) الى إشراك مصالح أجنبية «مؤهلة بالاشتراك الذي كان لها في النشاط المنجمي الشريفي» مع المصالح الفرنسية (107). لقد جرت محادثات انتهت في

104 «... جمعنا، في مناطق الخطر بين منع التنقيبات المعدنية ومنع المضاربات العقارية، بعد عنها مزيد من الأجانب، الأمر الذي هو هدفنا الأساسي» (رسالة ليوطي في 4 يوليوز 1914 الى وزير الشؤون الخارجية، في **منطقة الخطر**، دراسة (مرقونة) لمصلحة تشريع الاقامة العامة للرباط، 1952، ص. 10

105 سيظل هناك الى غاية 1929

106 إن مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية، مشروع استغلالي للدولة، تم إنشاؤه من طرف الحماية في دجنبر 1928، لاثارة المبادرات الخاصة، وتوزيع القرض المعدني على المشاريع التي تطلبه وأخذ مشاركة أقلية في رأسمال بعض شركات الاستغلال عند الاقتضاء.

107 إنما نعيدون عن طرد الأجانب «هدفنا الأساسي» حسب ليوطي

الأخير الى إنشاء **شركة الدراسات والاستغلالات المنجمية لتادلة**، وهي نموذج متميز للتمركز العمودي (108).

☐ **منجم المنغنيز لسوس وسيرو.** رغم المنع الرسمي للتنقيبات في هذه المنطقة، تمكن منجميون عديدون وشركات قوية من العثور على آثار معدنية بواسطة بعض الأهالي وبعض الأوربيين القلائل الذين، عدا العسكريين، كانوا متواجدين هناك بحكم وظائفهم : وهم سائقون في قطاع الأشغال وناقلون على الخصوص. بهذا يفسر الامتياز في استكشاف المنجم الأكثر سهولة في المنطقة، وهو الامتياز الذي خول بشكل خاص للشركة العامة للنقل والسياحة المسماة ستيام. ودون انتظار فتح المنطقة، ولو جزئيا، شكلت ستيام، منذ مارس 1930، شركة تسمى شركة تيفنوت ـ تيرانيمين، لدراستها واستغلالها المحتمل (109).

ولم يكن تدخل الشخصيات المغربية البارزة عديم التأثير على شروط إسناد المناجم وفتح المناطق الخطرة :

☐ **منجم الكوبالت في بوعازر.** يعتبر الحسين الدمناتي، وهو بورجوازي كبير ذو تكوين عصري، وقريب بالزواج من المجموعة الصناعية جابي، أول من اكتشف، سنة 1925، الكوبالت في بوعازر، بالأطلس الصغير، جنوب ورزازات (110). ولأن هذه المنطقة كانت ممنوعة أمام أشغال التنقيب، لم تحصل شركته وهي الشركة المنجمية للمغرب، على ترخيص للبحث واكتفت بتحليل عيناتها. إلا أن باشا مراكش، التهامي الكلاوي، الذي كان المنجم يوجد في منطقة نفوذه، وجان إيبينا، الذي كان يوجد خصوصا على رأس الـ ستيام،السالفة الذكر، ثابرا بدورهما للحصول على فتح المنطقة وعلى الأولوية في الترخيصات. وذلك لمصلحتهما الخاصة. لقد سعت القبائل، التي اعتبرت نفسها دائما مالكة لباطن الأرض، الى اعتراض الأشغال التي كان الكلاوي قد شرع فيها بتغطية من العميد شاردون، رئيس المنطقة. لكن في

108 شركة الدراسات والاستغلالات المعدنية لتادلة، وهي شركة شريفية مجهولة الاسم أنشأت في 19 يوليوز 1930، وكانت تضم من بين مدارئها ممثلين عن بنك باريس وبايي با (أحدهم كان رئيسه)، وعن الأفران العالية لرويز شاتيون ــ كومونتري، وعن شركة موقطا الحديد، وعن شايدر وشركاه، وعن شركة السكك الحديدية للمغرب، عن الشركة السلجيكية دوكري ــ ماريهاي، وعن الشركة التجارية للسلجيكا، وعن المجموعة الهولندية مولر وعن مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية. هو مهر وموشوسي، **صيغ حديثة للتنظيم المعدني الافريقي، باريس، 1933، ص ص 196 ــ 200.**

109 نفسه، ص ص 203 ــ 204.

110 عن شخصية الحسين الدمناتي ونشاطاته يسعى الرجوع الى اللمحة التي أعدها المقدم لوباح، قائد دائرة إنركان في 1948. **SHA AI SAC 711 313**. وستقي المادة الأساسية لهذه الفقرة من هذه اللمحة، وكذا من التقرير «السري» للقطاد شوين عن **باشا مراكش** (1938، ونقح في 1940) ــ الذي تم إبلاغه وديا من طرف السيد ماتسون مونتيي.

باريس، عملت الحكومة، المنشغلة فحسب بالنزاع بين المجموعتين، على إجبارهما على التفاهم، وهكذا تم، في فاتح أكتوبر 1931، إنشاء الشركة المنجمية لبوعازر والكعارة التي عين الكلاوي رئيسا لمجلسها الاداري.

□ **منجم المنغنيز لايميني.** منذ استكشافه سنة 1918، أثار هذا المنجم اهتمام شركات دولية مهمة. وكان يوجد في منطقة خطرة، ولو أنه على بعد 70 كليو مترا من قصبة تيلويت، مركز قيادة كلاوة. وسيسعى باشا مراكش، «مزدريا قوانين الجماعات» التي لها حقوق معتادة على هذه المناجم الى الاستفادة من تدخلاته. فحصل في 21 يناير 1928 من شركة مقطع الحديد على عقد يخول له 5% من المعدن المنتوج. ثم ظهرت منافسات أخرى، فشجعت إدارة الحماية على مفاوضة بين مختلف المجموعات أدت، منذ نهاية شتنبر 1929 وقبل أي فتح للمنطقة، إلى إنشاء شركة بحث واستغلال (111).

هل من المجازفة التفكير بأن الشركات الفرنسية والدولية المعنية، وكذا حلفاءها، مارسوا في هذه الحالات نوعا من الضغط على الحكومة الفرنسية للتعجيل بعمليات إخماد الفتن ؟ لقد كان ذلك في مصلحتها، لكن كان في مقدورها أيضا، دون شك، إبراز المصلحة العامة للاقتصاد الفرنسي، الخاضع للخارج في تمويناته بالمنغنيز والمعادن الأخرى. مهما يكن، فإن الدور الذي لعبته الدولة، سواء في مرحلة التنقيب المنجمي أو في مرحلة إنشاء شركات استغلال، يسمح بتصويب الخطاطة التي كان اليسار يفسر وفقها : فالدولة لاتكتفي بالخضوع لضغط المجموعات الخاصة. بل تتوفر على قدرة للمبادرة لايمكن إغفالها. فبجمعها لشركات كانت حتى ذلك الوقت متنافسة، وباستقطابها لمجهوداتها، ساهمت بشكل واسع في تنمية قدرة تدخل تلك الشركات، وإذن في تنمية تبعيتها الخاصة ومن جهة أخرى أضفت بفضل سياستها في المشاركة صبغة مصلحة عامة على القرارات العسكرية والادارية التي تساهم في جرد الثروات المنجمية واستغلالها.

اتساع الاستعمار الزراعي

إن الضغوط الممارسة من طرف المعمرين (112) بهدف التعجيل بالعمليات العسكرية تجلت هنا بقوة، دون أن يكون اللجوء الى مؤازرة الأبناك والشركات الكبرى ضروريا دائما. لقد

111 شركة شريفية مجهولة الاسم للدراسات المعدنية

112 انتقل عدد المعمرين من 1600 في أواخر 1925 الى 2800 في أواخر 1929، وانتقلت المساحات الممتلكة من 000 500 الى 700000 هكتار تقريبا. وبين 1930 و1934، تاريخ انتهاء العمليات العسكرية ضد التمرد المغربي، ازداد عدد المعمرين حوالي 500، والمساحات الممتلكة بـ 000 150 هكتار.

تعرضت أساليب إخماد الفتن المستعملة من طرف ستيك، والمعتبرة عديمة الفعالية، لادانة شديدة من طرف غالبية المعمرين الذين تطور هيجانهم بشكل خاص بين نهاية 1927 ونهاية 1928 (113)، أي خلال الفترة التي عرفت فيها العمليات العسكرية توقفا نسبيا (114). فبالنسبة لهم، صار انعدام الأمن باديا للعيان. ويؤكد اتحاد الجمعيات الزراعية للمغرب الذي يضم حوالي ثلاثين تجمعا في ملتمس أعمال تم اعتماده في 28 نونبر 1928 «أن هناك شعورا كامنا بالتمرد والهجومات السريعة، لايزال متجذرا بقوة في عادات قبائل الداخل، وبالتالي ينبغي كبحها»؛ ويطالب بإلحاح بأن يعود العمل بمبدأ المسؤولية الجماعية للقبائل، ويعتبر في الأخير «أن من الضروري التوصل الى إخماد نهائي للفتن في المغرب» (115).

هذا الاخماد للفتن ضروري فعلا إذا كانت هناك رغبة في تأمين أراضي جديدة للاستعمار، خاصة في تادلة، حيث يوفر سقي سهل بني عمير للحرث مستقبلا خصبا، لكن ينبغي، قبل ذلك، الاحتلال النهائي للمرتفعات الجبلية التي تشرف على السهل والتي تشكل «معقل المقاومة البربرية» (116). لقد انضاف هنا الى ضغط المعمرين، دون ريب، ضغط شركة الطاقة الكهربائية للمغرب، وهو فرع مستقل لبنك باريس والبيّي با، منحتها الحماية في 1923 إنتاج الطاقة الكهربائية ذات التيار العالي ونقلها. فقد قامت الطاقة الكهربائية للمغرب بجرد الثروات المائية للبلاد وأدخلت، في برنامجها، بناء مركب مائي — كهربائي ضخم على وادي العبيد في أطراف تادلة، حيث أمكنها أن تقوم سنة 1927، في قلب المنطقة التي ينعدم فيها الأمن بالاستكشافات الأولى (117).

حساسية القيادة العسكرية والأوساط السياسية لليسار بالمصالح الاقتصادية

لانتوفر على وثائق كافية لتقدير وزن الاعتبارات والمصالح الاقتصادية في سير العمليات العسكرية. على مستوى القيادة العليا العامة، سنأخذ شهادة الماريشال فرانشي ديسبيري فقد

113 احتجاجات الغرفة الفلاحية للرباط في 5 نونبر 1927؛ وجمعية المزارعين ومربي المواشي لتادلة ووادي زم، في 15 دجنبر 1927؛ جمعية معمري سيدي سليمان في 5 شتنبر 1928؛ الغرفة التجارية للقنيطرة في 15 شتنبر 1928؛ معمري شمال المغرب في 29 شتنبر 1928. أندري كولياز، حمايتنا المغربية، باريس، 1930، ص ص 318 — 319.

114 في مجموع الفترة 1912 — 1934، تعتبر سنة 1928 هي التي سجل فيها رسميا أقل عدد من الخسائر في الجانب الفرنسي ستة وأربعون قتيلا واثنان وثمانون جريحا (لافريك فرانسيز، (استعلامات استعمارية، غشت — شتنبر 1936، ص 141). لكن كوليار، الذي هو معمر عجوز، يرى بأنه «في كل يوم يقتل مخزني، أو أحد الأنصار (المجند من طرف القوات الفرنسية)»، مشار اليه سابقا، ص 318.

115 نفسه، ص. 319.

116 «إن الرغبة في استصلاح سهل بني عمير دون السيطرة على هضبة وادي العبيد مثل الرغم باستغلال لابيانيي دون التحكم في مرتفعات أوفيري لابد من احتلال الجبل» نفسه، ص 494.

117 النشرة الاقتصادية والاجتماعية للمغرب، أبريل 1949، ص 186. التجهيزات الكبرى، الدار البيضاء 1954، ص 192.

كانت الأهداف التي عينها للقوات الفرنسية في 1929، كما رأينا تتمثل في احتلال تافيلالت وشعاب واد العبيد. ولم يكن للأولى في نظره سوى أهمية استراتيجية (118)، لكن مقرر ميزانية الشؤون الخارجية بالبرلمان شدد على «الثروات المعدنية الهائلة» للمنطقة التي تفرض تأمين «السلامة الكاملة للقوافل» (119). وقد شاطرته لجنة الشؤون الأهلية هذا الرأي (120). بخلاف ذلك، لاتفسر العملية الثانية في رأي فرانشي ديسبيري، سوى بكونها «تسمح باستغلال الأراضي الغنية للضفة اليسرى لأم الربيع» (121).

هل ثمة أسباب تدعو للاعتقاد بأن قسما من رجال السياسة المنتمين لليسار الفرنسي كانوا متأثرين على الخصوص بالحجج الاقتصادية للتهدئة، لدرجة أن بعضهم كتموا وساوسهم التقليدية وأبدوا تفهما إزاء العمليات العسكرية الجارية ؟ بالنسبة لروبير — جان — لونكي ، هذا أمر لاريب فيه، فقد لاحظ، بعد لومانيتي، تجددا للعمل العسكري منذ وصول الراديكاليين للحكم، واعتبر أن من المسلم به تواطؤهم مع بنك باريس والبيّي با، هذه الأداة الممتازة للسيطرة الرأسمالية على المغرب (122)، لكن الواقع يبدو لنا أعقد من هذا.

من البديهي أن جميع البرلمانيين تقريبا، باستثناء الشيوعيين، كانوا متأثرين بالحجة المقدمة من طرف أحدهم الذي دافع أمام المجلس عن مشروع قرض شريفي، ألا وهي حجة كون المغرب «يمثل سوقا كبيرة، على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة لفرنسا» (123). لقد كان كثيرون منهم مهيئين للاعتقاد بأن تفوق العمليات العسكرية يشرط الحفاظ وتوسيع موارد الحماية التي تشغل بفرنسا «عشرات الآلاف من الشغالين من كل الفئات» (124). هل يمكن أن نذهب أبعد من هذا وأن نعتبر بأنه كانت توجد بالنسبة لبعض رجال السياسة مصالح شخصية في الرهان ؟ يمكننا أن نذكر بأنه كان يجلس على مقاعد اليسار المعتدل والراديكالي، دون ريب رجال ذوو صلة وثيقة بمجموعات مصرفية أو صناعية. وكان بعضهم يوسعون

118 AN 207 AP 313 («حث» 7 مارس 1929). ـ

119 وثيقة برلمانية رقم 4875، الجريدة الرسمية، 1928، ص 1491.

120 في دراسة مؤرخة في دجنبر 1927، حم الملازم أول كريليس حديثه قائلا بضرورة احتلال تافيلالت، لأسباب سياسية، ولكن أيضا لأن الوقت قد حان لمد «المغرب النافع» لـ «أناس الأعمال، والتجار والصناعيين (الذين) يهتمون بالثروات المعدنية للجنوب والتي لم نعمل سوى على استبيان إمكانياتها»، لافريك فرانسيز، استعلامات استعمارية، مارس 1928، ص 189

121 «حث» 7 مارس 1929.

122 «إنه لغريب أن نسجل بأنه في كل مرة تصعد حكومة راديكالية الى الحكم، تستأنف حرب الغزو في المغرب. نعرف بأن بنك باريس وبايي با هو سيد المغرب. ونعرف بأنه يزعم دعم السياسة الراديكالية. هل هذا هو التفسير ؟» مغرب، شتنبر 1933، ص 2. أنظر أيضا، ر.ج. لونكي في لوبوبلير، فاتح أبريل 1934.

123 تقرير لهنري لوران وثائق برلمانية : مجلس النواب، رقم 6843، الجريدة الرسمية، 19432، ص 602.

124 نفسه.

نشاطاتهم الى المغرب. فليون باريتي مدير شركات عديدة (125)؛ وبوبوكس لافون، سليل عائلة كبيرة من الصيارفة وصيرفي هو الآخر، وهو مدير البنك الفرنسي في المغرب، المختص في الشؤون العقارية، نعلم أيضا بأنه في الوقت الذي كانت تشن فيه عمليات عسكرية جديدة، منحت تجزئات استعمارية من طرف الحماية لميسيمي، وهو عضو راديكالي في مجلس الشيوخ، ووزير سابق إبّان الزحف على فاس، ومقرر لجنة المالية، ثم رئيس لجنة الجيش، ومدير صحيفة راديكالية بدوباري سماها لافولونتي * (126).

هذه الاشارات تبقى مجزأة جدا، وقد يمكن البحث في إقامة ترابطات أخرى. لكن ما يبدو لنا أكثر أهمية هو اعتبار كون المصالح المالية والسياسية والعلاقات الشخصية قد اتفقت حينئذ على تشجيع تقوية التيار الاستعماري. فقد كان النواب وأعضاء مجلس الشيوخ للجزائر المرتبطين بالأوساط الاستعمارية المنتمين لليسار الراديكالي يتمتعون لدى زملائهم في الحزب والبرلمان بقوة إقناع متأتية من المعرفة المنسوبة لهم للوسط الاستعماري أكثر من كونها صادرة عن مصالحهم الخاصة. وشكل ليون باريتي ــ الذي كانت جريدة لوتون * والصحافة الاستعمارية تدعوه بـ «نائب المغرب» ــ مجموعة برلمانية مغربية تنتمي الى تيارات سياسية مختلفة (127) وجمعية اعتادت أن تجتمع كل شهر، حول مائدة غذاء، لتناقش شؤون الحماية. ويبدو لنا أنه كانت لأحد أعضائها، وهو فرانسوا بياتري، مكانة خاصة. إنه لم يكن رجل يسار، لأنه كانت تنقصه كثير من مقوماته؛ لكن خلال الفترة التي تعنينا ــ من نونبر 1929 إلى نونبر 1934 ــ شارك في تسعة دواوين وزارية حيث كانت له حقائب المستعمرات، والمالية، والحربية، لقد ظل هذا المعاون السابق لليوطي قريبا من الحماية؛ فهو مدير (لاروايال أو ستريان) للمناجم، التي ستأخذ مكانا هاما في استغلال ثروات باطن

125 شركة الملاحة المختلطة، شركة أحواض ومخازن مرسيليا، الشركة العقارية الفرنسية ــ الافريقية. وخلافا لاشارة قدمتها صحافة اليسار المتطرف، لم يكن باريتي وقتذاك مديرا للشركة المرسيلية للقرض.

La volonte *

126 216 هكتارا في المغرب لميسيمي، و100 هكتار في تادلة لدوباري، وذلك حسب ما أوردته ريفوليسيون بروليتايان (10 غشت 1933). فيما يتعلق بهذا الأخير، ذكرت لوكانار أولشيني، بالتوصية التي كان موضوعها بواسطة رسالة موجهة في 12 يونيو 1930 من طرف أندري طارديو، رئيس الحكومة، الى المقيم العام (28 مارس 1934). ولأن دوباري كان متورطا في قضية سطافيسكي، عبر غابرييل حيرمان، مراسل لاجون ريبوبليك، وهي صحيفة مسيحية ديمقراطية، من المغرب حيث يعمل مدرسا، عداة أيام فبراير 1934، عن استنكاره : «تمكن أحدهم يدعى دوباري من الحصول على منطقة دار ولد زيدوح (تادلة)، بواسطة أعلى التدعيمات، على قطعة أرض من 4000 هكتار، موجهة لتزويد «الدفاع الوطني» بالخروع... أو لامتداح سمعة سيد الساعة» 11 فبراير 1934.

Le Temps *

127 كانت هذه المجموعة تضـ . في 1932 حسب أ. بيرنار مائة وواحدا وثلاثين نائبا، لافريك فرانسيز، دجنبر 1932، ص ص 730 ــ 731.

الأرض المغربية، بينما كان أخوه مديرا للبنك التجاري للمغرب. وقد خولت له سلطته في المسألة المالية وصفاته كمتحدث لا مع صيتا دائما. يلزمنا أيضا أن نأخذ بعين الاعتبار العلاقات التي كانت قائمة بين رجال الأعمال للمغرب والحزب الراديكالي. لقد ظل أنطوان ماس، وهو صيريفي بالدار البيضاء ومؤسس أهم مجموعة صحفية للمغرب، عضوا بالفدرالية الراديكالية للرون؛ أما ابنه بيار فجاهد ليحتفظ بفرع الدار البيضاء داخل تيار اليمين. وكان ينتمي لهذا الفرع أيضا لوبو، رئيس الغرفة الفلاحية. وقد استقبلت اللجنة المركزية لصناعيي المغرب، المؤسسة سنة 1934، بمجرد استقرارها، ميسيمي الذي كان في مهمة رسمية بالمغرب، رروكس — فرايسنينغ، سناتور وهران (128).

لقد تمكن النفوذ المكتسب من طرف هذه المجموعات من عرقلة مجهودات وعمل بعض الفئات المعادية للاستعمار والتي كانت ما تزال موجودة داخل اليسار الراديكالي. والشاهد على ذلك هو تطور لاريبوبليك جريدة دلاديي منذ أن صار إميل روش، الذي ينشط الفدرالية الراديكالية للشمال، مديرا لها. فهذه الجريدة التي كانت تشهر في 1929، بقلم فرانسوال دوتيسان، بـ «مناورات مجموعات الأعمال بهدف الغزو الكامل للمغرب»، احتفت بعد بضع سنوات، بالامكانيات الممنوحة للرأسماليين عبر استغلال ثروات الحماية (129).

الاعتبارات الاستراتيجية

لانتوفر حاليا على وثائق تسمح بإضاءة كافية للعلاقات التي أمكن أن تقوم على هذا النحو بين بعض الساسة والادارة وأوساط الأعمال المعنية بـ «إخماد الفتن» واستغلال المغرب، على كل حال، سيكون من التهور أن نعزو تطور موقف جزء من اليسار الفرنسي تجاه التمرد المغربي فقط لتواطؤات من هذا القبيل. إذ هناك ـعتبارات أخرخ، من طبيعة استداتيجية. ذلك ما يذكره بول ـ بونكور.

موقـف بـول ـ بونـكـور

كاشتراكي سابق ابتعد عن أصدقائه بالحزب الاشتراكي، صوت بول بونكور بانتظام على الاعتهادات العسكرية الضرورية لغزو المغرب، لكن قضية أيت يعقوب أثارت غضبه الشديد. فأتى ليقول من منبر المجلس بأنه تعب من أن يكون «موضوعا دائما في الخيار بين

128 نشرة اللجنة المركزية لصناعيي المغرب، عدد 2، 1934. إن ثلاثة نواب راديكاليين وهم إبليل، كريسيل، ورولان، هم الذين رافقوا في 23 فبراير 1935 وفدا عن هذا الجهاز عند بيار لامال، وزير الشؤون الخارجية. نفسه عدد 5، (1935).

129 لاريبوبليك، 14 فبراير و28 مارس 933 ... و20 يونيو 1934.

أن يفارق أصدقاء (ه) أو أن يغادر رأيا تم إبداؤه غالبا بشكل متهور» وبالتالي ضم صوته الى أصوات زملائه الشيوعيين، والاشتراكيين والراديكاليين لادانة سياسة إخماد الفتن التي كان ينهجها كل من بانلوفي وبريان (130)، بعد ثلاث سنوات من ذلك، صار يتحمل مسؤوليات بارزة في الحربية، ثم في الشؤون الخارجية على مستوى اقتراح وتسيير العمليات العسكرية الأخيرة التي رأينا كيف كانت دموية بوجه خاص (131). لقد بدت له القرارات التي اقتنع باتخاذها، خاصة في أواخر 1933، ضرورية ليس فحسب بالنسبة للوضع في المغرب بل أيضا من طرف الوضع الدولي. فمنذ قطيعة ألمانيا مع مؤتمر نزع السلاح وعصبة الأمم، بدا له النزاع بين فرنسا وألمانيا حتميا. وعليه، صار من أبسط مبادىء الحذر إنهاء عملية إخماد الفتن المغربية حتى لايكون هناك اضطرار لتجميد جزء من القوات الفرنسية فوق تراب الحماية وحتى يسمح للمغرب بمساعدة الميتروبول (132) عند الاقتضاء.

ينبغي تلقي شهادتي بول ـ بونكور، والجنرال كيوم الذي يعززه (133)، المكتوبتين معا بعد الحرب العالمية الثانية، باحتراس دون ريب، لكن لايبدو لنا مع ذلك أنه بالامكان تنحيتهما بسرعة. إذ يشهد تطور موقف اليسار من القطار العابر للصحراء فعلا بالاهتمام المتزايد الذي كان يوليه للاعتبارات الاستراتيجية.

القطار العابر للصحراء

يستجيب مشروع ربط سككي بين النيجر والبحر الأبيض المتوسط للحاجيات العسكرية بقدر استجابته للحاجيات الاقتصادية. إذ بإمكان هذا الربط أن يشكل أداة أساسية في خدمة «التهدئة الفرنسية»، كما يمكنه أن يسهل تعبئة الوحدات المتمركزة في افريقيا ونقلها في حالة نشوب نزاع أوربي. لقد نشأ المشروع وتطور بمساندة الأوساط السياسية

130 مناقشات المجلس، 25 يونيو 1929، الجلسة الثالثة، الجريدة الرسمية، ص. 2218.

131 كان وزيرا للحربية في حكومة هيريو، من 3 يونيو الى 14 دجنبر 1932، ووزيرا للشؤون الخارجية من 18 دجنبر 1932 الى 27 يناير 1934 في الحكومة التي ترأسها، ثم في الحكومات التي قادها على التوالي دالاديي، سارو وشوتون.

132 ج. بول ـ بونكور، بين حربين، باريس، 1945 ـ 1946، الجزء الثاني، ص ص 408 ـ 409.

133 تطلب القيادة العليا إنهاء العمليات في 1934، حتى يمكن تحويل الى جهات أخرى القوات المجمدة بالمغرب، الجنرال كيوم، مشار اليه، ص 87.

المعتدلة (134). وذلك دون اكتراث اليسار أو حتى بمعاداته (135)، لكنه لم يفلح في الخروج الى حيز الواقع. رغم الضغط الجبار الممارس على السلطات العمومية، وسيمده احتلال تافيلالت بقوة جديدة (136). منذ ذلك الوقت صار قسم من اليسار مفتونا به، وعندما بادر مائتان وسبعة وعشرون نائبا، بتحريك من روكس ـ فرايسنينغ، بدعوة الحكومة الى بناء القطار العابر للصحراء بصورة مستعجلة، كان خمسان منهم يجلسان على مقاعد الراديكاليين والاشتراكيين الأحرار (137). صحيح أن المشروع الذي دافع عنه أندري هيس سيرفض من طرف المؤتمر الراديكالي لأكتوبر 1933، لكن لم تكن الفكرة هي التي قسمت المؤتمرين بقدر ما كانت أساليب تنفيذها، خصوصا أن «الفريق المغربي» كان يعمل في ذلك الوقت على تحضير تخطيط آخر للسكة الحديدية للقطار العابر للصحراء (138).

ابتداء من 1935، سيولي مجموع اليسار تقريبا، من الراديكاليين الى الشيوعيين، اهتماما متزايدا للدور الاستراتيجي الذي تلعبه بلدان ما وراء البحار، وبالأخص افريقيا الشمالية، في حالة نشوب نزاع أوربي، وسيكون لهذا الاعتبار، كما سنرى، انعكاسات خطيرة على الموقف الذي كان لهذه الأحزاب إزاء الحركات الوطنية. لنسجل بأننا نشهد حاليا مع العمليات العسكرية الأخيرة في المغرب، تغيرا في اتجاه قسم من اليسار لصالح الجيش. ويمكن القول أن معاداة الراديكاليين للنزعة العسكرية قد ولت : فمن الانتقادات اللاذعة ضد ليوطي، والتشهير بمؤامرات الأركان العامة في 1929، صارت هناك منذ ذلك الوقت مشاعر قريبة جدا من التباهي الوطني سيسمح التعبير عنها بالدفاع عن سياسة التهدئة المغربية لدى الرأي العام.

134 أنشأت لجنة القطار العابر للصحراء في يوليو 1927 ووضعت تحت رئاسة الكونت إد. دو وارن؛ بينما أشرف على كتابتها العامة روبير ـــ راينو، وسرعان ما صار روكس ـــ فرايسينغ الناطق بلسانها في مجلس النواب، **لافريك فرانسيز، استعلامات استعمارية**، يونيو 1927، ص 223.

135 أنظر المعارضة الاشتراكية في **مناقشات المجلس**، 23 يونيو 1927 **الجريدة الرسمية**، ص 3176 (فونطانيي) والمعارضة الشيوعية، **نفسه**، 21 يونيو 1929، **الجريدة الرسمية**، ص 2136 (كاشان) والانتقادات الراديكالية، **لالومبير**، 16 غشت 1930. أما «اليسار الاستعماري» فقد انضم الى المشروع منذ أيامه الأولى،ز مع مورينو ومالارمي، ثم فيوليط، وفي 1930 مع ستيكم وميسيمي.

136 من بين الأسباب التي كانت تدفع الى احتلال تافيلالت، يورد باغانون، مقرر ميزانية الشؤون الخارجية لسنة 1928، سبب تنفيذ مشروع القطار العابر للصحراء. فإذا تم اختيار وهران كرأس للخط (تبعا لرأي المجلس الأعلى للدفاع الوطني) فإن التخطيط سيحاذي تقريبا تافيلالت : «يبدو أمر هذه الواحات إذن بمثابة شرط مسبق لتنفيذ مشروع القطار العابر للصحراء» **وثيقة برلمانية**، رقم 4875، **الجريدة الرسمية**، ص 1491.

137 أي حوالي خمسون راديكاليا اشتراكيا، وعشرون راديكاليا حرا وخمسة عشر اشتراكيا حرا. **وثيقة برلمانية**، رقم 1372، ملحقة بمحضر الجلسة الثانية لـ 7 فبراير 1933، ص ص 165 ـــ 167.

138 انظر **لافيجي ماروكان**، 26 و29 أبريل 1934.

الرأي لعام وعملية إخماد الفتن

خلال صيف 1933، لفتت الثورة البروليتارية *، وهي مجلة ذات نزعة تروتسكية، الانتباه الى «اللامبالاة المطلقة والصمت المتواطىء» الذي تدور فيه العمليات العسكرية الجديدة بالمغرب. وقد اتهمت على التوالي كلا من الحزب الاشتراكي، وهو «حزب سلمي على نحو بارز كانت تكفي كلمة منه لارغام دلاديي على إيقاف الحرب» والحزب الشيوعي، الذي يكتفي بالدعوة الى «مؤتمرات ذات فرجة كبيرة (...) حيث تلقى خطب ضد الحرب بصفة خاصة، وضد الفاشية بصفة عامة، لكنه يمتنع بالفعل عن مواجهة الحرب الموجودة، الحرب المغربية، بكفاح ملموس ومخصص» (139). ويبدو فعلا أن النداء الذي تم إطلاقه بواسطة البيان الاشتراكي في شهر شتنبر لصالح التحريض لم يكن مرفقا بأي توجيه واضح ولم ينحم عنه تأثير. بخلاف ذلك، قام الحزب الشيوعي، الأكثر تهيؤا في هذا الاطار، بتنظيم حملة عبر قناة تنظيماته ينبغي رصد حصيلتها.

الحملة الشيوعية

لقد وضعت منذ 1927 الشبيبات الشيوعية وهي أداة الحزب المفضلة ضد المشاريع العسكرية، دعايتها ضد حرب المغرب ضمن منظور أكثر عمومية وهو منظور النضال ضد الامبريالية، المسؤولة عن الحروب الاستعمارية، مثلما هي مسؤولة عن الحروب الأخرى التي هي متهمة بالتحضير لها ضد الاتحاد السوفياتي. لقد استهدفت تلك الدعاية المجندين، والبحارة والجنود. وأفسحت المجال أمام مخططات أوسع (140)، كما تطورت عبر صحافة متخصصة (141)

* La Révolution prolétarienne

139 لاريفوليسيون بروليتاريان، 25 يوليوز 1933 («الحرب الجديدة للمغرب»).

140 تم إعطاء أمثلة منها من طرف نشرة الفدرالية، وهي نشرة داخلية لفدرالية الشبيبات الاشتراكية (عدد 3، أكتوبر 1927، مخصص في معظمه للحملة المعادية للنزعة العسكرية، في AN F7 13143، عدد آخر (1930) في AN F7 13184). أنظر أيضا «خطاطة درس للالقاء على المجندين الشيوعيين» في المعادي البلشفي للنزعة العسكرية، كتيب منشور من طرف فدرالية الشبيبات الشيوعية في أكتوبر 1927، مخصص في معظمه للحملة المعادية للنزعة العسكرية، في AN F7 13143، وعدد آخر (1930) في AN F7 13184)، أنظر أيضا «خطاطة درس للالقاء على المجندين الشيوعيين» في المعادي البلشفي للنزعة العسكرية، كتيب منشور من طرف فدرالية الشبيبات الشيوعية في أكتوبر 1932 (AN F7 13185).

141 لاكازيرن، أسبوعية؛ لاباح دوجان لوكوان، نصف شهرية للملاحين؛ لوكوبسكري، كانت تظهر مرتين في السنة.

ومناشير (142) وكراسات (143). وتؤكد النداءات الموجهة للمجندين وللعسكريين على التضامن الأساسي الذي يربطهم بالمستعمرين : فهم جميعا ضحايا الرأسمالية، وبرفضهم للذهاب الى ساحات القتال أو بتآخيهم هناك مع الذين يؤمرون بمحاربتهم، يكونون قد تمكنوا من «إنقاذ جلدهم»، وسمحوا في نفس الوقت بانعتاق الشعوب الواقعة تحت الهيمنة. منذ ذلك الوقت فصاعدا لم تعد تتم الاشارة الى حرب المغرب إلا باعتبارها مرجعا مثلها مثل حرب سوريا أو أحداث الصين، ناهيك عن أن هذه الأخيرة بدأت تأخذ تدريجيا مكانا أكبر. لكن هوس عدوان ضد الاتحاد السوفياتي هو الذي كان يهيمن في تلك الفترة، وشعار التآخي قد خلط منذ ذلك الوقت بين رفض مقاتلة «المستعمرين» كخطوة أولى نحو التحرر، والانتقال الى صفوف الجيش الأحمر، تمهيدا للثورة (44).

□ □ □

لقد سعى الحزب الشيوعي الى إعطاء أساس جماهيري للاحتجاج على العمليات العسكرية في المغرب. عبر قناة العصبة الفرنسية ضد الامبريالية والقمع الاستعماري. فقد أنشأت العصبة، كما رأينا في 1927 ومع ذلك، يبدو أنها لم تبد اهتماما خاصا بأحداث المغرب إلا ابتداء من سنة 1933 (145). ولم يكن لديها مندوبون في الحماية، لكن كانت ليو وانير، المحركة الرئيسية لمكتبها المركزي (146) عضوا في لجنة الدراسات المسماة بالعصبة الفرنسية

142 نجد منها في مختلف صناديق الأرشيفات الوطنية، خاصة في **F7 13144, 13145, 13184**

143 أنظر على الخصوص . **إليك أيها المجند، اليك أيها الشغال،** (1931). **13185.**

144 أنظر **لوكوسكري،** أكتوبر 1927 ومارس 1931 وبالأخص **سننتقل في اتجاه الجيش الأحمر**وهو كتيب منشور من طرف فدرالية الشبيبات الشيوعية أعيد فيه نشر الخطاب الذي ألقاه النائب الشيوعي بيرون في المجلس، في 2 دجنبر 1930، خلال مناقشة مشروع قانون يتعلق بفتح اعتمادات من أجل حاجيات الدفاع الوطني. **AN F7 13145** و **الى الهجوم أيها الرفاق،** كتيب مشار اليه (1931)، ينصح بالتحضير ضد التكنة لـ «التآخي مع العمال والشعوب المستعمرة والانتقال الجماعي الى صفوف الجيش الأحمر» (ص 27)

145 مع ذلك، تم في 1929 توزيع منشور من طرف «فرع الشباب» للعصبة، يرجع الى «المخوف الجديد (الذي) نشب مؤخرا في المغرب» **AN SOM SLOT FOM III 50.**

146 كانت ليو وانير، المزدادة باسم ليوني بيرجير، سنة 1886، ستراسبورغ — أوت — بريس، عضوة الحزب الشيوعي الفرنسي وكان لديها، حسب أندري فيرا ور ح لونكي، استقلال «مالي كبير، فكانت تخصص وقتها دون كلل لنشاطات نضالية. ويبدو أنها كانت قبل وصول هتلر الى الحكم، سكرتيرة عامة للجنة التبادلات البين مدرسية الفرنسية — الألمانية؛ وقد اهتمت بنشاط بعصبة النساء من أجل السلم. كما كانت تهتم خصوصا بالبلدان العربية، فسافرت اليها بانتظام، وستكون في 1934 — 1935، مع فرنسيس جوردان، الذي كان عضوا مثلها في الحزب الشيوعي الفرنسي، وروبير — جان لونكي، الاشتراكي، منشطة للعديد من اللقاءات والتجمعات ستجمع منظمات اليسار والوطنيين الأفارقة الشماليين. أنظر الجزء الثالث.

لمكافحة الحرب والفاشية وللتحقيق في «عملية إخماد الفتن»، وذلك رفقة هنري بونطون، سكرتير الفدرالية البريدية الاتحادية (147). وتختلف استنتاجات تقريرهما بشكل محسوس عن التحليل الشيوعي المعتاد : فـ «المتمردون» سيخضعون فورا إذا تخلفت فرنسا عن سياسة القوة وضمنت لهم أرواحهم وأملاكهم. لكن البنك اعترض على هذا وسعى الى تمديد العمليات مستعملا أسلوب الخداع (148). وقد شددت ليو وانير في مقالاتها التي وجهتها الى لموند *، أسبوعية هرني باربوس، على قسوة الحرب ـ «حيث يتجابه الضباط الفرنسيون والزعماء المنشقون ويتبادلون الكمائن وحيث يعامل الأسرى بمنتهى الوحشية» (149) ـ كما شددت على بؤس الأهالي الذين ينتهي الغزو الى تجريدهم من أملاكهم (150). إلا أن العصبة لم تنتظر سفرها لكي تحتج بقوة على العمليات المسماة بـ «إخماد الفتن» (151). لقد نددت بأولئك الذين اعتبرت أنهم «المستفيدون» من هذا الوضع : معمرون أثرياء، شركات رأسمالية، جنرالات. وشهرت بمخاطر نزاع بين القوى الامبريالية يكون المغرب هو تعلتها، وطالبت بانسحاب القوات وبحق الشعب المغربي في الاستقلال (152). ونادت وفق هذه الأسس الى اتحاد «الشغالين السلميين، والاشتراكيين، والفوضويين، والشيوعيين، والذين لاحزب لهم» الذين دعتهم الى تقوية صفوفها وتوقيع عرائض قامت بترويجها (153). لقد عاقتها في هذا العمل الصعوبات التي تلاقيها كل حركة جماهيرية في تعبئة مناضليها والحذر، إن لم يكن العداء الذي استثارته مبادراتهما لدى اليسار غير الشيوعي بصفة عامة (154). وفي نهاية 1933، لاحظت العصبة «قلة اهتمام الجماهير بالأحداث الجارية في المستعمرات (...) مكمن ضعفنا» (155).

147 لوموند، 24 يونيو 1933 إن الوفد كان يضم، حسب تقرير للشؤون الخارجية، عصر ثالثا، غاستون فيدي، ماصص س.ح.ت AN SOM SLOT FOM III 45 (تقرير 12 أكتوبر 1933)

148 لوموند 24 يونيو 1933.

* Monde

149 نفسه، 2 شتنبر 1933.

150 نفسه، 26 غشت 1933.

151 نشرة العصبة...، فبراير 1933، فاتح مايو وفاتح يوليوز 1933. جريدة الشعوب المضطهدة، نونبر 1933، يناير — فبراير، مارس وأبريل 1934.

152 نشرة.. ، مارس 1933، شين، أبريل 1933 («المطالبة بالاستقلال من أجل الشعب المغربي، بحق الشعوب في تقرير مصيرها هذا الحق الذي ضحى ملايين الأشخاص بأنفسهم من أجله»). جريدة الشعوب المضطهدة، نونبر 1933، يناير — فبراير ومارس 1934 («الجلاء عن المغرب، المغرب للمغاربة»).

153 نشرة...، فبراير 1933؛ لافي دولاليك، (يناير أو فبراير 1934). طلبت جريدة الشعوب المضطهدة كذلك من قرائها في عدديها لمايو — يونيو ويوليوز — غشت 1934 أن يقوموا بتوزيع لوائح العرائض وأن يساهموا حاليا إذا اقتضى الأمر حتى يمكن للعمل الذي تقوم به العصبة ضد حرب المغرب أن يستمر ويتطور.

154 أنظر دفاتر حقوق الانسان، 30 نونبر 1932، ص ص 713 — 714

155 لافي دولاليك، عدد 2، دجنبر 1933.

وعندما ينضم مناضلون اشتراكيون وسلميون وغير منظمين الى عصبة أمستردام ــ بلييل تدريجيا، فإن حوافزهم كانت تكمن خصيصا في المشاكل الداخلية والظرف الأوربي : فقد شكل الكفاح ضد الفاشية الفرنسية وضد الفاشية الدولية، وتهديد حرب أوربية قطبين محركين لايضاهيهما الكفاح ضد العمليات العسكرية في المغرب.

□ □ □

أعطى استمرار العمليات العسكرية في الحماية، أخيرا، فرصة للحزب الشيوعي لكي يتوجه مباشرة للأفارقة الشماليين حتى يؤكدوا تضامنهم مع المعركة التي يخوضها المغاربة ضد تقدم القوات الفرنسية. إننا لانتوفر على ما يكفي من الوثائق لتقدير تعاقب هذه النداءات. يمكننا أن نفترض بأنها كانت مرتبطة بالأخبار التي كانت ترد الى فرنسا حول وضع العمليات العسكرية وأن نلاحظ بأنها تمت على الخصوص خلال سنوات 1928، و1929 و1933. وتسمح لنا المناشير التي عثرنا عليها في الأرشيفات بإضاءة مفيدة لسياسة الحزب الشيوعي تجاه المشكل الوطني المغربي.

لقد انشغل الشيوعيون في وقت مبكر جدا بالتوجه للجنود المستعمرين. غير أنه من النادر أن نعثر على نداءات تهمهم بوجه خاص. إن النداء المعنون بـ ابراهيم، **قناص الريفي** يسترعي الانتباه على الخصوص، لأنه، بالاضافة الى تموقعه في إطار الدعاية التقليدية المعادية للنزعة العسكرية التي كانت تطورها الشبيبات الشيوعية، سعى للاجابة على المشاكل التي كان يطرحها استعمال الأفارقة الشماليين من طرف الجيش الفرنسي في المغرب. فهو يحكي قصة، قصة ابراهيم، الذي لم يتم توضيح أصله : فبعد أن انتزع من قريته، اقتيد الى الثكنة حيث صار قناصا؛ وقد تعلم «فظاظات ذوي الرتب العسكرية» ثم أرسل بسرعة «الى بلد شبيه ببلده يدعى المغرب». ولأن المغاربة يريدون البقاء أحرارا، كانوا يقاتلون ضد الغزاة مثلما كان يفعل جد إبراهيم. لكن، تحت تهديد مجلس الحرب «أطلق ابراهيم النار على المغاربة وساعد المستعمرين على سحق إخوانه». وبعد المغرب أرسل لقتال السوريين الذين كانوا يكافحون هم أيضا من أجل الاستقلال، ثم لقتال ابعمال ابذين كانوا مضربين في فرنسا. لقد كان مآل ابراهيم أكثر مشقة من مآل مجندي الميتروبول : فدون مال ودون ترخيص، لم يكن في إمكانه أن يزور عائلته، وبينما كان الجنود الفرنسيون يتمتعون بالحرية بعد ثمانية عشر شهرا، تم الاحتفاظ به هو طيلة أربعة وعشرين شهرا من الخدمة : «كل هذه الآلام وكل هذه المظالم جنحت بإبراهيم الى التفكير : حينئذ تبين له أن أولئك الذين اقتادوه للثكنة، ثم أرسلوه الى

المغرب، والى سوريا، والى فرنسا كانوا أعوان المعمرين الذين سرقوا أرض ابائه، وأعوان أرباب الشغل الكبار والحكومة الذين يضطهدون ويقضون بالبؤس على الجزائريين والتونسيين، والمغاربة، وعمال فرنسا.» إن الاستنتاج واضح : عليه أن ينضم الى إخوانه والى الفرنسيين الذين يكافحون ضد الامبريالية. وسيطالب مع القناصة والجنود الفرنسيين بتحسين وضعيتهم : وذلك بالزيادة في الراتب، وتقديم تغذية أفضل، وإلغاء المعاملات السيئة، ومساواة فترة الخدمة. «لكن ابراهيم يعرف، فوق ذلك، بأن استقلال بلده وحده قمين بأن يرجع له هو نفسه ولاخوانه الخيرات التي استحوذ عليها الامبرياليون، كما يمكن أن يرجع لهم الحريات. لذلك سعى إلى إفساد نظام جيش عدوه، وإفساد الامبريالية، وقام بترويج فكرة جيش وطني شعبي سيعمل على تحرير بلده» (156).

هناك نداء آخر، من المحتمل أن يكون قد جاء عقب النداء السابق ببعضة أشهر، وقد توجه لـ الجزائريين، والتونسيين، والمغاربة (157). لقد كان له شكل برهنة من ثلاث نقاط : ففي مقام أول، تم التذكير بوضعية الأفارقة الشماليين الذين أدخلوا «بالقوة» في الجيش الفرنسي وتمت مجابهتهم بالقبائل المستقلة التي تقاتل في الجنوب المغربي، مواصلين بذلك معارك الريف. لقد تم هنا إرفاق التشهير بالامبريالية بمستندات دقيقة. أما النقطة الثانية فاستهدفت ضرورة تجاوز الانقسامات الموجودة بين الأفارقة الشماليين المقاتلين ضمن الجيش الفرنسي والمتمردين المغاربة. بينما دعت الخاتمة الى التآخي مع المغاربة الثائرين وربطت «استرداد الأراضي التي سرقت منكم من طرف الامبريالية وخدامها» بالحصول على الاستقلال. هكذا يشكل هذا النص ملخصا متماسكا ومتينا للأطروحات التي كان يروجها الشيوعيون حول حرب المغرب، مع عدم احتفاظه سوى بتلك المتعلقة بالأفارقة الشماليين.

بموازاة المناشير الموجهة للعسكريين الأفارقة الشماليين العاملين بالمغرب، تم إرسال نداءين من باريس الى السكان المغاربة. وإذا كان فحواهما عاديا ـ إذ تعلق الأمر بتوضيح كون الكفاح الذي يخوضه مقاتلو الأطلس ضد «الامبريالية الفرنسية» هو في صالح الشعب

156 **RSD 91**. تم إرسال نسخة من المنشور بالفرنسية من طرف رئيس الأمن الجهوي للدار البيضاء في 6 فبراير 1928 الى الأمن العام بالرباط. وقد تم العثور على نسخ بالفرنسية، وبالعربية في الظهر، في نبايات الفرقة السادسة المرابطة بكومبياني، فأرسلت من طرف المفوض الخاص لموق الى الأمن العام لباريس، وفي 25 فبراير 1929، **13144 AN F 7.**

157 كان يحمل كعنوان . «الحزب الشيوعي، 120، زنقة لافاييت، باريس» (المقر المركزي للحزب الشيوعي) ويشير الى اسم وعنوان المطبعة. إنما حد منه نسخة أصلية بالفرنسية في **AN F7 13171** ومن جهة أخرى بعث بنصه من طرف الشؤون الخارجية، بواسطة رسالة رقمها 1451 في 27 غشت 10928 الى الاقامة العامة للرباط، مع توضيح أنه قد سحب منه مائة ألف نسخة. **SHA MAROC AI FES 530 3715.**

المغربي قاطبة ـ فإن شكلهما قد اختلف عن اللهجة المألوفة للدعاية الشيوعية. لقد كانت هذه الأخيرة تسعى تقليديا الى إدانة العمليات العسكرية الفرنسية وتحميس المقاومة المغربية. وتبعا لذلك، لم تكن تلح أبدا على الصعوبات التي يلاقيها مقاتلو الريف والأطلس، باستثناء استنكارها لأساليب الحرب التي كانوا ضحاياها. إن لمنشوري يا أيها المغاربة ويا أيها الشعب المغربي روحا مغايرا : لقد أظهرا الحرب من الداخل، إن أمكن القول فالأول على الخصوص، موسوم بحزن عميق، سواء تعلق الأمر بملاحظته انعدام تفهم الشعب المغربي للمعركة التي يخوضها الريفيون، أو بوصف تبعات انتصار «الامبرياليين» والهزيمة المحتملة لآخر مقاتلي الأطلس (158). أما النص الثاني فكان أقل تشاؤما. فإذا كان يعود لانقسام وعزلة الريفيين وهما السبب الأول لخسارتهم (159)، فإنه يلح في ضرورة أن يساعد جميع المغاربة إخوانهم في الأطلس وأن يتحدوا وراء زعيم حربي وحيد. وأخيرا، يؤكد لهم صداقة وتضامن العمال الفرنسيين، الذي هم مثلهم «مستغلون من طرف الرأسمالية» (160).

ومن جهتهم، دعي السكان الجزائريون والتونسيون الى إظهار تضامنهم مع المقاتلين المغاربة، خاصة بواسطة الملصقات والمناشير (161). «إن على أمتنا الافريقية، الراسفة في الأغلال والعبودية، أن توجه كل عنايتها الودية نحو الشعب المغربي، بطل الحرية والسباق من بين كل الذين يقاتلون الامبريالية الفرنسية». فثمة عمليات ذات نطاق واسع تتهيأ للقضاء على «مقاومتـ»ـه (162). وقد دعا الشيوعيون في تونس، البروليتاريين العرب والأوربيين، الدستوريين والاشتراكيين الى إظهار استنكارهم (163).

158 SHA MAROC RSD 79 et 91 (منشور موجه «الى معظم تجار مدينة فاس» ووجهت نسخ عديدة منه تم حجزها في البلاد، الى الرباط من طرف رئيس منطقة فاس، تحت رقم 102/RC5/2 في 24 أبريل 1928).

159 «.... لاتنسو بأنه طالما استمر الوفاق بين الريفيين، تمكن هؤلاء من هزم الامبريالية الفرنسية ! لاتنسوا أيضا بأن النصر النهائي كان سيكون حليفهم لو ساعدهم بقية إخوتهم المغاربة ! ولا تنسو أخيرا بأنهم انهزموا لأنه تم زرع بذور التفرقة في صفوفهم ولأنهم لم يتلقوا أية مساعدة من الشعب المغربي ! ليكن هذا الدرس، الفادح الثمن، عبرة لكن هذه المرة، على الأقل، حتى تعملوا على تحرير المغرب من أغلال الامبريالية...» SHA RSD 79 et 91 (بلّغ الى الاقامة العامة من طرف المفوض عميد أمن الرباط تحت رقم 4561 في 26 أبريل 1928).

160 تقودنا اللهجة العامة لهذين المنشورين الى التفكير بأنهما حررا من طرف أفارقة شماليين وأن النصين اللذين نتوفر عليهما ترجما من العربية.

161 أنظر ملصق «الدم يسيل في المغرب» المعلق بالجزائر العاصمة في أواخر 1929، AN F7 13144 والاعلانات الصغيرة التي عثر عليها بالقيروان في أبريل 1927، SHA MAROC AI FES 532 375.

162 SHA MAROC RSD 79 (IIb). ترجمة منشور بالعربية «موزع في 6 أكتوبر 1933 من طرف شيوعيين أهالي في أحياء تونس». إنها المرة الأولى التي نعثر فيها في هذه النصوص الدعائية على عبارة «أمة افريقية». ومن جهة أخرى، تم نعت المتمردين المغاربة أيضا بـ «الشجعان الثوريين»، وهي عبارة غير مستعملة كذلك.

163 نفسه.

فشل الحملة

إذا كانت دعاية الحزب الشيوعي الفرنسي تشهد باستمرار عدائه لغزو المغرب، فإنها لم تفض الى أية مظاهرة جماهيرية أو أي عمل ملموس، من شأنهما التذكير بالحملة ضد حرب الريف ولو من بعيد. لقد كانت قيادة الحزب واعية بهذا النقصان. ففي 1929، لاحظت فدرالية الشبيبات الشيوعية بأنه «منذ استئناف العمليات العسكرية (في المغرب) بدا عمل الحزب والشبيبات واهنا ولم يباشر بما يكفي من الاستمرارية. فحتى الآن، ترى الفدرالية، سجلت الحكومة انتصارا بما أن البروليتاريا الميتروبوليتانية وشعوب افريقيا الشمالية لم تقم بأي رد فعل أو تقريبا وذلك لضعف تجنيدها من طرف تنظيمها الطلائعي» (164). وفي 22 غشت 1933، نشرت لومانيتي بلاغا مطولا للسكرتارية يدعو الى «تنظيم الاحتجاج الشعبي بجميع أشكاله ضد حرب المغرب». وبعد أن نوّه هذا البلاغ بتضامن الشغالين الفرنسيين مع الشعب المغربي، طالب بتعبئة حقيقية للمناضلين : في خلايا المؤسسات، ولجان الدوائر، وداخل حدكة أمستردام ــ بلاييل. وعي ابشبيبات، ولدى البلديات وفي البرلمان، وأعلن عن اقتناعه بأن «كل شيوعي، وكل تنظيم للحزب، سيعرفان كيف يتصرفان لاجتذاب المناضلين الى العمل مثلما كان عليه الأمر في 1925 ـ1926» وفي أكتوبر، طالب هنري مكارتيي بأن يتم الشروع في عمل توضيحي كبير «داخل الحزب وخارجه، وذلك لافهام البروليتاريا أن عليها أن تتموقع صراحة الى جانب المغاربة وأن تساهم بكل الوسائل المتوفرة لديها في اندحار الامبريالية الفرنسية وانتصار «المتمردين». ينبغي النضال قبل كل شيء بمظاهرات جماهيرية ثورية ضد إرسال العتاد الحربي الى المغرب» (165). وأخيرا، في اللحظة بالذات التي وحدت فيها القبائل المنشقة نفسها مرغمة على إلقاء السلاح، كتب أندري فيرا أيضا : «ينبغي منع نقل العتاد الحربي والذخيرة الى المغرب، وينبغي أن يوضح للجنود دورهم وواجبهم» (166).

□ □ □

هل ينبغي أن ننسب الصعوبات التي تمت ملاقاتها في تعبئة المناضلين ضد حرب المغرب، وبصفة عامة، ضعف تأثير الحملة الشيوعية الى السمات الخاصة لهذه الحملة ؟ لقد

164 حياة الفدرالية، عدد 12، يوبيو 1929 (AN F7 13181).

165 دفاتر البلشفية، فاتح أكتوبر 1933 («الحرب في المغرب» ص ص 1312 ــ 1320)، مشدد عليه في النص.

166 نفسه، 15 مارس 1934 («الى مساعدة المغاربة في الكفاح» ص ص 338 ــ 347) بين 1927 و1934، لم يحم عن نقل الجنود والعتاد الحربي والذخيرة الى المغرب أي حادث حسب علمنا، فلا الصحافة والمطبوعات الشيوعية، ولا الأرشيفات التي استشرناها تحدثت عن ذلك.

أظهرت التجربة أن تضامن المصالح للبروليتاريا الفرنسية والفلاحين المغاربة المكافحين من أجل حريتهم فكرة لم تحظ بتقبل عام (167). ويتعقد المشكل ابتداءً من اللحظة التي يراد فيها إعطاء تعبير ملموس لشعور التضامن هذا. لقد احتفظ الحزب بشعار التآخي مع أنه أقر في 1926 بأن تقبله من طرف الجماهير كان سيئا، ربما يفسر هذا الحفاظ بالدعوة الى الالتحاق بصفوف الجيش الأحمر، في حالة نشوب حرب ضد الاتحاد السوفياتي. ألا يمكن أن يثير هذا التقارب بين الحرب في المغرب والحرب الامبريالية المحتملة ضد الاتحاد السوفياتي، من جهة أخرى، بعض التحفظات لدى غير الشيوعيين ؟ وأخيرا، ألا يمكن للتهجمات على الزعماء الاشتراكيين الشديدة غالبا، أن تحد من انضمام مناضلي القاعدة الى سياسة الجبهة الوحيدة المنصوح بها من طرف الحزب الشيوعي الفرنسي ؟ حتى لو كانت تلقى صدى ايجابيا في بعض الأوساط-الثقافية، مثل الجماعة السوريالية (168).

يبدو أن هذه المصاعب لم تغرب عن قيادة الحزب. ففي بداية 1930، انتقدت اللجنة التنفيذية الأممية الشيوعية للشبان الشيوعيين الشباب الفرنسيين الذين «اعترى الضعف عملهم المعادي للاستعمار وللامبريالية» وشهرت بـ «خطر اليمين الأكثر تهديدا»، وهو الذي يتجلى بالخصوص في غياب عمل قوي معاد للنزعة العسكرية، لكن أيضا بخطر اليسار، الموسوم بالطائفية، والارتماء في «اللاشرعية الارادية، بدون مبررات حدية للاعتزال فيها» (169). فبسبب مواقفهم المتياسرة، تم إبعاد ثلاثة أعضاء من المكتب السياسي للشبيبات الشيوعية، وهم نيديليك، ولولاندي وكاريسميل (170). وفي نونبر 1931، عزت نفس السلطة نقصان الدعاية المعادية للنزعة العسكرية والعمل من أجل السلم لمجموعة باربي — سيلور (171). ومع ذلك تشهد النصوص التي ذكرناها أعلاه بأن الطائفية لم تنته أبدا وأنها استمرت في الظهور الى غاية نهاية الحملة الشيوعية ضد حرب المغرب.

□ □ □

167 «لنحارب العقلية الاستعمارية في صفوفنا !» طلب هنري كارتيي لومانيتي، 25 يناير 1933.

168 أنظر مشنور «لاتذهبوا الى المعرض الاستعماري»، AN SOM SLOT FOM III 5.

169 رسالة مفتوحة الى جميع فروع الأممية الشيوعية للشباب، مرفقة بقرار رئاسة المجلس الأعلى للجنة التنفيذية للأممية الشيوعية للشباب حول تقرير اللجنة المركزية للشبيبات الشيوعية لفرنسا، كتيب، من 16 صفحة (1930) AN F7 13184.

171 رد اللجنة التنفيذية للأممية الشيوعية للشباب على الشبيبات الشيوعية لفرنسا.(موسكو، نونبر 1931، كتيب مسحوب في مائة وثلاثين ألف نسخة AN F7 13185. «منذ سنوات عديدة، تم إهمال العمل المعادي للاستعمار الذي يقوم به الحزب بطريقة غير مقبولة. إن لمجموعة باربي — سيلور — لوبيراي في هذه المسألة أكبر المسؤوليات» دفاتر البلشفية، فاتح مارس 1934، ص ص 334 وما يليها.

مهما يكن نقصان الحملة الشيوعية ضد عملية إخماد الفتن، ومهما تكن أخطاؤها، فإن هذه الأخيرة لم تسهم، في رأينا، سوى بقسط ضئيل في عدم اهتمام السكان الفرنسيين بالعمليات العسكرية الجارية في المغرب. وتفسر هذه اللامبالاة في نظرنا، الى حد بعيد، بالضعف النسبي للخسائر الفرنسية. ففي الواقع، إذا رجعنا الى الأرقام الرسمية نلاحظ بأن عدد القتلى الذي يبدو أنه قد كان 2504 خلال سنتي 1925 و1926، كان 1818 خلال فترة 1927 ـ 1934. لكن إذا كانت هذه الأرقام تهم الخسائر «الفرنسية»، فإن هذه الأخيرة مست من جهة بعض الأوربيين، ومن جهة أخرى بعض «الأهالي»؛ إلا أنه، بالمقارنة مع المجموع، انخفضت نسبة الخسائر الأوربية كثيرا : فنجد 37،3% بالنسبة لـ 1925 ـ 1926، و26،9% في 1927 ـ 1929 و21،3% فب 1930 ـ 1934 (172). لقد استدعى الاستعمال الأكثر كثافة للجنود الأهالي، وبالأخص لـ «الاضافيين» المغاربة، الذي تفصح عنه هذه الأرقام ردتي فعل متناقضتين كليا لليسار الفرنسي.

من جهة، ندد أراغون بـ «البورجوازية الفرنسية (التي) تجد أن من الحذق أن ترمي البربر بإخوانهم من الجزائر أو حتى من المغرب» (173) بينما تحدث ر ـ ج. لونكي عن «هؤلاء التعساء المغاربة «المجندين» من طرفنا، والمؤطرين بما يشبه حراس المساجين، الذين يرغمون على القتال ضد إخوتهم، والذين هم أول من يرسلون، طبعا، الى الهجوم، الى المذبحة» (174). وفي الجهة المعارضة، ارتأى كيرنو أن يطمئن زملاءه في عصبة حقوق الانسان بتوضيحه لهم بأنه بفضل كثافة الوحدات الأهلية المستعملة في العمليات العسكرية، فإن الخسائر الفرنسية قليلة نسبيا (175). لكن هذا الارتياح يتجلى دون ريب و بصلافة هادئة في **مريان** * التي تمثل ضمن اليسار «جريدة النخبة» : «إن ما يسترعي الانتباه هو العدد القليل للجنود والضباط الفرنسيين. أكثر من 80% من الجنود هم من الأهالي ! لقد وجب على الفرنسيين أن يتسلحوا بكثير من الديبلوماسية منذ 1912، وفي كل مرحلة من الغزو، بحيث استفادوا من الكراهية

172 استعلامات استعمارية، عشت ـ شتنبر 1936، ص. 141، وتقرير ميسيمي أمام مجلس الشيوخ (وثيقة برلمانية، 1932، رقم 704، الجريدة الرسمية ص ص 1023 ـ 1036).

173 نظرات، 15 غشت 1933، مستشهد به من طرف مغرب، شتنبر 1933، ص 39

174 مغرب، شتنبر 1933، ص 2. عن شروط حلب «المتطوعين المرغمين» أنظر نفسه، مارس 1933، ص ص 38 ـ 39.

Marianne *

175 دفاتر حقوق الانسان، 20 فبراير 1933، ص ص 117 ـ 119. إن هذا القول لم يثر أية ملاحظة من أعضاء اللجنة المركزية.

المتبادلة بين القبائل، فتمكنوا من أن يجندوا أفرادا مغاربة يقاتلون، باختصار، ضد إخوانهم الذين لايزالون متمردين وذلك «من أجل السلطان ومن أجل الجمهورية». (176). هل من المغامرة أن نفكر بأن رد الفعل الثاني هذا تطابق وقتذاك مع شعور أغلبية الفرنسيين ؟

في الحقيقة، كانت المعارك الأخيرة التي خاضها اليسار المتطرف الشيوعي والاشتراكي ضد العمليات العسكرية في المغرب في الاتجاه المعاكس للرأي العام. لقد فهم الراديكاليون هذا جيدا، وهم الذين ساهمت صحافتهم، الى حد لايستهان به، في هذا «التوسيع للوعي الاستعماري» الذي لاحظته راوول جيراردي ابتداء من الثلاثينات (177). لقد تبدلت الفترات التي كانوا يتهمون فيها العمل «السلموي» والطوبة الطيبة لبريان أو لبانلوفي. فصاروا يسعون من الآن فصاعدا الى إخراس القلق والوساوس التي يمكن أن تثيرها مقاومة المغاربة للتوغل الفرنسي والتي كانوا يرجعون صداها قبل سنوات من ذلك. لقد تم صرف اهتمام الجمهور عن العمليات العسكرية لصالح أصغر المسائل ذات المنفعة الاقتصادية أو السياحية، وتم شد خياله وحساسيته الى مفاتن اللون المحلي والى بطولة فروسية تخفي فظاعات الحرب (178) وكان كل شيء صالحا للالهاء، وبينما كانت تدور معارك طاحنة ضد المنشقين قصفت القوات الفرنسية خلالها تجمعات سكانية مغربية، لم ت ردد جريدة مثل لوفر * في أن تنادي قراءها لأن يتعاطفوا مع مآل... الحمير الذين يسيء الأهالي معاملتهم (179). وقد كان استسلام آخر زعماء الانشقاق مناسبة لاستعادة المقاومة المغربية، والتأكيد على الطابع المغلوط لقتالها، وذلك ضمن تأويل أسطوري يمتدح القوة والشهامة الفرنسيتين (180).

176 ماريان، 18 أبريل 1934.

177 الفكرة الاستعمارية في فرنسا 1871 — 1961، باريس، 1972، ص ص 118 وما يليها.

178 إن لاحضاع الرأي، كأثر من بين آثار أخرى، محو الجوانب المرعة والكريهة لمعارك حول صاغرو لكي لايحتفظ سوى بموت القبطان بورنازيل ملفوفا في برنسه الأحمر. وقد أوردت ماريان مع ذلك، في تحقيق مطول عن المغرب، «أغاني حرب يائسة، مرتجلة في السنوات الأخيرة مي طرف النساء البربريات ولا تزال مسموعة في الأسواق الى اليوم : أيتها القذائف، لقد حفرت المدينة، لقد رأيت جدران الآجر تتهاوى على الأرض يا للأمكنة البئيسة، إنها لن تعرف السعادة أبدا ! ويا أيها الرجال الأحرار، سآتي عندكم لأرعى شياهي»، لكن دون إضافة أي تعليق ودون إبداء أدنى تحفظ حول العمليات العسكرية، 18 أبريل 1934.

* L'Oeuvre

179 14 يونيو 1933، رسالة مفتوحة الى السيد المقيم العام للمغرب، من طرف هيلين كوسي.

180) أنظر ماريان، مقال مشار اليه، عن حمى «روح المقاومة البربرية النهائية». أما إذا عادت ليرنوفيل، الى الماضي، تذكرت عبد الكريم و... عبد القادر : «كما عبد القادر في الجزائر من قبل، كان عبد الكريم في المغرب عدوا مخيفا. وقد جعلنا من كليهما صديقين لنا. إنها نتيجة يمكن أن تغبطنا عليها أكثر من قوة استعمارية» 2 يوليوز 1933.

خاتمة

خلال السنوات الخمس عشرة التي تلت نهاية النزاع العالمي الأول جابهت حربُ الريف وعمليات إخماد الفتن في المغرب اليسار الفرنسي بالمشكل الوطني المغربي. لقد جنحت المصالح المختصة، منذ الثورة الروسية وإنشاء الأممية الثالثة، الى نسب المقاومة المغربية الى الدسائس البلشفية، رغم أن الحضور الشيوعي كان ضئيلا في الحماية. لكن من المؤكد أن شروط سياسة معادية للاستعمار، في فرنسا، تغيرت على نحو عميق فقد انحاز الحزب الشيوعي علانية، باسم معاداة الامبريالية والتضامن بين بروليتاريا البلاد والسكان الواقعين تحت الهيمنة الاستعمارية، للمقاتلين المغاربة وطالب بالجلاء عن المغرب. مع ذلك لم يتمكن التحريض الذي طوره من تغيير مجرى الحرب. أما اليسار غير الشيوعي فكان منقسما وسرعان ما اقتنعت عناصره الأكثر اعتدالا، والمدربة من طرف الراديكاليين والجمهوريين الاشتراكيين، بضرورة إلحاق المملكة الشريفية بالامبراطورية الاستعمارية الفرنسية وبعمل كل ما في الامكان للحفاظ عليها. لقد اعتبر الاشتراكيون الحماية أمرا واقعا ومرحلة ضرورية لتحرر الشعب المغربي. لكن كثيرين منهم كانوا يدينون، بقوة أحيانا، العمليات العسكرية.

انتهت الحرب في 1934. وسيتواصل تجريد القبائل من السلاح لسنوات طويلة، بينما الادارة ستحافظ حتى نهاية الحماية على وجود منطقة خطرة. لكن بعد ما يناهز ربع قرن، تمكنت القوات الفرنسية من التغلب على مقاومة عسكرية منظمة، وقد كتب أ. برنار «سيكون الانشقاق من الآن فصاعدا، داخل المغرب لا في حدوده» (181). وبالفعل، فمنذ أربع سنوات، ومع إعلان الظهير البربري، نعلم بأن هناك في المدن الرئيسية، وخاصة في فاس، شباناً مغاربة يتحركون وسيأخذ احتجاجهم، ذو الطابع السياسي، تدرجيا، محل الانشقاق المسلح، الذي لن يكف إلا مع الاستقلال. وستتموقع مختلف تيارات اليسار الفرنسي انطلاقا من مواقفها تجاه الشباب الوطني والحركة الوطنية المغربية.

181 لافريك فرانسيز، مايو 1934، ص 261

فهرس الجزء الثاني

مقدمة 5
الفصل الرابع : «المؤامرة البلشفية»
العمل الشيوعي في المغرب : من الواقع الى الأسطورة 7
الوقائع 7
أسس مواقف الحزب الشيوعي الفرنسي من الاستعمار 7
الامبريالية 8
السياسة 8
التنظيم 13
الحضور الشيوعي في المغرب حتى 1935 17
شيوعيون أم اشتراكيون 19
قضية آرمونكو ـــ فالونتان 22
قضية دومون 23
المغرب الأحمر 25
الأسطورة 27
عناصر الأسطورة 27
تواطؤ اعداء فرنسا 28
«عملاء موسكو» 34
التسرب الشيوعي داخل الجيش 38
هوس الهيجان 41
عمل الكومنترن : ملف مالاكا 43
تنفيذ الأسطورة 49
مصادر الأسطورة 49
الأساليب 55
وظائف الأسطورة 62
تقييد الحريات العامة 62

الفصل الخامس : **اليسار الفرنسي وحرب الريف : اليسار أمام عبد الكريم**.....79
اليسار والحرب 82
المسؤوليات 82
قيادة النزاع 87
قيادة العمليات..97
اليسار والسلم 105
مبدأ التفاوض مع عبد الكريم 105
استقلال، استقلال ذاتي أم خضوع الريف ؟ 110
الفصل السادس : **اليسار الفرنسي وحرب الريف**........................121
الحملة الشيوعية 121
سؤال أولي : هل بادرة الحملة الشيوعية متوجبة
على الحزب الشيوعي الفرنسي أم على الأممية الثالثة........................122
التوجيهات والتنظيم..123
الشعارات والتكتيك..123
نخبة العمل ضد حرب المغرب 126
تنظيم الدعاية..129
تحريض في جمع الاتجاهات 131
حملة التجمعات العمومية 132
النقابات العمالية..133
الفلاحون 138
الشبان 140
النساء..145
قدماء المحاربين 148

تطبيق خطة الجبهة الموحدة واخفاقها 155

المؤتمرات العمالية والفلاحية 157

المبادرات المحلية وردود فعل الأركان العامة 158

إضراب 12 أكتوبر 165

الدلالة 166

التنظيم 168

اختيار المسؤولين 168

موقف النقابات 170

اختيار التاريخ 174

الحصيلة 176

احتجاج اليسار غير الشيوعي 186

الفوضويون التحرريون والفوضويون 186

الاشتراكيون والكونفدراليون 190

خاتمة 196

الفصل السابع : **اليسار الفرنسي وحرب الريف (تابع)** 201

الأثر على العمليات العسكرية 201

التحريض في الثكنات ولدى التجارة 201

شبكات الدعاية الشيوعية نحو المغرب 205

المساعدة الشيوعية لعبد الكريم 207

وجهة نظر المصالح المختصة والتصريحات الحكومية 208

شهادة العسكريين 211

التآخر بالأفعال 213

القمع 216

أشكال القمع 217

حصيلة القمع 222

الاحتجاجات ضد القمع 225

الانتقادات والانتقادات الذاتية 229

المعارضة داخل الحزب الشيوعي 229

تصحيح القيادة.. 233
النقاش أمام الأممية وأمام مؤتمر الحزب.............................. 235
خاتمة :... 241
الفصل الثامن : **اليسار الفرنسي وعمليات إخماد الفتن**.................. 245
اليسار الفرنسي أمام المقاومة المغربية............................. 245
قضية آيت يعقوب 246
مسؤوليات راديكالية، تصلب الشيوعيين، انقسامات اشتراكية.......... 251
تطور عصبة حقوق الانسان.. 258
قيمة حجج اليسار حول أساليب «إخماد الفتن» 260
تقوية التيار الاستعماري 264
ثقل المصالح الاقتصادية.. 264
الأبحاث المنجمية 265
الاعتبارات الاستراتيجية 271
موقف بول بونكور 271
القطار العابر للصحراء 272
الرأي العام وعملية إخماد الفتن..................................... 274
الحملة الشيوعية 274
فشل الحملة.. 280
خاتمة.. 284

صادرات

دار توبقال للنشر

توزع في

البلاد العربية

وأوروبا

مطبعة سبو
خليل 3 (لافيليث)، زنقة 15، رقم 24،
الدار البيضاء 05 (المغرب).
الهاتف . 24 06 05

«... في المغرب، شعب متوقّد، حرٌّ، وممانع، له، أكثر مما نتصور وأكثر مما نعرف، أنفة تاريخه القديم، يتذكّر أنّه طرد من أرضه، على التوالي، كلا من البرتغال، والإسبان، والإنجليز، وأنّه زَعْزَعَ نَيْرَ الأتراك. إنه يتذكّر حتى الأزمنة البطولية عندما كان سيّداً على جزءٍ من اسبانيا. لقد كان له قادة، لكنه هو الذي عَظّمهم وعزلهم بحرية منه. ليس بالشعب المستسلم، ولا الشعب المعتاد على التحمل الصّامت لهيمنةِ طاغيةٍ، ولا بالشعب الذي يمكن أن يُعامل يوماً كشيءٍ قابل للتّبادل. إنّه شعبٌ مُحاربٌ. شعبٌ أبيٌّ...»

ج. جوريس

68 درهماً